لا فتى إلا علي

الشيخ علي حسين غلوم

دراسة في الجانب البطولي من شخصية
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

لا فتى إلا علي

مفرد

دارسة في الجانب البطولي من شخصية

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

الشيخ علي حسن غلوم

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

من مطبوعات

مسجد سيد هاشم بهبهاني

الكويت / تلفاكس ٥٤٣١٦٦١

بريد إلكتروني: alwalaa@alwalaa.com

مكتبة الروضة الحيدرية
النجف الاشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

مقدمة ١٣

الفصل الأول ٢١

تعريف بشخصية الإمام ٢٣

- نسبه الشريف ٢٣
- مولده ٢٤
- والداه ٢٥
- كنيته ٢٦
- ألقابه ٢٨
- زوجاته ٢٨
- أولاده ٢٩
- صفته في أخلاقه ٣١

الفصل الثاني ٣٣

الشجاعة في اللغة والدين والتاريخ ٣٥

- الشجاعة في اللغة ٣٥
- مرادفات وكلمات ذات معنى مقارب ٣٩
- الفتوة ٤٤
- الشجاعة في القرآن والسنة ٤٧
- الإمام يتحدث عن الشجاعة ٤٨
- الشجاعة في كلمات العلماء ٥٢
- الشجاعة في الشعر العربي ٥٦
- الشجاعة في الأمثال العربية ٦٤
- من أخبار الشجعان ٦٦
- الجبن في الأدب العربي ٧٠

الفصل الثالث ٧٥
شجاعة بني هاشم ٧٧
ـ محمد رسول الله ٨٠
ـ عبدالمطلب بن هاشم ٨٤
ـ أبوطالب بن عبدالمطلب ٩٣
ـ حمزة بن عبدالمطلب ٩٦
ـ صفية بنت عبدالمطلب ٩٨
ـ أم هانئ بنت أبي طالب ١٠٠
الفصل الرابع ١٠١
الإمام يتحدث عن شجاعته ١٠٣
ـ تمهيد ١٠٤
ـ لماذا نمتدح الشجاع ١٠٥
ـ نماذج من كلمات الإمام ١٠٨
ـ الإمام يبين أسباب انتصاراته ١٢١
الفصل الخامس ١٢٩
قالوا في شجاعته ١٣١
ـ النبي الأكرم ١٣٢
ـ الإمام الحسن المجتبى ١٣٢
ـ عمرو بن معديكرب ١٣٣
ـ عبيدالله بن عمر ١٣٣
ـ عمرو بن العاص ١٣٥
ـ جابر بن عمير الأنصاري ١٣٨
ـ خفاف بن عبدالله الطائي ١٤٠
ـ عبيدالله بن عباس ١٤٣
ـ بشر بن المعتمر المعتزلي ١٤٦
ـ العلامة الإسكافي ١٤٦

- الشريف الرضي ١٤٧
- الشيخ المفيد ١٤٨
- ابن عبدالبر الأندلسي ١٥٢
- الراغب الأصفهاني ١٥٣
- القاضي عياض ١٥٣
- ابن شهراشوب ١٥٣
- ابن الجوزي ١٥٩
- ابن أبي الحديد المعتزلي ١٦٠
- الملك الغساني ١٦٩
- توماس كارليل ١٧٠
- أحمد الحافي الشافعي ١٧١
- محمد رشيد رضا ١٧٣
- محسن الأمين العاملي ١٧٤
- عباس العقاد ١٨٢
- العربي التباني ١٨٥
- طه العفيفي ١٨٧
- عبدالفتاح عبدالمقصود ١٨٨
- خالد محمد خالد ١٩٥
- العلامة فضل الله ٢٠٦

الفصل السادس ٢٠٩

نفاثة الجاحظ ٢١١

الفصل السابع ٢٣٣

شعراء يتغنون بشجاعته ٢٣٥

- السيد الحميري ٢٣٧
- أبوتمام الطائي ٢٤١
- علي بن حماد البصري ٢٤٢

- علي بن فخرالدين الإربلي ٢٤٤
- كاظم الأزري ٢٤٥
- هاشم الكعبي ٢٤٩
- عبدالمطلب المصري ٢٥١
- السيد رضا الهندي ٢٥٦
- محمد عبدالحافظ ٢٥٧

الفصل الثامن ٢٨١

بطولاته في العهد النبوي ٢٨٣

- بدء الدعوة ٢٨٥
- الحصار في شعب أبي طالب ٢٨٧
- على أبواب الهجرة إلى المدينة ٢٩٠
- علي يلتحق بالنبي ٣٠١
- معركة بدر الكبرى ٣٠٣
- معركة أحد ٣١٩
- غزوة بني النضير ٣٣٥
- غزوة الخندق (الأحزاب) ٣٣٩
- غزوة بني قريظة ٣٥٠
- غزوة المريسيع ٣٥١
- صلح الحديبية ٣٥٢
- غزوة خيبر ٣٥٤
- غزوة ذات السلاسل ٣٦٣
- فتح مكة ٣٦٥
- معركتا حنين والطائف ٣٧١
- نحو أرض طئ ٣٨٣
- سريَّة اليمن ٣٨٦

الفصل التاسع ٣٨٩

بطولاته في عهد ما بعد النبي ٣٩١
- بعد أحداث السقيفة ٣٩٣
- حرب الجمل ٣٩٥
- حرب صفين ٤١٩
- أحداث لها علاقة بصفين ٤٦٥
- استشهاد محمد بن أبي بكر ٤٧٥
- من كتاب الإمام علي لأهل مصر ٤٨٠
- على إثر غارة الضحاك بن قيس ٤٨١
- معركة النهروان ٤٨٥
- بعد النهروان ٥٠١
- قبيل استشهاده ٥٠٦
- استشهاد الإمام ٥١٨
خرائط توضيحية ٥٢٥
مصادر الكتاب ٥٣٩

مقدمة

مقدمـــة

عرف علي بشجاعته في صغره ، كما عرف بها شابا ، ثم كهلا ... لم يغيره العمر ، ولم تؤثر فيه متغيرات الزمان ، ولم تزلزل أقدامه أشد المعارك ضراوة ... حارب في معركة الجمل، وقد جاوز الستين من عمره المبارك ، بنفس تلك البسالة التي زلزلت أقدام فرسان الشرك في بدر وأحد والخندق ...

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يُحصي نعماءه العادّون، ولايؤدي حقه المجتهدون، الذي لا يدركه بُعد الهمم، ولا يناله غَوْص الفِطن، الذي ليس لصفته حدٌّ محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود، فطَر الخلائق بقدرته، ونشر الرياح برحمته، ووتد بالصخور مَيَدان أرضه.

والصلاة والسلام على عبده ونبيه محمد بن عبدالله، الخاتم لما سبق، والفاتح لما انغلق، والمعلن الحق بالحق، والدافع جيّشات الأباطيل، والدامغ صولات الأضاليل، الذي أورى قبس القابس، وأضاء الطريق للخابط، وهدى القلوب، وأقام موضحات الأعلام، ونيّرات الأحكام.

ثم الصلاة والسلام على عترته خير العتر، التي نبتت في حرم، وبسقت في كرم، لها فروع طوال وثمرة لا تُنال، طاهرة مطهّرة، طيبة مكرّمة، اصطفاها بارؤها فعظمها، وانتجبها فأكرمها.

وبعد، فإن شخصية أمير المؤمنين ومولى الموحدين وإمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام لجديرة بالدراسة والبحث من نواحيها المختلفة، فلقد كان المثل الأعلى

في التقوى والإخلاص والعبادة والأخلاق الفاضلة والعمل الصالح والتضحية والإيثار والجهاد في سبيل الله والصلابة في الإيمان، وأكاد أجزم أن أصحاب الاختصاص لم يُشبعوا عناصر هذه الشخصية الفريدة في التاريخ بالبحث والتحقيق ـ دون بخس لما كُتب طوال القرون الماضية ـ إلا أن التركيز الأكبر كان على الجانب العقيدي ومسألة الإمامة والخلافة، الأمر الذي يستدعي بذل المزيد من الجهود في إطار دراسة وتحليل شخصية بطل الإسلام علي عليه السلام.

وشجاعة أمير المؤمنين عليه السلام هي من السمات البارزة في شخصيته، والتي اعترف بها الموافق والمعارض، وزخرت بها الكتب، وتغنّى بها الشعراء، وضُرب بها المثل، إلا أنها امتزجت بالعناصر الأخرى المكونة لشخصيته... فكانت شجاعته في الحق، والانتصار للمظلوم، وإغاثة الملهوف، والدفاع عن المستضعفين، ونشر الدين، وبسط العدل، ورد البدع والأباطيل... شجاعة امتزجت بالحلم، فلم تدفعه للطغيان، وتوشّحت بالعدل، فلم يظلم بها أحداً، وتقمّصت العفو، فلم يفكّر بالانتقام، وتقوّمت بالتقوى، فلم يُعمل سيفه إلا لله وحده.

قال الكاتب المصري الشيخ خالد محمد خالد في ذلك: (إن كون طبيعة المقاتل في أعماقه، لما يزيده شرفاً، ورفعة، وكمالاً. ذلك أن طبيعة المقاتل فيه قد بلغت من الاستقامة، ومن العدالة، ومن الشرف، المدى الذي أفاءه عليها القرآن، والرسول والإسلام. فهي عند الإمام لا تمثل عدواناً ولا تشكل بهتاناً ولا تنطلق وقوداً لأغراض الدنيا، وأطماع النفس. وهي بهذا، ولهذا، تجاوز نفسها إلى أعلى مستويات البطولة.

كما أن البطولة عنده وظيفة تحمل أسمى تبعات الرجولة، والرجولة عنده ليست اندفاعاً عرمرماً تزجيه طاقاته الجبارة، إنما هي التزام يكاد يكون مطلقاً لمنهج الرسول الذي آمن به، والدين الذي حمل رايته.

وهكذا نرى البطل والمسلم يلتقون في شخصية الإمام علي أصدق لقاء. أجل لم ينفصم البطل، عن الرجل، عن المسلم، في حياة عليٍّ أبداً. فإذا رأيناه يبارز خصماً مثلاً، فليس البطل المتمكن هو وحده الذي يبارز، بل إن رجولة الرجل، وورع المسلم هما اللذان يرسمان للبطل أسلوب المبارزة وآدابها)[1].

عُرف علي بشجاعته في صغره، كما عُرف بها شاباً، ثم كهلاً، لم يغيّره العمر، ولم تؤثّر فيه متغيرات الزمان، ولم تُزلزل أقدامه أشد المعارك ضراوة... حارب في معركة الجمل... وقد جاوز الستين من عمره المبارك، بنفس تلك البسالة التي زلزلت أقدام فرسان الشرك في بدر وأحد والخندق، وأعمل سيفه قَدّاً وقَطّاً في صِفِّين، في معركة الخميس وليلة الهرير، كما عهده المسلمون من قبل في خيبر وحنين... وهو يؤكد أنه قاتل الماضين على التنزيل، وها هو اليوم يقاتلهم على التأويل!

لم يكن علي عليه السلام من أولئك المقاتلين الذين يستلذون بسفك الدماء ـ حاشاه ـ بل كان يبذل كل ما في وسعه لإنهاء الخصومة سلمياً وبما يحقق الهدف المقدس في نفسه، فإذا أبى الآخرون إلا القتال، كان ابن أبي طالب فارس المعركة الذي لم يعرف ـ في أي منها ـ طعم الهزيمة أبداً.

قال الأديب اللبناني المعاصر جورج جرداق:(... وإذا كانت القوانين المتعارف عليها تسمح لابن أبي طالب بأن يحارب المتآمرين به، فإنه لا يفعل إلا بعد أن يراعي كل جوانب الحنان في نفسه وقلبه، وبعد أن يستشير كل روابط الإخاء البشري في نفوس مقاتليه وقلوبهم.

وهو إن فعل في خاتمة الأمر فإنما يفعل مكرهاً لا مختاراً، حزيناً باكياً لا فرحاً ضاحكاً، فإذا شعوره بالنصر بعد القتال آلم وأوجع من شعور مناوئيه بالهزيمة. وإذا كانت القوانين المتعارف عليها تسمح لابن أبي طالب بأن يترك المعتدين عليه، بعد

---

١ خالد : في رحاب علي ، وسنتعرض لسيرة المؤلف في حينه

موته، بين يدي أنصاره وبنيه يقاتلونهم ويقتصّون منهم لضلال مشوا به وإليه، فإن الرأفة بالإنسان - وهي لديه وراء كل قانون - تحمله حملاً على أن يخاطب أنصاره وبنيه بهذا القول العظيم: **لاتقاتلوا الخوارج من بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه**)[1].

هذا الكتاب:

أما هذا الكتاب فإنه يأتي استجابة لطلب المؤمن الصالح الحاج السيد خلف البهبهاني حفظه الله تعالى، الذي سألني أكثر من مرة إن كنت أحيط علماً بكتاب يختص بشجاعة أمير المؤمنين عليه السلام، وإذ لم أجد - وفق اطلاعي - كتاباً في هذا الباب يكون متوفراً ومتناولاً في الأيدي أو على رفوف المكتبات، فقد توكلت على الله عز وجل وعقدت العزم لتدوين كتاب خاص بذلك، يكون مرجعاً لكل من يريد الاطلاع على بطولاته عليه السلام وشجاعته وفتوته، وقد انتشرت أخبارها في كتب التفسير والحديث والسيرة والتاريخ والكلام، إلا أنها ليست مركزة في بحث واحد ممنهج وفق التسلسل الزمني للأحداث، أو ضمن منهجية أخرى بحيث توصل القارئ إلى الهدف المطلوب.

وقد اعتمدت في تدوين الكتاب على نقل ما دوّنه الآخرون مع تعليقات بسيطة وتوضيحات ضرورية، دون استغراق في التحليل والمقارنة بين النصوص، لئلا يخرج الكتاب عن هدفه العام، وتجنباً للملل الذي قد يصيب القارئ المتشوق للاطلاع على هذا الموضوع.

ولابد أن أشير هنا إلى أنني تصرفت في بعض النصوص التي اعتمدت عليها اختصاراً، وسأشير إلى ذلك في حينه، كما أنني لجأت إلى إضافة كلمة (وآله) إلى

---

[1] جرداق: روائع نهج البلاغة - ص ٥٧، والمؤلف مولود بقرية مرجعيون، وهو صاحب عدة مؤلفات في شأن أمير المؤمنين من قبيل (عليّ وحقوق الإنسان) و (بين عليّ والثورة الفرنسية) و (علي وسقراط).

الصلاة على النبي، و إضافة (التسليم) على الصلاة عليه كلما لم أجد ذلك مدوّناً في الأصل، وليعذرني الباحثون وأهل التحقيق في هذا التصرف.

كما أنني حرصت على أن أضمّن الكتاب بحوثاً لغوية وأدبية ونفسية تتكامل من خلالها عناصر الكتاب، وتثري القارئ معرفياً. وأنتهز الفرصة لتقديم الشكر للدكتور السيد حسين طاهر الذي ساهم ببحث علمي نفسي قيّم سنورده في الفصل الخاص بحديث الإمام عليه السلام حول شجاعته.

مقدّماً.. أعتذر للقارئ الكريم عن أي خطأ أو تقصير، كما أسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل بأحسن القبول، وأن يعفو لي زلاتي وتقصيري، وأن يجعل هذا العمل شفيعاً لي ولأهلي وإخواني المؤمنين، لاسيما ملهمي لتصنيف هذا الكتاب، إنه سميع مجيب.

علي حسن غلوم ـ الكويت

١٧ ربيع الأول ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م

الفصل الأول

تعريف بشخصية الإمام

تعريف بشخصية الإمام

فكان ـ والله ـ بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، ويستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبؤنا إذا استنبأناه. ونحن ـ والله ـ مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له. يعظم أهل الدين، ويقرب المساكين، لايطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف وأشهد أنه لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، قابضا على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين ....

هو أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب، سيد الوصيين وأول أئمة المسلمين وخلفاء الله في العالمين بعد سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

نسبه الشريف:

علي بن أبي طالب [1] بن عبد المطلب [2] بن هاشم [3] بن عبد مناف [4] بن قصي بن كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

---

١ واسمه عمران أو عبدمناف

٢ واسمه شيبة الحمد

٣ واسمه عمرو

٤ واسمه المغيرة

مولده:

ولد يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب على قول الأكثر، وفي الفصول المهمة ليلة الأحد الثالث والعشرين منه، وفي رواية يوم الأحد سابع شعبان بعد عام الفيل بثلاثين سنة [1]، وقبل النبوة بعشر سنوات [2]، وقبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة.

كانت ولادته بمكة المكرمة في الكعبة المشرفة كما في **الفصول المهمة** لابن الصباغ المالكي و **مروج الذهب** للمسعودي و **السيرة الحلبية** حيث جاء: (وفي سنة ثلاثين من مولده صلى الله عليه وآله، ولد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الكعبة) [3].

وفي **الإرشاد**: (ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله سواه، إكراماً من الله جلّ اسمه له بذلك وإجلالاً لمحله في التعظيم) [4].

وفي ذلك قال السيد الحميري:

ولدتـــه في حـــرم الإلـــه وأمنـــه ... والبيـــت حيـــث فنـــاؤه والمســـجد
بيضـــاء طـــاهرة الثيـــاب كريمـــة ... طابـــت وطـــاب وليـــدها والمولـــد
في ليلـــة غابـــت نحـــوس نجومهـــا ... وبـــدت مـــع القمـــر المـــنير الأســـعد
مـــا لُـــفَّ في خـــرق القوابـــل مثلـــه ... إلا ابـــن آمنـــة الـــنبي محمـــد [5]

وروي أنه لما وُلد سمته أمه حيدرة باسم أبيها أسد بن هاشم، لأن حيدرة من أسماء الأسد، فلما جاء أبوه سماه علياً وقال:

سميتـــه بعلـــي كـــي يـــدوم لـــه ... عـــن العـــار وفخـــر العـــز أدومـــه

وقال علي عليه السلام يوم خيبر:

---

١ وقيل بتسع وعشرين سنة
٢ وقيل ١٢ سنة
٣ الحلبي: السيرة الحلبية ـ ج ٣ ـ ص ٤٩٨
٤ المفيد: الإرشاد ـ ج ١ ـ ص ٥
٥ الأمين: أعيان الشيعة ـ ج ١ ـ ص ٣٢٤

أنـــا الـــذي سمـــتني أمـــي حيـــدره كليـــث غابـــات شـــديد قســـوره

وفي ذلك قال العلامة محسن الأمين:

فسـمَّتك بنـتُ الليـثِ أمُّـك حيـدرا فمـا أخطـأت فيـك الفراسـة والحـزرُ

علـــيٌّ بـــه سـمّـــاك أكـــرم والـــد رجاء لأن يعلو لك الصيت والـذِّكرُ [1]

والداه:

أبوه هو سيد مكة ورئيسها، وحامي النبي والمدافع عنه، وقد آمن به إلا أنـه كـتم إيمانه ليتمكن من الدفاع عنه ويواجه أعداءه من أزلام قريش الذين كانوا يتربصـون به الدوائر، أملاً في أن يجرّدوه من هذه القوة التي كان بها يحامي عن ابن أخيـه محمـد ابن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأمه هي السيدة فاطمة بنـت أسـد بـن هاشـم. قـال أبـوالفرج الأصـفهاني في **الأغاني**: (هي أول هاشمية تزوجها هاشمي، وهي أم سائر ولد أبي طالب) [2].

وكانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة الأم، ربي في حجرها وكان شاكراً لبرها، وكـان يسميها أمي، وكانت تفضّـله على أولادها في البـر. كـان أولادهـا يصـبحون شـعثاً رمصاً [3]، ويُصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كحيلاً دهيناً.

كانت بمحل عظيم من الإيمان، سبقت إلى الإسلام وهاجرت إلى المدينة، ولمـا توفيـت كفّنها رسول الله في قميصه، وأمر من يحفر قبرها، فلما بلغوا لحدها حفره بيده واضـطجع فيه وقال: **اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقّنها حجّتها، ووسّع عليها مدخلها.**

فقيل: **يا رسول الله، رأيناك صنعت شيئاً لم تكن تصنعه بأحد قبلها ؟!**

---

١ الأمين : أعيان الشيعة ـ ج ١ ـ ص ٣٢٤

٢ الأمين : أعيان الشيعة ـ ج ١ ـ ص ٣٢٥ ، وسنورد شيئاً من اخباره في فصل شجاعة بني هاشم

٣ الشمث - تفرق الشعر . الرمص - لزوق العينين، والمقصود انها كانت ترعى النبي بله ثم تبدأ برعاية أبنائها

فقال: **ألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة [1]، واضطجعتُ في قبرها ليوسعه الله عليها وتأمن ضغطة القبر، إنها كانت من أحسن خَلْق الله صُنعاً إليّ بعد أبي طالب** [2].

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن سعيد بن المسيب عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال: **لما ماتت فاطمة بنت أسد كفنها رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **في قميصه وصلى عليها وكبّر عليها سبعين تكبيرة، ونزل في قبرها فجعل يومي في نواحي القبر كأنه يوسعه ويسوّي عليها وخرج من قبرها وعيناه تذرفان، وجثا في قبرها.**

فقال له عمر بن الخطاب: يا رسول الله، رأيتك فعلت على هذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحد؟!

فقال له: إن هذه المرأة كانت أمي بعد أمي التي ولدتني، إن أبا طالب كان يصنع الصنيع وتكون له المأدبة، وكان يجمعنا على طعامه، فكانت هذه المرأة تفضّل منه كله نصيبنا فأعود فيه [3].

كنيته:

يكنى أبا الحسن وأبا الحسين، وكان الحسن في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعوه أباالحسين، والحسين يدعوه أبا الحسن، ويدعوان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أباهما، فلما توفي النبي دعوا علياً أباهما.

وكان يكنى أيضاً بأبي تراب، كنّاه به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ففي **الاستيعاب** بسنده: (قيل لسهل بن سعد أن أمير المدينة يريد أن يبعث إليك لتسبّ علياً عند المنبر،

---

١ أو قال: هو أمان لها يوم القيامة، أو قال: ليدرأ عنها هوام الأرض.

٢ انظر: مجمع الزوائد للهيثمي ـ ج ٩ ـ ص ٢٥٧، ومقاتل الطالبيين للأصفهاني ـ ص ٥، والاستيعاب لابن عبدالبر ـ ج ٤ ـ ص ١٨٩١

٣ الحاكم: المستدرك على الصحيحين ـ ج ٣ ـ ص ١٠٨

قال: كيف أقــول؟

قال: تقول أبا تراب.

فقال: والله ما سماه بذلك إلا رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: وكيف ذلك يا أبا العباس؟

قال: دخل على فاطمة ثم خرج من عندها فاضطجع في صحن المسـجد، فـدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فاطمة، فقال: أين ابن عمك؟

قالت: هو ذاك مضطجع في المسجد.

فوجده قد سقط رداؤه عن ظهره، وخلص التراب إلى ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره، ويقول: اجلس أباتراب.

فوالله ما سماه به إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والله ما كان اسمٌ أحب إليه منه) [1].

وروى النسائي في **الخصائص** بسنده عن عمار بن ياسر قال: (كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة من بطن ينبع... ثم غشـينا النـوم فانطلقـت أنـا وعلي حتى اضطجعنا في ظل سور من النخل وفي دقعاء من التراب، فنمنا فـوالله مـا أهبنا إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحركنا برجله، وقد تربنا من تلك الدقعاء التي نمنا عليها، فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: ما لك يا أبا تراب؟ لما يرى عليه من التراب)[2].

وقيل أنه كناه بذلك لما رآه ساجداً معفراً وجهه في التراب، أو كـان يعفّـر خديـه وهو ساجد، فكان إذا رآه والتراب بوجهه يقول: يا أبا تراب، افعل كذا. وقيل كني به لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: يا علي، أول من ينفض التراب عن رأسه أنت. وكانت هذه الكنية أحب كناه إليه، لكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم كنّاه بها.

---

١ ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب - ج ٣ - ص ١١١٨

٢ النسائي: تهذيب خصائص أمير المؤمنين - ص ٨٦ - ٨٧

ألقابه:

المرتضى وحيدر وأمير المؤمنين والأنزع البطين والوصي، وكان يعرف بذلك عند أوليائه وأعدائه، ويدل على ذلك ما قاله شاب من بني ضبة في حرب الجمل من معسكر الناكثين:

نحن بني ضبة أعداء علي ... ذاك الذي يعرف قدماً بالوصي

وفارس الخيل على عهد النبي ... ما أنا عن فضل عليّ بالعمي

لكنني أنعي ابن عفان التقي ... إن الوليّ يطالب ثأر الولي [1]

وكان يلقب يعسوب المؤمنين ويعسوب الدين، ويروى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في شأنه: **وهو يعسوب الدين** [2].

زوجاته:

١. فاطمة الزهراء : أول زوجاته فاطمة الزهراء سيدة النساء عليها السلام بنت رسول الله سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، لم يتزوج عليها حتى توفيت عنده.

٢. أمامة بنت أبي العاص بن الربيع، وأمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٣. أم البنين فاطمة بنت حرام (أو حزام) بن دارم الكلابية

٤. ليلى بنت مسعود بن خالد النهشلية التميمية الدرامية

٥. أسماء بنت عميس الخثعمية كانت زوجة أخيه جعفر بن أبي طالب، فلما استشهد تزوجها الخليفة أبو بكر، فتوفي عنها، ثم تزوجها أمير المؤمنين.

٦. أم حبيب بنت ربيعة التغلبية واسمها الصهباء، من السبي الذين أغار عليهم خالد ابن الوليد بعين التمر.

---

١ الأمين : أعيان الشيعة ـ ج ١ ـ ص ٣٢٥

٢ الصدوق : الخصال ـ ص ٤٠٢ . و اليعسوب = ذكر النحل وأميرها

٧. خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة الحنفية ، وقيل خولة بنت أياس.

٨. أم سعد أو سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفية

٩. محياة ـ أو مخبأة ـ بنت امرئ القيس بن عدي الكلبية

أولاده :

عدّهم المسعودي في **مروج الذهب** خمسة وعشرين، وفي **الإرشاد** أنهم سبعة وعشرون، ما بين ذكر وأنثى، ثم قال: (وفي الشيعة من يذكر أن فاطمة عليها السلام أسقطت بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكراً كان سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو حمل ـ مُحسناً ، فعلى قول هذه الطائفة هم ثمانية وعشرون) [1].

وقال العلامة محسن الأمين: (والذي وصل إلينا من كلام المؤرخين والنسابين وغيرهم يقتضي أنهم ثلاثة وثلاثون، ويمكن كون هذه الزيادة من عد الاسم واللقب اثنين مع أنهما واحد، وهم:

١ ـ ٤ الحسن، الحسين، زينب الكبرى، زينب الصغرى المكناة أم كلثوم، قال المفيد أمهم فاطمة البتول سيدة نساء العالمين بنت سيد المرسلين وخاتم النبيين.

٥. أم كلثوم الكبرى ، ذكرها ابن الأثير مع زينب الكبرى

وقال المسعودي الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم الكبرى وزينب الكبرى أمهم فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويمكن الجمع بين قول المفيد زينب الصغرى المكناة أم كلثوم وقول ابن الأثير والمسعودي أنها أم كلثوم الكبرى بأنها زينب الصغرى بالنسبة إلى زينب الكبرى، وأم كلثوم الكبرى بالنسبة إلى أم كلثوم الصغرى الآتية التي هي من غير فاطمة.

٦. محمد الأوسط، أمه أمامة بنت أبي العاص، لم يذكره المفيد ولا المسعودي.

---

١ المفيد : الإرشاد ـ ج ١ ـ ص ٣٥٥

٧ ـ ١٠ العباس، جعفر، عبدالله، عثمان ـ الشهداء بكربلاء ـ أمهم أم البنين الكلابية.

وقال المسعودي أمهم أم البنين بنت حزام الوحيدية ولم يذكر معهم عثمان.

١١. محمد الأكبر المكنى بأبي القاسم المعروف بابن الحنفية، أمه خولة الحنفية.

١٢ـ ١٣ محمد الأصغر المكنى بأبي بكر، وبعضهم عد أبا بكر ومحمداً الأصغر اثنين، والظاهر أنهما واحد، عبد الله أو عبيد الله الشهيدين بكربلاء، أمهما ليلى بنت مسعود النهشيلة.

١٤. يحيى، أمه أسماء بنت عميس.

١٥ـ ١٦ عمر، رقية، توأمان أمهما أم حبيب الصهباء بنت ربيعة التغلبية، وعمر عمّر خمساً وثمانين سنة.

١٧ ـ ١٩ أم الحسن، رملة، أم كلثوم الصغرى، أمهم أم سعد بنت عروة بن مسعود الثقفية، واقتصر المفيد والمسعودي على أم الحسن ورملة ولم يصفاها بالكبرى.

٢٠. بنت ماتت صغيرة، أمها مخبأة الكلبية، ولم يذكرها المفيد والمسعودي.

٢١ ـ ٢٣ أم هاني، ميمونة، زينب الصغرى، في عمدة الطالب أمهم أم ولد، وكانت زينب الصغرى تحت محمد بن عقيل بن أبي طالب.

٢٤. رملة الصغرى، ولم يذكرها المفيد ولا المسعودي.

٢٥. رقية الصغرى، ولم يذكرها المسعودي.

٢٦ ـ ٢٩ فاطمة، أمامة، خديجة، أم الكرام، وقال المسعودي أن أم الكرام هي فاطمة.

٣٠. أم سلمة

٣١. أم أبيها، ذكرها المسعودي.

٣٢. جمانة المكناة أم جعفر

٣٣. نفيسة

لأمهات شتى)[1].

---

[1] الأمين: أعيان الشيعة ـ ج ١ ـ ص ٣٣٦ - ٣٣٧

صفته في أخلاقه:

روى ابن عبدالبر في الاستيعاب أنه: (قال معاوية لضرار الصدائي: يا ضرار، صف لي علياً.

قال: اعفني يا أمير المؤمنين.

قال: لتصفنّه.

قال: أما إذ لا بد من وصفه، فكان ـ والله ـ بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، ويستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العَبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبؤنا إذا استنبأناه، ونحن ـ والله ـ مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبةً له.

يُعظم أهل الدين، ويقرّب المساكين، لايطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف وأشهد أنه لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غُرّي غيري، إليّ تعرضتِ ؟! أم إليّ تشوقت ؟! هيهات، هيهات، قد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمرُكِ قصير، وخطرك قليل، آهٍ من قلة الزاد وبُعدِ السفر ووحشة الطريق.

فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه ياضرار؟

قال: حزنُ من ذُبح ولدها وهو في حجرها !)[1].

كما روى أنه سئل الحسن البصري عنه عليه السلام فقال: (كان علي ـ والله ـ سهماً

---

١ ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ج ٣ ـ ص ١١٠٧ ـ ١١٠٨

صائباً من مرامي الله على عدوه، وربّانيّ هذه الأمة وذا فضلها وذا سابقتها وذا قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لم يكن بالنومة عن أمر الله، ولا بالملومة في دين الله، ولا بالسروقة لمال الله، أعطى القرآن عزائمه، ففاز منه برياض موثقة)[1].

[1] ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب - ج ٣ - ص ١١١٠

الفصل الثاني

الشجاعة في اللغة والدين والتاريخ

الشجاعة في اللغة والدين والتاريخ

وقد جمع علي عليه السلام كل هذه الصفات، من الإيمان والتقوى والإنسانية والشهامة والتسليم في مقابل الحق والكرم والعفاف ومحاسن الأخلاق وحسن المعاشرة والإنصاف، فكان جديرا أن ينال وسام السماء إذ هتف جبريل عليه السلام: **لافتى إلا علي** ...

الشجاعة في اللغة:

قال الزبيدي في تاج العروس في مادة شجع [1]:

ـ **الشجاع**: الشديد القلب عند البأس...

ـ **شجاع** خاص بالرجال ولا توصف به المرأة...

ـ **والشجعة** من النساء: الجريئة على الرجال في كلامها وسلاطتها.

ـ وقال شمر في كتاب **الحيات**: **الشجاع**: ضرب من الحيات لطيف دقيق وهو، زعموا، أجرؤها، قال ابن أحمر:

وحبت له أذن يواقب سمعها ... بصر كناصبة **الشجاع** المسخد [2]

ـ الجمع: **شجعان**، بالكسر والضم، الأول عن اللحياني، وقال ابن دريد: الكسر أكثر.

ـ ومن المجاز: **الشجاع**: الصفر الذي يكون في البطن، وفي **الصحاح**: وتزعم العرب أن الرجل إذا طال جوعه، تعرضت له في بطنه حية، يسمونها **الشجاع** والصفر، قال أبوخراش الهذلي يخاطب امرأته:

---

١ مع الاختصار

٢ حبت = انتصبت . ناصبة الشجاع = عينه التي ينصبها للنظر إذا نظر . المسخد = المصفر الوجه

أرد شـجاع الـبطن لـو تعلمينـه وأوثر غـيري مـن عيالـك بـالطعم [1]

ـ وقال الأزهري: قال الأصمعي: **شجاع البطن**، شدة الجوع ، وأنشد بيت أبي خراش أيضاً...

ـ **والشجع**، محرّكة، في الإبل: سرعة نقل القوائم، كما في الصحاح، وأنشد لسويد بن أبي كاهل:

فركبناهـا علـى مجهولهـا بصـلاب الأرض فـيهن **شـجع**

أي بصلاب القوائم، يقال: جمل **شَجِع** القوائم، ككتف، وناقة **شجعاء**، و**شَجْعَة**، كفرحة، قال ابن بري: لم يصف سويد في البيت إبلاً، وإنما وصف خيلاً... والذي ذكره الأصمعي في تفسير **الشجع** في هذا البيت أنه المضاء والجراءة.

ـ **والأشجع** من الرجال، **كالشجاع**: من فيه خفة كالهوج لقوته، ويسمى به الأسد، كما في الصحاح، وهو قول الليث...

ـ وقد قيل: إن **الأشجع** من الرجال: الذي كأن به جنوناً. قال: وهـذا خطـأ، ولـو كـان كذلك ما مدح به الشعراء...

ـ **والأشجع**: الطويل، وهو البـيِّن **الشَّجَع**، محركة، أي الطول، عن ابن دريد، وامـرأة **شجعاء** بيّـنة الشجع كذلك.

ـ **والأشاجع** ـ كذا وجِد بخط الجـوهري ـ وفي بعـض نسـخ **الصـحاح**: **الأشـاجيع**: أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف، وفي **التهذيب**: هي رؤوس الأصابع، بدل أصول، الواحد **أشجع**، كأحمد، ومنه قول لبيد: (يدخلها حتى يواري **أشجعه**). قال الجوهري: وناس يزعمون أنـه **إشـجع**، مثـل إصـبع، ولم يعرفـه أبـو الغـوث، وقيـل: **الأشجع** في اليد والرجل : العصب الممـدود فـوق السـلامى [2] مـن بـين الرسـغ إلى

---

[1] ديوان الهذليين ـ ج ٢ ـ ص ١٢٨ ، وفيه : قد تعلمينه

[2] السلامى = عظام صغار توجد على طول الإصبع

أصول الأصابع فوق ظهر الكف، وقيل: هو العظم الذي يصل الإصبع بالرسغ، لكل إصبع **أشجع**...

ـ **وشَجَعَه**، كمنعه: غلبه **بالشجاعة**، يقال: **شاجعته فشجعته** فهو **مشجوع** مغلوب **بالشجاعة**.

ـ **والشُّجعة**، بالضم، عن ابن عباد، ويُفتح: الجبان الضعيف العاجز الضاوي الذي لا فؤاد له. الفتح عن اللحياني.

ـ **والشَّجعة**، بالفتح: الفصيل تضعه أمه كالمخبل [1]...

ـ **والشُّجُع**، بضمتين: عروق الشجر، عن ابن عباد. وأيضاً: لُجُم كانت في الجاهلية تتخذ من الخشب.

ـ قال: **والشَّجِع**، ككتِف: المجنون من الجِمال، أي الذي يعتريه جنون.

ـ **والشجعه**، بِهاء: المرأة الجريئة السليطة على الرجال، الجسورة في كلامها وسلاطتها.

ـ **والمشجع**، كمجمل، أي على صيغة اسم المفعول: المنتهي جنوناً، عن ابن عباد، قال: ومنه أخذ **الشجاع**.

ـ وفي **الصحاح**: **شجَّعه تشجيعاً**: قوى قلبه وجرّأه، أو قال له: إنك أنت **شجاع**، قال سيبويه: يقال: هو **يشجَّع**، أي يُرمى بذلك، ويقال له.

ـ **وتشجع** الرجل: تكلف **الشجاعة** وأظهرها من نفسه وليس به، يقال: **تشجعوا** فحملوا عليهم.

ـ ومما يستدرك عليه: اللبؤة **الشجعة**: هي الجريئة.

ـ **والأشجع**: المجنون.

ـ وقوائم **شجعات**: سريعة خفيفة، قال: (على **شجعات** لا شحاب ولا عصل).

ـ **والشجع**، محركة: المضاء والجرأة.

---

١ المخبل = المجنون

ـ والشجعة، بالفتح: الطويل المضطرب، وأيضاً الزمن، وفي المثل: (أعمى يقود شجعة)، ويقال للحية: أشجع... جمعه: أشاجع، وقيل: هو جمع أشجعة، وأشجعة: جمع ـ شجاع، وهو الحية.

ـ والأشجع: الجسيم، وقيل: الشاب [1].

[1] الزبيدي: تاج العروس ـ ج ١١ ـ ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧

مرادفات وكلمات ذات معنى مقارب:

- **الأحمَس**: الشجاع، ونجدة حمساء: شديدة، **والحماسة**: المنع والمحاربة.
- **الأحوس**: الجرئ الذي لا يهوله شئ.
- **الأشْوَس**: الجرئ على القتال الشديد، وقد **شَوِس شوساً**، ويكون **الشَّوَس** في سوء الخُلُق أيضاً.
- **الإقدام**: الشجاعة.
- **ألقى جيروتَه**: ربط جأشه وصبر على الأمر.
- **الأيهم**: الجرئ الذي لا يستطاع دفعه، والأنثى **يهماء**.
- **البسالة**: الشجاعة... **والباسل**: الشجاع، والجمع **بسلاء** و **بسل**، وقد **بسُل**، بالضم، **بسالة** و **بسالاً**، فهو **باسل** أي بطل.
- **البَطالة** بالفتح: بمعنى الشجاعة. و **البطل**: الشجاع، والجمع **أبطال**، ولا يكسّر على غير ذلك، والأنثى **بطلة**، والجمع **بطلات**. سمي بذلك لأن جراحته تبطل فلا يكترث لها، ولا تُبطِل نجادته، وقال ابن جني: هو الذي تبطل عنده دماء الأقران لشجاعته.
- **البؤسى**: من البؤس، قال ذلك ابن دريد، وقال غيره: هي البؤسى والبأساء: ضد النعمى والنعماء، وأما في الشجاعة والشدة فيقال: **البأس**. ويقال رجل **بئيس**: أي شجاع وقد **بَؤُس بآسة**.
- **البُهمة**: الفارس الذي لا يُدرى من أين يؤتى له من شدة بأسه.
- **التَّدَهكُم**: الاقتحام في الأمر الشديد.
- **التَّقَزُّم**: اقتحام الأمور بشدة.
- **الثَّبت**: الفارس الذي لا يُصرع، ويقال أيضاً: ثبيت، ورجل **ثَبْتُ الفَدَر**: إذا كان ثابتاً في قتال أو كلام.
- **الجُرأة**: الشجاعة، وقد يترك همزه فيقال: **الجُرَة** مثل الكرة، كما قالوا للمرأة **مرة**.

والجرئ: شجاع بيِّن الجُرأة والجراءة.

ـ جَسْر و جَسُور: ماض شجاع، والأنثى جَسْرَة وجَسور.

ـ الجَهْوَر: الجرئ المُقدِم.

ـ الحبس: الشجاعة.

ـ حَرِب و محراب و مِحرَب: أي جرئ وصاحب حرب.

ـ الحَرِج: الذي لا يكاد يبرح القتال ولا ينهزم.

ـ الحَلبَس و الحلابس و الحُلَبِس: الشجاع.

ـ الحُمارِس: الجرئ المُقدِم.

ـ الحماسة: الشجاعة.

ـ الحنطبة: الشجاعة... وهي لفظة قد يصحفها بعض المحدثين، فيقول: حنظب، وهو غلط.

ـ الخَلِيس و الخَلاس: الشجاع.

ـ الدِّلهاث: الجرئ المُقدِم.

ـ الدَّلَهْمَس: الجرئ على الليل.

ـ الدُّماحِس: الجرئ المُقدِم.

ـ الذمر: الشجاع، والجمع أذمار، والاسم الذمارة.

ـ ذو مَصْدَق: أي صادق الحملة.

ـ الرابط الجأش: الذي يربط نفسه عن الفرار يكفّها بجرأته وشجاعته، ويقال ربيط الجأش أيضاً.

ـ الرُّماحِس و الحُمارِس: الشجاع الجرئ.

ـ الزَّمِيع: الذي إذا همّ بأمر مضى في قتال أو غيره، والاسم الزمَاع.

ـ السَّبْت: الجرئ الماضي.

ـ السَّبَنْتِي: الجرئ من كل شئ.

ـ **السَّحْتَب**: الجرئ المُقدِم.

ـ **السكسكة**: الشجاعة نقله الصاغاني عن ابن الأعرابي.

ـ **السَّلْفَع**: الجرئ، وامرأة سلفع: جريئة على الليل.

ـ **السَّلهَب**: الجرئ المُقدِم.

ـ **السَّندري و السَّرندي**: الجرئ من كل شئ.

ـ **الصِّلهَام**: الجرئ المُقدِم.

ـ **الصِّمَة**: الشجاع. **الصَّمْصامة**: الجرئ الشجاع الذي إذا هم بأمر مضى.

ـ **الصَّمَيان**: المنقض على الشئ، وقد انصمى: انقض.

ـ **الصِّهميم**: الشجاع الجافي السئ الخلُق.

ـ **الصيهم**: الذي يركب رأسه لا يثنيه شئ عما يريد، أو الشجاع الجافي السئ الخلُق.

ـ **الضُّبارِم**: الشجاع، الشديد، اشتق من الأسد لأنه يقال له ضُبارم.

ـ **الضَّمضَم و الضُّماضِم**: الجرئ الماضي.

ـ **الضَّنَن**: الشجاع.

ـ **طُحَمة و طَحْمَة**: شديد العراك.

ـ **طَيْثارة**: لا يبالي على من أقدم، وكذلك الأسد.

ـ **العَرِس**: الذي لا يبرح القتال، ويقال الحَرِس أيضاً.

ـ **العَرِك و المُعارِك**: الشديد العلاج والبطش في الحرب.

ـ **العُشارِم و العُشارِب**: الذي يغشى الحرب بنفسه وينغمس فيها.

ـ **العُفْر**: الشجاع، الجَلِد.

ـ **العِكْر**: الشديد القتال.

ـ **العُلَّج**: الشديد قتالاً أو نِطاحاً.

ـ **العِـمِّيت**: الجرئ الظريف.

ـ **العنتر**: الشجاع. و **العنترة**: الشَّجاعة في الحرب.

ـ **الغشمشم**: الذي يركب رأسه لا يثنيه شئ عما يريد ويهوى.

ـ **الغَـلِث**: الشديد القتال اللزوم لمن طالب، هو من قولهم غلثت بالشئ غلثاً: لزمته، وغلِث الذئب بغنم فلان يَفرسُها.

ـ الفاتِك: الجرئ الصدر ، والجمع **فُـتَّـاك** ، وقد **فتك يفتُـك فَـتكاً و فُـتكاً و فِتكـاً وفُتوكاً و فتاكة**.

ـ **الفِرناس و الفُرانِـس**: الماضي الشديد.

ـ **القُـداحِـس**: الشجاع الجرئ.

ـ **قِنْـدَأو و سِـنْدَأو**: جرئ مُقدم.

ـ **الكَمِـيش**: الشجاع.

ـ **اللبج**: الشجاعة، حكاه الزمخشري.

ـ **اللبح**: قال ابن الأعرابي: **اللبح** الشجاعة وبه سمي الرجل **لبحاً**.

ـ **الليث**: الذي لا يهوله شئ، بـيِّـن الليوثة.

ـ **الليَـس**: الشجاعة والشدة. وهو **أَلْـيَـس**، أي شجاع بيّـن **الليس**، من قـوم لـيَس، ويقال: **لوس**، ويقال للشجاع: هو **أهيس أليس**، وكان في الأصل: **أهوس ألوس**، فلما إزدوج الكلام قلبوا الواو ياء، فقالوا **أهيس**.

ـ **الـمُـتتايع**: الشجاع و الذي يرمي نفسه في الهلكة سريعاً.

ـ **المِخـَش**: الجرئ على الليل.

ـ **المِخشَف**: الجرئ على الليل.

ـ **المِـدْرَة**: الذي يقدّم في اليد عند القتال.

ـ **المرير**: الشديد القلب.

ـ **المشَيَّع**: الشجاع.

ـ **مِصْدَم**: صاحب حرب.

ـ **مَعَّاس** : مِقدام، وقد **مَعَس** في الحرب و **تمعَّس** أي حمل، و **المِعاس**: المِراس، وأصله من **المعْس** وهو الدلك.

ـ **المِغوار**: ذو الغارات بيِّن الغِوار.

ـ **مُقدِم** و **مِقدام** و **قَدَم**: شجاع. و**قُدُم**: مقتحم للأمور.

ـ **المُكالِب**: الجرئ.

ـ **المِلحَس**: الشجاع، كأنه **يلحس** من لقيه أي يأكله.

ـ **المِلذَم**: الشجاع.

ـ **النجدة**: الشجاعة، تقول منه : **نجُد** الرجل، بالضم، فهو **نَجْد** و**نجيد**، وجمع **نَجْد** و**نَجِد أنجاد** مثل يقظ وأيقاظ وجمع **نجيد نجد** و **نجداء**. ابن سيده: ورجل **نَجْد** و**نَجُد** و**نَجِد** و**نجيد** شجاع ماض فيما يعجز عنه غيره، وقيل: هو الشديد البأس، وقيل: هو السريع الإجابة إلى ما دعي إليه خيراً كان أو شراً، والجمع **أنجاد**. وفي حديث علي رضي الله عنه (أما بنو هاشم **فأنجاد أنجاد**) أي أشداء شجعان، وقيل **أنجاد** جمع الجمع، كأنه جمع **نجداً** على **نجاد** أو **نجود** ثم **نجد** ثم **أنجاد**... و **النجيد** : الشجاع.

ـ **النعَّار**: الخرَّاج في الحروب والنهّاض.

ـ **النَّهيك** و **النَّهوك** : الشجاع ، لأنه ينهك عدوّه ، أي يبالغ فيه ، ويقال : نهكه المرض أي بالغ فيه.

ـ **هَوَّاس** و **هوَّاسة**: شجاع، ويقال: **الهَوْس** أي الطَّوف بالليل في جرأة، ومنه **أسدٌ هوَّاس**.

ـ **واقِعَة**: شجاع [1].

---

١ اعتمدنا فيما سبق على ثلاثة مصادر هي: المخصص لابن سيده تاج العروس للزبيدي لسان العرب لابن منظور.

الفتوّة :

بما أن عنوان الكتاب **لا فتى إلا علي** فمن المناسب أن نأتي على شرح مبسط وسريع لمعنى الفتى والفتوة في اللغة والاصطلاح الديني.

قال الزبيدي: (و **الفتى**: الشاب، يكون اسماً وصفة. وفي المصباح: **الفتى** في الأصل يقال للشاب الحديث، ثم استعير للعبد وإن كان شيخاً ـ مجازاً ـ لتسميته باسم ما كان عليه... وقال الراغب: ويكنّى **بالفتى** و **الفتاة** عن العبد والأمة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ تُرَاوِدُ فَتَنهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾[1]، و **الفتى** أيضاً: السخي الكريم، وهو من **الفتوة**، يقال: **فتى** بين **الفتوة**؛ نقله الجوهري... و **الفتوة**، بالضم والتشديد.... : الكرم والسخاء، هذا لغةً؛ وفي عرف أهل التحقيق: أن يُؤثِر الخلق على نفسه بالدنيا والآخرة. وصاحب **الفتوّة**، يقال له: **الفتى**، ومنه: **لا فتى إلا علي**؛ وقول الشاعر:

فإن **فتى الفتيان** من راح واغتدى ... لضر عدو أو لنفع صديق

وعبّر عنها في الشريعة بمكارم الأخلاق. ولم يجئ لفظ **الفتوة** في الكتاب والسنة، وإنما جاء في كلام السلف، وأقدم من تكلم فيها جعفر الصادق، ثم الفضيل، ثم الإمام أحمد وسهل والجنيد، ولهم في التعبير عنها ألفاظ مختلفة والمآل واحد. ويقال: هو **فتى** بين **الفتوة**. وقد **تفتّى** و **تفاتى**؛ نقله الجوهري. و **فتوتُهم أفتوهم**: غلبتُهم فيها، أي في **الفتوة**)[2].

أقول: قد ورد في بعض الأخبار ما يدل على أن مصطلح **الفتوة** ورد في كلام أمير المؤمنين عليه السلام، فقد روي عنه أنه قال: **العفة أفضل الفتوة** ، وعنه: **ما تزيّن الإنسان بزينة أجمل من الفتوة**، وعنه: **بُعد المرء عن الدنيّة فتوة**، وعنه: **نظام الفتوة: احتمالُ عثرات الإخوان، وحسنُ تعهد الجيران**.

---

١ يوسف / ٣٠

٢ الزبيدي: تاج العروس ـ ج ٢٠ ـ ص ٣٧ - ٣٩

كما تحدث بعضهم حول الفتوة في مجلس الإمام جعفر الصادق عليه السلام فقال: **وما الفتوة ؟! لعلكم تظنون أنها بالفسوق والفجور، كلا، إنما الفتوة طعامٌ موضوع، ونائلٌ مبذول، وبِشرٌ مقبول، وعفافٌ معروف، وأذى مكفوف. وأما تلك فشطارة فسق**[1].

وقد تناول العلامة المجلسي **الفتوة** ببحثٍ ضمن حديثه حول المروءة فقال: (والمروءة بالهمز وقد يشدد الواو بتخفيف الهمزة: هي الإنسانية ، وهي صفات إذا كانت في الإنسان يحق أن يسمى إنساناً، أو يحق للإنسان من حيث إنه إنسان أن يأتي بها، فهو مشتق من المرء، فهي من أمهات الصفات الكمالية.

قال في **المصباح**: المروءة آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات. انتهى.

وقريب منه معنى **الفتوة**... ويرجع أكثر ما يندرج فيه إلى البذل والسخاء، وحسن المعاشرة، وكثرة النفع للعباد، والإتيان بما يعظم عند الناس من ذلك) [2].

وقال ابن أبي الحديد: (... **الفتوة** التي أحسن ما قيل فيها: أن لا تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك) [3].

أما العلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي فقد تحدث عن **الفتوة** ضمن تفسيره لقول الله عز وجل ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴾[4]: (فتية، جمع فتى، وهو الشاب الحدث، ولكنها تطلق أحياناً على الأشخاص الكبار والمسنين الذين يملكون روحية شابة، وقد ذكرت هذه الكلمة مع نوع من الإشادة والمدح لأصحاب الكهف بسبب صفات **الفتوة** والشهامة والتسليم في مقابل الحق. والشاهد على هذا الكلام

---

١ الريشهري: ميزان الحكمة ـ ج ٣ ـ ص ٢٠٠٦ ، ٢٣٧٠ ـ ٢٣٧١ . والشطارة = إعيه الرجل أهله لؤماً وخبثاً ، وترك موافقتهم .

٢ المجلسي: بحار الأنوار ـ ج ٦٧ ـ ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤

٣ ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ـ ج ١ ـ ص ٢٩

٤ الكهف /١٣

ما نقل عن الإمام الصادق في أصحاب الكهف إذ قال: **أما علمت أن أصحاب الكهف كانوا كلهم كهولاً ، فسماهم الله فتية بإيمانهم.** بعد ذلك أضاف الإمام الصادق في معنى **الفتوة** قوله عليه السلام: **من آمن بالله واتقى فهو الفتى)** [1].

أقول: وقد جمع علي عليه السلام كل هذه الصفات، من الإيمان والتقوى والإنسانية والشهامة والتسليم في مقابل الحق والكرم والعفاف ومحاسن الأخلاق وحسن المعاشرة والإنصاف، فكان جديراً أن ينال وسام السماء إذ هتف جبريل عليه السلام: **لافتى إلا علي.**

---

١ مكارم: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ـ ج ٩ ـ ص ٢٠٦

الشجاعة في القرآن والسنة:

ـ القرآن الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ..... إلى قوله تعالى ـ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[1].

ـ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: في وصيته لعلي عليه السلام: ... وآفة الشجاعة البغي..[2].

---

١ الأنفال / ٤٥ - ٦٥

٢ الصدوق : التوحيد ـ ص ٣٧٦

الإمام يتحدث عن الشجاعة:

تحدث أمير المؤمنين عليه السلام عن الشجاعة، وهو خير من يصفها لحكمته وبلاغته وشجاعته، فقال:

* **قدر الرجل على قدر همته، وصدقه على قدر مروءته، وشجاعته على قدر أنَفته، وعفته على قدر غيرته** [1].

* **بقية السيف أنمى عدداً، وأكثر ولداً.**

* **بقية السيف أبقى عدداً وأكثر ولداً** [2].

قال ابن أبي الحديد معلقاً على هذه الحكمة: (قال شيخنا أبو عثمان: **ليته لّما ذكر الحكم ذكر العلة !**

ثم قال: **قد وجدنا مصداق قوله في أولاده وأولاد الزبير وبنى المهلب وأمثالهم ممن أسرع القتل فيهم.**

وأُتي زياد بامرأة من الخوارج فقال لها [3]: **أما والله لأحصدنكم حصداً، ولأفنينّكم عَدّاً.**

فقالت: **كلا إن القتل ليزرعنا.**

فلمّا همّ بقتلها تستّرت بثوبها، فقال: **اهتكوا سترها لحاها الله** [4] !

فقالت: **إن الله لا يهتك ستر أوليائه، ولكن التي هُتِك سترها على يد ابنها: سُميّة.**

فقال: **عجّلوا قتلها أبعدها الله.**

فقُتلت) [5].

* **لو تميزت الأشياء كان الكذب مع الجبن، والصدق مع الشجاعة، والراحة مع**

---

١ الرضي: نهج البلاغة ـ الحكمة ٤٧ ـ ص ٤٧٧

٢ الرضي: نهج البلاغة ـ الحكمة ٨٤ ـ ص ٤٨٢

٣ زياد بن أبيه، وأمه سمية

٤ لحاه الله = قبحه ولعنه

٥ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ـ ج ١٨ ـ ص ٣٣٥

اليأس، والتعب مع الطمع، والحرمان مع الحرص، والذل مع الدَّين [1].

* جُبلت الشجاعة على ثلاث طبائع، لكل واحدة منهن فضيلة ليست للأخرى: السخاء بالنفس، والأنَفة من الذل، وطلب الذكر، فإن تكاملت في الشجاع كان البطل الذي لا يقام لسبيله، والموسوم بالإقدام في عصره، وإن تفاضلت فيه بعضها على بعض كانت شجاعته في ذلك الذي تفاضلت فيه أكثر وأشد إقداماً [2].

* أشجع الناس من غلب الجهل بالحلم [3].

* رأي الشيخ أحب إليّ من جَلَد الغلام. وروي: من مشهد الغلام [4].

قال ابن أبي الحديد: (إنما قال كذلك لأن الشيخ كثير التجربة، فيبلغ من العدو برأيه ما لا يبلغ بشجاعته الغلام الحدث غير المجرب، لأنه قد يغرر بنفسه فيهلك ويهلك أصحابه، ولا ريب أن الرأي مقدم على الشجاعة، ولذلك قال أبوالطيب :

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهي المحل الثاني

فإذا هما اجتمعا لنفس مرة ... بلغت من العلياء كل مكان [5]

ولربما طعن الفتى أقرانه ... بالرأي قبل تطاعن الأقران

لولا العقول لكان أدنى ضيغم ... أدنى إلى شرف من الإنسان

ولما تفاضلت الرجال ودبرت ... أيدي الكماة عوالي المران

ومن وصايا أبرويز إلى ابنه شيرويه: لا تستعمل على جيشك غلاماً غمراً ترفاً، قد كثر إعجابه بنفسه، وقلّت تجاربه في غيره، ولا هرماً كبيراً مدبراً قد أخذ الدهر من عقله، كما أخذت السن من جسمه، وعليك بالكهول ذوي الرأي.

وقال لقيط بن يعمر الأيادي في هذا المعنى:

---

١ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ٢٠ ـ ص ٣٣٧

٢ الريشهري : ميزان الحكمة ـ ج ٢ ـ ص ١٤١٢

٣ الريشهري : ميزان الحكمة ـ ج ٢ ـ ص ١٤١٣

٤ الرضي : نهج البلاغة ـ الحكمة ٨٦ ـ ص ٤٨٢

٥ النفس المرة = القوية الشديدة . من قوله تعالى : ذو مرة فاستوى .

وقلّـــدوا أمـــركم لله درّكـــم ... رحب الذراع بـأمر الحـرب مضـطلعا

لا مترفـاً إن رخـاء العـيش سـاعده ... ولا إذا عـض مكـروه بـه خشـعا

مـا زال يحلـب هـذا الـدهر أشـطره ... يكـون متّـبَعاً طـوراً ومتّبـِعا

حتـى اسـتمر علـى شـزر مريرتـه ... مستحكم الرأي لا قحماً ولا ضرعا)[1].

* العدل أفضل من الشجاعة، لأن الناس لو استعملوا العدل عموماً في جميعهم لاستغنوا عن الشجاعة [2].

* السخي شجاع القلب، والبخيل شجاع الوجه [3].

* ما السيف الصارم في كف الشجاع بأعزّ له من الصدق [4].

* السخي شجاع القلب ، والبخيل شجاع الوجه [5].

* أشجع الناس أثبتهم عقلاً في بداهة الخوف [6].

* ما أشجعَ البرئ ، وأجبن المريب [7].

* ومن كتاب له للأشتر: وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته.... فافسح في آمالهم، وواصل في حسن الثناء عليهم، وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم، فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهزّ الشجاع، وتحرض الناكل إن شاء الله [8].

* العجز آفة، والصبر شجاعة، والزهد ثروة، والورع جُنّة، ونعم القرين الرضا.

قال ابن أبي الحديد معلقاً على هذا الخبر: (... قد تقدم قولنا في الصبر. وكان يقال: الصبر مر ، لا يتجرعه إلا حُر. وكان يقال: إن للأزمان المحمودة والمذمومة أعماراً

---

١ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ١٨ ـ ص ٢٣٧ – ٢٣٩ . الشزر = فتل الحبل مما يلي اليسار . والقحم = الشيخ الكبير السن الهرم . والضرع = الرجل الضعيف

٢ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ٢٠ ـ الحكمة ٨١٦ ـ ص ٣٣٣

٣ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ٢٠ ـ الحكمة ٣٢٣ ـ ص ٢٩٠

٤ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ٢٠ ـ الحكمة ٣٨٧ ـ ص ٢٩٦

٥ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ٢٠ ـ الحكمة ٣٢٣ ـ ص ٢٩٠

٦ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ٢٠ ـ الحكمة ٤٨٠ ـ ص ٣٠٤

٧ الواسطي : عيون الحكم والمواعظ ـ ص ٤٨٠

٨ الرضي : نهج البلاغة ـ الكتاب ٥٣ ـ ص ٤٣١

وآجالاً كأعمار الناس وآجالهم، فاصبروا لزمان السوء حتى يفنى عمره، ويأتي أجله. وكان يقال: إذا تضيفتك نازلة فأقرها الصبر عليها. وأكرم مثواها لديك بالتوكل والاحتساب لترحل عنك، وقد أبقت عليك أكثر مما سلبت منك، ولا تنسها عند رخائك، فإن تذكرك لها أوقات الرخاء يبعد السوء عن فعلك، وينفي القساوة عن قلبك ويوزعك حمد الله وتقواه)[1].

* ونُسب إلى الإمام عليه السلام قوله في شأن بني همدان الذين نصروه في مواقف عديدة، لاسيما في حرب صفين:

ناديت همدان والأبواب مطبقة ... ومثل همدان سنّى فتحة الباب

كالهندواني لم تفلل مضاربه ... وجه جميل وقلب غير وجّاب[2]

١ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة - ج ١٨ - الحكمة ٣٨٧ - ص ٩٠ - ٩٢

٢ ابن عبدربه: العقد الفريد - ج ١ - ص ٣٧. الهندواني = صفة للسيف المصنوع بالهند. تفلل: تثلم. مضرب السيف = حده

الشجاعة في كلمات العلماء:

* **الشريف المرتضى** [1]: (الشجاعة: قوة في القلب يتمكن معها تحمل الحرب ومكاره الحرب في حالة لا يؤمن بنفيها على النفس أو على بعض أطرافه) [2].

* **العلامة النراقي** [3]: (الشجاعة بنفسها ملكة يقتدر بها على خوض الأهوال، ومعاركة الأبطال، وتلزمها جرأة وقوة قلب، وقد لا تكون لأحد هذه الملكة، فلا جرأة له ولا قوة قلب، ولكن يخوض المعارك لصفة نفسانية أخرى، كغيرة، أو حمية، أو حب شخص، أو بغضه، أو حفظ مال، ونحو ذلك) [4].

* **العلامة الطباطبائي** [5]: قال في تفسيره **الميزان**: (اعلم أن إصلاح أخلاق النفس وملكاتها في جانبي العلم والعمل، واكتساب الأخلاق الفاضلة، وإزالة الأخلاق الرذيلة، إنما هو بتكرار الأعمال الصالحة المناسبة لها ومزاولتها، والمداومة عليها، حتى تثبت في النفس من الموارد الجزئية علوم جزئية وتتراكم وتنتقش في النفس انتقاشاً متعذر الزوال أو متعسرها.

مثلاً: إذا أراد الإنسان إزالة صفة الجبن واقتناء ملكة الشجاعة كان عليه أن يكرر الورود في الشدائد والمهاول التي تزلزل القلوب وتقلقل الأحشاء، وكلما ورد في مورد منها وشاهد أنه كان يمكنه الورود فيه وأدرك لذة الإقدام وشناعة الفرار والتحذر، انتقشت نفسه بذلك انتقاشاً بعد انتقاش حتى تثبت فيها ملكة الشجاعة، وحصول هذه الملكة العلمية وإن لم يكن في نفسه بالاختيار لكنه بالمقدمات الموصلة إليه - كما عرفت - اختياري كسبي.

---

١ علي بن الحسين بن موسى الملقب بالمرتضى (٣٥٥ هـ - ٤٣٦ هـ)، كان نقيب الطالبيين، ومن العلماء والأدباء، له أكثر من ٨٠ مؤلفاً.

٢ المرتضى: رسائل المرتضى - ج ٢ - ص ٣٧٤

٣ المحقق النراقي: مستند الشيعة - ج ١٨ - ص ٨٨

٤ المحقق النراقي: مستند الشيعة - ج ١٨ - ص ٨٨

٥ السيد محمد حسين الطباطبائي التبريزي، عالم وفيلسوف معاصر، وصاحب أشهر تفسير للقرآن الكريم في هذا العصر، وهو الميزان في تفسير القرآن.

إذا عرفت ما ذكرناه علمت أن الطريق إلى تهذيب الأخلاق واكتساب الفاضلة منها أحد مسلكين، المسلك الأول: تهذيبها بالغايات الصالحة الدنيوية، والعلوم والآراء المحمودة عند الناس، كما يقال: إن العفة وقناعة الإنسان بما عنده والكف عما عند الناس توجب العزة والعظمة في أعين الناس والجاه عند العامة، وإن الشَّرَه يوجب الخصاصة والفقر، وإن الطمع يوجب ذلة النفس المنيعة، وإن العلم يوجب إقبال العامة والعزة والوجاهة والأنس عند الخاصة، وإن العلم بصر يتقي به الإنسان كل مكروه، ويدرك كل محبوب، وإن الجهل عمى، وإن العلم يحفظك وأنت تحفظ المال وإن الشجاعة ثبات يمنع النفس عن التلون والحمد من الناس على أي تقدير سواء غلب الإنسان أو غلب عليه بخلاف الجبن والتهور، وإن العدالة راحة النفس عن الهمم المؤذية، وهي الحياة بعد الموت ببقاء الاسم وحسن الذكر وجميل الثناء والمحبة في القلوب. وهذا هو المسلك المعهود الذي رتب عليه علم الأخلاق، والمأثور من بحث الأقدمين من يونان وغيرهم فيه.

ولم يستعمل القرآن هذا المسلك الذي بناؤه على انتخاب الممدوح عند عامة الناس عن المذموم عندهم، والأخذ بما يستحسنه الاجتماع وترك ما يستقبحه. نعم ربما جرى عليه كلامه تعالى فيما يرجع بالحقيقة إلى ثواب أخروي أو عقاب أخروي كقوله ﷻ: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾[1]، دعا سبحانه إلى العزم والثبات، وعلّله بقوله: ﴿ لِئَلا يَكُونَ ﴾، وكقوله ﷻ: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ ﴾[2]، دعا ﷻ إلى الصبر وعلّله بأن تركه وإيجاد النزاع يوجب الفشل وذهاب الريح وجرأة العدو، وقوله ﷻ: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[3]، دعا إلى الصبر والعفو، وعلّله بالعزم والإعظام.

---

١ البقرة/ ١٥٠

٢ الأنفال/ ٤٦

٣ الشورى/ ٤٣

المسلك الثاني: الغايات الأخروية، وقد كثر ذكرها في كلامه تعالى، كقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [1].

وقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [2].

وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [3].

وقوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [4]، وأمثالها كثيرة على اختلاف فنونها.

ويلحق بهذا القسم نوع آخر من الآيات، كقوله ﷻ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [5]، فإن الآية دعت إلى ترك الأسى والفرح بأن الذي أصابكم ما كان ليخطئكم وما أخطأكم ما كان ليصيبكم، لاستناد الحوادث إلى قضاء مقضي وقدر مقدر، فالأسى والفرح لغو لا ينبغي صدوره من مؤمن يؤمن بالله الذي بيده أزمة الأمور، كما يشير إليه قوله ﷻ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [6]، فهذا القسم من الآيات أيضاً نظير القسم السابق الذي يتسبب فيه إلى إصلاح الأخلاق بالغايات الشريفة الأخروية، وهي كمالات حقيقية غير ظنية يتسبب فيه إلى إصلاح الأخلاق، بالمبادئ السابقة الحقيقية من القدر والقضاء والتخلق بأخلاق الله والتذكر بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا ونحو ذلك) [7].

---

١ التوبة/١١١

٢ الزمر/١٠

٣ إبراهيم/٢٢

٤ البقرة/٢٥٧

٥ الحديد/٢٢

٦ التغابن/١١

٧ الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ـ ج ١ ـ ص ٣٥٤

* **ابن أبي الحديد** [1]: عن شيخه أبي عثمان أنه قال: (وإن كان الفخر في البسالة والنجدة وقتل الأقران وجزر الفرسان، فمَن كحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب ؟! وكان الأحنف إذا ذكر حمزة قال: أكيس، وكان لا يرضى أن يقول: شجاع، لأن العرب كانت تجعل ذلك أربع طبقات، فتقول: شجاع، فإذا كان فوق ذلك قالت: بطل، فإذا كان فوق ذلك قالت: بهمة، فإذا كان فوق ذلك قالت: أكيس. وقال العجاج [2]: أكيس عن حوبائه سخي) [3].

وقال ابن أبي الحديد: (السخاء من باب الشجاعة، والشجاعة من باب السخاء، لأن الشجاعة إنفاق العمر وبذله فكانت سخاء، والسخاء إقدام على إتلاف ما هو عديل المهجة فكان شجاعة. أبو تمام في تفضيل الشجاعة على السخاء:

كم بين قوم إنما نفقاتهم ... مال وقوم ينفقون نفوساً) [4].

* **الجاحظ** [5]: (الأسباب المشجعة قد تكون من الغضب والشراب والهوج والغيرة والحمية، وقد تكون من قوة النفخ وحب الأحدوثة، وربما كان طبعاً كطبع الرحيم والسخي والبخيل والجزوع والصبور، وربما كان للدين، ولكن لا يبلغ الرجل للدين ما لم يشيّعه بعض ما تقدم، لأن الدين مجتلَب مكتسب ولا يكاد يبلغ الطبيعة) [6].

---

١ أبوحامد عزالدين عبدالحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد (٥٨٦ هـ ـ ٦٥٦ هـ) من أعيان المعتزلة وعلمائها، ألف علة كتب من أهمها(شرح نهج البلاغة) .

٢ عبدالله بن رؤبة بن لبيد السعدي التيمي ، شاعر مخضرم توفي نحو عام ٩٠ هـ .

٣ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ١٥ ـ ص ٢٤٧ . الأليس = الشجاع الذي لا يهاب المعركة . والحوباء = النفس . أي أنه شجاع جاد بنفسه في ساحة المعركة .

٤ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ٣ ـ ص ٢٦٣

٥ أبوعثمان عمرو بن بحر بن محبوب الملقب بالجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ، أحد كبار الأدباء العرب في زمانه وله مؤلفات عديدة ، ونسبت إليه فرقة الجاحظية من المعتزلة .

٦ اللحام : أروع ماقيل في الشجاعة والجبن والهمم والآمال من محاضرات الأدباء ـ ص ٧- ٨

الشجاعة في الشعر العربي :

الشعر أقدم الآثار الأدبية عهداً لعلاقته بالشعور وصلته بالطبع وعدم احتياجه إلى رقي في العقل أو تعمق في العلم أو تقدم في المدنية. ولكن أوّليته عند العرب مجهولة، فلم يقع في سماع التاريخ إلا وهو محكم مقصَّد. وليس مما يسوغ في العقل أن الشعر بدأ ظهوره على هذه الصورة الناصعة الرائعة في شعر المهلهل بن ربيعة وامرئ القيس، وإنما اختلفت عليه العصُر وتقلبت به الحوادث وعملت فيه الألسنة حتى تهذب أسلوبه وتشعبت مناحيه.

والمظنون أن العرب خَطَوا من المُرسَل إلى السجع، ومن السجع إلى الرجَز، ثم تدرجوا من الرجز إلى القصيد، فنبغوا فيه ولم يدانيهم فيه أحد، وبات فخرهم على الأمم، حتى جاء القرآن الكريم يتحدى هذا الإرث الجاهلي بلسان عربي مبين، لا هو من الشعر ولا النثر، فعجزت العرب بكل طاقاتها الأدبية أن تتحداه، ثم انتصر الإسلام في الميدان، وأصبح الشعر من وسائل الانتصار لدين التوحيد ورموزه، ونشر الدين ومعارفه، وتهذّب بأدب الإسلام في بعض نماذجه، بل وتبلورت صور من الشعر وأساليبه في العصر الإسلامي لاسيما مع التلاقح الحضاري الذي فرض نفسه على أثر الفتوحات الإسلامية الكبرى، وكان للصراعات السياسية والمذهبية دور بارز في نمو هذه الثروة الشعرية التي تزخر بها المكتبة الإسلامية اليوم، باعتبار الشعر أحد أهم الوسائل الإعلامية التي أتيحت، وما زالت، عند العرب [1].

وسنقتصر في هذا الفصل على نماذج من شعر العرب الجاهليين في الحماسة، على أن نقدم نماذج من شعر الحماسة والحرب في العصر الإسلامي من خلال وصف بطولات أمير المؤمنين وشجاعته في فصل لاحق بإذن الله ﷻ .

---

١ الزيات : تاريخ الأدب العربي - ص ٢٥ بتصرف

* **النابغة الذبياني** [1]: عُرف بنو أسد بالشجاعة وهم أحلاف بني ذبيان، فقال النابغة الذبياني محذراً زرعة بن عمر العامري:

قالت بنو عامر خالوا بني أسد ... يابؤس للجهل ضرّاراً لأقوام
إني لأخشى أن يكون لكم ... من أجل بغضائهم يوم كأيام
تبدو كواكبه والشمس طالعة ... لا النور نور ولا الإظلام إظلام
أو تزجروا مكفهراً لا كفاء له ... كالليل يخلط أحراماً بأحرام
مستحقبي حلَق الماذي يقدمهم ... شمّ العرانين ضرّابون للهام [2]
لهم لواء بكفّي ماجد بطل ... لا يقطع الخرق إلا طرفه سام
يهدي كتائب خضراً ليس يعصمها ... إلا ابتدار إلى موت بإلجام
والخيل تعلم أنا في تجاولها ... عند الطعان أولو بأس وإنعام [3]

* **طرفة بن العبد** [4]:

إذا القوم قالوا من فتىً، خلت أنني ... عنيت، فلم أكسل ولم أتبلّد
أحلت عليها بالقطيع فأجذمت ... وقد خبّ آل الأمعز المتوقد [5]
ولست بحلال التلاع مخافة ... ولكن متى يسترفد القوم أرفد
ألا أيها اللائمي أحضر الوغى ... وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي
فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي ... فدعني أبادرها بما ملكت يدي
وإن أدعُ للجلّى أكن من حماتها ... وإن يأتك الأعداء بالجهد أجهد [6]
أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه ... خشاش كرأس الحية المتوقد

---

١ زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الملقب بالنابغة، توفي نحو ١٨ قبل الهجرة، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، كانت تضرب له قبة حمراء في سوق عكاظ فيفد عليه الشعراء يعرضون عليه شعرهم.

٢ مستحقبون = حاملو الدروع في الحقائب. والماذي: جمع مذية، الدروع البيض المصقولة

٣ الذبياني: ديوان النابغة الذبياني

٤ طرفة بن العبد الوائلي، ولد نحو ٨٦ قبل الهجرة وتوفي ٦٠ قبل الهجرة، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، في أشعاره الكثير من الحكم.

٥ الأمعز = المكان الكثير الحصى. المتوقد: الملتهب الساطع عليه نور الشمس

٦ الجلى = المصيبة والنازلة

فآليت لا ينفك كشحي بطانة ... لعضب رقيق الشفرتين مهند [1]
حسام إذا ما قمت منتصراً به ... كفى العود منه البدء ليس بمعضد
أخي ثقة لا ينثني عن ضريبة ... إذا قيل مهلاً قال حاجزه قد [2]
إذا ابتدر القوم لسلاح وجدتني ... منيعاً إذا بلّت بقائمه يدي
فلو كنت وغلاً في الرجال لضرني ... عداوة ذي الأصحاب والمتوحد [3]
ولكن نفسي عني الرجال جرأتي ... عليهم وإقدامي وصدق ومحتدي [4]
ويوم حبست النفس عند عراكه ... حفاظاً على عوراته والتهدد
على موطن يخشى الفتى عنده الردى ... متى تعترك فيه الفرائص ترعد [5]

*** عمرو بن معديكرب الزبيدي [6]:**

أعددت للحدثان سابغة وعدّاء علندي [7]
نهداً وذا شُطب بقدّ ... البيض والأبدان قدّا [8]
وعلمت أني يوم ذا ... ك منازل كعباً ونهدا [9]
قوم إذا لبسوا الحديـ ... ـد تنمّروا حَلَقاً وقِدّاً [10]
لما رأيت نساءنا ... يفحصن بالمعزاء شدّا [11]
وبدت لميس كأنها ... بدر السماء إذا تبدّى [12]

---

١ الكشح = الخصر والجانب . العضب = السيف القاطع . المهند = صفة للسيف المصنوع في الهند
٢ الضريبة = ما يضرب بالسيف . قدي = حسبي
٣ الوغل = الضعيف
٤ المحتد = الأصل
٥ طرفة : ديوان طرفة ـ ص ٢٤ – ٢٩ . الفرائص = جمع فريصة وهي اللحمة في أعلى الكتف أو الفخذ
٦ يعدّ في طليعة الفرسان الشجعان ، وشهدت له بالشجاعة والبأس الحروب المشهورة في الجاهلية والإسلام
٧ الحدثان : نوازل الدهر وشدائده . السابغة = الدرع . العداء = صفة للفرس السريع . العلندي = صفة للفرس الشديد
٨ شطب السيف = طرائقه
٩ كعب ونهد = اسما قبيلتين
١٠ تنمروا = بدوا كالنمور في القوة
١١ يفحصن : يضربن بأرجلهن . المعزاء = الأرض الصلبة الشديدة
١٢ لميس = حبيبة الشاعر

نازلـــــــت كبهشـــــــم ولم أر مـــن نـــزال الكـــبش بُـــدّاً [1]

كـــم مـــن أخ لـــي صـــالح بوّأتـــــه بيـــــديّ لحـــــدا

مـــا إن جزعـــت ولا هلعـــت ولا يـــردّ بكـــاي زنـــدا [2]

ألبســـــــته أثوابـــــــه وخُلقـــتُ يـــوم خُلقـــتُ جَلـــدا

أغـــــني غنـــــاء الـــــذاهبين أعـــــد للأعـــــداء عـــــداً

ذهـــب الـــذين أحـــبهم وبقيـــت مثـــل الســـيف فـــردا [3]

* **الفرزدق** [4]: قال وقد لقيه أسد:

لمـا سمعـت لـه همـاهم أجهشـت نفسـي إلـي تقـول أيـن فـراري

فربطـت نفرتهـا وقلـت لهـا اصـبري وشـددت في شـنك المقـام إزاري [5]

* **جحدر بن مالك**: من بني حنيفة من أهل اليمامة، سمع الحجاج بن يوسف الثقفي بشجاعته، فاستدعاه وقال له: إنا قاذفوك في قبة فيها أسد، فإن قتلـك كفانـا مؤونتـك، وإن قتلته خلّيناك ووصلناك. فسمى جحـدر إلى الأسد فتلقاه بالسيف فضـرب هامته ففلقها، وسقط الأسد كأنه خيمة قوّضتها الريح، وأنشد قائلاً:

يـا جُـمَل إنـك لـو رأيـت بسـالتي في يـوم هـيجٍ مـردفٍ وعجـاج [6]

وتقـدمي لليـث أرسـف نحـوه حتـى أكابـده علـى الإحـراج

جهـم كـأن جبينـه لمـا بـدا طبـق الرحـى متفجّـر الأثبـاج

يرنـو بنـاظرتين تحسـب أنهمـا مـن ظـن خالهمـا شـعاع سـراج

---

١ الكبش = الرئيس السيد المقدام

٢ هلعت = فزعت . الزند = الضيق

٣ اللحلم : أروع ماقيل في الشجاعة والجبن والهمم والآمال من محاضرات الأدبا ـ ص ٣١ - ٣٢

٤ همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي ، توفي نحو ١١٠ هـ ، كان يقال لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ونصف أخبار الناس .

٥ اللحلم : أروع ماقيل في الشجاعة والجبن والهمم والآمال من محاضرات الأدبا ـ ص ٢٥

٦ العجاج = الغبار

شثنٌ براثنه كأن نيوبه ... زرق المعاول أو شذاة زجاج [1]

وكأنما خيطت عليه عباءة ... برقاء أو خلقٌ من الديباج

قرنان محتضران قد ربتهما ... أم المنيّة غير ذات نتاج

وعلمت أني إن أبيتُ نزاله ... إني من الحجّاج لستُ بناج

فمشيت أرسف في الحديد مكبّلاً ... بالموت نفسي عند ذاك أناجي

والناس منهم شامت وعصابة ... عبراتهم لي بالحلوق شواجي [2]

ففلقت هامته فخرّ مكانه ... أطمٌ تقوّض مائل الأبراج [3]

ثم انثنيت وفي قميصي شاهد ... مما جرى من شاخب الأوداج [4]

* أبو تمام [5]:

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف ... في متونهن جلاء الشك والريب [6]

والعلم في شهب الأرماح لامعة ... بين الخميسين لا في السبعة الشهب [7]

وقال:

وحنَّ للموت حتى ظن مبصره ... بأنه حنَّ مشتاقاً إلى وطن

لو لم يمت تحت أسياف العدا كرماً ... لمات إذ لم يمت من شدة الحزن [8]

---

١ شثن = خشنة . الشذاة = القطعة

٢ شواج = حزينة

٣ أطم = القصر

٤ الجاحظ : المحاسن والأضداد ـ ص ٦٠ ـ ٦١ . الأوداج = عروق في الرقبة

٥ حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (١٨٨ هـ ـ ٢٣١ هـ) ، شاعر وأديب يعد أحد أمراء البيان .

٦ الصفائح ، جمع صفيحة = الحديدة العريضة ، ويقال للسيف العريض كذلك

٧ ديوان أبي تمام ـ ج ١ ـ ص ٤٥ . وفي البيت الأخير رد على المنجمين ما حكموا به ، لأن الظفر كان قبل حكمهم . ويعني بشهب الأرماح أسنتها ، ويعني بالسبعة الشهب الطوالع التي أرفعها زحل وأدناها القمر.

٨ اللحام : أروع ماقيل في الشجاعة والجبن والهمم والآمال من محاضرات الأدباء ـ ص ٢٥

* أبو الطيب المتنبي [1]:

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي ... المجد للسيف ليس المجد للقلم
اكتب بنا أبداً بعد الكتاب به ... فإنما نحن للأسياف كالخدم
أسمعتني ودوائي ما أشرت به ... فإن غفلت فدائي قلة الفهم
من اقتضى بسوى الهندي حاجته ... أجاب كل سؤال عن هَلْ: بِلَم [2]

وقال:

أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه ... حريصاً عليها مستهاماً بها صبا
فحب الجبان النفس أورده البقا ... وحب الشجاع النفس أورده الحربا

وقال في شجاعة سيف الدولة الحمداني [3]:

وقفتَ وما في الموت شك لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمةً ... ووجهك وضّاح وثغرك باسم [4]
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى ... إلى قول قوم أنت بالغيب عالم
ضممت جناحيهم على القلب ضمة ... تموت الخوافي تحتها والقوادم [5]
بضرب أتى الهامات والنصر غائب ... وصار إلى اللبات والنصر قادم [6]
حقّرت الردينيّات حتى طرحتها ... وحتى كأن السيف للرمح شاتم [7]
ومن طلب الفتح الجليل فإنما ... مفاتحه البيض الخفاف الصوارم

---

١ أحمد بن الحسين بن الحسن الكوفي الكندي (٣٠٣ هـ ـ ٣٥٤ هـ)، شاعر وحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي، وعده بعضهم أشعر الإسلاميين.

٢ ديوان المتنبي ـ ج ٤ ـ ص ١٥٩

٣ أمير حلب علي بن حمدان المعروف بسيف الدولة الحمداني، فارس شجاع دافع عن الحدود الشمالية لدولة الإسلام من غزوات الروم عاش في القرن الرابع الهجري.

٤ كلمى = جرحى

٥ الخوافي = ما خفي من ريش الطير، بخلاف القوادم وهي الريش الظاهر

٦ الهام = أعلى الرأس

٧ الردينيات = صفة للرماح نسبة إلى ردينة، امرأة كانت تصنع الرماح

نثـــرتهم فـــوق الأحيـــدب نثـــرة ... كما نُثرت فوق العـروس الـدراهم [1]

تدوس بك الخيل الوكـور إلى الـذرى ... وقـد كثـرت حـول الوكـور المطـاعم

إذا زلقـــت مشّـــيتها ببطونهـــا ... كمـا تتمشـى في الصـعيد الأراقـم [2]

ألا أيها السـيف الـذي لـيس مغمـداً ... ولا فيـه مرتـاب ولا منـه عاصـم

هنيئـاً لضـرب الهـام والمجـد والعلـى ... وراجيـك والإسـلام أنـك سـالم

ولم لا يقـي الـرحمن حـدّيك مـا وقـى ... وتفليقـه هـام العـدى بـك دائـم [3]

وقال في مدح بدر بن عمار [4] :

لأبـي الحسـين جـدىً يضـيق وعـاؤه ... عنـه ولـو كـان الوعـاء الأزمُنـا

وشـجاعة أغنـاه عنهـا ذكرهـا ... ونهـى الجبـانَ حـديثُها أن يجبنـا

نيطـت حمائلـه بعـاتق محـرب ... ما كرّ قـط ، وهـل يكـرّ ومـا انثنـى [5]

فكأنـه والطعـن مـن قدّامـه ... متخـوّف مـن خلفـه أن يُطعنـا

نفـت التـوهم عنـه حـدة ذهنـه ... فقضـى علـى غيـب الأمـور تيقّنـا

يتفـزّع الجبـار مـن بغتاتـه ... فيظـل في خلواتـه متكفّنـا

أمضـى إرادتـه فسـوف لـه قـد ... واسـتقرب الأقصـى فـثم لـه هنـا

لا يسـتكن الرعـب بـين ضـلوعه ... يومـاً ولا الإحسـان أن لا يحسـنا [6]

* أبوفراس الحمداني [7] :

نفـى الهـم عـني همّـة عدويـة ... وقلـب علـى مـا شـئت منـه مظـاهر

---

١ الأحيدب = تصغير أحدب ، وهو التل

٢ الأراقم = الحيات

٣ المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ـ ص ٣٠٨

٤ أمير طبرية كان يضرب به المثل في الشجاعة وعلو الهمة ، وقد صارع أسداً فصرعه .

٥ المحرب = الشجاع المقدام الذي لايُقهر

٦ المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ـ ص ١٤١

٧ الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربعي (٣٢٠ هـ ـ ٣٥٧ هـ) ، أمير وشاعر وفارس وابن عم سيف الدولة الحمداني .

وأسمر مما ينبت الخط ذابل ... وأبيض مما تطبع الهند باتر [1]

ونفس لها في كل أرض لبانة ... وفي كل حيّ أسرة ومعاشر [2]

وقلب يقرّ الحرب وهو محارب ... وعزم يقيم الجسم وهو مسافر [3]

* **الشريف الرضي** [4]:

وليس فتى مَن يدّعي البأس وحده ... إذا لم يُعوّذ بأسه بسخاء

فخُذ من سرورٍ ما استطعت وفز به ... فللناس قسماً شدة ورخاء

وبادر إلى اللذات فالدهر مولع ... بتقويض عزٍّ واصطلام علاء [5]

إبراهيم بن كنيف النبهاني [6]:

تعزَّ فإن الصبر بالحر أجمل ... وليس على ريب الزمان معوّل

فلو كان يُغني أن يُرى المرء جازعاً ... لحادثةٍ أو كان يُغني التذلل

لكان التعزّي عند كل مصيبة ... ونائبة بالحرّ أولى وأجمل

فإن تكن الأيام فينا تبدلت ... ببُؤسى ونعمى والحوادث تفعل [7]

فما لينّت منّا قناة صليبة ... ولا ذللتنا للتي ليس تجمل

ولكن رحلناها نفوساً كريمة ... تحمّل ما لا يستطاع فتحمل

وقينا بحسن الصبر منا نفوسنا ... فصمّت لنا الأعراض والناس هزّل [8]

---

١ الذبل = صفة للرمح . الخط = بلد تثقف فيه الرماح

٢ اللبانة = الحاجة

٣ أبوفراس : ديوان أبي فراس الحمداني ـ ص ٧١

٤ أبوالحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي الملقب بالشريف الرضي (٣٥٩ هـ ـ ٤٠٦ هـ) ، كان عالماً أديباً ، وشاعراً مجيداً حتى قيل أنه أشعر الطالبيين على كثرة المجيدين فيهم .

٥ عبدالرحيم : الجرأة والشجاعة عند العرب ـ ص ٤٧

٦ شاعر في العصر الإسلامي ، ولكن لا يعرف تاريخ مولده ووفاته

٧ البؤسى = اسم للبؤس والحاجة والاختلاف بخلاف النعمى

٨ اللحام : أروع ماقيل في الشجاعة والجبن والهمم والآمال من محاضرات الأدباء ـ ص ١٨

الشجاعة في الأمثال العربية:

الأمثال هى أقوال لها مكانة أدبية رفيعة لدى كل الشعوب والأمم - ومنها العرب - باعتبار أنها تمثل حكمتها وخلاصة تجاربها. وإذا كان الشعر هو ديوان العرب، فالأمثال تأتى بعده في الأهمية. يدل على هذا أن العلماء الذين دوَّنوا الأدب الجاهلي في العصور الإسلامية جعلوا من بين اهتماماتهم جمع الأمثال وتدوينها، وممن اهتم بذلك: عُبَيْد بن شَرِيَّة (ت نحو ٦٧هـ) والمَيدانى (ت ٥١٨هـ) الذي ألف أشهر كتاب في هذا الموضوع، وهو كتابه المسمى مَجْمع الأمثال .

والمَثَل، مفرد الأمثال، يدل في اللغة على معنى المِثْل والنَّظير. أما في الاصطلاح الأدبى، فهو: قولٌ موجزٌ سائرٌ صائبُ المعنى، تُشبِّه به حالة لاحقة بحالة سابقة.

وللمثل مضرب ومورد، فضرب المثل يعنى إطلاقه أو استخدامه في الحالات اليومية المتجددة التى تشبه الحالة الأولى. ويشبه مورد المثل الحالة الأصلية التى قيل فيها ابتداءً. وليس من الضروري أن يكون لكل مثل مورد أو قصة كما يعتقد بعض الناس. فهناك أمثال كثيرة لا ترتبط بحادثة معينة، مثل تلك الأمثال المأخوذة من أبيات الشعر صدرًا أو عجزاً، أو التى أصلها حِكم، أو التى على وزن «أَفْعَلُ مِنْ ...» كقولهم: أجود من حاتم.

وقد عرّف العرب القدامى الأمثال وحددوا للمثل شروطًا، وهى أنه يجب أن يجتمع فيه إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية. وقد أكدوا كثيراً على شرط السيرورة والشيوع مشيرين إلى أهمية المثل التعليمية وإلى دوره وجانبه النفعي. وقد ارتبطت الأمثال بالاستدلال واستخلاص الحكمة والعظة.

ولإدراك العرب جماليات المثل وأثره على الناس فقد اهتموا به اهتماماً بالغاً، ولاسيما وقد جاء ذكر الأمثال في القرآن الكريم كثيراً، مما حدا بالمفسرين والبلاغيين واللغويين إلى المبادرة لجمع وتصنيف الأمثال القرآنية والأمثال النبوية منذ بدايات

التدوين والتأليف حولها. وقد تنبه المؤلفون العرب إلى غيرها من الأمثال العربية القديمة في الجاهلية والعصور الإسلامية وإلى الأمثال الشعرية وغيرها .

وأخذت **الشجاعة** حيزاً من الأمثال العربية، ونحن بدورنا نذكر جملة منها للفائدة:

* **ابن الحرب**: هو الشجاع الذي تعوّد الحروب وألفها.

* **أبوعروة السبَّاع**: يضرب به المثل في جهارة الصوت وشدته، ففي الأسطورة أنه كان يصيح بالسبُع وقد احتمل الشلة فيخليها ويسقط فيموت، فيُشق بطنه فيوجد فؤاده قد انخلع.

* **أجرأ من الأسد ، أجرأ من ذي لبَد ، أجرأ من قسورة ، أجرأ من الليث ، أجرأ من ليثٍ بخفّان** [1] .

* **أجرأ من ذباب**: وذلك أن الذباب يقع على أنف الملك وتاجه وعلى أنف الأسد وجفنه ويُطرد فيرجع.

* **أجرأ من فارس خَصاف**: وخصاف اسم فرس كان لا يُجارى، وصاحبه من أجبن الناس، فبينما هو جالس ذات يوم إذ سقط سهم بين يديه فارتد في الأرض ثم اهتز، فقال: ما هذا إلا لأمر. فنظر فإذا السهم في ظهر يربوع، فقال: لا المرء في شئ ولا اليربوع. فأرسلها مثلاً ثم تقدم فكان من أشد الناس بأساً.

* **أشجع من الأيهمين**: أي السيل والجمل الهائج.

* **أشجع من ديك**

* **أشجع من عنترة**

* **أفرس من مُلاعب الأسنَّة**: وهو عامر بن مالك العامري فارس قيس وأحد أبطال العرب في الجاهلية، سمي ملاعب الأسنة لقول أوس بن حجر فيه:

يلاعب أطراف الأسنة عامرُ وصار له حظُّ الكتيبة اجمعُ [2]

---

١ خفان = أرض كثيرة الأسد قرب الكوفة

٢ عبدالرحيم : الجراة والشجاعة عند العرب ـ ص ١٥١ - ١٦٥

من أخبار الشجعان :

تختزن الأمم في ذاكرتها قصص أبطالها وشجعانها الذين سطروا الملاحم دفاعاً عن الديار والأعراض والقيم والمبادئ والممتلكات، أو تحقيقاً للمكاسب العامة والخاصة، فتستلهم منها العبر، وتشحن بها النفوس، وتثير بها همم أبنائها.

وهي تتداول هذه القصص ـ التي قد تغدو أساطير عبر الزمان ـ وتعتبرها تراثاً مقدساً وإرثاً حضارياً يُعنى به كتابةً وحفظاً، كما قد تتمثل بصورة قصائد شعرية ونصوص أدبية أو فنية.

وللعرب الجاهليين في تاريخهم وقصصهم وأساطيرهم عدد من الأبطال الذين خُلّدت أسماؤهم، ونُقلت في شجاعتهم المواقف والأخبار والأشعار، وضُرب بهم المثل. وسنستعرض بعضاً من تلك الأسماء :

* **عنترة بن شداد:** أشهر فرسان العرب في الجاهلية، عنترة بن شداد بن عمرو العبسي، ويعد من شعراء الطبقة الأولى من أهل نجد، وأمه حبشية اسمها زبيبة. كان من أحسن العرب شيمة، ومن أعزهم نفساً، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعذوبة، وكان مغرماً بابنة عمه عبلة، فقلّ أن تخلو قصيدة من ذكرها.

اجتمع عنترة في شبابه بامرئ القيس الشاعر، وشهد حرب داحس والغبراء، وعاش طويلاً، قتله الأسد الرهيص أو جبار بن عمرو الطائي عام ٢٢ قبل الهجرة. له ديوان شعر مطبوع، وبه يضرب المثل فيقال: أشجع من عنترة. ومن شعره في وصف شجاعته:

خُلقتُ للحرب أُحميها إذا بردت ... وأصطلي نارها في شدة اللهب

بصارمٍ حيثما جرّدتُه سجدَت ... له جبابرة الأعجام والعرب [1]

وقال:

---

[1] عبدالرحيم: الجرأة والشجاعة عند العرب ـ ص ٥١

سكتُّ فغرَّ أعواني السكوت ... وظنّوني لأهلي قد نسيت
وكيف أنام عن سادات قوم ... أنا في فضل نعمتهم ربيتُ
وإن دارت بهم خيل الأعادي ... ونادوني أجبتُ متى دُعيت
بسيف حدُّه يُزجي المنايا ... ورمح صدره الحتف المميت
خُلقتُ من الحديد أشدُّ قلباً ... وقد بليَ الحديد وما بليت
وإني قد شربتُ دم الأعادي ... بأقحاف الرؤوس وما روت
وفي الحرب العَوان وُلدتُ طفلاً ... ومن لبن المقامع قد سُقيت
فما للرمح في جسمي نصيب ... ولا للسيف في أعضاي قوتُ
ولي بيتٌ علا فلك الثريا ... تخرُّ لعُظم هيبته البيوت
فقل للناعيات إذا بكته ... ألا فاقصرن ندب النادبات
ولا تندبنَّ إلا ليثَ غاب ... شجاعاً في الحروب الثائرات
دعوني في القتال أمت عزيزاً ... فموت العزّ خيرٌ من حياتي [1]

* **الحارث الشيباني**: من أشجع الفرسان في الجاهلية الحارث بن ذهل الشيباني، وقيل هو الحارث بن سعد، وكان يكنى بفارس الشهباء، له مع عمرو بن معديكرب صولات وجولات، وهو الذي قال لعمرو ذات يوم في البراز، من الرجز:

وكدت أغلاظاً من الأيمان ... إن عدت يا عمرو إلى الطعان
لتوجرنّ لهب السنان ... أولا فلست من بني شيبان

قيل: ولكم هاب الفرسان الحارث وخافوه، وقد خرج أحدهم فخرج الحارث إليه يجر رمحه ثم حمل عليه وهو يرتجز قائلاً:

من دون ماترجوه خضب الذابل ... من فارس مستلئم مقاتل
ينمي إلى شيبان خير وائل ... ماكان سيري نحوها بباطل

---

١ عبدالرحيم: الجرأة والشجاعة عند العرب ـ ص ٥٤ ـ ٥٥

ثم شد عليه فطعنه طعنة دقت صلبه، فلما خرج آخر إليه وكان أخاً للأول، حمل الحارث وهو يرتجز قائلاً:

لقد رأيت كيف كانت طعنتي والطعن للقِرن الشديد همتي
والموت خير من فراق خلّتي فقتلتي اليوم مذلتي

ثم شد عليه فطعنه طعنة دقت عنقه. ولما خرج إليه أبوالفارسين وكان شيخاً كبيراً ويقول من الرجز:

ما أرتجي بعد فناء عمري سأجعل السنين مثل الشهر
شيخ يحامي دون بيض الخدر إنَّ استباح البيض قصم الظهر
سوف ترى كيف يكون صبري

فأقبل الحارث عليه وهو يرتجز قائلاً :

بعد ارتحالي وطويل سفري وقد ظفرت وشفيت صدري
والموت خير من لباس الغدر والعار أهديه لحيّ بكر

فلما أهوى الحارث بالسيف على الشيخ ضرب هذا بطن الحارث فقدّت أمعاؤه، وضرب الحارث رأس الشيخ ففلقه وسقط الفارسان ميتين[1].

* **ربيعة بن مِكدم**: أحد فرسان مضر المعدودين في الجاهلية، ربيعة بن مكدم بن عامر بن حرثان، ولد عام ٨٥ قبل الهجرة وتوفي سنة ٦٢ قبل الهجرة، وله أخبار في شجاعته منها أنه حمى الظعن بعد مقتله ! فقد روي أنه خرج في ظعن كنانة فلقيهم نبيشة بن حبيب السلمي غازياً، فتقدم ربيعة فقاتل نبيشة ومن معه طويلاً، فأصابه سهم، فعاد إلى الظعن وأمه فيه، فشدت على جرحه عصّابة، فكرّ راجعاً يقاتل والدم ينزف منه، فهابه القوم، فاختار عقبة واتكأ على رمحه وهو على متن فرسه، ومات على

[1] اللحام : أروع ماقيل في الشجاعة والجبن والهمم والآمال من محاضرات الأدباء ـ ص ٢٥

تلك الحال، والأعداء يتصورون أنه حي، فلم يتجرأ أحد على التقدم إليه، ونجا الظعن، ثم رموا فرسه بسهم فقمصت، وانقلب منها ميتاً، ولم ينل أعداؤه مبتغاهم. ويقال في المثل العربي: أشجع من ربيعة بن مَكدَّم.

* **عامر بن الطفيل**: فارس بني عامر بن صعصعة، وابن عم الشاعر لبيد. أحد فتّاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية، ولد بنجد سنة ٧٠ قبل الهجرة، وفقد إحدى عينيه في معركة، وكان عقيماً فلم يعقّب. كان يأمر منادياً في سوق عكاظ ينادي: هل من راجل فنحمله؟ أو من جائع فنطعمه؟ أو من خائف فنؤمّنه؟

خاض ابن الطفيل معارك كثيرة وأدرك الإسلام شيخاً، فوفد على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المدينة المنورة بعد فتح مكة، يريد الغدر به، فلم يجرؤ عليه، فدعاه إلى الإسلام فاشترط أن يجعل له نصف ثمار المدينة وأن يجعله وليّ الأمر من بعده ! فردّه النبي فعاد حنقاً وسمعه أحدهم يقول: **لأملأنها خيلاً جرداً ورجالاً مُرداً ولأربطنّ بكل نخلة فرساً**. فمات في طريقه قبل أن يبلغ قومه. له ديوان شعر.

* **عتيبة بن الحارث**: هو عتيبة بن الحارث بن شهاب التميمي، فارس بني تميم في الجاهلية، كان يلقب (سمّ الفرسان) و (صياد الفوارس)، قال ابن أبي الحديد: كانوا يعدّون أبطال الجاهلية ثلاثة: عامر بن الطفيل، بسطام بن قيس، عتيبة بن الحارث. وقد قتله ذؤاب بن ربيعة بن عبيد. قال الشاعر فيه :

إن يقتلوك فقد ثللتَ عروشهم ... بعتيبة بن الحارث بن شهاب

فأشدهم بأساً على أعدائه ... وأعزهم فقداً على الأصحاب [1]

١ اللحام : أروع ماقيل في الشجاعة والجبن والهمم والآمال من محاضرات الأدباء ـ ص ٤٠

الجبن في الأدب العربي:

الجبن ضد الشجاعة، ويناسب المقام أن نتعرض للجبن في الحكمة والأدب والتاريخ من خلال النصوص التالية:

* **الإمام علي عليه السلام: البخل عار، والجبن منقصة، والفقر يخرس الفطن عن حاجته، والمقل غريب في بلدته** [1].

* **ابن المقفع** [2]: الجبن مقتلة، والحرص محرمة، فانظر فيما رأيت وسمعت: من قتل في الحرب مقبلاً أكثر أم من قتل مدبراً ؟! وانظر من يطلب إليك بالإجمال والتكرم أحق أن تسخو نفسك له بالعطية، أم من يطلب ذلك بالشره والحرص ؟! [3].

* **قراد بن حنش** [4]:

وأنتم سماء يعجب الناس رزهاً ... بآبدة تنحى شديد وئيدها

تقطع أطناب البيوت بحاصب ... وأكذب شئ برقها ورعودها [5]

فيولهها خيلاً بهاء وشارة ... إذا لاقت الأعداء لولا صدودها

* **منصور بن مسجاح الضبي** [6]:

لقد كان فيكم لو وفيتم بجاركم ... لحى ورقاب عردة ومناخر [7]

من الصهب أثناء وجذعاً كأنها ... عذارى عليها شارة ومعاجر [8]

* **يزيد بن قنافة** [9] يهجو حاتماً الطائي:

---

١ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ١٨ ـ ص ٨٧

٢ عبدالله بن المقفع ، (١٠٦ هـ ـ ١٤٢ هـ) من أوائل من عنى بترجمة كتب المنطق في العصر الإسلامي ، أصله فارسي .

٣ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ـ ج ٦ ـ ص ١١١

٤ قراد بن حنش الغطفاني المري الصاردي ، شاعر جاهلي لا يعرف تاريخ مولده ووفاته ، قليل الشعر جيده .

٥ الحاصب = الريح تجيء بالحصباء

٦ شاعر جاهلي، لا يعرف تاريخ مولده ووفاته.

٧ عردة = غلاظ

٨ الإبل الصهب ، والصهبة = حمرة يعلوها بياض . وأثناء : جمع ثنى ، وهو من الإبل ما يلقى ثنيته ، وذلك في السنة الثالثة . والجذع : جمع جذع ، وهو ما قبل الثنى . والمعجر : ثوب أصغر من الرداء تلبسه المرأة .

٩ يزيد بن قنافة بن عبدشمس العدوي ، شاعر جاهلي ، لا يعرف تاريخ ولادته ووفاته ولكنه كان معاصراً لحاتم الطائي ، وقد هجاه .

لعمري وما عمري على بهين ... لبئس الفتى المدعو بالليل حاتم

غداة أتى كالثور أحرج فاتقى ... بجبهته أقتاله وهو قائم [1]

كأن بصحراء المريط نعامة ... تبادرها جنح الظلام نعائم

أعارتك رجليها وهافي لبها ... وقد جردت بيض المتون صوارم

* عويف القوافي [2] :

وما أمكم تحت الخوافق والقنا ... بثكلى ولا زهراء من نسوة زهر

ألستم أقل الناس عند لوائهم ... وأكثرهم عند الذبيحة والقدر [3]

* ومن أخبار الجبناء ما رواه ابن قتيبة في كتاب **عيون الأخبار** قال: قدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك، وعليه درع وعمامة سوداء، وقوس عربية وكنانة، فبعثت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان إلى الوليد، وهي تحته يومئذ [4]: **من هذا الأعرابي المستلئم في الصلاح عندك على خلوة، وأنت في غلالة [5] ؟**

فأرسل إليها الوليد: إنه الحجاج.

فأعادت عليه الرسول: **والله لئن يخلو بك ملك الموت أحب إلي من أن يخلو بك الحجاج !**

فضحك وأخبر الحجاج بقولها وهو يمازحه، فقال الحجاج: **يا أمير المؤمنين، دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول، فإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، فلا تُطلعها على سرك، ومكايدة عدوك.**

---

١ أحرج = ضيق عليه . الأقتال = جمع قتل ، أي الأقران والأعداء

٢ عوف ـ ويقال له عويف ـ بن معاوية بن عقبة من بني حذيفة بن بدر من فزارة ، توفي نحو ١٠٠ هـ ، شاعر ومن أشراف قومه في الكوفة ، وسمي بعوف القوافي لبيت شاعر قاله .

٣ مصدر الأبيات السابقة : ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ـ ج ٦ ـ ص ١٠٥ - ١١١

٤ تحته = زوجته

٥ غلالة = لباس رقيق ، تعني أن الحجاج في وضع قتال دون زوجها .

فلما انصرف الحجاج ودخل الوليد على امرأته أخبرها بمقالة الحجاج، فقالت: يا أمير المؤمنين، حاجتي إليك اليوم أن تأمره غداً أن يأتيني مستلئماً.

ففعل ذلك، وأتاها الحجاج فحجبته ثم أدخلته، ولم تأذن له في القعود، فلم يزل قائماً، ثم قالت: إيه يا حجاج ! أنت الممتنّ على أمير المؤمنين بقتلك ابن الزبير وابن الأشعث ؟! أما والله لولا أن الله علم أنك شر خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة الحرام، ولا بقتل ابن ذات النطاقين أول مولود في الإسلام، وأما نهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النسء وبلوغ لذاته وأوطاره، فإن كن ينفرجن عن مثلك فما أحقه بالقبول منك ! وإن كن ينفرجن عن مثله، فهو غير قابل لقولك. أما والله لو نفض نسء أمير المؤمنين الطيب من غدائرهن فبعنه في أعطية أهل الشام حين كنت في أضيق من القرن، قد أظلتك الرماح، وأثخنك الكفاح، وحين كان أمير المؤمنين أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم، فأنجاك الله من عدو أمير المؤمنين بحبهم إياه، قاتل الله القائل حين ينظر إليك وسنان غزالة [1] بين كتفيك:

أسدٌ عليَّ وفي الحروب نعامة ... ربداء تنفر من صفير الصافر

هلا برزت إلى غزالة في الوغا ... أم كان قلبك في جناحي طائر

ثم قالت لجواريها : أخرجنه ، فأخرِج .

* ومن طريف حكايات الجبناء ما ذكره ابن قتيبة أيضاً في الكتاب المذكور، قال: كان بالبصرة شيخ من بنى نهشل بن دارم، يقال له عروة بن مرثد، ويكنى أبا الأعز، ينزل في بنى أخت له من الأزد في سكة بنى مازن، فخرج رجالهم إلى ضياعهم في شهر رمضان، وخرج النساء يصلين في مسجدهم، ولم يبق في الدار إلا إماء، فدخل كلب يتعسس [2]، فرأى بيتاً مفتوحاً فدخله وانصفق الباب عليه، فسمع بعض الإماء الحركة،

---

١ غزالة : زوجة شبيب الخارجي التي ضربته برمحها بين كتفيه .

٢ تعسس - تحرك ليلاً ويراد بها الحيوانات ذات النشاط الليلي ، والعسس - الحرس في الليل

فظنوا أنه لص دخل الدار، فذهبت إحداهن إلى أبي الأعز، فأخبرته، فقال أبو الأعز: **إلام يبتغي اللص عندنا ؟!**

وأخذ عصاه، وجاء حتى وقف بباب البيت، وقال: **إيهٍ يا فلان ! أما والله، إني بك لعارف، فهل أنت من لصوص بني مازن ؟ شربت حامضاً خبيثاً [1]، حتى إذا دارت في رأسك منَّتك نفسُك الأماني ! وقلتَ: أطرُقُ دور بني عمرو، والرجال خلوف والنساء يصلين في مسجدهن، فأسرقهم. سوءة لك ! والله ما يفعل هذا ولد الأحرار! وأيم الله لتخرجن أو لأهتفن هتفة مشؤومة يلتقي فيها الحيان عمرو وحنظلة، وتجئ سعد عدد الحصى، وتسيل عليك الرجال، من هنا وهنا، ولئن فعلت لتكونن، أشأم مولود !**

فلما رأى أنه لا يجيبه، أخذه باللِّين، فقال: **اخرج - بأبي أنت - مستوراً، والله ما أراك تعرفني، ولو عرفتني لقنعت بقولي، واطمأننت إلى ابن أختي البار الوصول، أنا - فديتك - أبو الأعز النهشلي ! وأنا خال القوم، وجلدة بين أعينهم، لا يعصونني، ولاتضار الليلة وأنت في ذمتي، وعندي قوصرتان [2]، أهداهما إليّ ابنُ أختي البار الوصول، فخذ إحداهما، فانبذها حلالاً من الله ورسوله.**

وكان الكلب إذا سمع الكلام أطرق، وإذا سكت أبو الأعز وثب يريد المخرج، فتهاتف أبو الأعز، ثم تضاحك، وقال: **يا ألأم الناس وأوضعهم ! ألا أراني لك منذ الليلة في وادٍ وأنت لي في وادٍ آخر، أقبلت السوداء والبيضاء، فتصيح وتطرق، فإذا سكت عنك وثبتَ تريد الخروج ! والله لتخرجن أو لأجنَّ عليك البيت.**

فلما طال وقوفه جاءت إحدى الإماء فقالت: **أعرابيٌّ مجنونٌ، والله ما أرى في البيت شيئاً.**

---

١ أي الخمرة

٢ القوصرة - وعاء من القصب يرفع فيه التمر من البواري

فدفعت الباب فخرج الكلب شارداً، وحاد عنه أبو الأعز ساقطاً على قفاه شائلة رجلاه، وقال: **تالله ما رأيت كالليلة هذه ! ما أراه إلا كلباً، ولو علمت بحاله لولجت عليه.**

* وروى ابن قتيبة أيضاً حكاية أبى حية النميري، وكان جباناً، قيل: كان لأبي حية سيف ليس بينه وبين الخشب فرق، كان يسميه لُعاب المنية، فحكى عنه بعض جيرانه أنه قال: أشرفت عليه ليلة، وقد انتضاه وهو واقف بباب بيت في داره، وقد سمع فيه حساً، وهو يقول: **أيها المغتر بنا، المجترئ علينا، بئس والله ما اخترت لنفسك ! خير قليل وسيف صقيل، لعاب المنية الذي سمعت به مشهورة صولته، ولا تخاف نبوته. اخرج بالعفو عنك، لا أدخل بالعقوبة عليك، إني والله إن أدعُ قيساً تملأ الفضاء عليك خيلاً ورجلاً. سبحان الله، ما أكثرها وأطيبها، والله ما أنت ببعيد من تابعها، والرسوب في تيار لجّتها.**

وقال: وهبَّت ريح ففتحت الباب، فخرج كلب يشتد، فلبط بأبي حية وأربد [1]، وشغر برجليه، وتبادرت إليه نساء الحي، فقلن: **يا أبا حيّة، لتفرخ روعتك، إنما هو كلب.**

فجلس وهو يقول: **الحمد لله الذي مسخَك كلباً، وكفاني حرباً !**

---

١ لبط - ضرب وصرع

الفصل الثالث

شجاعة بني هاشم

شجاعة بني هاشم

من يقرأ سيرة سيد الأنبياء والمرسلين يجدها زاخرة بصور الشجاعة والبطولة، كيف وقد صدع بالحق أمام المشركين بأجمعهم لم تأخذه في الله لومة لائم، ولم يداهن ولم يساوم، ولم يفر من موقف قط، بل كان يجاهر بصلاته عند البيت الحرام متحديا بذلك طغيانهم وعتوهم، ويتحمل أذاهم بالقول والفعل....

عُرف بنو هاشم بالشجاعة والبطولة كما عُرفوا بمحاسن أخرى كالجود وإغاثة الملهوف وإباء الضيم. وقد روى أبوالفرج الأصفهاني في **مقاتل الطالبيين** عن معاوية أنه قال في شأن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب والملقب بعلي الأكبر: **وفيه شجاعة بني هاشم**[1].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: **وكان رسول الله** صلى الله عليه وآله **إذا احمرَّ البأس، وأحجم الناس، قدّم أهل بيته فوقى بهم أصحابه حر الأسنة والسيوف**[2].

وقال الزبير بن عبدالمطلب عم رسول الله وعلي عليهما السلام:

يا أيها السائل عن مجدنا ... أربع تُنبأ أيها السائل

فينا مناخ الضيف والمجتدي ... منا وفينا الحكم الفاضل

ونحن مأوى كل ذي خلة ... كل حداه الزمن الملحل

وملجأ الخائف إن ألقحت ... حرب بأطراف القنا نازل

---

١ الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ـ ص ٥٢

٢ الرضي: نهج البلاغة ـ ج ٣ ـ ص ١٠ ـ الكتاب رقم ٩

ونحن أناس قهز القنا ... يتبعها الجنان والحائل
بكر رددنا جمعها خائباً ... وقدحها من سهمه ناصل

وله أيضاً:

ولست كمن يميت الغيظ عجزاً ... ولكني أجيب إذا دعيت
وينهى عني المحتال صدق ... رقيق الحد ضربته صموت
بكفي ماجد لم يقن ضيماً ... إذا يلقى الكتيبة يستميت
ولولا نحن لم يلبس رجال ... ثياب أعزة حتى يموتوا
وإنا نطعم الأضياف قدما ... إذا ما هز من سنة مقيت [1]
وغير بطن مكة كل يوم ... عباهلة كأنهم اللصوت
ثيابهم سِمال أو عباء ... بها دنس كما دنس الحَمِيت [2]
وكاسٍ لو تبين لها كلاماً ... إذا قالت: ألا لهم استبيت
تبين لك القذى إن كان فيها ... بعيد النوم شاربها هبيت [3]
أهنت لشربها نفسي ومالي ... فآبوا حامدين بما رزيت
إذا ما أوقدت نار لحرب ... تهز الناس جمحتها صليت
نقيم لواءنا فيها كأنا ... أسود في العرين لها نبيت

وقال أيضاً:

ترمي بنو عبد مناف إذا ... أظلم من حولي بالجندل
لا أسد تسلمني لا ولا ... تيم ولا زهرة للنيطل [4]

وقال بعض الطالبيين:

---

١ المقيت = المقتدر الحافظ للشئ
٢ السمال = جمع السمل، الثوب الخلق البالي. والحميت = الزق الصغير يُتخذ للسمن
٣ الهبيت = الجبان الذاهل
٤ البلاذري: أنساب الأشراف ـ ص ١٦ – ١٨. والنيطل = الموت أو المصيبة

وإنـــــا لتصـــــبح أســـــيافنا إذا مـــا انتضـــين ليـــوم ســـفوك
منـــــابرهن بطـــــون الأكـــــف وأغمـــــادهن رؤوس الملـــــوك [1]

وسنقتصر في هذا المقام على بعض الأخبار الدالة على شجاعة طائفة من بني هاشم ممن سبق أو عاصر أمير المؤمنين عليه السلام.

[1] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة - ج ٣ - ص ٢٨٨

محمد رسول الله:

محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف صلى الله عليه وآله، ابن عم علي ومربّيه، جمع خير خصال الأولين والآخرين، فهو سيد الخلق وأشرفهم، وخاتم المرسلين وسيدهم، قال العلامة محسن الأمين: (كان النبي صلى الله عليه وآله أحكم الناس وأحلمهم وأشجعهم وأعدلهم وأعطفهم وأسخاهم لا يثبت عنده دينار ولا درهم، لايأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من يسير ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله، ثم يعود إلى قوت عامه فيؤثر منه، حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شئ...)[1].

وقال الشيخ عباس القمي حول الشجاعة والنجدة في شخصية النبي الأكرم: (فكان صلى الله عليه وآله منهما بالمكان الذي لا يُجهل، قد حضر المواقف الصعبة، وفرّ الكُماة[2] والأبطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يُدبر. سأل رجل البراء وقال: **أفررتم يوم حنين عن رسول الله** صلى الله عليه وآله؟

قال: **لكن رسول الله** صلى الله عليه وآله **لم يفر.**

ثم قال: **لقد رأيته** صلى الله عليه وآله **على بغلته البيضاء وأبوسفيان آخذ بلجامها، والنبي** صلى الله عليه وآله **يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب.**

قيل: فما رؤي يومئذ أحد كان أشد منه.

قلت: المراد بأبي سفيان هنا: أبوسفيان ابن الحرث بن عبدالمطلب...

وذكر مسلم عن العباس قال: فلما التقى المسلمون والكفار ولّى المسلمون مدبرين وطفق رسول الله صلى الله عليه وآله يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفّها إرادة أن لا تسرع، وأبوسفيان آخذ بركابه)[3].

---

١ الأمين: أعيان الشيعة ـ ج ١ ـ ص ٢٢١

٢ الكماة = الشجعان

٣ القمي: كحل البصر في سيرة سيد البشر ـ ص ٨٨ - ٨٩

ومن يقرأ سيرة سيد الأنبياء والمرسلين يجدها زاخرة بصور الشجاعة والبطولة، كيف وقد صدع بالحق أمام المشركين بأجمعهم لم تأخذه في الله لومة لائم، ولم يداهن ولم يساوم، ولم يفر من موقف قط، بل كان يجاهر بصلاته عند البيت الحرام متحدياً بذلك طغيانهم وعتوهم، ويتحمل أذاهم بالقول والفعل، حتى أصيب مرات عديدة بجراحات متفرقة جراء رميه بالحجارة في مكة والطائف.

أما في الحروب فقد ثبت في كل المواقف، لاسيما في أشدها بأساً حيث هرب الناس وبقي هو مع علي وقلة من أصحابه، كما في معركتي أحد وحنين. نقل ابن أبي الحديد عن شيخه كلاماً في معرض رده على الجاحظ، جاء فيه: (ألم يعلم أبوعثمان أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أشجع البشر، وأنه خاض الحروب، وثبت في المواقف التي طاشت فيها الألباب، وبلغت القلوب الحناجر، فمنها يوم أحد، ووقوفه بعد أن فرّ المسلمون بأجمعهم، ولم يبق معه إلا أربعة: علي والزبير وطلحة وأبو دجانة...

ولو لم يدل على ثباته حين انهزم أصحابه وتركوه إلا قوله تعالى ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴾[1]، فكونه عليه السلام في أخراهم وهم يصعدون ولا يلوون، هاربين، دليل على أنه ثبت ولم يفر.

وثبت يوم حنين في تسعة من أهله ورهطه الأدنين، وقد فر المسلمون كلهم والنفر التسعة محدقون به والعباس آخذ بحكمة بغلته، وعلي بين يديه مصلت سيفه، والباقون حول بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمنة ويسرة، وقد انهزم المهاجرون والأنصار، وكلما فروا أقدم هو صلى الله عليه وآله وسلم وصمم مستقدماً، يلقى السيوف والنبال بنحره وصدره، ثم أخذ كفاً من البطحاء، وحصب المشركين، وقال شاهت الوجوه.

والخبر المشهور عن علي عليه السلام، وهو أشجع البشر: **كنا إذا اشتد البأس، وحمي**

---

١ آل عمران / ١٥١

الوطيس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولُذنا به) [1].

وعن علي عليه السلام أنه قال: لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً [2].

وقال رجل للبراء بن عازب: (هل كنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة؟

قال: أشهد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه ما ولّى، ولكن انطلق أخفّاء من الناس [3]، وحشر إلى هذا الحي من هوازن وهم قوم رماة، فرموهم برشق من نبل كأنها رجل من جراد فانكشفوا [4]، فأقبل القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو سفيان بن الحارث يقود بغلته.

فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستنصر ودعا وهو يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب، اللهم أنزِل نصرك.

قال: والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع الذي يحاذي به) [5].

قال النووي شارحاً خبر ثبات النبي يوم حنين وهو راكب على بغلته: (قال العلماء: ركوبه صلى الله عليه وآله وسلم البغلة في موطن الحرب وعند اشتداد الناس هو النهاية في الشجاعة والثبات، ولأنه أيضاً يكون معتمَداً يرجع المسلمون إليه وتطمئن قلوبهم به وبمكانه، وإنما فعل هذا عمداً وإلا فقد كانت له صلى الله عليه وآله وسلم أفراس معروفة.

ومما ذكره في هذا الحديث من شجاعته صلى الله عليه وآله وسلم تقدُّمه يُركِض بغلته إلى جمع المشركين وقد فر الناس عنه، وفي الرواية الأخرى أنه نزل إلى الأرض حين غشوه [6]، وهذه مبالغة في الثبات والشجاعة والصبر، وقيل فعل ذلك مواساة لمن كان نازلاً على الأرض من المسلمين.

---

١ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ـ ج ١٣ ـ ص ٢٧٨ - ٢٧٩

٢ الهندي: كنز العمال ـ ح ٢٩٨٧٤

٣ أخفاء = جمع خفيف، للدلالة على سرعة الهروب

٤ رجل من جراد = قطعة واحدة من جراد

٥ الهندي: كنز العمال ـ ح ٣٠٢٢٦، ٣٠٢٠٦

٦ غشوه = التف المشركون حوله

وقد أخبرت الصحابة رضي الله تعالى عنهم بشجاعته صلى الله عليه وسلم في جميع المواطن، وفي صحيح مسلم قال: **إن الشجاع منا الذي يحاذي به، وإنهم كانوا يتقون به...**

قوله: **"كنا والله إذا احمر البأس نتقي به وإن الشجاع منا للذي يحاذي به"**، احمرار البأس كناية عن شدة الحرب، واستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة فيها في العادة، أو لاستعار الحرب واشتعالها كاحمرار الجمر، كما في الرواية السابقة **"حمى الوطيس"**، وفيه بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم وعظم وثوقه بالله تعالى) [1].

وفي شجاعته قيل:

طارت قلوب العِدى من بأسه فرقاً ... فما تفرق بين البهم والبهم

ومن يكن برسول الله نصرته ... إن تلقه الأسْدُ في آجامها تجم [2]

وقال مالك بن عوف حين أسلم بعد معركتي حنين والطائف [3]:

ما إن رأيت ولا سمعت بواحد ... في الناس كلهم بمثل محمد

أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتذى ... ومتى تشأ يخبرك عما في غدِ [4]

وإذا الكتيبة عردت أنيابها ... بالسمهري وضرب كل مهند [5]

فكأنه ليث على أشباله ... وسط الهباءة خادر في مرصد [6]

---

١ النووي: شرح مسلم - ج ١٢ - ص ١١٤ - ١٢١

٢ القمي: كحل البصر في سيرة سيد البشر - ص ٨٩. تجم = تخاف

٣ سنأتي على تفصيل الخبر حين الحديث عن المعركتين في فصل لاحق.

٤ اجتذى = استجدى وطلب حاجة

٥ السمهري = الرمح صليب العود

٦ ابن حجر: الإصابة - ج ٥ - ص ٥٥١. الهباءة = الغبار. الخادر = الأسد الداخل في خدره، أي في عرينه.

عبدالمطلب بن هاشم:

جد رسول الله صلى الله عليه وآله كما هو جد أمير المؤمنين عليه السلام، اسمه شيبة الحمد سمي بذلك لأنه ولد وفي رأسه الشيب، وإنما عُرف بعبدالمطلب لأنه تربى عند أخواله من بني عدي بن النجار في يثرب، على أثر وفاة والده هاشم في غزة بأرض فلسطين، فبقي في يثرب إلى أن صار غلاماً، ثم جاء عمه المطلب بن عبد مناف فأخذه عائداً إلى مكة، فلما احتمله وأردفه على بعيره ودخل مكة بهذه الهيئة قالت قريش: هذا عبدٌ ابتاعه المطلب، فسمي بعد ذلك بعبدالمطلب.

كان عبدالمطلب جسيماً وسيماً أبيض فصيحاً، ما رآه أحد إلا أحبه، وكان قاضي العرب وسيد قريش وشريفها وحليمها، قال محمد طاهر الكردي المكي: (كان يعبد الله تعالى على ملة إبراهيم عليه السلام، وكان إذا دخل شهر رمضان يصعد على جبل حراء ويتعبد فيه جميع الشهر، وأطعم المساكين، ولقد كان يحث على مكارم الأخلاق، وقد حرّم الخمر ونكاح المحارم والزنا ووأد البنات وهو دفنهن أحياء، وكان يأمر أولاده بترك البغي والظلم. وكان يقال له الفياض لجوده وكرمه، وكان يطعم الناس بالسهل والجبل، ويطعم الوحوش في رؤوس الجبال، وهو الذي حفر بئر زمزم وأخرجه بعد أن دُرس موضعُه وعُفي أثره، فهداه الله إلى مكانه)[1].

ومما يدل على شجاعته موقفه في حادثة هجوم أبرهة الحبشي بالفيلة والجنود على مكة المكرمة لهدم بيت الله الحرام، إذ جاء في مصادر التاريخ أنه: (لما سمع أهل مكة أنه قد نزل بهم صاحب الفيل، جمعوا أموالهم وأهليهم ودوابهم وهموا بالخروج من مكة هاربين من أصحاب الفيل، فلما نظر إليهم عبد المطلب قال لهم: **يا قوم أيجمل منكم هذا الامر؟! وإنه لعارٌ عليكم خروجكم عن كعبتكم.**

قالوا له: **إن المِلك أقسم بمعبوده أن لابد له من ذلك أن يهدم الكعبة، ويرمي**

---

[1] الكردي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم - ج ١ - ص ٦٠ - ٦١

أحجارها في البحر، ويذبح أطفالها، ويرمّل نسائها، ويقتل رجالها، فاتركنا نخرج قبل أن يحل بنا الويل.

فقال لهم عبد المطلب: **إن الكعبة لا يَصِلُون إليها، لأن لها مانعاً يمنعهم عنها، وصاداً يصدّهم عنها، فإن أنتم التجأتم إليها واعتصمتم بها فهو خير لكم.**

فلم تطمئن القلوب إلى كلامه، وغلب عليهم الخوف والجزع، وخرجوا هاربين يطلبون الشعاب، ومنهم من طلب الجبال، ومنهم من ركب البحر. فعند ذلك قالوا لعبد المطلب: **ما يمنعك أن تهرب مع الناس؟**

قال: **أستحيي من الله أن أهرب عن بيته وحرمه، فوالله لا برحت من مكاني ولا نأيت عن بيت ربي حتى يحكم الله بما يشاء.**

ولم يبق يومئذ بمكة إلا عبد المطلب وأقاربه وهم غير آمنين على أنفسهم، فلما نظر عبد المطلب إلى الكعبة خالية وديارها خاوية قال: **اللهم أنت أنيس المستوحشين ولا وحشة معك، فالبيت بيتك، والحرم حرمك، والدار دارك، ونحن جيرانك تمنع عنه ما تشاء ، وربُّ الدار أولى بالدار.**

وصلت جحافل الغزاة إلى أطراف مكة، فوجدوا فيها لعبد المطلب ثمانين ناقة حمراء، فأخذها القوم وتقاسموها، وسبق بعض الرعاة فأخبر عبد المطلب بذلك، فقال: **الحمد لله، هي مال الله، وضيافة لأهل بيته وزواره وحجاجه، فإن سلَّمها فهي له، وإن ردها إلينا فهي إحسانه، وهي عارية عندنا**[1].

ثم إن عبد المطلب لبس قميصه، وتردّى برداء لؤي[2]، وتحزّم بمنطقة الخليل عليه السلام، وتنكّب قوس إسماعيل عليه السلام، واستوى على مطيّته وعزم على الخروج، فقام إليه أقاربه وقالوا له: **أين تريد؟!**

---

١ لاحظ هذا الجود والإيمان وتوطين النفس على أن ما بيده إنما هو لله حقيقة ، وما هو إلا مؤتمن عليها ينفقها على الزوار والحجاج .

٢ من أجداده

قال: إلى هذا الرجل الظالم الذي أخذ مال الله عز وجل، وتعرض لحرم الله.

قالوا: ما كنا بالذي نُطلق سبيلك حتى تمضي إليه، لأن هذا مثل البحر من دخله غرق، وأنت اعتصمت برب الكعبة، واعتصمنا معك، ورضينا لأنفسنا ما رضيت لنفسك، أما الخروج من الحرم إلى شر الأمم فما نسمح لك بذلك.

قال: يا قوم إني أعلم من فضل ربي ما لا تعلمون، فخلّوا سبيلي فإني سأرجع إليكم عن قريب.

فخلّوا سبيله، فمرّت به مطيته كالريح، فلما أشرف على القوم نظروا إليه من بعيد فإذا هو كالبدر إذا بدا، والصبح إذا أسفر، فلما عاينوه من قريب بهتوا فيه فجاؤوه وقد حبس الله أيديهم عنه[1]، فقالوا له: من أنت أيها الرجل الجميل الطلعة، المليح الغُرَّة ؟ من أنت يا ذا النور الساطع، والضياء اللامع ؟ فإن كنت من هذه البلدة نسألك أن ترد عن قربنا، شفقةً منا عليك.

فقال لهم: إني أريد الملك.

فقالوا له: إنَّ ملِكنا قد أقسم بمعبوده أن لا يترك من قومك أحداً.

فقال لهم عبد المطلب: إني قد أتيته قاصداً.

فعند ذلك تصارخت القوم وقال بعضهم لبعض: ما رأينا مثل هذا الرجل في الجمال و الكمال إلا أنه ناقص العقل، نحن نقول: إن ملكنا قد أقسم بمعبوده أن لايترك أحداً من أهل هذه البلدة، وهو يقول: لابد لي منه !

فخلوا سبيله، فمضى قاصداً إلى الملك، فأوصلوا خبره إلى الملك، وقالوا: أيها الملك قد قدِم علينا رجل صفته كذا وكذا من أهل مكة ولم يفزع ولم يجزع.

فقال الملك: عليَّ به، فوحقِّ ما أعتقده من ديني لو سألني أهل الأرض ما قبلت فيه سؤالاً.

---

١ كناية عن عدم التعرض له بسوء.

فعند ذلك أقبلوا إلى عبد المطلب ليأتوا به، فقال لهم عبد المطلب: **إني قادم إلى الملك بنفسي.**

فأمر الملك قومه أن يشهروا السلاح، ويجرّدوا السيوف، وجعل الملك على رأسه تاجاً، وشدَّ عمامته على جبينه، وأمر سيّاس الفيل أن يحضروه فأحضروه، وكان فيهم فيل يُقال له **المذموم** ، وكان قد ركبوا على رأسه قرنين من حديد لو نطح جبلاً راسياً بهما لألقاه [1]، وكانوا قد علقوا على خرطومه سيفين هنديين وعلّموه الحرب، ووقف سيّاسه من ورائه، فقال لهم الملك: **إذا رأيتموني قد أشرت لكم عند دخول هذا المكي فأطلقوه عليه حتى يدوسه بكلكله** [2].

فدخل عليهم عبد المطلب وهم صفوف ينظرون ما يأمرهم الملك في عبد المطلب وهم باهتون، وهو لا يلتفت إلى أحد منهم حتى جاوز أصحاب الفيل، فأمرهم الملك بإطلاق الفيل فأطلقوه، فلما قرب من عبد المطلب برك الفيل إلى الأرض وجثا على ركبتيه وسكن ارتجاجه، وكان قبل ذلك إن أحضره سيّاسه على القتال تحمرّ عيناه، ويضرب بخرطومه وفيه سيفان، فلما قرب من عبد المطلب سكن ولم يفعل شيئاً !

فتعجب الملك وأصحابه من ذلك، وألقى الله في قلبه الجزع والفزع، وارتعدت فرائصه، ورقّ قلبه، فأقبل على عبد المطلب حتى أجلسه بجانبه، ورحب به، والتفت إلى الأسود بن مقصود [3]، وقال: **أي شئ يطلب هذا الرجل المكي فأقضي حاجته؟** وقد كان الملك يحلف على هلاكه قبل ذلك !

ثم قال له الملك: **من أنت وما اسمك؟ فما رأيت أجمل منك وجهاً، ولا أحسن منك بهجة، ولك عندي ما سألت، ولو سألتني الرجوع عن بلدك لفعلت.**

فقال له عبد المطلب: **لا أسألك في شئ من ذلك إلا أن قومك أغاروا علينا،**

---

١ في العبارة مبالغة بغرض توضيح الصورة.

٢ الكلكل = الصدر

٣ كان دليلهم إلى مكة

وأخذوا لي ثمانين ناقة، وكنت قد أعددتها للحجاج الذين يقصدوننا من جميع النواحي، فإن رأيت أن تردّها عليّ فافعل.

فأمر الملك رجاله بإحضارهن. ثم قال الملك: هل لك من حاجة غيرها فاسألني فيها ؟

فقال عبد المطلب: أيها الملك ما أريد غير هذه.

فقال له الملك: فلِمَ لا تسألني في بلدك، فإني أقسمت لأهدمنَّ كعبتكم، وأقتل رجالكم، لكن لعظم قدرك عندنا لو سألتني فيها قبلت سؤالك.

فقال عبد المطلب: لا أسألك في شئ من ذلك.

قال: ولم ذلك ؟

قال: إن لها مانعاً يمنعها غيري.

فقال الملك: اعلم يا عبد المطلب إني أخرج على أثرك بجنودي ورجالي، فنُخرب الكعبة ونواحيها، وأقتل سكانها.

فقال له عبد المطلب: إن قدرت فافعل.

فانصرف عبد المطلب ومرّ على الفيل المذموم، فلما نظر الفيل إلى عبد المطلب سجد له، فقام الوزراء والحجّاب يلومون الملك في أمر عبد المطلب كيف خلى سبيله.

فقال لهم الملك: ويحكم لا تلوموني، ألم تروا كيف سجد له الفيل بين يديه؟ والله لقد وقع لهذا الرجل في قلبي هيبة عظيمة، ولكن أشيروا عليّ بما يكون من هذا الأمر.

فقالوا: لابد لنا أن نسير إلى مكة فنخربها، ونرمي أحجارها في بحر جدة.

فعند ذلك أمر الملك بالجموع والجيوش أن تزحف إلى مكة، ولما وصل عبدالمطلب بالنوق إلى مكة خرج إليه أقاربه وبنو عمه يهنئونه بالسلامة، وقد كانوا آيسوا منه، فلما نظروا إليه فرحوا به وجعلوا يتعلقون به ويقبّلون يديه، وقالوا: الحمد لله الذي حماك وحفظك بهذا النور الحسن.

ثم سألوه عن الجيش فأخبرهم بقصته وخبر الفيل، فقالوا له: **ما الذي تأمرنا به؟**

فقال: **يا قوم أخرجوا إلى جبل أبي قبيس حتى ينفذ الله حكمه ومشيته.**

خرج القوم بأولادهم ونسائهم ودوابهم، وخرج عبد المطلب وبنو عمه وإخوته وأقاربه، وأخرج مفاتيح الكعبة إلى جبل أبي قبيس، وجعل يسير بهم إلى الصفا، ويدعو ويبكي ويتوسل بنور محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وجعل يقول: **يا رب إليك المهرب، وأنت المطلب، أسألك بالكعبة العلياء ذات الحج والموقف العظيم المقرّب، يا رب، إرم الأعادي بسهام العطب حتى يكونوا كالحصيد المنقلب.**

ثم رجع وأتى إلى باب البيت فأخذ بحلقته وهو يقول:

لاهم إن المرء يمنع رحله ، فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدواً محالك
إن كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك
جروا جميع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا جمالك بكيدهم جهلاً وما راقبوا جلالك
فانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

وقال أيضاً شعراً:

يا رب لا أرجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا
إن عدو البيت من عاداكا امنعهم أن يخربوا قراكا

وإذا بهاتف يُسمع صوته ولا يُرى شخصه وهو يقول: قد أجيبت دعوتك، وبلغت مسرتك إكراماً للنور الذي في وجهك. فنظر يميناً وشمالاً فلم ير أحداً، ثم قال لمن معه وهم على جبل أبي قبيس وقد نشروا شعورهم وهم يبتهلون بالدعاء ويستبشرون بالإجابة، ثم قال: **أبشروا فإني رأيت النور الذي في وجهي قد علا، وإنما كان ذلك كاشفاً لما طرقكم.**

ففرح القوم وتضرّعوا إلى الله تعالى، فبينما هم كذلك إذا أشرفت عليهم غبرة القوم، وتقاربت الصفوف، ولاح لهم بريق الأسنّة، ثم انكشف الغبار عن الفيل فنظروا إليه كأنه الجبل العظيم، وقد ألبسوه الحديد، وزيّنوه بزينة، فاشتد قلقهم، وانهملت عبراتهم، وتضرع عبدالمطلب ودعا، فوالله ما أتم عبدالمطلب دعاءه وتضرعه حتى وقف الفيل مكانه، فصرخت عليه الفيّالة، وزجرته الساسة، فلم يلتفت إليهم، فوقفت الجيوش ودهشوا، فقال الأسود بن مقصود وهو على الساقة: **ما الخبر؟**

قالوا: **إن الفيل قد وقف.**

فقال للساسة: **اضربوه.**

فضربوه فما حال ولا زال، فتعجبوا من ذلك، ثم أمرهم أن يعطفوا رأسه ففعلوا فهرول راجعاً، فأمر بردّه فردّوه فوقف، فقال الأسود: سحروا فيلكم.

ثم بعث إلى الملك وأعلمه بذلك، فقال له: **أشِر علينا.**

فبعث أبرهة إلى ابن مقصود فقال: **ليس من جرَّب كمن لا يجرِّب، ابعث للقوم رسولاً واطلب الصلح، ولا تخبرهم بأمر الفيل لئلا يكون طريقاً لطمعهم فيكم، واطلب منهم رجالاً بعدد مَن قُتل منا، ويقومون لنا بما أفسدوا من كنيستنا[1]، فإذا فعلوا ذلك رجعنا عنهم.**

فلما دخل رسول أبرهة على الأسود وكان اسمه حناطة الحميري، وكان يهزم الجيوش وحده[2]، وكان له خلقة هائلة فقال له الأسود: **هل لك أن تكون أنت الرسول إليهم؟ فعسى أن يكون الصلح على يديك.**

فقال حناطة: **ها أنا سائر إليهم، فإن صالحونا وإلا رجعت برؤوسهم.**

ثم سار وهو معجب بنفسه فسأل عن سيد قريش، فقالوا: **هو الشيبة النجار.**

---

[1] قيل أن سبب هجوم أبرهة على مكة أن بعض العرب من اهل مكة أحرقوا كنيسة بالحبشة خطأ ومات عدد من رجالها بسبب ذلك، فقرر الانتقام، وقيل غير ذلك.

[2] مبالغة في العبارة للدلالة على قوته وشجاعته.

وكان عبد المطلب قد رآه وعلم أنه رسول من القوم، فلما نظر حناطة إلى عبدالمطلب دُهش وحار، فقال له عبد المطلب: **ما الذي أتى بك؟**

قال: **يا مولاي إن أبرهة قد عرف فضلكم، ووهب لكم الحرم والبيت، وقد أرسل إليك أن تقوم بدية من قتل له، أو تسلّم من رجالك بعددهم، ثم تقوم له بثمن ما عُدم من الكنيسة، فإذا فعلتم هذا رجع عنكم.**

فقال عبد المطلب: **أيؤخذ البرئ بالسقيم، ونحن من شيمتنا الأمانة والصيانة، ونقبض أيدينا عن المظالم، ونصرف جوارحنا عن المآثم؟! فبلّغ صاحبك عنّا ذلك، وأما هذا البيت فقد سبق مني القول فيه: إن له رباً يمنع عنه، فوالله ما كبُر عليَّ ما جمعتموه من الرجال، فإن أراد صاحبك المسير فليسر، وإن أراد المقام فليقم.**

فلما سمع حناطة كلامه غضب وأراد أن يقتل عبد المطلب، فظهر لعبد المطلب ما في وجهه [1]، فلم يمهله دون أن قبض على مخزمه ومراق بطنه وشاله وضرب به الأرض، وقال: **وعزة ربي لولا أنك رسول لأهلكتك قبل أن تأتي صاحبك.**

رجع حناطة إلى الأسود وأعلمه بما كان من أمره، ثم قال: **هؤلاء قوم قد غلت دماؤهم، والرأي عندي أن تراسل القوم بعد هذا، واعلم أن مكة خليَّة من أهلها، فأسرِع إلى الغنيمة.**

فأمر الجيوش بالزحف فساروا نحو الحرم، فلما قربوا منه جاءهم أمر الله من حيث لا يشعرون، وإذا هم بأفواج من الطير كالسحابة المترادفة يتبع بعضها بعضاً، و هي كأمثال الخطاطيف، يحمل كل طير ثلاثة أحجار: أحدها في منقاره، واثنين بين رجليه كالعدس، وكبيرها كالحمص، وقد تعالت الطيور، وارتفعت وامتدت فوق العسكر، وانتشرت بطولهم وعرضهم، فلما نظر القوم إلى ذلك خافوا وقالوا: **ما هذه الطيور التي لم نر مثلها قبل هذا اليوم؟**

فقال الأسود: **ما عليكم بأس، لأنها طير تحمل رزقها لفراخها. ثم قال: عليّ بقوسي**

---

[1] أي تبيّن لعبدالمطلب نية حناطة في الاعتداء عليه.

ونبلي حتى أردّها عنكم.

فأخذ قوسه و أراد الرمي فتصارخت الطيور مستأذنة لربها في هلاك القوم، فما أتمت صراخها حتى فُتحت أبواب السماء، وإذا بالنداء: **أيها الطيور المطيعة لربها افعلوا ما أمرتم به، فقد اشتد غضب الجبار على الكفار.**

فتحت الطيور أفواهها، وكان أول حصة وقعت على رأس حناطة فنزلت من البيضة [1] إلى الرأس إلى الحلقوم، ونزلت إلى الصدر، وخرجت من دبره، ونزلت إلى الأرض وغاصت فانقلب صريعاً، فتناثر القوم يميناً وشمالاً و الطيور تتبعهم لا تحول ولا تزول عن الرجل حتى ترميه بالحصاة على رأسه، فتخرج من دبره ولا يردها درقة ولا حديد [2]. وإن أبرهة لما نظر إلى الطير وفِعْلها علم أنه قد أحيط بهم، فولّى هارباً على وجهه، وأما الأسود فإنه لما نظر إلى ما نزل بقومه والحصى تتساقط عليهم وهم يقعون على وجوههم، فإذا بطير قد ألقى حجراً فوقع في فيه حتى خرج من دبره، وأتاه آخر فضربه في هامته فطلع من قفاه، فخر صريعاً) [3].

وهكذا أهلك الله المعتدين، وحفظ بيته الكريم، وخلّد هذه الحادثة في سورة كريمة هي سورة الفيل.

---

١ البيضة = غطاء للرأس يستخدم في الحروب كهيئة الخوذة

٢ الدرقة = الترس من جلود ليس فيه خشب ولا عقب

٣ المجلسي: بحار الأنوار ـ ج ١٥ ـ ص ٦٦ – ٧٤

أبو طالب بن عبدالمطلب :

والد علي عليه السلام، واسمه عمران أو عبدمناف، حامي النبي، والمدافع عن الإسلام، الذي تؤكد مواقفه على الشجاعة التي كانت تسري في عروقه، شجاعة واجه بها عتاة قريش، وصارع الوضع القائم على الباطل الذي كان يجهد لمحق دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

كان أبوطالب رضي الله عنه بالمرصاد لكل المؤامرات التي تحاك ضد النبي والمسلمين، لايكاد يفرغ منه موقع يُساء فيه لرسول الله، فقد كانت عينه تراقب ابن أخيه، وكان قلبه يخفق مع تطلعات تلك الطليعة المؤمنة التي جاهدت لترسيخ قواعد الإيمان في مجتمع تغلغل فيه الشرك، وتشرب الكفر، وأخذ من الظلم والعدوان عنواناً وشعاراً.

وذات مرة هدد أبو طالب قريشاً بقوله :

ولولا حذاري أن أجيء بسبّة ... تنث على أشياخنا في المحافل

لداستكم منا رجال أعزة ... إذا جردوا أيمانهم بالمناصل

رجال كرام غير ميل عوارد ... كمثل السيوف في أكف الصياقل

وضرب ترى الفتيان فيه كأنهم ... ضواري أسود عند لحم الأكايل

رددناهم حتى تبدد جمعهم ... وندفع عنا كل باغ وجاهل [1]

وإذ آمن أبو طالب رضي الله عنه بنبوة ابن أخيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إلا أن لم ير جدوى من إعلان ذلك على الملأ، إذ لن يترتب على ذلك سوى إضعاف لموقفه في نصرته، كما أنه لم يكن ليأمن ـ إذا أظهر إيمانه وأفشى إسلامه ـ أن تتمالأ عليه قريش، فيؤدي فعله ذلك إلى إفساد قاعدة الدفاع عن النبي ورسالته. لقد كتم أبوطالب رضي الله عنه إيمانه وإسلامه ليضمن استدامة قريش على طاعته، والانقياد لسيادته، ليتمكن من نصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ودوام حرمته، والأخذ بحقه، وإعزاز كلمته، ولهذا السبب كان أبو طالب يخالط قريشاً ويعاشرهم ويحضر مجالسهم، ويشهد مشاهدهم.

---

١ الشاكري : شيخ البطحه ـ ص ٦٩ - ٧٠

إن مثل أبي طالب كمثل أصحاب الكهف، وكمؤمن آل فرعون، وقد روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: **إن جبرئيل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد، إن ربك يقرؤك السلام، ويقول لك: إن أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الشرك، فآتاهم الله أجرهم مرتين، وإن أبا طالب أسرّ الإيمان وأظهر الشرك فآتاه الله أجره مرتين، وما خرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله بالجنة**[1].

كما روى الشيخ الصدوق عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال في حديث طويل: **إن أبا طالب كمؤمن آل فرعون يكتم إيمانه**[2].

ولأبي طالب رضي الله عنه أشعار تؤكد إيمانه، ومنها مخاطباً أخاه حمزة، وكان يُكنى أبايعلى، يطالبه فيه بالجهر بالإيمان واتباع النبي ونصرته والصبر في هذا الطريق ومواجهة قريش جهاراً:

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد ... وكن مُظهراً للدين وفّقت صابرا
وحُط من أتى بالحق من عند ربه ... بصدق وعزم لا تكن حمز كافرا
فقد سرّني إذ قلتَ أنك مؤمن ... فكن لرسول الله في الله ناصرا
وباد قريشاً بالذي قد أتيته ... جهاراً وقل ما كان أحمد ساحرا[3]

ومن شعره المشهور الذي يعلن فيه إيمانه، ويذكر شجاعته في طريق الحق:

أنت النبي محمد ... قرم أعز مسود
لمسودين أكارم طا ... بوا وطاب المولد
نعم الأرومة أصلها ... عمرو الخضم الأوحد[4]
هشم الربيكة في الجفان ... وعيش مكة أنكد[5]

---

١ العاملي: وسائل الشيعة ـ ج ١٦ ـ ص ٢٣١ ـ ح ٢١٤٣٨
٢ العاملي: وسائل الشيعة ـ ج ١٦ ـ ص ٢٣٢ ـ ح ٢١٤٤٠
٣ الكراجكي: كنز الفوائد ـ ص ٧٩
٤ الخضم = الكثير العطاء
٥ الربيكة = طعام يعمل من تمر وأقط وسمن

فجـــرت بـــذلك ســـنة ... فيهـــا الخبيـــزة تثـــرد [1]

ولنـــا الســـقاية للحجـــيج ... بهـــا يمـــاث العنجـــد [2]

والمأزمـــان ومـــا حـــوت ... عرفاتهـــا والمســـجد

أنّـــى تضـــام ولم أمـــت ... وأنـــا الشـــجاع العربـــد [3]

وبطـــاح مكـــة لا يـــرى ... فيهـــا نجيـــع أســـود

وبنـــو أبيـــك كـــأنهم ... أســـد العـــرين توقـــد

ولقـــد عهـــدتك صـــادقاً ... في القـــول لا تتزيـــد

مـــا زلـــت تنطـــق بالصـــواب ... وأنـــت طفـــل أمـــرد [4]

ومن شعره المشهور أيضاً قوله يخاطب محمداً، ويسكن جأشه، ويأمره بإظهار الدعوة:

لا يمنعنـــك مـــن حـــق تقـــوم بـــه ... أيـــد تصـــول ولا ســـلق بأصـــوات

فـــإن كفـــك كفـــي إن بليـــت بهـــم ... ودون نفســـك نفســـي في الملمّـــات [5]

---

١ الخبيزة = الخبز ، يقال : ثردت الخبز أثرده ، وهو أن تفته ثم تبله بمرق

٢ العنجد = الزبيب

٣ العربد = الحية ، وهو كناية عن الشجاعة

٤ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ١٤ ـ ص ٧٧

٥ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ١٤ ـ ص ٧٦ - ٧٨

حمزة بن عبد المطلب:

عم رسول الله، أسد الله وأسد رسوله، وكان يلقب سيد الشهداء إلى أن استشهد الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

عُرف بشجاعته في الجاهلية والإسلام، وقد روى ابن إسحاق أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره، من العيب لدينه والتضعيف لأمره، فلم يكلمه رسول الله، ومولاة لعبد الله ابن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة في مسكن لها تسمع ذلك منه، ثم انصرف عنه، فعمد إلى نادى قريش عند الكعبة فجلس معهم.

فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أن أقبل متوشحاً قوسه راجعاً من قنص له، وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمرّ على ناد من قريش إلا وقف وسلّم وتحدث معهم، وكان أعزّ فتى في قريش وأشد شكيمة.

فلما مرّ بالمولاة، وقد رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بيته، قالت له: **يا أبا عمارة، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفاً من أبي الحكم ابن هشام ! وجده ها هنا جالساً فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد.**

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى ولم يقف على أحد، معدّاً لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجّه شجة منكرة، ثم قال: **أتشتمه وأنا على دينه أقول كما يقول ؟ فرُدّ ذلك عليّ إن استطعت.**

فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: **دعوا أباعمارة، فإني والله قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً.**

وتم حمزة رضي الله عنه على إسلامه، وعلى ما تابع عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قوله،

فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله قد عزّ وامتنع، وأن حمزة سيمنعه، فكفّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه [1].

استشهد حمزة لاحقاً في معركة أحد عام ٣ هـ ، ومثّلت هند بنت عتبة بجسده أقبح تمثيل، ودفن بمرقد شهداء أحد، وهو معروف.

ومما قاله في شجاعته:

ليس عندي إلا سلاح وردٌ ... قارح من بنات ذي العقّال

أتّقي دونه المنايا بنفسي ... وهو دوني يغشى صور العوالي

جرشع ما أشابت الحرب منه ... حين تحمي أبطالها لا أبالي

فإذا ما هلكت كان تراثي ... وسجالاً محمودة من سجالي [2]

---

١ ابن هشام : السيرة النبوية ـ ج ١ ـ ص ١٨٨ - ١٨٩

٢ اللحام : أروع ماقيل في الشجاعة والجبن والهمم والآمال من محاضرات الأدباء ـ ص ١١١

صفية بنت عبدالمطلب:

عمة رسول الله وعلي عليهما السلام، وأم الصحابي الزبير بن العوام، وقد سجل لها التاريخ أكثر من موقف يدل على شجاعتها ورباطة جأشها وصلابتها في الإيمان، من ذلك ما رواه ابن هشام عن ابن إسحاق في السيرة النبوية قال: (عن ابن عباس، قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحمزة فسُجّي ببُردة ثم صلى عليه، فكبّر سبع تكبيرات، ثم أتى بالقتلى فيوضعون إلى حمزة، فصلى عليهم وعليه معهم، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة.

قال ابن إسحاق: وقد أقبلت ـ فيما بلغني ـ صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه، وكان أخاها لأبيها وأمها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابنها الزبير بن العوام: **إلقها فأرجِعها، لا ترى ما بأخيها.**

فقال لها: **يا أمّه، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمرك أن ترجعي.**

قالت: **ولم ؟ وقد بلغني أن قد مُثِّل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك ! لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله.**

فلما جاء الزبير إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره بذلك، قال: **خلِّ سبيلها.**

فأتته، فنظرت إليه، فصلّت عليه، واسترجعت، واستغفرت له، ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدُفن) [1].

وروى ابن إسحاق عنها أبيات من الشعر في رثاء أخيها حمزة:

أسائلة أصحاب أحمد مخافة ... بنات أبي من أعجم وخبير

فقال الخبير : إن حمزة قد ثوى ... وزير رسول الله خير وزير

دعاه إله الحق ذو العرش دعوة ... إلى جنة يحيا بها وسرور

فذلك ما كنا نرجى ونرتجي ... لحمزة يوم الحشر خير مصير

---

[1] ابن هشام: السيرة النبوية ـ ج ٣ ـ ص ٦١١ - ٦١٢

فـوالله لا أنسـاك مـا هبـت الصـبا ... بكـاء وحزنـا محضـري ومسـيري
علـى أسـد الله الـذي كـان مـدرها ... يـذود عـن الإسـلام كـل كفـور
فيالـيت شـلوي عنـد ذاك وأعظمـي ... لـدى أضـبع تعتـادني ونسـور
أقـول وقـد أعلـى النعـي عشـيرتي ... جـزى الله خـيراً مـن أخ ونصـير [1]

وقال ابن إسحاق في أحداث غزوة الأحزاب ـ الخندق ـ حيث خرج المسلمون لمواجهة أحزاب المشركين على الضفة الأخرى من الخندق، وقد خُليت المدينة إلا من النساء والأطفال والشيوخ والعجزة وقليل من الرجال: (وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد قال: كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع، حصن حسان ابن ثابت. قالت: وكان حسان بن ثابت معنا فيه، مع النساء والصبيان. قالت صفية: فمرَّ بنا رجل من يهود، فجعل يطيف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت.

قالت: فقلت: **يا حسان، إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن، وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا مَن وراءنا من يهود، وقد شُغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فانزِل إليه فاقتله.**

قال: **يغفر الله لكِ يابنة عبد المطلب، والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا !**

قالت: فلما قال لي ذلك، ولم أرَ عنده شيئاً، احتجزت [2]، ثم أخذت عموداً، ثم نزلت من الحصن إليه، فضربته بالعمود حتى قتلته. قالت: فلما فرغت منه، رجعت إلى الحصن، فقلت: **يا حسان، انزل إليه فاسلبه، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل.**

قال: **مالي بسلبه من حاجة يابنة عبد المطلب**) [3].

---

١ ابن هشام : السيرة النبوية ـ ج ٣ ـ ص ٦٦٥
٢ احتجزت = ربطت وسطها بالتكة وشبهها
٣ ابن هشام : السيرة النبوية ـ ج ٣ ـ ص ٧١١

أم هانئ بنت أبي طالب:

واسمها فاختة أو هند، قال ابن أبي الحديد: (وروى أهل الحديث أن أم هانئ كانت يوم الفتح في بيتها [1]، فدخل عليها هبيرة بن أبي وهب بعلُها، ورجلٌ من بني عمه هاربين من علي عليه السلام، وهو يتبعهما وبيده السيف، فقامت أم هانئ في وجهه دونهما، وقالت: **ما تريده منهما ؟** - ولم تكن رأته من ثماني سنين - .

فدفع في صدرها، فلم تزل عن موضعها [2]، وقالت: **أتدخل يا عليّ بيتي، وتهتك حرمتي، وتقتل بَعْلي، ولا تستحي مني بعد ثماني سنين ؟!**

فقال: **إن رسول الله** صلى الله عليه وآله **أهدر دمهما، فلابد أن أقتلهما.**

فقبضت على يده التي فيها السيف، فدخلا بيتاً ثم خرجا منه إلى غيره، ففاتاه [3].

وجاءت أم هانئ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فوجدته يغتسل من جفنة فيها أثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبها، فوقفت حتى أخذ ثوبه، فتوشح به، ثم صلى ثماني ركعات من الضحى، ثم انصرف، فقال: **مرحباً وأهلاً بأم هانئ ! ما جاء بك؟**

فأخبرته خبر بعلها وابن عمه، ودخول علي عليه السلام بيتها بالسيف. فجاء علي عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله يضحك، فقال له: **ما صنعت بأم هانئ ؟**

فقال: **سلها يا رسول الله ما صنَعَت بي ! والذي بعثك بالحق لقد قبضَت على يدي وفيها السيف، فما استطعت أن أخلصها إلا بعد لأيٍ، وفاتني الرجلان** [4].

فقال صلى الله عليه وآله: **لو ولَد أبو طالب الناس كلهم لكانوا شجعاناً. قد أجَرنا من أجارت أم هانئ ، وأمّنا من أمّنت، فلا سبيل لك عليهما.**

فأما هبيرة فلم يرجع، وأما الرجل الآخر، فرجع فلم يعرض له [5].

---

١ أي فتح مكة المكرمة عام ٨ هـ

٢ أي لم تتحرك من مكانها

٣ أي هرب الرجلان ولم يستطع الإمام أن يقتلهما

٤ لأي = جهد . وفاتني الرجلان = هربا مني

٥ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة - ج ١٠ - ص ٧٧ - ٧٨ . لم يعرض له أي لم يتعرض له عليّ فلم يقتله.

الفصل الرابع

الإمام يتحدث عن شجاعته

الإمام يتحدث عن شجاعته

وأنا من رسول الله كالضوء من الضوء والذراع من العضد . والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها ، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها ، وسأجهد في أن أطهر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد ...

لم يعرف أمير المؤمنين عليه السلام للجُبن معنى في شخصيته منذ نعومة أظفاره، ولم يكن له أي موقف طوال حياته المباركة ما يمكن أن يخدش في بطولاته التي لا نظير لها، ولم يسجل عليه أحد تردداً في مواجهة تستوجب الانتصار لدين الله عز وجل بالقوة. ولم يكن ذلك منه استجابة لرغبة ذاتية أو انقياداً لهوى نفس، بل كان وجوده كله لله سبحانه، وجهاده بالسيف والكلمة والموقف مخلصاً لوجهه عز وجل.

ولاغرو، فقد قرأنا في الفصل السابق كيف عُرف بنوهاشم بالشجاعة، وخلّد لهم التاريخ مواقف يقلّ لها نظير، فعليٌّ من تلك السلالة العظيمة، وفرع تلك الدوحة الكريمة، وهو سيدها في زمانه بلا منازع.

ولعل من حق القارئ أن يسأل: إذا كان الفرد ـ كأمير المؤمنين عليه السلام ـ قد ورث سمة الشجاعة، فعلى أي أساس يُمتدح بها ؟ ولكي نعطي هذا السؤال حقه فقد وجهناه للأستاذ الدكتور السيد حسين محمد طاهر، أستاذ علم النفس بجامعة الكويت وكلية التربية الأساسية والجامعة العربية المفتوحة، واستشاري علم النفس والعلاج السلوكي، فتفضل بالتفصيل التالي مشكوراً:

تمهيد:

من المعلوم أن السمة هي الوحدة المناسبة لوصف الشخصية، وليست السمة صفة مميزة لسلوك الفرد فقط، بل إنها استعداد أو قوة أو دافع داخل الفرد يدفع سلوكه ويوجهه بطريقة معينة، فالشخص الذي يتسم بالشجاعة يكون دائماً على استعداد للتصرف بجرأة وإقدام في جميع الظروف والمواقف، وهو يبحث عن المواقف التي يتصرف بها بشجاعة.

والسمات إما عامة أو مشتركة أو فردية، فالعامة والمشتركة هي الاستعدادات أو السمات التي يشترك بها الناس عامة بدرجات متفاوتة، ويمكن على أساسها المقارنة بين معظم الأفراد الذين يعيشون في ثقافة معينة. فسمة السيطرة مثلاً سمة عامة يمكن أن مقارن على أساسها بين الأفراد والسمة العامة سمة متصلة وتتوزع بين الناس اعتدالياً.

أما السمة الفردية فهي الاستعدادات أو السمات الشخصية أو الخصائص السلوكية التي لا توجد لدى جميع الأفراد، وإنما تكون خاصة بفرد معين، فنقول: فلان شجاع، كريم... إلخ. وهناك سمة مركزية تسيطر على جميع أعمل الفرد وأفعاله، وغالباً ما يتصف بها الشخص في علاقاته مع الناس، كالكرم والشجاعة والطيبة والبخل والجبن... إلخ.

والسمة إما دينامية أو أسلوبية، فالدينامية توضح لماذا يسلك الفرد على هذا النحو، وتشير إلى العوامل الدافعة للنشاط، والأسلوبية توضح كيف يسلك الفرد، أي تشير إلى طريقته وأسلوبه في التعامل مع الغير. والشجاعة والمروءة من السمات أو الصفات التي يرثها الإنسان أو يكتسبها من البيئة التي يتربى فيها، وأصلها في القلب وثباته وسكونه وقوته، ولا يثبت إلا مع سلامة العقل والمزاج، وهو الاعتدال.

والقوة الغضبية هي منشأ الشجاعة، وهي مبدأ الغضب والإقدام على الأهوال والتسلط والترفع والجاه والعز، وتهذيبها يسمى شجاعة، فيقل: شجع الفرد شجاعة، أي قوي قلبُه واشتد عند البأس، فهو شجيع، وتشجّع أي تقوّى وأقدم.

لماذا نمتدح الشجاع:

بما أن سمة الشجاعة تعني الجرأة والإقدام وتقوية القلب عند البأس، وهي استعداد موروث عند الفرد، فلماذا يُمتدح بها ؟

إن المدح للشخص الذي يملك صفة الشجاعة، لا يكون على ما لديه من استعدادات وخصائص شخصية كامنة، إنما يكون على:

أ ـ دينامية السمة (الشجاعة)، أي العوامل الدافعة للنشاط

ب ـ أسلوبية السمة (المروءة ...)، أي العوامل التي تشير إلى طريقة النشاط

وهذه السمات الدينامية أو الأسلوبية تحتاج من الشخص إلى الضبط والتدريب والممارسة حتى يصبح استعداده للإقدام والجرأة ملكة. فلابد من التغلب على رهبة الموقف من خلال تكرار وضع النفس في المواقف الشدّية كي تألفها وتتعود عليها، وإن كانت لديها استعداد الإقدام.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **الشجاع من يملك نفسه عند الغضب.**

فكم من شخص لا يتمكن من ضبط انفعالاته عند مواجهة إعاقة حاجاته الأساسية النفسية والاجتماعية، فيقع أسيراً للغضب الذي هو مفتاح الزور ورأس الآثام وداعية الأزمات والأخطار.

وقد يرجع المدح لصفة الشجاعة إلى ما ياتي:

أ ـ شخصية الفرد

ب ـ سلوك الفرد

جـ ـ تحكّم الفرد بانفعالاته

والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان أشجع الأنبياء، ووصيه علي عليه السلام كان أشجع الأوصياء، والمدح في ذلك يرجع إلى قوة الإيمان والخُلق الكريم والتقوى والتوكل على الله والتأييد والتسديد، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصيه علي عليه السلام من أقرب

الناس إلى العدو يوم بدر، وهذا الإمام علي عليه السلام يسطّر لنا سلوكاً رائعاً وتحكماً بالانفعال عندما تصرف بحكمة لا نظير لها في مواجهة ضبط غضبه (سلوك دينامي) تجاه عمرو بن عبد ود العامري الذي بصق في وجهه الكريم عندما أراد أن يجهز عليه، فتركه الإمام ودار حوله ثم رجع وأجهز عليه، فسئل الإمام عن ذلك فقال: أردت أن أقتله لوجه الله تعالى لا لغضبي عليه [1].

والإنسان المؤمن يُمتدح على شجاعته لفعله الخير والعمل النافع، وتحركه تجاه الإيمان كله حركة أسلوبية، كأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصيام والحج وسائر العبادات ومساعدة الملهوف والتفريج عن المكروب والصبر على البلاء والشدائد (قمة الشجاعة).

فما أعظم صبر الحسين على بلائه (قمة الشجاعة) إذ قُتل مظلوماً وعطشاناً وغريباً وصبراً... ألا يستحق الإمام الحسين عليه السلام المدح على شجاعته ومواجهة ما قُدّر له، وأن يصبح مثالاً يُقتدى به عبر الأزمان ؟!

والإنسان المؤمن أصبح مسجوداً للملائكة بسلوكه الإيجابي الذي يكرّمه القرآن، والذي مدح الله عز وجل نفسه بسببه فقال ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [2]، وهو ذلك الإنسان الذي صُوّر بالصور التالية:

١. إنه خليفة الله تعالى على سائر المخلوقات، فالخليفة يمتدح على حسن خلقه وفعله ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [3]

٢. سجود الملائكة له ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ [4]

٣. الهداية الخاصة والإلهام ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [5]

---

١ وردت هذه العبارة بالمعنى لا باللفظ المروي، وسنذكر تفاصيل الخبر في أحداث غزوة الأحزاب (الخندق)

٢ المؤمنون / ١٤

٣ البقرة / ٣٠

٤ البقرة / ٣٤

٥ الشمس / ٨

٤. نعمة الاختيار ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [١]

٥. اشتماله على الصفات الإلهية كالعزة والعلو والكرامة ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٢] ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ [٣]

٦. تعليم آدم الأسماء كلها مباشرة ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [٤] ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [٥]

٧. تسخير جميع المخلوقات في السماوات والأرض لأجله ولخدمته ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [٦]

٨. الميزان وإدراك العدالة وتمييز الحق من الباطل ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴾ [٧]

٩. قتل الإنسان ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [٨]

إن هذه الصور تدل على أن مدح الإنسان يرجع إلى فعله وسلوكه وشخصيته المميزة عن سائر المخلوقات، والتي بها ميّز بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، وبين الشجاعة والجبن، وبين الحب والكراهية... وتبارك الله أحسن الخالقين.

انتهى البحث.

---

١ الكهف / ٢٩
٢ المنافقون / ٨
٣ آل عمران / ١٣٩
٤ البقرة / ٣١
٥ الرحمن / ١ - ٢
٦ الجاثية / ١٣
٧ الرحمن / ٧ - ٨
٨ المائدة / ٣٢

نماذج من كلمات الإمام:

تحدث الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حول شجاعته وبطولاته ومواقفه في الشدائد، وحفظ الرواة تلك النصوص، ودُوّنت مجموعة منها في الكتب، وتناقلها الناس عبر القرون. ولم يكن ذلك منه تفاخراً واستعلاءً على الناس، وهو الذي لم يعرف الكبر طريقاً إلى قلبه، وإنما اضطر عليه السلام للخوض فيها دفاعاً عن نفسه وبياناً للحقيقة ودرءً للشبهات وكشفاً للزيف ورداً على المعتدين وسعياً لإحقاق الحق الذي يدور معه أينما دار.

وفيما يلي نماذج من كلماته عليه السلام الزاخرة بالفتوة والعنفوان ورباطة الجأش وشدة البأس وسمو الروح:

* **ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم[1]، أني لم أردّ على الله ولا على رسوله ساعة قط[2]، ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال، وتتأخر الأقدام، نجدة أكرمني الله بها[3].**

ولقد قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنّ رأسه لعلى صدري، ولقد سالت نفسه في كفي، فأمررتها على وجهي. ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله وسلم والملائكة أعواني، فضجّت الدار والأفنية: ملأ يهبط، وملأ يعرج، وما فارقت سمعي هينمة منهم[4]، يصلون عليه، حتى وارياه في ضريحه، فمن ذا أحق به مني حياً وميتاً! فانفذوا على بصائركم، ولتصدق نياتكم في جهاد عدوكم، فوالذي لا إله إلا هو إني لعلى جادة الحق، وإنهم لعلى مزلة الباطل. أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم[5].

قال ابن أبي الحديد تعليقاً على قول الإمام ولقد واسيته بنفسي: (وهذا مما

---

١ لعله يعني به العلماء والفضلاء من الصحابة، لأنهم استحفظوا الكتاب، أي كلفوا حفظة وحراسته.

٢ هذا القول منه تعريض بالبعض الذين رفضوا أحياناً أوامر النبي لا سيما في المواضع الحساسة.

٣ النجدة = الشجاعة

٤ الهينمة = الصوت الخفي

٥ الرضي: نهج البلاغة ـ الخطبة ١٩٧ ـ ص ٣٦١ - ٣٦٢

اختص عليه السلام بفضيلته غير مدافع، ثبت معه يوم أحد وفرّ الناس، وثبت معه يوم حنين وفرّ الناس، وثبت تحت رايته يوم خيبر حتى فتحها، وفرّ من كان بعث بها من قبله.

وروى المحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما ارتثّ يوم أحد [1]، قال الناس: قُتل محمد، رأته كتيبة من المشركين وهو صريع بين القتلى، إلا أنه حي، فصمدت له.

فقال لعلي عليه السلام: اكفني هذه.

فحمل عليها عليه السلام وقتل رئيسها، ثم صمدت له كتيبة أخرى، فقال: يا علي اكفني هذه.

فحمل عليها فهزمها، وقتل رئيسها، ثم صمدت له كتيبة ثالثة، فكذلك، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك يقول: قال لي جبريل: يامحمد إن هذه للمواساة.

فقلت: وما يمنعه وهو مني وأنا منه ؟

فقال جبريل: وأنا منكما.

وروى المحدثون أيضاً أن المسلمين سمعوا ذلك اليوم صائحاً من جهة السماء ينادي: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لمن حضره: ألا تسمعون ؟! هذا صوت جبريل.

وأما يوم حنين فثبت معه في نفر يسير من بني هاشم، بعد أن ولّى المسلمون الأدبار، وحامى عنه، وقتل قوماً من هوازن بين يديه، حتى ثابت إليه الأنصار [2]، وانهزمت هوازن وغنمت أموالها. وأما يوم خيبر فقصته مشهورة) [3].

* قال الإمام عليه السلام في كتاب كتبه لواليه على البصرة الصحابي عثمان بن حنيف الأنصاري يصف في مقطع منه أسباب شجاعته وقوته الجسدية على الرغم من قلة

---

١ ارتث = حُمل من المعركة جريحاً وفيه رمق

٢ ثابت = رجعت

٣ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة - ج ١٠ - ص ١٨١ - ١٨٢

طعامه وشرابه، ويبدو أنه كتبه بعد حرب الجمل قبل صفين: ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفّى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة. ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى [1] ؟ أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داء أن تبيت ببطنة ... وحولك أكباد تحنّ إلى القد [2]

أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش [3]. فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همُّها علفها، أو المرسلة شغلها تقممها [4]، تكترش من أعلافها وتلهو عما يراد بها. أو أترك سدى أو أهمل عابثاً، أو أجر حبل الضلالة، أو أعتسف طريق المتاهة [5].

وكأني بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوتُ ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان. ألا وإن الشجرة البرية أصلب عوداً والرواتع الخضرة أرق جلوداً والنابتات العذية أقوى وقوداً وأبطأ خموداً [6].

وأنا من رسول الله كالضوء من الضوء والذراع من العضد. والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها، وسأجهد في أن أطهّر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس [7] حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد [8].

---

١ غرثى = جائعة . وحرى = مؤنث حران أي عطشان

٢ القد = سير من الجلد غير مدبوغ

٣ جشوبة العيش = خشونته

٤ التقمم = التقاط القمامة

٥ الاعتساف = ركوب الطريق على غير قصد

٦ النباتات العذية = الزرع لا يسقيه إلا مله المطر وهو يكون أقل أخذاً من الماء من النبت سقيا .

٧ المعكوس = هنا بمعنى الذي يخالف ويعاكس الحق . والمركوس = المقلوب . ويقصد معاوية .

٨ الرضي : نهج البلاغة ـ الكتاب ٤٥ ـ ص ٤١٧ – ٤١٨ . وقوله : حتى تخرج المدرة ...إلخ أي حتى يتطهر الدين وأهله منه ، فشبه معاوية بالمدر ونحوه، وشبه الدين بالحب الذي هو ثمرة الزرع .

وقد علق ابن أبي الحديد قائلاً: (فما الفائدة في قوله: **ولو أمكنت الفرصة من رقابها لسارعت إليها** ؟ وهل هذا مما يفخر به الرؤساء ويعدونه منقبة؟ وإنما المنقبة أن لو أمكنته الفرصة تجاوز وعفا !

قلت: غرضه أن يقرر في نفوس أصحابه وغيرهم من العرب أنه يحارب على حق وأن حربه لأهل الشام كالجهاد أيام رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن من يجاهد الكفار يجب عليه أن يغلظ عليهم ويستأصل شأفتهم. ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما جاهد بني قريظة وظفر لم يبق ولم يعف وحصد في يوم واحد رقاب ألف انسان صبراً في مقام واحد، لما علم في ذلك من إعزاز الدين وإذلال المشركين. فالعفو له مقام والانتقام له مقام.

* ونُقل عنه عليه السلام أنه أنشد أبياتاً في بيان شجاعته:

أنا الصقر الذي حدثت عنه ... عِتاق الطير تنجذل انجذالا [1]

وقاسيت الحروب أنا ابن سبُع ... فلما شبت أفنيت الرجالا

فلم تدع السيوف لنا عدواً ... ولم يدع السخاء لدي مالا

ومنه في مثله:

صيد الملوك أرانب وثعالب ... وإذا ركبت فصيدي الأبطال

صيدي الفوارس في اللقاء وإنني ... عند الوغا لغضنفر قتّال [2]

* روى الشريف الرضي خطبة طويلة ذات مفاهيم وأخبار كثيرة، وذكر أن من الناس من يسمي هذه الخطبة بالقاصعة [3]. وأولها: **الحمد لله الذي لبس العز والكبرياء، واختارهما لنفسه دون خلقه، وجعلهما حمى وحرماً على غيره، واصطفاهما لجلاله، وجعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده.**

---

١ عتاق الطير = الجوارح منها . والانجذال = السقوط من طعنة أو ضربة

٢ المجلسي : بحار الأنوار - ج ٣٤ - ص ٤٣٣ - ٤٣٤

٣ وفي نسخة من النهج سماها بالقاصعة مباشرة

ثم اختبر بذلك ملائكته المقربين؛ ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين، فقال سبحانه وهو العالم بمضمرات القلوب ومحجوبات الغيوب ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ اعترضته الحمية فافتخر على آدم بخلقه، وتعصب عليه لأصله، فعدوّ الله إمام المتعصبين، وسلف المستكبرين؛ الذي وضع أساس العصبية، ونازع الله رداء الجبرية، وادرع لباس التعزز، وخلع قناع التذلل[1].

وقد أعطى ابن أبي الحديد علة تفسيرات لمناسبة هذا الاسم الذي ارتبط بهذه الخطبة، والتي ألقاها الإمام بعد فراغه من معركة النهروان، فقال: (يجوز أن تسمى هذه الخطبة القاصعة من قولهم قصعت الناقة بجِرتها[2]، وهو أن تردها إلى جوفها، أو تخرجها من جوفها فتملأ فاها، فلما كانت الزواجر والمواعظ في هذه الخطبة مرددة من أولها إلى آخرها، شبهها بالناقة التي تقصع الجرة.

ويجوز أن تسمى القاصعة لأنها كالقاتلة لإبليس وأتباعه من أهل العصبية، من قولهم قصعت القملة، إذا هشمتها وقتلتها. ويجوز أن تسمى القاصعة لأن المستمع لها المعتبر بها يذهب كبره ونخوته فيكون من قولهم قصع الماء عطشه، أي أذهبه وسكنه، قال ذو الرمّة بيتاً في هذا المعنى:

فانصاعت الحقب لم تقصع صرائرها ... وقد تشح فلا ري ولا هيم)[3].

* **ومما جاء في الخطبة القاصعة أيضاً: أنا وضعت بكلاكل العرب**[4]**، وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر**[5]**. وقد علمتم موضعي من رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم**، بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره، وأنا وليد يضمني إلى صدره، ويكنفني في**

---

١ الرضي: نهج البلاغة ـ الخطبة ١٩٢ ـ ص ٢٨٥ - ٣٠٢

٢ الجرة = ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه

٣ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ج ١٣ ـ ص ١٢٨ . انصاعت = ذهبت هاربة . والحقب = الحمر الوحشية

٤ الكلاكل = الصدور ، الواحد كلكل ، والمعنى : إني أذللتهم وصرعتهم إلى الأرض .

٥ نواجم ، جمع نجم = ما ظهر من قرون ربيعة ومضر ، وعلا قدره ، وطار صيته

فراشه، ويمسُّني جسدَه، ويُشِمُّني عَرفَه [1]، وكان يمضغ الشئ ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل [2].

ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله وسلم من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره. ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه عَلَماً، ويأمرني بالاقتداء به.

ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه، ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة.

ولقد سمعت رنَّة [3] الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله وسلم ، فقلت: يا رسول الله، ما هذه الرنَّة ؟ فقال: هذا الشيطان، قد أيِس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي، ولكنك لوزير، وإنك لعلى خير).

قال ابن أبي الحديد معلقاً على هذا المقطع من الخطبة: (ذِكْر ما كان من صلة علي برسول الله في صغره، والقرابة القريبة بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دون غيره من الأعمام، كونه رباه في حجره، ثم حامى عنه ونصره عند إظهار الدعوة دون غيره من بني هاشم، ثم ما كان بينهما من المصاهرة التي أفضت إلى النسل الأطهر دون غيره من الأصهار.

ونحن نذكر ما ذكره أرباب السير من معاني هذا الفصل:

روى الطبري في تاريخه، قال حدثنا ابن حميد، قال حدثنا سلمة، قال حدثني محمد ابن إسحاق، قال حدثني عبد الله بن نجيح، عن مجاهد، قال كان من نعمة الله عز وجل على علي ابن أبي طالب عليه السلام، وما صنع الله له، وأراده به من الخير، أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للعباس - وكان

---

١ العرف = الريح الطيبة

٢ الخطلة في الفعل = الخطأ فيه ، وإيقاعه على غير وجهه

٣ الرنة = الصوت والصرخة

من أيسر بني هاشم ـ : **يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد ترى ما أصاب الناس من هذه الأزمة، فانطلِق بنا، فلنخفّف عنه من عياله، آخذ من بيته واحداً، وتأخذ واحداً، فنكفيهما عنه.**

فقال العباس: نعم.

فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه.

فقال لهما: إن تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما.

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً فضمَّه إليه، وأخذ العباس جعفراً رضي الله عنه، فضمه إليه، فلم يزل علي بن أبي طالب عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بعثه الله نبياً، فاتبعه علي عليه السلام فآمَنَ به وصدَّقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه.

قال الطبري: وحدثنا ابن حميد، قال حدثنا سلمة، قال حدثنا محمد بن إسحاق، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي ابن أبي طالب عليه السلام مستخفياً من عمه أبى طالب، ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا.

ثم إن أباطالب عثر عليهما وهما يصليان، فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا بن أخي، ما هذا الذي أراك تدين به؟

قال: يا عم هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم ــ أو كما قال ـ بعثني الله به رسولاً إلى العباد، وأنت يا عم أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه، وأعانني عليه ـ أو كما قال ـ .

فقال أبو طالب: يا بن أخي، إنى لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي، وما كانوا عليه[1]، ولكن والله لا يخلص إليك شئ تكرهه ما بقيت.

قال الطبري: وقد روى هؤلاء المذكورون أن أبا طالب قال لعلي عليه السلام: **يا بني، ما**

---

[1] أقول: وهل كان دين أبي طالب وآبائه سوى التوحيد ؟!

هذا الذي أنت عليه؟

فقال: يا أبتِ، إنى آمنت بالله وبرسوله، وصدّقته بما جاء به، وصليت لله معه.

قال: فزعموا أنه قال له: أما إنه لا يدعو إلا إلى خير، فالزمه.

وروى الطبري في تاريخه أيضاً قال: حدثنا أحمد بن الحسين الترمذي، قال حدثنا عبد الله بن موسى، قال أخبرنا العلاء، عن المنهال بن عمر، وعن عبد الله بن عبد الله، قال: سمعت علياً عليه السلام، يقول: **أنا عبد الله، وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، لايقولها بعدي إلا كاذب مفتر، صليت قبل الناس بسبع سنين.**

وفى غير رواية الطبري: **أنا الصديق الأكبر وأنا الفاروق الأول، أسلمت قبل إسلام أبى بكر، وصليت قبل صلاته بسبع سنين.**

وروى الفضل بن عباس رضي الله عنه قال: سألت أبي عن ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **الذكور، أيهم كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له أشد حباً ؟**

فقال: **علي بن أبي طالب عليه السلام.**

فقلت له: **سألتك عن بنيه !**

فقال: **إنه كان أحب إليه من بنيه جميعاً وأرأف، ما رأيناه زايله يوماً من الدهر منذ كان طفلاً [1]، إلا أن يكون في سفر لخديجة، وما رأينا أباً أبرّ بابن منه لعلي، ولا ابناً أطوع لأب من علي له.**

وروى الحسين بن زيد بن علي بن الحسين، قال: سمعت زيداً أبي عليه السلام يقول: كان رسول الله يمضغ اللحمة والتمرة حتى تلين، ويجعلهما في فم علي عليه السلام وهو صغير في حِجره.... [2].

وأما حديث أن الإسلام لم يجتمع عليه بيتٌ واحدٌ يومئذ إلا النبي وهو - عليه السلام -

---

١ زايل = فارق

٢ تم حذف مقطع من كلام ابن أبي الحديد للاختصار ولورود بعض الأخبار التي نشك في صدورها عن النبي وآله بما يتنافى مع العصمة . ومن أراد التفاصيل فليراجع المصدر .

وخديجة، فخبر عفيف الكندي مشهور، وقد ذكرناه من قبل، حيث أن أبا طالب قال له: **أتدري من هذا ؟**

قال: **لا.**

قال: **هذا ابن أخي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وهذا ابني علي بن أبي طالب، وهذه المرأة خلفهما خديجة بنت خويلد؛ زوجة محمد ابن أخي، وأيم الله ما أعلم على الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.**

وأما رنة الشيطان، فروى أبو عبد الله أحمد بن حنبل في مسنده، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: **كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صبيحة الليلة التي أسرى به فيها، وهو بالحِجر يصلي، فلما قضى صلاته، وقضيت صلاتي، سمعت رنة شديدة، فقلت: يا رسول الله، ما هذه الرنة ؟**

قال: ألا تعلم ؟ هذه رنة الشيطان، علم أني أسري بي الليلة إلى السماء، فأيس من أن يُعبد في هذه الأرض.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يشابه هذا، لما بايعه الأنصار السبعون ليلة العقبة سمع من العقبة صوت عال في جوف الليل: يا أهل مكة، هذا مُذمِّم، والصباة معه[1]، قد أجمعوا على حربكم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للأنصار: **ألا تسمعون ما يقول ؟ هذا أزب العقبة.** يعني شيطانها ـ وقد روي: **أزبب العقبة** ـ[2].

ثم التفت إليه فقال: **استمع يا عدو الله ، أما والله لأفرغن لك.**

وروي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، قال: **كان علي عليه السلام يرى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل الرسالة الضوء ويسمع الصوت، وقال له صلى الله عليه وآله وسلم: لولا أني خاتم**

---

١ مذمم = أي النبي محمد صلى الله عليه وآله ، لأنه كان يذم أفعلهم. والصباة = أي المسلمون

٢ أزب = لئيم . و أزبب = ألأم

الأنبياء لكنتَ شريكاً في النبوة، فإن لا تكن نبياً فإنك وصي نبي ووارثه، بل أنت سيد الأوصياء وإمام الأتقياء.

وأما خبر الوزارة، فقد ذكره الطبري في تاريخه عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: لما أنزلت هذه الآية: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[1] على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعاني، فقال: يا علي، إن الله أمرني أن أنذر عشيرتك الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً، وعلمت أني متى أنادهم بهذا الأمر أرَ منهم ما أكره، فصمت[2] حتى جاءني جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد، إنك إن لم تفعل ما أمِرت به يعذبك ربك. فاصنع لنا صاعاً من طعام[3]، واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عِسّاً من لبن، ثم اجمع بني عبد المطلب حتى أكلمهم، وأبلغهم ما أمرت به.

ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم وهم يومئذ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصونه، وفيهم أعمامه أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعا بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به، فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بضعة من اللحم فشقّها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصحفة، ثم قال: كلوا باسم الله.

فأكلوا حتى ما لهم إلى شئ من حاجة، وأيم الله الذي نفسُ عليٍ بيده، إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمته لجميعهم.

ثم قال: اسقِ القوم يا علي.

فجئتهم بذلك العِس فشربوا منه، حتى رووا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله. فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يكلمهم، بدَرَه أبو لهب إلى الكلام، فقال: لشدّ ما سحركم صاحبكم.

---

١ الشعراء / ٢١٤

٢ صمت = لم أنفذ الأمر بالإنذار

٣ هذا كلام النبي لعلي.

فتفرق القوم، ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقال من الغد: يا علي، إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول، فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فعد لنا اليوم إلى مثل ما صنعت بالأمس، ثم اجمعهم لي.

ففعلت ثم جمعتهم، ثم دعاني بالطعام، فقرّبته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتى ماهم بشئ حاجة، ثم قال: اسقهم.

فجئتهم بذلك العِس، فشربوا منه جميعاً، حتى رووا، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا بنى عبد المطلب، إنى والله ما أعلم أن شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إنى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر، على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم ؟

فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت: أنا - وإني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً [1]، وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً [2] - أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه.

فأعاد القول، فأمسكوا وأعدت ما قلت، فأخذ برقبتي، ثم قال لهم: هذا أخي ووصيي و خليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا.

فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.

ويدل على أنه وزير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نص الكتاب والسنّة قول الله تعالى ﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾ [3].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الخبر المجمع على روايته بين سائر فرق الإسلام: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

---

١ الرمص في العين = كالغمص ، وهو قذى تلفظ به ، كناية عن صغر سنه

٢ حمش الساقين = رفيعهما

٣ طه/ ٢٩ - ٣٢

فأثبت له جميع مراتب هارون عن موسى، فإذن هو وزير رسول الله صلى الله عليه وآله، وشادّ أزره، ولولا أنه خاتم النبيين لكان شريكاً في أمره) [1].

* ومن أقواله عليه السلام: **أنا قاتل الأقران، ومجدّل الشجعان [2]. أنا الذي فقأت عين الشرك، وثللت عرشه [3]، غير ممتن على الله بجهادي، ولا مدل إليه بطاعتي [4]، ولكن أحدّث بنعمة ربي [5].**

* وقال عليه السلام: **إني والله لو لقيتهم واحداً وهم طلاع الأرض كلها ما باليت، ولا استوحشت [6].**

* وقال: **إني لم أفر من الزحف قط، ولم يبارزني أحد إلا سقيت الأرض من دمه [7].**

* وعن محمد ابن الحنفية ـ في وقعة الجمل ـ: ودعا علي عليه السلام بدرعه البتراء، ولم يلبسها بعد النبي صلى الله عليه وآله إلا يومئذ، فكان بين كتفيه منها وهن، فجاء أمير المؤمنين عليه السلام وفي يده شسع نعل.

فقال له ابن عباس: ما تريد بهذا الشسع يا أمير المؤمنين ؟

فقال: أربط بها ما قد تهي من هذا الدرع من خلفي [8].

فقال ابن عباس: أفي مثل هذا اليوم تلبس مثل هذا ؟!

فقال عليه السلام: ولم ؟

قال: أخاف عليك.

فقال: لا تخف أن أؤتى من ورائي، والله يا بن عباس ما وليت في زحف قط [9].

---

١ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ج ١٣ ـ ص ١٩٨ ـ ٢١١

٢ جدله = صرعه وقتله

٣ ثللت عرشه = ضعضعته

٤ مدل = متجرئ بسبب مقام قرب منه أراه في نفسي

٥ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ـ ج ٢٠ ـ الحكمة ٣٨٤ ـ ص ٢٩٦

٦ الرضي: نهج البلاغة ـ الكتاب ٦٢. طلاع الأرض = ملؤها

٧ الصدوق: الخصال ـ ص ٥٨٠

٨ تهي = بلي

٩ المحمودي: نهج السعادة ـ ج ١ ـ ص ٣١٢

* قيل له: ألا تركب الخيل وطلابك كثير ؟

فقال: الخيل للطلب والهرب، ولست أطلب مدبراً، ولا أنصرف عن مُـقبل [1].

* وقيل له: لم لا تشتري فرساً عتيقاً [2] ؟

قال: لا حاجة لي فيه؛ فأنا لا أفر ممن كرّ علي، ولا أكرّ على مَن فرَّ مني [3].

* وقيل له في بعض حروبه: إن جالت الخيل فأين نطلبك ؟

قال: حيث تركتموني [4].

* وروي أنه كانت درع علي عليه السلام صدراً لا ظهر لها، فقيل له في ذلك.

فقل: إذا استمكن عدوي من ظهري فلا يبقى، وروي أنه أجاب بـ: إن ولّـيت فلا وألت [5].

* وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: حدثتني امرأة منا قالت: رأيت الأشعث ابن قيس دخل على علي عليه السلام، فأغلظ له عليٌّ، فعرض له الأشعث بأن يفتك به.

فقال له علي عليه السلام: أبالموت تهددني ؟! فوالله ما أبالي وقعت على الموت أو وقع الموت عليَّ [6].

---

١ ابن شهراشوب: مناقب آل أبي طالب ـ ج ٣ ـ ص ٢٨٤

٢ فرساً عتيقاً = اصيلاً

٣ الصدوق: الأمالي ـ ص ٢٣٤

٤ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ـ ج ٢٠ ـ ص ٢٨٤

٥ ابن قتيبة: عيون الأخبار ـ ج ١ ـ ص ١٣١ ابن شهراشوب: مناقب آل أبي طالب ـ ج ٣ ـ ص ٢٩٨، فلا وألت = فلا نجوت

٦ الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ـ ص ٢١

الإمام يبين أسباب انتصاراته:

بيّن أمير المؤمنين عليه السلام أسباب انتصاراته وبطولاته في كلمات متعددة، يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

١ ـ عقيدته في الموت والقضاء والقدر:

كان أمير المؤمنين عليه السلام شديد اليقين، مؤمناً بقضاء الله عز وجل وقدره، مطمئناً إلى إرادته، مسلماً أمره إليه، الأمر الذي حقّق له الطمأنينة التامة في المواقف الشديدة، فلم يفزع ولم يجبن ولم يهرب، بل كان بطلاً مقداماً شجاعاً.

والشواهد التاريخية على ذلك كثيرة، من بينها:

* مارواه نصر بن مزاحم المنقري أن علياً عليه السلام خرج يوماً من أيام صفين، وفي يده عنزة [١]، فمرّ على سعيد بن قيس الهمداني، فقال له سعيد: **أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يغتالك أحد وأنت قرب عدوك؟**

فقال علي عليه السلام: **إنه ليس من أحد إلا وعليه من الله حفظةٌ يحفظونه من أن يتردّى في قليب، أو يخرّ عليه حائط، أو تصيبه آفة. فإذا جاء القدر خلّوا بينه وبينه** [٢].

* ومن كلام له عليه السلام قاله لأصحابه في ساعة الحرب: **وأي امرئ منكم أحس من نفسه رباطة جأش عند اللقاء، ورأى من أحد من إخوانه فشلاً، فليذبّ عن أخيه بفضل نجدته التي فضل بها عليه** [٣]، **كما يذب عن نفسه، فلو شاء الله لجعله مثله.**

إن الموت طالبٌ حثيث لا يفوته المقيم، ولا يُعجزه الهارب. إن أكرم الموت القتل، والذي نفس ابن أبي طالب بيده، لألف ضربةٍ بالسيف أهون عليّ من ميتة على الفراش في غير طاعة الله [٤].

---

١ عنزة = رُمح صغير

٢ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ـ ج ٥ ـ ص ١٩٩. والحفظة هم الملائكة

٣ الفشل = الجبن. يذب = يدافع. النجدة = الشجاعة

٤ الرضي: نهج البلاغة ـ الخطبة ١٢٣ ـ ص ١٧٩ - ١٨٠

ولابن أبي الحديد تعليق على الكلمات السابقة لأمير المؤمنين عليه السلام إذ قال: (واعلم أنه عليه السلام أقسم أن القتل أهون من الموت حتف الأنف، وذلك على مقتضى ما منحه الله تعالى من الشجاعة الخارقة لعادة البشر، وهو عليه السلام يحاول أن يحض أصحابه، ويحرّضهم ليجعل طباعهم مناسبة لطباعه، وإقدامهم على الحرب مماثلاً لإقدامه، على عادة الأمراء في تحريض جندهم وعسكرهم. وهيهات ! إنما هو كما قال أبو الطيب:

يكلف سيف الدولة الجيش همه ... وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم [1]

ويطلب عند الناس ما عند نفسه ... وذلك ما لا تدعيه الضراغم

ليست النفوس كلها من جوهر واحد، ولا الطباع والأمزجة كلها من نوع واحد، وهذه خاصية توجد لمن يصطفيه الله تعالى من عباده، في الأوقات المتطاولة، والدهور المتباعدة، وما اتصل بنا نحن من بعد الطوفان، فإن التواريخ من قبل الطوفان مجهولة، عندنا إن أحداً أعطي من الشجاعة والإقدام ما أعطيه هذا الرجل من جميع فرق العالم على اختلافها، من التّرك والفرس والعرب والروم وغيرهم. والمعلوم من حاله أنه كان يؤثر الحرب على السلم، والموت على الحياة، والموت الذي كان يطلبه ويؤثره، إنما هو القتل بالسيف، لا الموت على الفراش، كما قال الشاعر:

لو لم يمت بين أطراف الرماح إذا ... لمات إذ لم يمت من شدة الحزن

وكما قال الآخر:

يستعذبون مناياهم كأنهم ... لا ييأسون من الدنيا إذا قُتلوا

فإن قلت: فما قولك فيما أقسم عليه: هل ألف ضربة بالسيف أهون ألماً على المقتول من موتة واحدة على الفراش بالحقيقة، أم هذا قولٌ قالَه على سبيل المبالغة والتجوز، ترغيباً لأصحابه في الجهاد ؟

---

[1] الخضارم، جمع خضرم = العظيم الكبير

قلت: الحالف يحلف على أحد أمرين: أحدهما أن يحلف على ظنه واعتقاده، نحو أن يحلف أن زيداً في الدار، أنا حالف ومقسم على أني أظن أن زيداً في الدار، أو أني أعتقد كون زيد في الدار. والثاني أن يحلف لا على ظنه، بل يحلف على نفس الأمر في الخارج.

فإن حَملنا قَسَم أمير المؤمنين عليه السلام على المحمل الأول، فقد اندفع السؤال، لأنه عليه السلام قد كان يعتقد ذلك، فحلَف أنه يعتقد وأنه يظن ذلك، وهذا لا كلام فيه.

وإن حملناه على الثاني فالأمر في الحقيقة يختلف، لأن المقتول بسيف صارم معجّل للزهوق لا يجد من الألم وقت الضربة ما يجده الميت دون النزع من المد والكف. نعم، قد يجد المقتول قبل الضربة ألم التوقع لها، وليس كلامنا في ذلك، بل في ألم الضربة نفسها، وألف سيفٍ صارمٍ مثل سيفٍ واحدٍ، إذا فرضنا سرعة الزهوق.

وأما في غير هذه الصورة، نحو أن يكون السيف كالاً، وتتكرر الضربات به، والحياة باقية بعد، وقايسنا بينه وبين ميت يموت حتف أنفه موتاً سريعاً، إما بوقوف القوة الغاذية كما يموت الشيوخ، أو بإسهال ذريع تسقط معه القوة، ويبقى العقل والذهن، إلى وقت الموت، فإن الموت هاهنا أهون وأقل ألماً.

فالواجب أن يُحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام إما على جهة التحريض، فيكون قد بالغ كعادة العرب، والخطباء في المبالغات المجازية، وإما أن يكون أقسم على أنه يعتقد ذلك، وهو صادق فيما أقسم، لأنه هكذا كان يعتقد بناء على ما هو مركوز في طبعه من محبة القتال، وكراهية الموت على الفراش.

وقد روي أنه قيل لأبي مسلم الخراساني: إن في بعض الكتب المنزّلة: من قَتل بالسيف فبالسيف يُقتل.

فقال: القتلُ أحبّ إليّ من اختلاف الأطباء، والنظر في الماء، ومقاساة الدواء والداء.

فذُكر ذلك للمنصور بعد قتل أبي مسلم فقال: قد أبلغناه محبته !)[1].

---

١ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة - ج ٧ - ص ٣٠١ - ٣٠٣

* وفي كتاب **العقد الفريد**: كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يخرج كل يوم بصفين حتى يقف بين الصفين ويقول:

أيُّ يـــومي مـــن المـــوت أفـــر ... يـــوم لا يُقـــدّر أو يـــوم قُـــدر
يـــوم لا يقـــدر لا أرهبـــه ... ومـــن المقـــدور لا ينجـــي الحـــذر [1]

* وروى الشريف الرضي كلمة للإمام علي عليه السلام قالها حين حذّره البعض من الاغتيال، فقال: **وإن عليَّ من الله جُنّة حصينة [2]، فإذا جاء يومي انفرجت عني وأسلمتني، فحينئذ لا يطيش السهم، ولا يبرأ الكَلِم [3].**

٢ ـ هيبته :

من يتق الله عز وجل فلا يكون أمام ناظريه إلا رضاه، وفي قلبه إلا محبته، وفي عمله إلا طاعته، فإن مثل هذا الإنسان يتجلل ببهاء الإيمان، وتعلوه سيماء الصالحين، وتملأ هيبته قلوب الناس، وهكذا كان علي عليه السلام.

وكانت لعلي عليه السلام في القلوب هيبة عظيمة، ليست كهيبة الناس من الحكام، بل كانت هيبة إيمانية تنبع من حقيقة شأن علي عند الله عز وجل ومقامه الرفيع.

وقد حفظ لنا التاريخ مشاهد تؤكد هذه الحقيقة التي لا يعتريها ريب، من بينها:

* عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **من أراد أن ينظر إلى آدم عليه السلام في علمه، وإلى نوح عليه السلام في تقواه، وإلى إبراهيم عليه السلام في حِلمه، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب [4].**

* قال معاوية لقيس بن سعد: **رحم الله أبا حسن، فلقد كان هشّاً بشّاً ذا فكاهة.**

---

١ ابن عبدربه : العقد الفريد ـ ج ١ ـ ص ١٠٠

٢ الجنة = الدرع وما يجن به ، أي يستتر من ترس وغيره

٣ الرضي : نهج البلاغة ـ الخطبة ٦٢ ـ ص ٩٤ ، لا يبرأ = لا يشفى . الكلم = الجرح

٤ كاشف الغطاء : كشف الغطاء ـ ج ١ ـ ص ١٣

قال قيس: **نعم، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يمزح ويبتسم إلى أصحابه، وأراك تسر حسواً في ارتغاء [1]، وتعيبه بذلك! أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبدتين قد مسه الطوي [2]. تلك هيبة التقوى، وليس كما يهابك طغام أهل الشام [3].**

* وقيل في هيبته:

ذاك الفتى النجد الذي إذا بدا ... بمعرك ألقت له فتيانه

ليث لو الليث الجري خاله ... أطار من هيبته جنانه

ذاك الشجاع إذ بدا بمعرك ... تفرقت من خوفه شجعانه [4]

* ولما قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: **بأي شئ غلبت الأقران؟**

قال: **ما لقيت أحداً إلا أعانني على نفسه.**

قال الشريف الرضي: (يومئ بذلك إلى تمكّن هيبته في القلوب).

وقال ابن أبي الحديد معلقاً: (قالت الحكماء: الوهم مؤثر، وهذا حق، لأن المريض إذا تقرر في وهمه أن مرضه قاتل له ربما هلك بالوهم، وكذلك من تلسبه الحية [5]، ويقع في خياله أنها قاتلته، فإنه لا يكاد يسلم منها. وقد ضربوا لذلك مثالاً، الماشي على جذع معترض على مهواة [6]، فإن وهمه وتخيّله السقوط يقتضي سقوطه، وإلا فمشيه عليه وهو منصوب على المهواة كمشيه عليه وهو ملقى على الأرض، لا فرق بينهما إلا الوهم والخوف والإشفاق والحذر.

فكذلك الذين بارزوا علياً عليه السلام من الأقران، لما كان قد طار صيته [7]، واجتمعت

---

١ مثل يقال لمن يظهر أمراً وهو يريد غيره.

٢ أي أهيب من أسد جائع

٣ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ـ ج ١ ص ٢٦. الطغام = الأراذل

٤ ابن شهراشوب: مناقب آل أبي طالب ـ ج ١ ـ ص ٣٦٢

٥ تلسبه = تلذغه

٦ مهواة = شق بين جبلين

٧ طار صيته = انتشر خبر شجاعته

الكلمة إنه ما بارزه أحد إلا كان المقتول، غلب الوهم عليهم، فقصرت أنفسهم عن مقاومته، وانخذلت أيديهم وجوارحهم عن مناهضته، وكان هو في الغاية القصوى من الشجاعة والإقدام، فيقتحم عليهم ويقتلهم)[1].

٣ ـ المدد الإلهي:

قال الله ﷻ ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾[2]، فالله لا يتخلى عن عبده المتقي، بل يفتح له آفاق الرحمة، ويزرع في قلبه الأمل، ويفيض عليه من القوة والصبر وأسباب التحمل والاستقامة ما يمكّنه من تجاوز المحنة أو قهر العدو أو تحقيق أهدافه. وقد يتأخر المدد الإلهي لحكمة سماوية تتمثل في اختبار الإنسان أو الأمة، أو لهدف تربوي، ولكن تبقى الحقيقة القائمة هي أن الله لا ينسى عبده ولا يخذله. قال الله ﷻ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[3].

وقال ﷻ ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[4].

ولقد برز أمير المؤمنين عليه السلام في المواقف المختلفة لنصرة الإسلام ونبيه، فما وهن وما استكان، ولذا كان المدد الإلهي حليفه في المواقف الحاسمة، وناصره في المواجهات الصعبة، كما عبّر في إحداها حيث قال: **والله ما قلعت باب خيبر، ودكدكت حصن يهود بقوة جسمانية، بل بقوة إلهية**[5].

---

١ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ـ ج ١٩ ـ ص ٢٢٦ - ٢٢٧

٢ الطلاق/٢

٣ يوسف/١١٠

٤ التوبة/٤٠

٥ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ـ ج ٢٠ ـ ص ٣١٦. دكدك الحصن = هده

٤ ـ صفته الجسمانية :

لاشك أن للصفات الجسمانية أيضاً دوراً في تحقيق انتصاراته، ونذكر هنا نصاً أورده الإربلي في كتابه **كشف الغمة** يذكر فيه صفات الإمام الجسدية، قال: (ومما ورد في صفته عليه السلام ما أورده صديقنا المعز المحدِّث، وذلك حين طلب منه السعيد بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل رحمه الله أن يُخرج أحاديث صحاحاً وشيئاً مما ورد في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وصفاته، وكُتبت على الأنوار الشمع الإثني عشر التي حُملت إلى مشهده صلى الله عليه وآله [١] ـ وأنا رأيتها ـ .

قال: كان رُبعة من الرجال، أدعج العينين [٢]، حسن الوجه كأنه القمر ليلة البدر حسناً ، ضخم البطن ، عريض المنكبين ، شثن الكفين أغيد [٣]، كأن عنقه إبريق فضة، أصلع، كث اللحية، لمنكبيه مُشاش كمشاش السبع الضاري [٤]، لا يبين عضده من ساعده، وقد أدمجت إدماجاً. إن أمسك بذراع رجل أمسك بنفَسِه فلم يستطع أن يتنفس، شديد الساعد واليد، إذا مشى إلى الحرب هرول، ثبت الجنان، قوي شجاع منصور على من لاقاه) [٥].

وفي نص آخر: (أقرى الظهر [٦]، عريض الصدر، كثير شعرُه، ضخم الكسور، عظيم الكراديس [٧]، غليظ العضلات، حمش الساقين [٨]، ضخم عضلة الذراع، دقيقٌ مستدقُّها، ضخم عضلة الساق، دقيق مستدقها) [٩].

---

١ هكذا ورد في النص ، وهو جائز لأن الله تعالى يقول في حق المؤمنين (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور) الأحزاب/٤٣

٢ الدعج = شدة سواد العين مع سعتها

٣ شثنت كفه = خشنت وغلظت ، وقيل أن يكون في أنامله غِلظ بلا قصر ، ويحمد ذلك في الرجال لأنه أشد لقبضهم ، ويُذم في النساء أغيد = مائل العنق

٤ المشاش = جمع مشاشة ، رؤوس العظام ، والمراد أن رؤوس عظام المنكبين منه كرؤوس عظام منكبي الأسد في الغلظ

٥ الإربلي : كشف الغمة في معرفة الأئمة ـ ج ١ ـ ص ٧٥ - ٧٦

٦ أقرى = شديد

٧ الكسور = الأعضاء . الكراديس = جمع كردوس ، وهو كل عظمين التقيا في مفصل

٨ حمش = دقيق

٩ الأمين : أعيان الشيعة ـ ج ١ ـ ص ٣٣٧

الفصل الخامس

قالوا في شجاعته

قالوا في شجاعته

كان كل شئ في شخصيته عليه السلام في خدمة الله، وهكذا كان سيفه وبطولته وشجاعته، لا في خدمة الذات وإنما في خدمة الله. كان الإمام علي عليه السلام يشعر أنه لا يملك شجاعته، ولا يملك بطولته، ولا يملك سيفه، بل كان يشعر أنها ملك لله.
لم تكن الشجاعة والبطولة عنده حالة ذاتية، ولم يكن السلاح ملكا شخصيا له، فهو يعتبر ذلك ملكا لله، لهذا كان لا يحرك سلاحه إلا في المواقع التي يريد الله منه أن يحرك سلاحه فيها، كان ينتظر أمر الله وينتظر المعركة التي يشعر أن الله يرضى بها، ولايسمح لنفسه أن يدخل أية معركة يمكن أن لا تكون في رضا الله، أو يمكن أن تسئ إلى الإسلام....

تكلم المؤرخون والمحققون والباحثون والأدباء والمستشرقون في شجاعة علي عليه السلام كما تكلموا في الجوانب الأخرى من شخصيته، وكما تكلم قبلهم النبي وآله عليهم السلام في ذلك.

وقد امتلأت الكتب بأخبار بطولاته، وبكلمات الإعجاب والإطراء لجهاده وقتاله في سبيل الله، مع التحليل والدراسة لهذه الجوانب العظيمة من شخصيته.

وسنورد في هذا الفصل نماذج مما قيل في شجاعته، ونرتبها وفق تاريخ وفاة صاحب تلك الكلمات [1].

---

١ راعينا تقديم النبي ومن ثم الإمام المجتبى، وقد تعذر علينا معرفة تاريخ وفاة بعضهم فتم ذكرهم في الترتيب تخميناً.

النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

* .... فعلي أشجع الناس قلباً [1].

* علي أشجع العرب [2].

* يا علي، أنت فارس العرب، وقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين، وأنت أخي، ومولى كل مؤمن، وسيف الله الذي لا يخطئ [3].

* إنه صاحب لوائي عند كل شديدة وكريهة [4].

* علي مثل موسى في مناجاته وشجاعته.

* علي مثل موسى في شوكته وشجاعته.

* علي أسد الله في أرضه.

علي أسد الله الغالب.

* علي سيف الله في أرضه [5].

❋❋❋❋❋❋❋❋

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام:

* ما قُدِّمت رايةٌ قوتل تحتها أمير المؤمنين عليه السلام إلا نكسها الله تبارك وتعالى، وغُلب أصحابها، وانقلبوا صاغرين. وما ضرب أمير المؤمنين عليه السلام بسيفه ذي الفقار أحداً فنجا، وكان إذا قاتل قاتل جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، وملك الموت بين يديه [6].

---

١ الخوارزمي: المناقب ـ ص ٢٩١

٢ المرعشي: شرح إحقاق الحق ـ ج ٨ ـ ص ٣١٧

٣ الأميني: الغدير ـ ج ٣ ـ ص ١٩٤

٤ ابن أبي شيبة: المصنف ـ ج ٧ ـ ص ٤٩٩

٥ الأحاديث الخمسة السابقة نقلاً عن كتاب شرح إحقاق الحق للسيد شهاب الدين المرعشي النجفي ـ ج ٨ ـ ص ٣١٧

٦ الصدوق: الأمالي ـ ص ٦٠٤

عمرو بن معديكرب:

عمرو بن معديكرب بن ربيعة بن عبدالله الزبيدي (ت ٢١ هـ) فارس اليمن وصاحب الغارات المعروفة في الجاهلية. وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عام ٩ هـ في عشرة من بني زبيد فأسلم وأسلموا.

عُرف عمرو بن معدى كرب بأنه شجاع العرب، الذي تضرب به الأمثال، وقد كتب إليه الخليفة عمر بن الخطاب في أمرٍ أنكره عليه، وغدرٍ تخوّفه منه، فقال له: **أما والله لئن أقمت على ما أنت عليه، لأبعثن إليك رجلاً تستصغر معه نفسك، يضع سيفه على هامتك فيخرجه من بين فخذيك!**

فقال عمرو لما وقف على الكتاب: **هددني بعليٍّ والله**[1].

❋❋❋❋❋❋❋❋

عبيدالله بن عمر:

أبوعثمان عبيدالله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي (ت ٣٧ هـ) صحابي. رحل إلى الشام في أيام حكم أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وشهد حرب صفين إلى جانب معاوية، وقُتل فيها.

روى نصر بن مزاحم في كتاب **وقعة صفين** قال: (لما قدم عبيد الله بن عمر بن الخطاب على معاوية بالشام، أرسل معاوية إلى عمرو بن العاص: **إن الله قد أحيا لك عمر بن الخطاب بالشام بقدوم عبيد الله بن عمر، وقد رأيت أن أقيمه خطيباً يشهد على عليٍّ بقتل عثمان، وينال منه.**

فقال: **الرأي ما رأيت.**

فبعث إليه، فأتاه، فقال له معاوية: **يا بن أخي، إن لك اسم أبيك فانظر بملء**

---

١ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ـ ج ١٠ ـ ص ٢٦٠

عينيك، وانطق بملء فيك، فأنت المأمون المصدَّق، فاصعد المنبر واشتم علياً، واشهد عليه أنه قتل عثمان.

فقال: **أيها الأمير، أما شتمه، فإن أباه أبو طالب، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، فما عسى أن أقول في حسبه ؟! وأما بأسه فهو الشجاع المطرق، وأما أيامه فما قد عرفت، ولكني ملزمه دم عثمان.**

فقال عمرو بن العاص: **قد ـ وأبيك ـ إذن نكأت القُرحة** [1].

فلما خرج عبيد الله بن عمر، قال معاوية: **أما والله لولا قتله الهرمزان، ومخافته علياً على نفسه، ما أتانا أبداً، ألا ترى إلى تقريظه علياً ؟!**

فقال عمرو: **يا معاوية، إن لم تغلب فاخلب** [2].

قال: وخرج حديثهما إلى عبيد الله، فلما قام خطيباً تكلم بحاجته، فلما انتهى إلى أمر عليٍّ أمسك ولم يقل شيئاً، فلما نزل بعث إليه معاوية: **يا بن أخي إنك بين عيٍّ** [3] **وخيانة !**

فبعث إليه: **إني كرهت أن أقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان، وعرفت أن الناس محتملوها عني فتركتها.**

قال: فهجره معاوية واستخف به وفسّقه، فقال عبيد الله:

معاوي لم أخرص بخطبة خاطب ... ولم أك عياً في لؤي بن غالب [4]

ولكنني زاولت نفسا أبية ... على قذف شيخ بالعراقين غائب

وقذفي علياً بابن عفان جهرة ... يجدع بالشحنا أنوف الأقارب [5]

ولكنه قد قرّب القوم جهده ... ودبوا حواليه دبيب العقارب

---

١ نكأ القرحة = قشرها قبل أن تبرأ فخرجت فنديت ، وهو كناية عن تهييج الأمر

٢ اخلب = اجرح بالمخالب

٣ عي = عجز

٤ أخرص = أكذب

٥ يجدع الأنف = يقطعه . والشحنا = العداوة والبغضاء

فمـا قـال : أحسـنتم ولا قـد أسـأتم ... وأطـرق إطـراق الشـجاع المواثـب
فأمـا ابـن عفـان فأشـهد أنـه ... أصـيب بريئـاً لابسـاً ثـوب تائـب
حـرام علـى آهالـه نتـف شـعره ... فكيـف وقـد جـازوه ضـربة لازب [1]
وقـد كـان فيهـا للـزبير عجاجـة ... وطلحـة فيهـا جاهـد غـير لاعـب
وقـد أظهـرا مـن بعـد ذلـك توبـة ... فياليت شعري مـا همـا في العواقـب

قال : فلما بلغ معاوية شعره بعث إليه فأرضاه، وقال: حسبي هذا منك) [2].

❋❋❋❋❋❋❋❋

عمرو بن العاص:

أبوعبدالله عمرو بـن العـاص بـن وائـل السـهمي القرشـي (٥٠ ق هـ ـ ٤٣ هـ) صحابي ومن دهاة العرب، أرسلته قريش ـ قبل أن يسلم ـ إلى الحبشـة ليقنـع النجاشـي بأن يسلّم إليه المسلمين المهاجرين. أسلم في هدنـة الحديبيـة، وكـان مـن أمـراء السـرايا والجيوش على عهد النبي الأكرم وفي بعض الفتوحـات الإسـلامية الـتي أعقبـت وفاتـه صلى الله عليه وآله وسلم. عزله الخليفة عثمان عن ولاية مصر، ثم انضم إلى معاوية ضد علـي عليه السلام في حرب صفين على أن يعيد إليه ولاية مصر، ففعل، وجعل له خراجها ستة أعوام.

قال عمـرو بن العاص ليلـة الهريـر [3]: **لله در ابن أبي طالب ما كان أكثـره عند الحروب، ما آنسـت أن أسمـع صـوته في أول النـاس إلا وسمعتـه في آخـرهم، ولا في الميمنة إلا وسمعته في الميسرة** [4].

---

١ الأهال جمع أهل
٢ ابن مزاحم : وقعة صفين ـ ص ٨٢ - ٨٥
٣ من أشد أيام حرب صفين، وسنفصل فيها القول عند الحديث حول المعركة في فصل لاحق بإذن الله.
٤ العاملي : الصراط المستقيم ـ ج ٢ ـ ص ٤

وروى الخوارزمي في **المناقب** أنه في يوم السادس والعشرين من أيام حرب صفين اجتمع عند معاوية الملأ من قومه، فذكروا شجاعة علي وشجاعة الأشتر. (فقال عتبة ابن أبي سفيان [1]: **إن كان الأشتر شجاعاً لكن علياً لا نظير له في شجاعته وصولته وقوته.**

قال معاوية: **ما منا أحد إلا وقد قتل عليٌّ أباه أو أخاه أو ولده، قتل يوم بدر أباك ياوليد، وقتل عمك يا أبا الأعور يوم أحُد، وقتل يا بن طلحة الطلحات أباك يوم الجمل، فإذا اجتمعتم عليه أدركتم ثأركم منه وشفيتم صدوركم.**

فضحك الوليد بن عقبة بن أبي معيط [2] من قوله وأنشأ يقول:

يقول لكم معاوية بن حرب ... أما فيكم لواتركم طلوب
يشدّ على أبي حسن علي ... بأسمر لا تهجنه الكعوب
فيهتك مجمع اللبات منه ... ونقع القوم مطرد يثوب
فقلت له أتلعب يا بن هند ... كأنك وسطنا رجل غريب
أتأمرنا بجيئة بطن واد ... إذا نهشت فليس لها طبيب
وبشر مثلها لاقى جهاداً ... فأخطأ نفسه الأجل القريب
سوى عمرو وقتله .... نجا ولقلبه منه وجيب [3]
وما ضبع تدب ببطن واد ... أتيح لقتلها أسد مهيب
بأضعف حيلة منا إذا ما ... لقيناه وذا منا عجيب
كأن القوم لما عاينوه ... خلال النقع ليس لهم قلوب
وقد نادى معاوية بن حرب ... فاسمعه ولكن لا يجيب

وقال الوليد: **إن لم تصدقوني فاسألوا الشيخ عمرو بن العاص ليخبركم عن**

---

[1] أخو معاوية، توفي سنة ٤٤ هـ، وكان أمير مصر من قبل أخيه، شهد حرب الجمل ضد الإمام علي وفقئت فيها عينه، واعتبر من خطبة بني أمية.

[2] أخو الخليفة عثمان لأمه، توفي عام ٦١ هـ، ونزلت فيه آيتان من القرآن تفسقه، ولي الكوفة على عهد أخيه، وشهد الناس عليه بشرب الخمر، فعزله.

[3] حذفنا الكلمة تعففاً لقبحها

شجاعته وصولته.

وكان هذا توبيخاً منه لعمرو، حين خرج عمرو بن العاص للحرب وقال لابنيه عبد الله ومحمد:

شدّا على شكّتي لا تنكشف ... أبعد عمرو والزبير نأتلف [1]

أم بعد عثمان نبالي من تلف ... يوم لهمدان ويوم للصدِف [2]

وفي تميم نخوة لا تنحرف ... نضربها بالسيف حتى تنصرف

فحمل عليه أمير المؤمنين علي عليه السلام وعمرو لا يشعر به، فطعنه وصرعه وبدت عورته، فصرف علي عليه السلام وجهه فانسلّ عنه عمرو.

قيل لعلي في ذلك فقال: إنه ـ ابن العاص ـ **تلقّاني بعورته فصرفت وجهي عنه.**

..... وعذله معاوية وقال: **ما هذه الفضيحة التي فضحت بها نفسك ؟**

فقال عمرو لمعاوية: **يا أبا عبد الرحمان من يتعرض لبلاء نفسه ؟ لا طاقة لي بعلي ولا لك ولا للوليد ولا لأحد من جموعنا، وإن لم تصدّقني فجرّب، وقد دعاك مراراً إلى البراز ولا تبرز إليه.**

وقال عمرو في ذلك:

يذكرني الوليد شجى علي ... وصدر المرء يملأه الوعيد

متى تذكر مشاهده قريش ... يطر من خوفه القلب الشديد

فأما في اللقاء فأين منه ... معاوية بن حرب والوليد

وعيّرني الوليد لقاء ليث ... إذا ما زأر هابته الأسود

لقيت ولست أجهله علياً ... وقد بلت من العرَق اللبود [3]

فاطعنه ويطعنني خلاساً ... وماذا بعد طعنته مزيد

---

١ الشكة = السلاح

٢ الصدف = لقلب عمرو بن مالك بن أشرس

٣ اللبود = التي تفرش

فرمهـا منـه يـا بـن أبـي معـيط ... فأنـت الفـارس البطـل النجيـد
وأقسـم لـو سمعـت نـدا علـيٍ ... لطـار القلـب وانـتفخ الوريـد
ولولاقيـه شـقت جيـوب ... عليـك ولطمـت فيـك الخـدود

وقال معاوية: **يا عمرو، ولو عرفت علياً ما أقحمت عليه.**

و قال معاوية في ذلك:

ألا لله مـن هفـوات عمـرو ... يعـاتبني علـى تركـي بـرازي
لقـد لاقـى أبـا حسـن عليـاً ... فـآب الـوائلي مـآب خـازي
ولـو لم تبـد عورتـه لأوى ... بـه ليـث يـذلل كـل نـازي
لـه كـف كـأن براحتيهـا ... منايـا القـوم تخطـف خطـف بـازي
فـإن تكـن المنيـة أحرزتـه ... فقـد عنـى بهـا أهـل الحجـاز

فغضب عمرو وقال: **هل هو إلا رجل لقيه ابن عمه فصرعه، أترى السماء قاطرة لذلك دماً ؟)** [1].

❋❋❋❋❋❋❋❋

جابر بن عمير الأنصاري:

قيل أن له صحبة ورواية عن النبي صلى الله عليه وآله، وكان من أصحاب علي عليه السلام، وقاتل معه في صفين. وقد روى نصر بن مزاحم في كتابه **وقعة صفين** عن عمرو بن شمر عن جابر بن عمير الأنصاري قال: (والله لكأني أسمع علياً يوم الهرير حين سار أهل الشام وذلك بعد ما طحنت رحى مذحج فيما بيننا وبين عكّ ولخم وجذام والأشعريين بأمر عظيم تشيب منه النواصي، من حين استقبلت الشمس حتى قام

[1] الخوارزمي: المناقب ـ ص ٢٤٥ - ٢٤٧

قائم الظهيرة.

ثم إن علياً قال: **حتى متى نخلي بين هذين الحيين ؟ قد فنيا وأنتم وقوف تنظرون إليهم ! أما تخافون مقت الله ؟**

ثم انفتل إلى القبلة ورفع يديه إلى الله ثم نادى: **يا الله يا رحمن يا واحد يا صمد ياالله يا إله محمد، اللهم إليك نقلت الأقدام وأفضت القلوب ورفعت الأيدي وامتدت الأعناق وشخصت الأبصار وطلبت الحوائج، إنا نشكو إليك غيبة نبينا** صلى الله عليه وآله وسلم، **وكثرة عدونا وتشتت أهوائنا. ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين. سيروا على بركة الله.**

ثم نادى: **لا إله إلا الله والله أكبر كلمة التقوى.**

قال الراوي: لا والله الذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالحق نبياً ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السماوات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب، إنه قتل فيما ذكر العادّون زيادة على خمسمائة [1] من أعلام العرب، يخرج بسيفه منحنياً فيقول: **معذرة إلى الله واليكم من هذا، لقد هممت أن أفلقه [2]، ولكن حجزني عنه أني سمعت رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **يقول كثيراً: لا سيف إلا ذوالفقار، ولا فتى إلا علي.**

وأنا أقاتل به دونه.

قال: فكنا نأخذه فنقوّمه ثم يتناوله من أيدينا فيقتحم به في عرض الصف، فلا والله ما ليث بأشد نكاية منه في عدوه) [3].

❋❋❋❋❋❋❋❋

---

١ وقيل أكثر وقيل ثلاثمائة

٢ في بعض المصادر (أصقله) أي أزيل ما به من حفر بسبب الضرب، ولعله هو الصحيح فلا معنى لأفلقه هنا

٣ ابن مزاحم : وقعة صفين ـ ص ٤٧٨ - ٤٧٩

خفاف بن عبدالله الطائي:

ورد ذكره في بعض الأحداث المرتبطة بأيام حكم أمير المؤمنين عليه السلام، وكان من قبيلة عدي بن حاتم الطائي، ووُصف بأن له لسان وهيئة وشِعر لا يوازى به رجل.

وقد روى ابن مزاحم: (قام عدي بن حاتم إلى علي عليه السلام فقال: **يا أمير المؤمنين، إن عندي رجلاً من قومي لا يُجارى به، وهو يريد أن يزور ابن عم له، حابس بن سعد الطائي ـ بالشام ـ فلو أمرناه أن يلقى معاوية لعله أن يكسره ويكسر أهل الشام.**

فقال له علي: **نعم، فمُرْه بذلك.**

وكان اسم الرجل خفاف بن عبد الله. فقدم على ابن عمه حابس بن سعد بالشام، وكان حابس سيد طيئ، فحدث خفاف حابساً أنه شهد عثمان بالمدينة، وسار مع علي إلى الكوفة. وكان لخفاف لسان وهيئة وشِعر.

فغدا حابس وخفاف إلى معاوية فقال حابس: **هذا ابن عمي قدم الكوفة مع علي، وشهد عثمان بالمدينة، وهو ثقة.**

فقال له معاوية: **هات يا أخا طيئ، حدّثنا عن عثمان.**

قال: **حصره المكشوح [1]، وحكم فيه حكيم، ووليه محمد وعمار، وتجرد في أمره ثلاثة نفر: عدي بن حاتم، والأشتر النخعي، وعمرو بن الحمق، وجدّ في أمره رجلان، طلحة والزبير، وأبرأ الناس منه علي.**

قال: ثم مه ؟

قال: **ثم تهافت الناس على علي بالبيعة تهافت الفراش، حتى ضلت النعل وسقط الرداء، ووطئ الشيخ، ولم يذكر عثمان ولم يُذكر له، ثم تهيأ للمسير وخف معه المهاجرون والأنصار، وكره القتال معه ثلاثة نفر: سعد بن مالك، وعبد الله بن عمر،**

---

[1] المكشوح = المبغوض

ومحمد بن مسلمة. فلم يستكره أحداً، واستغنى بمن خف معه عمن ثقل. ثم سار حتى أتى جبل طيئ، فأتاه منا جماعة كان ضارباً بهم الناس، حتى إذا كان في بعض الطريق أتاه مسير طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، فسرّح رجالاً إلى الكوفة فأجابوا دعوته، فسار إلى البصرة فهي في كفه [1]، ثم قدم إلى الكوفة، فحمل إليه الصبي، ودبت إليه العجوز [2]، وخرجت إليه العروس فرحاً به، وشوقاً إليه، فتركتُه وليس همّه إلا الشام.

فذعر معاوية من قوله.

وقال حابس: أيها الأمير لقد أسمعني شعراً غيّر به حالي في عثمان، وعظم به علياً عندي.

قال معاوية: أسمعنيه يا خفاف.

فأسمعه قوله شعراً:

قلت والليل ساقط الأكناف ... ولجنبي عن الفراش تجاف

أرقب النجم مائلاً ومتى ... الغُمض بعين طويلة التذراف [3]

ليت شعري وإنني لسؤول ... هل لي اليوم بالمدينة شاف

من صحاب النبي إذ عظم الخطـ ... ـب وفيهم من البرية كاف

أحلال دم الإمام بذنب ... أم حرام بسنة الوقاف [4]

قال لي القوم لا سبيل إلى ما ... تطلب اليوم قلت حسب خفاف

عند قوم ليسوا بأوعية ... العلم ولا أهل صحة وعفاف

قلت لما سمعت قولاً دعوني ... إن قلبي من القلوب الضعاف

قد مضى ما مضى ومرّ به ... الدهر كما مر ذاهب الأسلاف

إنني والذي يحج له الناس ... على لحق البطون العجاف [5]

---

١ أي تحت سيطرته

٢ الدبيب = المشي على هينة

٣ مائلاً ، أي إلى الغيب . والغمض = النوم . والتذراف = البكاء

٤ الوقاف = المتاني الذي لا يعجل أو المتوقف عن القتال

٥ أي الضامر من الإبل

تتبارى مثل القسي من النبع ... بشعث مثل الرصاف نحاف [1]

أرهب اليوم ، إن أتاك عليٌّ ... صبحة مثل صيحة الأحقاف [2]

إنه الليث عادياً وشجاع ... مطرق نافث بسم زعاف

فارس الخيل كل يوم نزال ... ونزال الفتى من الإنصاف

واضع السيف فوق عاتقه الأيمن ... يذري به شئون القحاف [3]

لا يرى القتل في الخلاف عليه ... ألف ألف كانوا من الإسراف

سوّم الخيل ثم قال لقوم ... تابعوه إلى الطعان خفاف

استعدوا لحرب طاغية الشام ، فلبّوه كالبنين اللطاف

ثم قالوا أنت الجناح لك الريش ... القدامى ونحن منه الخوافي

أنت والٍ وأنت والدنا البر ، ونحن الغداة كالأضياف

وقرى الضيف في الديار قليل ... قد تركنا العراق للإتحاف [4]

وهم ما هم إذا نشب البأس ... ذووا الفضل والأمور الكوافي

وانظر اليوم قبل نادية القوم ... بسِلم أردت أم بخلاف [5]

إن هذا رأي الشفيق على الشام ... ولولاه ما خشيت مشاف

فانكسر معاوية وقال: **يا حابس، إني لا أظن هذا إلا عيناً لعلي، أخرجه عنك لايفسد أهل الشام)** [6].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

---

١ شبه الإبل بالقسي في تقوسها . والشعث ، عنى بهم الحجاج الذين قد شعثت رؤوسهم أي تلبد شعرها واغبر . والرصاف : العقبة التي تلوى فوق رعظ السهم (مدخل سنخ النصل) إذا انكسر .

٢ الصبحة = المرة من الصبح . والصيحة = العذاب والهلكة . وقوم الأحقاف هم عاد قوم هود .

٣ يذري = يطيح . والشؤرذ = جانب من الرأس . والقحاف ، جمع قحف = العظم الذي فوق الدماغ من الجمجمة

٤ الإتحاف = أن يتحفه بتحفة ، وهي ما تتحف به الرجل من البر واللطف

٥ نادية القوم = دعوتهم

٦ ابن مزاحم : وقعة صفين ـ ص ٦٤ - ٦٨

عبدالله بن عباس:

الصحابي الجليل حبر الأمة عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب (٣ هـ - ٦٨ هـ). ولد بمكة وصحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحفظ وروى عنه أحاديث كثيرة. صحب أمير المؤمنين عليه السلام وشارك معه في حربي الجمل وصفين. توفي في الطائف وبها دفن.

ومما رواه في شجاعة الإمام عليه السلام، وقد سأله رجل: أكان علي يباشر القتال بنفسه يوم صفين ؟

قال: والله ما رأيت رجلاً أطرح لنفسه في متلف من علي، ولقد رأيته يخرج حاسر الرأس، بيده السيف إلى الرجل الدارع فيقتله [١].

وعنه أنه قال: عقم النسله أن يأتين بمثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والله ما رأيت ولا سمعت رئيساً يوزن به. لرأيته يوم صفين وعلى رأسه عمامة قد أرخى طرفيها وكأن عينيه سِراجَا سليط [٢]، وهو يقف على شرذمة شرذمة يخصهم حتى انتهى إلي وأنا في كثف من الناس [٣].

فقال: معاشر المسلمين استشعروا الخشية وعنوا الأصوات [٤] وتجلببوا السكينة، وأعلموا الأسنة [٥]، واقلقوا السيوف قبل السِّلَّة [٦]، واطعنوا الرخر [٧]، ونافحوا بالظُّبا [٨]، وسلّوا السيوف بالخُطا، والنبال بالرماح، فإنكم بعين الله، ومع ابن عم نبيه صلى الله عليه وآله وسلم. عاوِدوا الكر واستحيوا من الفرّ، فإنه عار باق في الأعقاب والأعناق ونار يوم الحساب، وطيّبوا عن أنفسكم أنفساً، وامشوا إلى الموت سجحاً، وعليكم

---

١ أحمد بن عبدالله الطبري : ذخائر العقبى - ص ٩٩

٢ سراج سليط = سراج زيت

٣ كثف من الناس = حشد منهم

٤ عنوا الأصوات = احبسوها وأخفوها

٥ لعله يقصد إعلام رؤوس الرماح بجعلها بارزة مكشوفة لترهب العدو

٦ أي حركوها قبل إخراجها من أغمادها

٧ لعله تصحيف الزخر ، أي الشح

٨ نافحوا = ضاربوا وكافحوا . الظبا = طرف السيف

بهذا السواد الأعظم والرواق المطنب فاضربوا ثبجه [1]، فإن الشيطان راكبٌ صعبه، ومفترشٌ ذراعيه، قد قدّم للوثبة يداً وأخّر للنكوص رِجلاً [2]، فصمداً صمداً حتى يتجلى لكم عمود الدين وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم [3].

وفي نص آخر أن معاوية بن أبي سفيان سأل عبد الله بن العباس عن أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال ابن عباس: هيهات، عقم النساء أن يأتين بمثله، والله مارأيت رئيساً مجرباً يوزن به.

ولقد رأيته في بعض أيام صفين، وعلى رأسه عمامة بيضاء تبرق وقد أرخى طرفيها على صدره وظهره، وكأنما عيناه سراجَا سليط، وهو يقف على كتيبة كتيبة حتى انتهى إلي وأنا في كنف من القوم [4]، وهو يقول: معاشر المسلمين استشعروا الخشية، وتجلببوا بالسكينة، وعضوا على النواجذ [5]، فإنه أنبى للسيوف عن الهام [6]، وأكملوا اللامة [7]، وقلقلوا السيوف في أغمادها قبل سلِّها، والحضوا لخزر [8]، واطعنوا لشزر [9]، ونافحوا بالظبا، وصلوا السيوف بالخُطى.

واعلموا أنكم بعين الله، ومع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فعاودوا الكرَّة، واستحيوا من الفرّ، فإنه عار من الأعقاب، ونار يوم الحساب، وطيّبوا عن أنفسكم نفساً، وامشوا إلى الموت مشياً سجحاً [10]. وعليكم بهذا السواد الأعظم، والرواق المطنب، فاضربوا ثبجه، فإن الشيطان كامن في كسره، قد قدّم للوثبة يداً، وأخّر

---

١ الثبج = الوسط
٢ النكوص = الهرب
٣ ابن عساكر : تاريخ دمشق - ج ٣ - ص ١٤٥
٤ كنف من القوم = وسطهم
٥ النواجذ = جمع ناجذ وهو أقصى الأضراس
٦ الهام = جمع هامة وهي الرأس
٧ اللامة = الدرع
٨ الخزر = النظر بعين واحدة ، وهو علامة الغضب
٩ الشزر = الجوانب يميناً وشمالاً
١٠ السجح = السهل

للنكوص رِجلاً، فصمداً صمداً حتى ينجلي لكم عمود الحق، وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم. وأنشأ يقول:

إذا المشكلات تصدين لي ... كشفت غوامضها بالنظر
وإن برقت في مخيل الظنون ... عمياء لا تجتليها الفكر
مقنعة بغيوب الأمور ... وضعت عليها حسام العبر
معي أصمع كظبى المرهفات ... أفري به عن بنات الستر
لسان كشقشقة الأرحبي ... أو كالحسام اليماني الذكر
ولكنني مدره الأصغرين ... أقيس بما قد مضى ما غبر [1]
ولست بإمّعة في الرجال ... أسائل هذا وذا ما الخبر

ثم غاب عني عليه السلام، ثم رأيته قد أقبل وسيفه ينطف دماً وهو يقرأ: ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ [2].

وإذ روي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **النظر إلى وجهك يا علي عبادة. أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة، من أحبك أحبني، وحبيبي حبيب الله، وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله، الويل لمن أبغضك.**

فإن ابن عباس كان يفسر ذلك بقوله: إنَّ من ينظر إليه يقول: **سبحان الله! ما أعلمَ هذا الفتى! سبحان الله ما أشجع هذا الفتى! سبحان الله، ما أفصح هذا الفتى!** [3].

❋❋❋❋❋❋❋❋

---

١ الأصغران = القلب واللسان

٢ الرضي: خصائص الأئمة ـ ٧٥ ـ ٧٦. الآية من سورة التوبة/١٢

٣ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ـ ج ٩ ـ ص ١٧١

بشر بن المعتمر المعتزلي:

أبو سهر بشر بن المعتمر الهلالي البغدادي (ت ٢١٠ هـ) من فقهاء ومتكلمي المعتزلة، وقيل أن جميع معتزلة بغداد كانوا من مستجيبيه. له عدة مصنفات في مذهب المعتزلة، ونظم قصيدة من أربعين ألف بيت يردّ فيها الإشكالات الواردة على مذهبه.

قال ابن أبي الحديد: (كان بشر بن المعتمر من قدماء شيوخنا رحمه الله تعالى يقول بتفضيل علي عليه السلام، ويقول: كان أشجعهم وأسخاهم. ومنه سرى القول بالتفضيل إلى أصحابنا البغداديين قاطبة، وفي كثير من البصريين...) [١].

❋❋❋❋❋❋❋❋

العلامة الإسكافي:

هو العلامة أبوجعفر محمد بن عبد الله الإسكافي (ت ٢٤٠ هـ)، يعد أحد أئمة المعتزلة، أصله من سمرقند وسكن بغداد، عُرف بشدة ذكائه، وقد عمّر طويلاً، وكان المعتصم العباسي يعظمه جداً.

قال في المعيار والموازنة: (وكان أبو الحسن لهذه الأمور جامعاً، وكان بالسيف ضروباً، وبالرمح طعّاناً، وبالفراسة والشجاعة موصوفاً، وبالشدة معروفاً، وللحذر مستعملاً.

ويدلّك على ذلك ما وصفه به وحشي حيث إنه قال: لما وقفت نفسي بعير قريباً من أحُد أردت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإذا هو لا تناله الأيدي. ثم أقبل علي بيده سيفٌ يفري، وخُيِّل إليَّ أن في كل جارحة من جوارحه عيناً تنظر إلي، فلما نظرت إلى مَن هذه حالُه قلت: تراكها تراكها، لستُ من هذا ولا هذا مني) [٢].

---

١ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ـ ج ٣ ـ ص ٢٨٨ - ٢٨٩

٢ الإسكافي: المعيار والموازنة ـ ص ٩١. تراكها = دعها واصرف النظر عنها

الشريف الرضي:

أبوالحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي الملقب بالشريف الرضي (٣٥٩ هـ - ٤٠٦ هـ)، كان عالماً أديباً، وشاعراً مجيداً حتى قيل أنه أشعر الطالبيين على كثرة المجيدين فيهم، وانتهت إليه نقابة الأشراف على عهد والده.

له عدة مؤلفات من بينها **المجازات النبوية** و **حقائق التأويل في متشابه التنزيل**، ولكن أشهر أعماله السفر الخالد **نهج البلاغة** الذي جمع فيه نبذاً من خطب أمير المؤمنين عليه السلام، وبلغت شروحه العشرات.

قال الشريف الرضي: (ومن عجائبه عليه السلام التي انفرد بها، وأمن المشاركة فيها أن كلامه الوارد في الزهد والمواعظ، والتذكير والزواجر، إذا تأمله المتأمل، وفكّر فيه المتفكر، وخلع من قلبه أنه كلام مثله، ممن عظم قدره، ونفذ أمره وأحاط بالرقاب ملكه، لم يعترضه الشك في أنه كلام من لا حظَّ له في غير الزهادة، ولا شغل له بغير العبادة، قد قبع في كسر بيت [١]، أو انقطع إلى سفح الجبل [٢]، لا يسمع إلا حسه، ولايرى إلا نفسه، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في الحرب، مصلتاً سيفه [٣]، فيقطّ الرقاب [٤]، ويجدّل الأبطال [٥]، ويعود به ينطف دماً ويقطر مهجاً [٦].

وهو مع تلك الحال، زاهد الزهاد، وبدل الأبدال [٧]. وهذه من فضائله العجيبة، وخصائصه اللطيفة، التي جمع بها بين الأضداد، وألّف بين الأشتات، وكثيراً ما أذاكر الإخوان بها، وأستخرج عجبهم منها، وهي موضع للعبرة بها، والفكرة فيها) [٨].

---

١ قبع - انزوى واعتزل

٢ سفح الجبل - أسفله وجوانبه

٣ أصلت سيفه - جرّده وأخرجه من غمده

٤ يقط الرقاب - يقطعها عرضاً . فإن كان يقطعها طولاً قيل : يقدّ

٥ يجدل الأبطال - يلقيهم على وجه الأرض

٦ ينطف - يقطر ويسيل . المهج جمع مهجة - دم القلب و الروح

٧ الأبدال جمع بدل أو بديل - تعبير ورد في بعض الأخبار يراد به قوم صالحون لا تخلو الأرض منهم ، إذا مات منهم واحد بدل الله مكانه آخر

٨ الشريف الرضي : نهج البلاغة - المقدمة - ص ٣٥ - ٣٦ ألف بين الأشتات - جمع بين المتفرقات

الشيخ المفيد:

هو الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبري نسبة إلى قرية عكبرا القريبة من بغداد، ويلقب بالمفيد (٣٣٦ هـ ـ ٤١٣ هـ). انتهت إليه رئاسة مذهب الإمامية في زمانه وكان كثير التأليف والبحث والتدريس. له ٢٠٠ مؤلف في الكلام والفقه والأصول، وتتلمذ على يديه الكثير من الفقهاء والمحققين، وما زالت آراؤه مورد بحث ودراسة.

جاء في كتاب **الإرشاد** في حق الإمام علي عليه السلام: (ومن آيات الله تعالى فيه عليه السلام أنه لا يذكر ممارس للحروب التي لقي فيها عدواً إلا وهو ظافر به حيناً وغير ظافر به حيناً، ولا نال أحد منهم خصمه بجراح إلا وقضى منها وقتاً وعوفي منها زماناً.

ولم يعهد من لم يفلت منه قرن في الحرب، ولا نجا من ضربته أحد فصلح منها إلا أمير المؤمنين عليه السلام، فإنه لا مرية في ظفره بكل قرن بارزه، وإهلاكه كل بطل نازله، وهذا أيضاً مما انفرد به عليه السلام من كافة الأنام ، وخرق الله عزوجل به العادة في كل حين وزمان، وهو من دلائله الواضحة عليه السلام.

ومن آيات الله تعالى فيه أيضاً أنه مع طول ملاقاته للحروب، وملابسته إياها، وكثرة من مني به فيها من شجعان الأعداء وصناديدهم، وتجمعهم عليه، واحتيالهم في الفتك به وبذل الجهد في ذلك، ما ولّى قط عن أحد منهم ظهره، ولا انهزم عن أحد منهم، ولا تزحزح عن مكانه، ولا هاب أحداً من أقرانه، ولم يلقَ أحد سواه خصماً في حرب إلا وثبت له حيناً وانحرف عنه حيناً، وأقدم عليه وقتاً وأحجم عنه زماناً) [1].

ونقل السيد المرتضى في كتاب **الفصول** عن شيخه المفيد قوله: (ومما يشهد بشجاعة أمير المؤمنين عليه السلام وعظم بلائه في الجهاد ونكايته في الأعداء، من النظم الذي يشهد بصحة النثر في النقل، قول أسيد بن أبي أياس بن زنيم بن محمد بن عبد العزى يحرض مشركي قريش على أمير المؤمنين عليه السلام:

---

١ الشيخ المفيد: الإرشاد ـ ج ١ ـ ص ٣٠٨

في كـــل مجمـــع غايـــة أخـــزاكم ... جـذع أبـر علـى المـذاكى القـرح
لله دركـــــم ألمـــــا تنكـــــروا ... قـد ينكـر الحـر الكـريم ويسـتحي
هـــذا ابـــن فاطمـــة الـــذي أفنـــاكم ... ذبحـــاً ويمســـي ســـالماً لم يُـــذبح
أعطـــوه خرجـــاً واتقـــوا بضـــريبة ... فعـــل الـــذليل وبيعـــة لم تـــربح
ابـــن الكهـــول وابـــن كـــل دعامـــة ... في المعضـلات وابـن زيـن الأبطـح
أفنـــاهم قعصـــاً وضـــرباً يفـــتري ... بالسـيف يعمـل حـده لم يصـفح [1]

ومما يشهد لذلك قول أخت عمرو بن ود العامري وقد رأته قتيلاً فقالت: **من قتله ؟**

فقيل لها: **علي بن أبي طالب.**

فقالت: **كفو كريم.**

ثم أنشأت تقول:

لـو كـان قاتـل عمـرو غـير قاتلـه ... لكنـت أبكـي عليـه آخـر الأبـد
لكـــن قاتلـــه مـــن لا يعـــاب بـــه ... مـن كـان يُـدعى قـديماً بيضـة البلـد

أفلا ترى إلى قريش كيف تحرّض عليه بذكر من قتله وكثرتهم وفناء رؤسائهم بسيفه وقتله لشجعانهم وأبطالهم، ثم لا يجسر أحد من القوم أن ينكر ذلك، ولا ينفع في جماعتهم التحريض لعجزهم عنه عليه السلام، أو لا ترى أنه عليه السلام قد بلغ من فضله في الشجاعة أنها قد صارت تفخر بقتله من قتل منها وتنفي العار عنه بإضافته إليه، وهذا لا يكون إلا وقد سلم الجميع له واصطلحوا على إظهار العجز عنه.

وقد روى أهل السير أن أمير المؤمنين عليه السلام لما قتل عمرو بن عبد ود، نعي إلى أخته فقالت: **لم يعد يومه على يد كفو كريم لأرقأت دمعتي إن هرقتها عليه، قتَل الأبطال وبارز الأقران وكانت منيَّته على يد كفو كريم، ما سمعت بأفخر من هذا يابني عامر.**

---

[1] القعص = القتل المعجل

ثم أنشأت تقول:

أسـدان في ضـيق المكـر تصـاولا ... وكلاهمـا كفـو كـريم باسـل
مهـج النفـوس كلاهمـا ... وسـط المـدار مخاتـل ومقاتـل
وكلاهمـا حفـر القـراع حفيظـة ... لم يثنـه عـن ذاك شـغل شـاغل
فاذهـب علـي فمـا ظفـرت بمثلـه ... قـول سـديد لـيس فيـه تحامـل
فالثـأر عنـدي يـا علـي فليـتني ... أدركتـه والعقـل مـني كامـل
ذلـت قـريش بعـد مقتـل فـارس ... فالـذل مهلكهـا وخـزي شـامل

ثم قالت: **والله لا ثأرت قريش بأخي ما حنت النيب** [1].

وقد كان حسان بن ثابت افتخر للإسلام بقتل عمر بن عبد ود فقال في ذلك أقوالاً كثيرة منها:

أمسى الفتى عمرو بن عبد يبتغي ... بجنـوب يثـرب غـارة لم تنظـر
فلقـد وجـدت سـيوفنا مشـهورة ... ولقـد رأيـت جيادنـا لم تقصـر
ولقـد لقيـت غـداة بـدر عصـبة ... ضـربوك ضـربا غـير ضـرب الحسـر
أصـبحت لا تـدعى ليـوم عظيمـة ... يـا عمـرو أو لجسـيم أمـر منكـر
فالثـأر عنـدي يـا علـي فليـتني ... أدركتـه والعقـل مـني كامـل
ذلـت قـريش بعـد مقتـل فـارس ... فالـذل مهلكهـا وخـزي شـامل

فلما بلغ شعره بني عامر قال فتى منهم يرد قوله في ذلك:

كـذبتم وبيـت الله لم تقتلوننـا ... ولكـن بسـيف الهـاشميين فـافخروا
بسيف ابن عبد الله أحمد في الوغى ... بكـفّ علـي نلـتم ذاك فاقصـروا
فلـم تقتلـوا عمـر بـن ود ولا ابنـه ... ولكنـه الكفـؤ الهزبـر الغضـنفر
علـي الـذي في الفخـر طـال بنـاؤه ... فلا تكثروا الـدعوى علينـا فتفخـروا

---

[1] النيب - جمع ناب، وهي الإبل المسنة، والعبارة كناية عن التأبيد.

ببـــدر خـــرجتم للـــبراز فـــردكم ... شـــيوخ قـــريش جهـــرة وتـــأخروا
فلمـــا أتـــاهم حمـــزة وعبيـــدة ... وجـــاء علـــي بالمهنـــد يخطـــر
فقـالوا نعـم أكفـاء صـدق وأقبلـوا ... إلـــيهم ســـراعا إذ بغـــوا وتجـــبروا
فجـــال علـــيٌّ جولـــة هاشميـــة ... فـــدمرهم لمـــا عتـــوا وتكـــبروا
فلـيس لكـم فخـر علينـا بغيرنـا ... ولـيس لكـم فخـر يُعـد ويُـذكر)[1]

وقال في **الاختصاص**: (ثم الشجاعة كان منها على أمر لم يسبقه الأولون ولم يدركه الآخرون من النجدة والبأس ومباركة الأخماس [2] على أمر لم ير مثله، لم يولّ دبراً قط، ولم يبرز إليه أحد قط إلا قتله ولم يكع عن أحد قط دعاه إلى مبارزته [3].

ولم يضرب أحداً قط في الطول إلا قدّه، ولم يضربه في العرض إلا قطعه بنصفين، وذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حمله على فرس، فقال: **بأبي أنت وأمي ما لي وللخيل؟! أنا لاأتبع أحداً، ولا أفر من أحد، وإذا ارتديت سيفي لم أضعه إلا للذي أرتدي له.**

ثم ترك الفرح وترك المرح، أتت البشرى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تترى بقتل من قُتل يوم أحُد من أصحاب الألوية فلم يفرح ولم يختل [4]، وقد اختال أبودجانة ومشى بين الصفين مختالاً فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموضع.**

ثم لما صنع بخيبر ما صنع من قتْل مرحب، وفرار من فرَّ بها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ليس بفرار.**

فإخباره أنه ليس بفرار معَرّضاً عن القوم الذين فرّوا قبله، فافتتحها وقتل مرحباً وحمل بابها وحده فلم يطقه دون أربعين رجلاً، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنهض مسروراً، فلما بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أقبل إليه انكفأ إليه، فقال له رسول

---

١ المرتضى: الفصول المختارة ـ ص ٢٩٢ - ٢٩٥
٢ الأخماس = المقاتلون
٣ كع = جبن
٤ أي لم يفرح الإمام علي ولم يختل

الله صلى الله عليه وآله وسلم: **بلغني بلاؤك، فأنا عنك راض.**

فبكى علي عليه السلام عند ذلك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **أمسِك، ما يبكيك ؟**

فقال: **وما لي لا أبكي ورسول الله عني راض ؟**

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **إن الله وملائكته ورسوله عنك راضون.**

وقال له: **لولا أن يقول فيك الطوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى ابن مريم ، لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمر بملأ من المسلمين قلّوا أو كثروا، إلا أخذوا التراب من تحت قدميك يطلبون بذلك البركة)** [1].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

ابن عبدالبر الأندلسي:

هو الشيخ أبوعمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر القرطبي الأندلسي المالكي (٣٦٨ هـ ـ ٤٦٧ هـ)، من كبار حفظ الحديث ومؤرخ مشهور، كانت له رحلات طويلة في شرقي الأندلس وغربيها، وولي قضاء لشبونه وشنترين، وله مؤلفات عديدة من بينها **الاستيعاب في معرفة الأصحاب و العقل والعقلاء** .

قال في **الاستيعاب**: (أجمعوا على أنه شهد بدراً والحديبية وسائر المشاهد، وأنه أبلى ببدر وبأحد وبالخندق وبخيبر بلاءً عظيماً، وأنه أغنى في تلك المشاهد، وقام فيها المقام الكريم، وكان لواء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده في مواطن كثيرة، وكان يوم بدر بيده على اختلاف في ذلك. ولما قُتل مصعب بن عمير يوم أحُد وكان اللواء بيده دفعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي) [2].

---

١ المفيد : الاختصاص ـ ص ١٤٩ - ١٥٠

٢ ابن عبدالبر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ج ٣ ـ ص ١٠٩٦ — ١٠٩٧ . وسيأتي تحقيق مسألة اللواء لاحقاً في تفاصيل معركة أحد .

الراغب الأصفهاني:

الحسين بن محمد بن المفضل الملقب بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) أديب ومن الحكماء العلماء. له عدة مؤلفات من بينها **المفردات في غريب القرآن** وهو أشهر كتبه.

قال في كتابه **محاضرات الأدباء**: (كانت قريش إذا رأت أمير المؤمنين في كتيبة، تواصت خوفاً منه. ونظر إليه رجل - وقد شق العسكر - فقال: **قد علمت أن ملك الموت في الجانب الذي فيه علي**) [1].

❋❋❋❋❋❋❋❋

القاضي عياض:

هو عياض بن موسى اليحصبي السبتي (٤٧٦ هـ - ٥٤٤ هـ) عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. قال: (لعلي رضي الله عنه من الشجاعة والعلم والحلم والزهد والورع وكرم الاخلاق وغير ذلك من المناقب ما لا يسعه كتاب) [2].

❋❋❋❋❋❋❋❋

ابن شهراشوب:

هو محمد بن علي بن شهراشوب السروي المازندراني (٤٨٨ هـ - ٥٨٨ هـ)، من علماء الإمامية، له عدة مؤلفات من بينها **أسباب نزول القرآن** و **الفصول** و **مناقب**

في تفاصيل معركة أحد.

١ الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء - ج ٣ - ص ١٣٨

٢ المازندراني: شرح أصول الكافي - ج ٧ - ص ٢٠٣

آل أبي طالب. وقد ذكر في مناقب آل أبي طالب عدة نصوص حول شجاعة الإمام عليه السلام، كما روى أحاديث وأقوال للعلماء حول أسباب نزول بعض الآيات فيه عليه السلام، ولابد من حمل بعضها على أنها تنطبق عليه لا أنها نزلت فيه، من قبيل آيات سورة المدثر التي سيذكرها لاحقاً ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ [1].

قال: (اجتمعت الأمة ووافق الكتاب والسنة أن لله خيرة من خلقه، وأن خيرته من خلقه المتقون، قوله ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [2]، وأن خيرته من المتقين المجاهدون، قوله ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ﴾ [3]، وأن خيرته من المجاهدين السابقون إلى الجهاد، قوله ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ﴾ الآية ... [4]، وأن خيرته من المجاهدين السابقين أكثرهم عملاً في الجهاد، واجتمعت الأمة على أن السابقين إلى الجهاد هم البدريون، وأن خيرة البدريين علي، فلم يزل القرآن يصدّق بعضه بعضاً باجماعهم، حتى دلّوا بأن علياً خيرة هذه الأمة بعد نبيها.

العلوي البصري:

ولو يستوي بالنهوض الجلوس ... لما بيّن الله فضل الجهاد).

وقال: (قد اجتمعت الأمة على أن علياً كان المجاهد في سبيل الله، والكاشف الكروب عن وجه رسول الله، المقدَّم في سائر الغزوات إذا لم يحضر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا حضر فهو تاليه، وصاحب الراية واللواء معاً، وما كان قط تحت لواء جماعة أحد، ولا فرّ من زحف) [5].

---

١ المدثر/٤٩ - ٥١

٢ الحجرات/١٣

٣ النساء/٩٥

٤ الحديد/١٠، وتتمة الآية (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير)

٥ ابن شهراشوب: مناقب آل أبي طالب - ج ١ - ص ٣٤١ - ٣٤٥

وقال: (وقال الزاهي:

أيجعل سيد الثقلين شبهاً ... لما لا يرتضيه له غلاما

إلى من قط لم يهزم شجاعاً ... ولم يحمل بقبضته حساما

... تفسير عطاء الخراساني قال ابن عباس في قوله ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ [1]، أي قوى ظهرك بعلي بن أبي طالب.

أبو معاوية الضرير عن الأعمش عن مجاهد في قوله ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ ﴾ [2]، أي قوّمك بأمير المؤمنين وجعفر وحمزة وعقيل، وقد روينا نحو ذلك عن الكلبي عن أبي صالح عن أبي هريرة.

كتاب أبي بكر الشيرازي: قال ابن عباس ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾، يعني مكة ﴿ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ [3]، قال: لقد استجاب الله لنبيه دعاءه وأعطاه علي بن أبي طالب سلطانا ينصره على أعداءه... أبو المضا صبيح مولى الرضا عن الرضا عن آبائه عليهم السلام في قوله ﴿ لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [4].

قال: **منهم علي بن أبي طالب عليه السلام.**

قال الناشي:

أيا ناصر المصطفى أحمد ... تعلمت نصرته من أبيكا

وناصبت نصّابه عنوة ... فلعنة ربي على ناصبيكا

ولو آمنوا بنبي الهدى ... وبالله ذي الطول ما ناصبوكا

وقال غيره:

---

١ الشرح/٢ - ٣

٢ الأنفال/٦٢

٣ الإسراء/٨٠

٤ غافر/٥١

كان يصير له سيف الرشاد انتضى سل على كل مَن عن أمرِه أعرضا

قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[1]، وكان عليه السلام إذا صف في القتال كأنه بنيان مرصوص، وما قتل المشركين قَتْله أحد.

سفيان الثوري: كان علي بن أبي طالب عليه السلام كالجبل بين المسلمين والمشركين أعز الله به المسلمين وأذل به المشركين.

قال العوني[2]:

فلك النجاة وباب للجنان غدا وملتجى وصراط غير ذي جنف

جنب عزيز يلوذ اللائذون به حبل متين قوي محكم الطرف

ويقال أنه نزل فيه ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾[3].

أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام: نزل قوله ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾[4]، في أمير المؤمنين... وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا خرج من بيته تبعه أحداث المشركين يرمونه بالحجارة حتى أدموا كعبه وعرقوبيه، وكان علي عليه السلام يحمل عليهم فينهزمون، فنزل ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾[5]. ولا خلاف أن أول مبارز في الاسلام علي وحمزة وأبو عبيدة بن الحارث في يوم بدر.

قال الشعبي: ثم حمل علي على الكتيبة مصمماً وحده، واجتمعت الأمة أنه ما رأي أحد ادُّعِيَت له الإمامة عمل في الجهاد ما عمل عليّ، قال الله تعالى ﴿ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ﴾[6]، ولقد فسر قوله ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ ﴾[1]، يعني علياً،

---

١ الصف / ٤

٢ طلحة بن عبيدالله العوني المصري توفي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، يعد من شعراء أهل البيت المجاهرين بنصرهم

٣ الحج / ٧٨

٤ يونس / ٢٦

٥ المدثر / ٥٠ – ٥١

٦ التوبة / ١٢٠

لأن الكفار كانوا يسمونه الموت الأحمر، سموه يوم بدر لعظم بلائه ونكايته.

قال العوني:

من اسمه الموت في القرآن فهل ... يسبقه في الحروب من هربا
ومن رأى وحده مبارزه ... إلا رأى الموت منه والعطبا

... في بعض التفاسير أنه نزل قوله تعالى ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ [2] الآية، في علي عليه السلام، لأنه قتل عشيرته مثل عمرو بن عبدود والوليد بن عتبة في خَلْق.

قال أبقراط النصراني [3]:

أما ردَّ عمْراً يوم سلع بباتر ... كأن على جنبيه لطخ العنادم [4]
وعاد بن معدى نحو أحمد خاضعاً ... كشارب أثل في خطام الغمائم [5]
وعاديت في الله القبايل كلها ... ولم تخشِ في الرحمن لومة لائم
وكنت أحق الناس بعد محمد ... وليس جهول القوم فضلاً كعالم

... هو الفارس الذي يفرق العسكر كفرق الشعر، ويطويهم كطيّ السجل، الحربُ دأبُه، والجدُّ آدابُه، والنصرُ طبعُه، والعدوُّ غُنْمُه.

جريٌّ خطّار [6]، وجسورٌ هصّار [7]، ما لسيفه إلا الرقاب قِراب [8]، إنه لو حضر لكفى الحذر، ويقال له: غالب كل غالب، علي بن أبي طالب.

---

١ آل عمران / ١٤٣

٢ تتمة الآية (يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) المجادلة / ٢٢

٣ أبقراط بن أشوط ، شاعر نصراني مدح آل البيت .

٤ يوم سلع = غزوة الخندق ، لأن جبل سلع يقع عند الخندق الذي حفره المسلمون . العنادم = اللم

٥ الأثل = شجر كبير معروف لا ثمر له . الخطام = ما يوضع في فم البعير ليُقاد به . الغمائم = جمع غمامة بالكسر ، وهي ما يشد به فم البعير أوعينه أو أنفه، والعبارة كناية عن غاية الذل

٦ خطار = طعان بالرمح

٧ هصار = هصور = شديد

٨ قراب = جمع قربة = غمد السيف وحمائله

وقد رويتم علي كان أشجعه ... وأشجع الجمع بالأعداء أثقفه

... وقال الزاهي [1]:

هذا الذي أردى الوليد وعتبة ... والعامري وذا الخمار ومرحبا

هذا الذي هشمت يداه فوارساً ... قسراً ولم يك خائفاً مترقبا

في كل منبت شعرة من جسمه ... أسد يمد إلى الفريسة مخلبا

وقال دعبل [2]:

سنان محمد في كل حرب ... إذا نهلت صدور السمهري

وأول من يجيب إلى براز ... إذا زاغ الكمي عن الكمي

مشاهد لم تفل سيوف تيم ... بهن ولا سيوف بني عدي

وقال ابن حماد [3]:

ذاك الفتى النجد الذي إذا بدا ... بمعرك ألقت له فتيانه

ليث لو الليث الجريّ خاله ... أطار من هيبته جنانه

ذاك الشجاع إذ بدا بمعرك ... تفرقت من خوفه شجعانه

تبكي الطلا إن ضحكت أسيافه ... ويرتوي إن عطشت سنانه [4]

صقر ولكن صيده صيد الوغى ... ليث ولكن فرسه فرسانه

ترى سباع البيد تقفوا أثره ... لأنها يوم الوغى ضيفانه

يقرن أرواح الكماة بالردى ... كذاك خاضت دونه أقرانه

وكم كميّ قد سقاه في الوغى ... وليس تخبو للقِرى نيرانه [5]

---

١ علي بن إسحاق بن خلف الزاهي القطان (٣١٨هـ-٣٥٢هـ)، شاعر بغدادي أكثر من مدح آل البيت.

٢ دعبل بن علي بن رزان الخزاعي (١٤٨ هـ - ٢٤٦ هـ)، شاعر كوفي معروف بولائه لآل البيت.

٣ علي بن حماد بن عبيدالله العدوي، توفي أواخر القرن الرابع الهجري، كان عالماً وشاعراً.

٤ الطلا = الصغير من كل شئ

٥ القرى = ما يقدم للضيف

ومن قوله:

مُجلي الكرب يوم الحرب ... في بدر وفي أحُد

إذا الهيجاء هاج لها ... بقلب غير مرتعد

ترى الأبطال باطلة ... لخوف الفارس الأسد

فأنفسهم مودعة ... لها بتنفس الصعد

وقد خنقوا لخيفة ... فلست تحس من أحد

فلا صوت بغير البيض ... فوق البيض والزرد

سقى عمْراً منيته ... وعمراً قاد في الصفد

... وقالت جرهمة الأنصارية:

صهر النبي فذاك الله أكرمه ... إذا اصطفاه وذاك الصبر مدخر

لا يسلم القرن منه إن ألم به ... ولا يهاب وإن أعداؤه كثروا

من رام صولته وافت منيته ... لا يدفع الثكل عن أقرانه الحذر) [1]

* * * * * * * *

ابن الجوزي:

هو الشيخ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي الحنبلي المشتهر بابن الجوزي (٥٠٨ هـ ـ ٥٩٧هـ)، عُدَّ علاّمة عصره في التاريخ والحديث، وله نحو ٣٠٠ مؤلف.

قال في كتابه **غريب الحديث**: (في حديث علي عليه السلام: أنه حمل على المشركين فما زالوا يبقطون. أي يتعادون في الجبال... وقال رجل: عند علي بن أبي طالب شجاعة ما تُنكش. أي ما تُستخرج لأنها بعيدة الغاية) [2].

---

[1] ابن شهراشوب: مناقب آل أبي طالب ـ ج ١ ـ ص ٣٤١ ـ ٣٤٣

[2] المرعشي: شرح إحقاق الحق ـ ج ٣٢ ـ ص ٣٣٦

ابن أبي الحديد المعتزلي:

أبوحامد عزالدين عبدالحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد (٥٨٦ هـ ـ ٦٥٦ هـ) من أعيان المعتزلة وعلمائها، كان عالماً أديباً وشاعراً صاحب اطلاع واسع في التاريخ. ألّف عدة كتب من بينها **الفلك الدائر على المثل السائر** و **العبقري الحسان**، ولكن أشهرها **شرح نهج البلاغة**.

وقد علق ابن أبي الحديد المعتزلي على كلام الشريف الرضي الذي ذكرناه قبل صفحات حين تحدث عن جمع الإمام عليه السلام للصفات التي يصعب الجمع بينها، فقال: (كان أمير المؤمنين عليه السلام ذا أخلاق متضادة. فمنها ما قد ذكره الرضي رحمه الله وهو موضع التعجب، لأن الغالب على أهل الشجاعة والإقدام والمغامرة والجرأة أن يكونوا ذوي قلوب قاسية، وفتك وتمرد وجبرية.

والغالب على أهل الزهد ورفض الدنيا وهجران ملاذها والاشتغال بمواعظ الناس وتخويفهم المعاد، وتذكيرهم الموت، أن يكونوا ذوي رقة ولين وضعف قلب وخور طبع، وهاتان حالتان متضادتان، وقد اجتمعتا له عليه السلام.

ومنها أن الغالب على ذوي الشجاعة وإراقة الدماء أن يكونوا ذوي أخلاق سبعية، وطباع حوشية وغرائز وحشية[1]، وكذلك الغالب على أهل الزهادة وأرباب الوعظ والتذكير ورفض الدنيا أن يكونوا ذوي انقباض في الأخلاق وعبوس في الوجوه ونفار من الناس واستيحاش.

وأمير المؤمنين عليه السلام كان أشجع الناس وأعظمهم إراقة للدم، وأزهد الناس وأبعدهم عن ملاذ الدنيا، وأكثرهم وعظاً وتذكيراً بأيام الله ومثلاته، وأشدهم اجتهاداً في العبادة، وآداباً لنفسه في المعاملة.

---

١ حوش الفؤاد = حديد الفؤاد، أي قلبه قاس كأنه من حديد

وكان مع ذلك ألطف العالم أخلاقاً، وأسفرهم وجهاً، وأكثرهم بِشراً، وأوفاهم هشاشة [1]، وأبعدهم عن انقباض موحش، أو خلق نافر، أو تجهم مباعد [2]، أو غلظة وفظاظة تنفر معهما نفس، أو يتكدر معهما قلب. حتى عِيبَ بالدعابة، ولما لم يجدوا فيه مغمزاً ولا مطعناً تعلقوا بها، واعتمدوا في التنفير عنه عليها، **وتلك شكاة ظاهر عنك عارها** [3]، وهذا من عجائبه وغرائبه اللطيفة) [4].

وأضاف: (ومنها أن الغالب على ذوي الشجاعة وقتل الأنفس وإراقة الدماء أن يكونوا قليلي الصفح، بعيدي العفو، لأن أكبادهم واغرة [5]، وقلوبهم ملتهبة، والقوة الغضبية عندهم شديدة، وقد علمت حال أمير المؤمنين عليه السلام في كثرة إراقة الدم وما عنده من الحلم والصفح، ومغالبة هوى النفس، وقد رأيت فعله يوم الجمل، ولقد أحسن مهيار [6] في قوله:

حتى إذا دارت رحى بغيهم ... عليهم وسبق السيف العذل

عاذوا بعفو ماجد مِعود ... للعفو حال لهم على العلل

فنجت البقيا عليهم من نجا ... وأكل الحديد منهم من أكل

أطّت بهم أرحامهم فلم يطع ... ثائرة الغيظ ولم يشف الغلل [7]

ومنها أنّا ما رأينا شجاعاً جواداً قط، كان عبد الله بن الزبير شجاعاً وكان أبخل الناس، وكان الزبير أبوه شجاعاً وكان شحيحاً.

قال له عمر: **لو وُلّيتها لظلت تلاطم الناس في البطحه على الصاع والمُد.**

---

١ هشاشة = بشاشة

٢ التجهم = الغلظة والوجه الكريه

٣ أي أن هذا ليس عاراً يلزق به

٤ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ـ ج١ ـ ص ٥٠ - ٥١

٥ واغرة = حاقدة فيها غل وغيظ

٦ مهيار بن مرزويه الديلمي البغدادي، يكنى بأبي الحسن، عده ابن شهرآشوب في معالم العلماء من شعراء أهل البيت الفاهرين، وله ديوان شعر كبير، من غلمان الشريف الرضي، جمع بين فصاحة العرب ومعاني العجم توفي عام ٤٢٨ هـ

٧ من قصيدة في ديوانه ج٣ ـ ص ١٠٩ - ١١٦ يذكر فيها مناقب الإمام وما مني به من أعدائه. وأطت = حفت

وأراد علي عليه السلام أن يحجر على عبد الله بن جعفر لتبذيره المال، فلحتال لنفسه، فشارك الزبير في أمواله وتجاراته، فقال عليه السلام: **أما إنه قد لاذ بملاذ.**

ولم يحجر عليه.

وكان طلحة شجاعاً وكان شحيحاً، أمسك عن الإنفاق حتى خلف من الأموال ما لا يأتي عليه الحصر. وكان عبد الملك شجاعاً وكان شحيحاً، يضرب به المثل في الشح، وسمي رشح الحجر، لبخله.

وقد علمت حال أمير المؤمنين عليه السلام في الشجاعة والسخاء، كيف هي وهذا من أعاجيبه أيضاً عليه السلام)[1].

وقال: (وكان يقال: الحياء تمام الكرم، والحلم تمام العقل. وقال بعض الحكماء: الحياء انقباض النفس عن القبائح، وهو من خصائص الإنسان، لأنه لا يوجد في الفرس ولا في الغنم والبقر، ونحو ذلك من أنواع الحيوانات، فهو كالضحك الذي يختص به نوع الإنسان. وأول ما يظهر من قوة الفهم في الصبيان الحياء، وقد جعله الله تعالى في الإنسان ليرتدع به عما تنزع إليه نفسه من القبيح، فلا يكون كالبهيمة.

وهو خلُق مركّب من جُبن وعِفّة، ولذلك لا يكون المستحي فاسقاً، ولا الفاسق مستحياً، لتنافي اجتماع العِفة والفسق، وقلّما يكون الشجاع مستحياً والمستحي شجاعاً لتنافي اجتماع الجبن والشجاعة، ولعزة وجود ذلك[2]، ما يجمع الشعراء بين المدح بالشجاعة والمدح بالحياء نحو قول القائل:

يجري الحياء الغض من قسماتهم ... في حين يجرى من أكفهم الدم

وقال آخر:

كريم يغض الطرف فضل حيائه ... ويدنو وأطراف الرماح دوان)[3]

---

١ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ـ ج ١ ـ ص ٥٢ ـ ٥٣

٢ عزة = ندرة وقلة

٣ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ـ ج ١٩ ـ ص ٤٥ ـ ٤٦ . دوان = خاضعة ذليلة

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي: (وأما الشجاعة: فإنه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحرب مشهورة يُضرب بها الأمثل إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الذي ما فرّ قط، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلا قتله، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولى إلى ثانية، وفي الحديث: **كانت ضرباته وتراً**.

ولما دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما، قال له عمرو: **لقد أنصفك**.

فقال معاوية: **ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم! أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق ؟! أراك طمعت في إمارة الشام بعدي!**

وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، فأما قتلاه فافتخار رهطهم بأنه عليه السلام قتلهم أظهر وأكثر، قالت أخت عمرو بن عبدود ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... بكيتُه أبداً ما دمت في الأبد

لكن قاتله من لا نظير له ... وكان يدعى أبوه بيضة البلد [1]

وانتبه يوماً معاوية، فرأى عبد الله بن الزبير جالساً تحت رجليه على سريره، فقعد، فقال له عبد الله يداعبه: **يا أمير المؤمنين، لو شئتُ أن أفتك بك لفعلت.**

فقال: **لقد شجعت بعدنا يا أبا بكر!**

قال: **وما الذي تنكره من شجاعتي وقد وقفت في الصف إزاء علي بن أبي طالب ؟!**

قال: **لا جرَم إنه قتلك وأباك بيسرى يديه، وبقيت اليمنى فارغة، يطلب من يقتله بها.**

وجملة الأمر أن كل شجاع في الدنيا إليه ينتهي، وباسمه ينادى في مشارق الأرض ومغاربها) [2].

وقال: (قيل لشيخنا أبي عبد الله البصري رحمه الله تعالى: **أتجد في النصوص ما يدل على**

---

[1] من أبيات ذكرها ابن منظور في لسان العرب ـ فصل الباء الموحدة، مع اختلاف يسير، وقال معلقاً: بيضة البلد، يريد علي بن أبي طالب، أي أنه فرد ليس مثله في الشرف كالبيضة التي هي تريكة وحدها، ليس معها غيرها

[2] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ـ ج ١ ـ ص ٢٠ ـ ٢١

تفضيل علي عليه السلام، بمعنى كثرة الثواب لا بمعنى كثرة مناقبه ؟ فإنّ ذاك أمر مفروغ منه.

فذكر حديث الطائر المشوي [1]، وأن المحبة من الله تعالى إرادة الثواب. فقيل له: **قد سبقك الشيخ أبو علي رحمه الله تعالى إلى هذا، فهل تجد غير ذلك ؟**

قال: **نعم قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [2]، فإذا كان أصل المحبة لمن ثبت كثبوت البنيان المرصوص، فكل من زاد ثباته، زادت المحبة له، ومعلوم أن علياً عليه السلام ما فرَّ في زحف قط، وفرَّ غيره في غير موطن)** [3].

وقال في موضع آخر: (وأقسام العدالة ثلاثة، هي الأصول وما عداها من الفضائل فروع عليها:

الأولى: الشجاعة، ويدخل فيها السخاء لأنه شجاعة وتهوين للمال، كما أن الشجاعة الأصلية تهوين للنفس.

فالشجاعُ في الحرب جوادٌ بنفسه، والجواد بالمال شجاعٌ في إنفاقه، ولهذا قال الطائي [4]:

أيقنت أن من السماح شجاعة ... تدمي وأن من الشجاعة جوداً

والثانية: الفقه، ويدخل فيها القناعة والزهد والعزلة.

والثالثة: الحكمة، وهي أشرفها.

ولم تحصل العدالة الكاملة لأحد من البشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا لهذا الرجل، ومن أنصف عَلِم صحة ذلك، فإن شجاعته وجوده، وعفته وقناعته وزهده، يُضرب بها الأمثال.

وأما الحكمة والبحث في الأمور الإلهية، فلم يكن من فن أحد من العرب، ولا

---

١ يشير إلى ما رواه الترمذي في باب المناقب ج ١٣ ـ ص ١٧٠ ، بسنده عن أنس بن مالك ، ولفظه : (كان عند النبي طير فقال : اللهم ائتني بأحب خلقك إليك ، يأكل معي هذا الطير . فجاء علي فأكل معه) . وهو خبر مشهور في كتب الحديث والسيرة .

٢ الصف / ٤

٣ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ٣ ـ ص ٢٦٣ . في غير موطن = في أكثر من موطن

٤ حاتم الطائي المعروف بسخائه بين العرب حتى ضرب به المثل .

نُقل في جهاد أكابرهم وأصاغرهم شئ من ذلك أصلاً، وهذا فن كانت اليونان وأوائل الحكماء وأساطين الحكمة، ينفردون به، وأول من خاض فيه من العرب علي عليه السلام، ولهذا تجد المباحث الدقيقة في التوحيد والعدل، مبثوثة عنه في فرش كلامه وخطبه، ولا تجد في كلام أحد من الصحابة، والتابعين كلمة واحدة من ذلك، ولا يتصورونه، ولو فُهّموه لم يَفهموه، وأنّى للعرب ذلك ! ولهذا انتسب المتكلمون الذين لججوا في بحار المعقولات [1]، إليه خاصة دون غيره، وسمّوه أستاذهم ورئيسهم، واجتذبته كل فرقة من الفرق إلى نفسها.

ألا ترى أن أصحابنا ينتمون إلى واصل بن عطاء [2]، وواصل تلميذ أبي هاشم بن محمد بن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه محمد، ومحمد تلميذ أبيه علي عليه السلام.

فأما الشيعة من الإمامية والزيدية والكيسانية [3]، فانتماؤهم إليه ظاهر.

وأما الأشعرية [4] فإنهم بآخره ينتمون إليه أيضاً، لأن أبا الحسن الأشعري تلميذ شيخنا أبي علي رحمه الله تعالى، وأبو علي تلميذ أبي يعقوب الشحام، وأبو يعقوب تلميذ أبي الهذيل، وأبو الهذيل تلميذ أبي عثمان الطويل، وأبو عثمان الطويل تلميذ واصل بن عطاء، فعاد الأمر إلى انتهاء الأشعرية إلى علي عليه السلام.

وأما الكرامية [5] فإن ابن الهيصم [6] ذكر في كتاب **المقالات** أن أصل مقالتهم وعقيدتهم تنتهي إلى علي عليه السلام من طريقين:

أحدهما: بأنهم يسندون اعتقادهم عن شيخ بعد شيخ، إلى أن ينتهى إلى سفيان الثوري، ثم قال: وسفيان الثوري من الزيدية، ثم سأل نفسه فقال: إذا كان شيخكم الأكبر

---

١ لججوا = ولجوا

٢ يقصد المعتزلة

٣ الكيسانية هم الذين ادعوا إمامة محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية.

٤ الأشعرية هم أتباع أبوالحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٢٦٠هـ - ٣٢٤ هـ) الذي قام بالجمع بين العقل والنقل في تكوين نظريته العقائدية.

٥ الكرامية هم أتباع محمد بن كرام (ت ٢٥٥ هـ)، وكان من القائلين بتجسيم الله وتشبيهه بالخلق.

٦ أبوعبدالله محمد بن الهيصم شيخ الكرامية في زمانه.

الذي تنتمون إليه كان زيدياً، فما بالكم لا تكونون زيدية ؟ وأجاب بأن سفيان الثوري رحمه الله تعالى، وإن أشهر عنه الزيدية، إلا أن تزيّده إنما كان عبارة عن موالاة أهل البيت، وإنكار ما كان بنو أمية عليه من الظلم، وإجلال زيد بن علي وتعظيمه، وتصوينه في أحكامه وأحواله، ولم ينقل عن سفيان الثوري أنه طعن في أحد من الصحابة.

الطريق الثاني: أنه عد مشايخهم واحداً فواحداً، حتى انتهى إلى علماء الكوفة من أصحاب علي، كسلمة بن كهيل، وحبّة العرني، وسالم بن الجعد، والفضل بن دكين، وشُعبة، والأعمش، وعلقمة، وهبيرة بن مريم، وأبي إسحاق الشعبي، وغيرهم. ثم قال: وهؤلاء أخذوا العلم من علي بن أبي طالب عليه السلام، فهو رئيس الجماعة - يعنى أصحابه - وأقوالهم منقولة عنه ومأخوذة منه.

وأما الخوارج فانتماؤهم إليه ظاهر أيضاً، مع طعنهم فيه، لأنهم كانوا أصحابه، وعنه مرقوا، بعد أن تعلموا عنه واقتبسوا منه، وهم شيعته وأنصاره بالجمل وصفين، ولكن الشيطان ران على قلوبهم، وأعمى بصائرهم)[1].

وفي معرض تعليقه على كلام الإمام عليه السلام لابنه الحسن: **لا تدعونّ إلى مبارزة. فإن دعيت إليها فأجب، فإن الداعي إليها باغ، والباغي مصروع.**

قال ابن أبي الحديد معلقاً: (قد ذكر عليه السلام الحكمة، ثم ذكر العلة، وما سمعنا أنه عليه السلام دعا إلى مبارزة قط، وإنما كان يُدعى هو بعينه، أو يدعو من يبارز، فيخرج إليه فيقتله، دعا بنو ربيعة بن عبد بن شمس بني هاشم إلى البراز يوم بدر، فخرج عليه السلام، فقتل الوليد واشترك هو وحمزة عليه السلام في قتل عُتبة، ودعا طلحة بن أبي طلحة إلى البراز يوم أحُد، فخرج إليه فقتله، ودعا مرحب إلى البراز يوم خيبر فخرج إليه فقتله.

فأما الخرجة التي خرجها يوم الخندق إلى عمرو بن عبد ود فإنها أجلّ من أن يقال جليلة، وأعظم من أن يقال عظيمة، وما هي إلا كما قال شيخنا أبو الهذيل وقد سأله

---

١ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة - ج ٦ - ص ٣٧٠ - ٣٧٢

سائل: أيما أعظم منزلةً عند الله علي أم أبو بكر ؟

فقال: يا ابن أخي، والله لمبارزة عليٍّ عَمراً يوم الخندق تعدل أعمال المهاجرين والأنصار وطاعاتهم كلها وتربى عليها، فضلاً عن أبي بكر وحده.

وقد روي عن حذيفة بن اليمان ما يناسب هذا، بل ما هو أبلغ منه، روى قيس ابن الربيع عن أبي هارون العبدي، عن ربيعة بن مالك السعدي، قال: أتيت حذيفة ابن اليمان فقلت: يا أبا عبد الله، إن الناس يتحدثون عن علي بن أبي طالب ومناقبه، فيقول لهم أهل البصيرة: إنكم لتفرطون في تقريظ هذا الرجل. فهل أنت محدّثي بحديث عنه أذكره للناس ؟

فقال: يا ربيعة، وما الذي تسألني عن علي، وما الذي أحدثك عنه ؟! والذي نفس حذيفة بيده لو وضع جميع أعمال أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في كفة الميزان منذ بعث الله تعالى محمداً إلى يوم الناس هذا، ووضع عمل واحد من أعمال علي في الكفة الأخرى، لرجح على أعمالهم كلها.

فقال ربيعة: هذا المدح الذي لا يُقام له ولا يقعد ولا يُحمل، إني لأظنه إسرافاً يا أبا عبد الله !

فقال حذيفة: يا لكع [1]، وكيف لا يحمل ؟! وأين كان المسلمون يوم الخندق وقد عبر إليهم عمرو وأصحابه فملكهم الهلع والجزع، ودعا إلى المبارزة فأحجموا عنه حتى برز إليه علي فقتله ؟! والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من أعمال أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذا اليوم وإلى أن تقوم القيامة.

وجاء في الحديث المرفوع: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ذلك اليوم حين برز إليه: برز الإيمان كله إلى الشرك كله.

وقال أبو بكر بن عياش [1]: لقد ضرب علي بن أبي طالب عليه السلام ضربة ما كان

---

[1] لكع = لئيم

في الإسلام أيمن منها [2]، ضربتُه عمراً يوم الخندق، ولقد ضُرب عليٌّ ضربة ما كان في الإسلام أشأم منها، يعنى ضربة ابن ملجم لعنه الله.

وفي الحديث المرفوع أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما بارز علي عَمْراً ما زال رافعاً يديه مقمحاً رأسه نحو السماء [3]، داعياً ربه قائلاً: **اللهم إنك أخذت مني عبيدة يوم بدر، وحمزة يوم أحد، فاحفظ عليَّ اليوم علياً،** ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [4].

وقال جابر بن عبد الله الأنصاري: والله **ما شبَّهتُ يوم الأحزاب، قَتْلُ عليٍّ عمراً وتخاذل المشركين بعده إلا بما قَصَّه الله تعالى من قصة طالوت وجالوت في قوله:** ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾ [5].

وروى عمرو بن أزهر، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن أن علياً عليه السلام لما قتل عَمْراً احتزّ رأسه وحمله فألقاه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقام أبو بكر وعمر فقبَّلا رأسه، ووجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتهلل، فقال: **هذا النصر!**

أو قال: **هذا أول النصر.**

وفي الحديث المرفوع أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم قُتل عمرو: **ذهبَت ريحُهم، ولا يغزوننا بعد اليوم، ونحن نغزوهم إن شاء الله)** [6].

وقال (... وما أقول في رجلٍ تحبُّه أهلُ الذمَّة على تكذيبهم بالنبوة [7]، وتُعظِمُه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملة، وتصوّر ملوك الفرنج والروم صورته في بِيَعِها وبيوت عباداتها، حاملاً سيفه، مُشمِّراً لحربه، وتصوِّر ملوكُ التُّركِ والديلم صورتَه على أسيافها ؟! كان على سيف عضد الدولة ابن بويه وسيف أبيه ركن الدولة صورته، وكان

---

١ من علماء الكوفة وعبادها (ت ١٧٣ هـ).
٢ أيمن = أكثر بركة
٣ أقمح رأسه = رفعه
٤ الأنبياء / ٨٩
٥ البقرة / ٢٥١
٦ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ١٩ ـ ص ٦٠ – ٦٤
٧ أي مع إنكارهم لنبوة محمد والإسلام.

على سيف ألب أرسلان وابنه ملكشاه صورته، كأنهم يتفاءلون به النصرَ والظفر.

وما أقول في رجل أحبَّ كلُّ واحد أن يتكثّر به، وودّ كلُّ أحد أن يتجمل ويتحسن بالانتساب إليه، حتى الفتوة التي أحسن ما قيل في حدّها[1]: **ألا تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك**، فإن أربابها نسبوا أنفسهم إليه، وصنفوا في ذلك كتباً، وجعلوا لذلك إسناداً أنهوه إليه، وقصروه عليه وسمّوه سيد الفتيان، وعضدوا مذهبهم إليه بالبيت المشهور المروي، أنه سُمع من السماء يوم أحد: **لا سيف إلا ذو الفقا ر ولا فتى إلا علي)** [2].

وقال: (إن علياً عليه السلام كانت هيبته قد تمكنت في صدور الناس، فلم يكن يظن أن أحداً يقدم عليه غيلة أو مبارزة في حرب، فقد كان بلغ من الذّكر بالشجاعة مبلغاً عظيماً لم يبلغه أحد من الناس؛ لا مَن تقدم، ولا مَن تأخر، حتى كانت أبطال العرب تفزع باسمه؛ ألا ترى إلى عمرو بن معديكرب ـ وهو شجاع العرب الذي تُضرب به الأمثال ـ كتب إليه عمر بن الخطاب في أمرٍ أنكره عليه وغدرٍ تخوّفه منه: **أما والله لئن أقمتَ على ما أنت عليه لأبعثنّ إليك رجلاً تستصغر معه نفسك، يضع سيفه على هامتك فيخرجه من بين فخذيك !**

فقال عمرو ـ لما وقف على الكتاب ـ : **هددني بعليٍّ والله)** [3].

❋❋❋❋❋❋❋❋

الملك الغساني:

قال علي بن داود بن يوسف الرسولي الغساني الملقب بالملك المجاهد، وهو من ملوك الدولة الرسولية باليمن (ت ٧٦٤ هـ) في **الأقوال الكافية والفصول الشافية في**

---

١ حدها = تعريفها ومعناها

٢ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ١ ـ ص ٢٨ - ٢٩

٣ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ١٠ ـ ص ٢٥٩ . وقف على الكتاب = اطلع على محتواه

الخليل: (وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقاتل فارساً وراجلاً، وحكي عن بعضهم قال: قلت لأمير المؤمنين: **من أشجع الناس ؟**

قال: **ابن صفية**. يعني الزبير.

قال: فأتيت الزبير فقلت له: **من أشجع الناس ؟**

قال: **الطُّهْر ابن فاطمة** ـ يعني علياً ـ **إلا أنه لا يقاتل إلا راجلاً.**

فأتيت علياً فقلت له بما قال الزبير، فقال:

لم يطيقوا أن ينزلوا فنزلنا ... وأخو الحرب مَن أطاق النزولا

قال: فرجعت إلى الزبير فأعلمته بما قال أمير المؤمنين، فقال: **صدق، هو والله أشجع مني فارساً وراجلاً**) [1].

❋❋❋❋❋❋❋

توماس كارليل:

الكاتب والفيلسوف والمستشرق الإنجليزي توماس كارليل (١٧٩٥ م ـ ١٨٨١ م)، صاحب كتاب **الأبطال و التنظيمات الحضارية في الإمبراطورية الإسلامية.**

قال: (أما ذلك الفتى علي فلا يسعك إلا أن تحبه، ركب الله في طبعه النبل منذ الحداثة، وتجلّى في خلاله الكرم طوال عمره، ثم طبعه على العمل ونفاذ الهمة وصراحة البأس، وآتاه الفروسية وجرأة الليث، وكل أولئك في رقة قلب وصدق إيمان وكرم فعال تليق بالفروسية المسيحية) [2].

❋❋❋❋❋❋❋

١ المرعشي: شرح إحقاق الحق ـ ج ٣٢ ـ ص ٣٠٦

٢ الزيات: تاريخ الأدب العربي ـ ص ٩٧

أحمد الحافي الشافعي:

قال الشيخ أحمد بن محمد الحافي (أو الخوافي) الحسيني الشافعي [1]، في **التبر المذاب في بيان ترتيب الأصحاب**: (وأما الشجاعة فهو مشهور بها عند الخاص والعام فهي أنور من النهار وأضوء من الشمس لذوي الأبصار، وقد كان جماعة من الصحابة لهم صفات الشجاعة كعمر بن الخطاب والزبير بن العوام وخالد بن الوليد وأبي دجانة الأنصاري، وكلٌّ منهم معترف لعلي بالرجحان على الشجعان، وقد شهدت له بالشجاعة مغازي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ففي غزاة بدر قتل فيها صناديد قريش كالوليد بن عتبة والعاص بن سعيد بن العاص الذي أحجم المسلمون عنه ونوفل بن خويلد... ولم يزل يقتل واحداً بعد واحد حتى قتل نصف المقتولين وكانوا سبعين قتيلاً.

وفي غزاة أحد انهزم المسلمون وعليٌّ يدافع عنه، وصاح صائح في المدينة قُتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فانخلعت القلوب، ولما أفاق صلى الله عليه وآله وسلم من غشيته قال: **يا علي ما فعل المسلمون ؟**

قال: **نقضوا العهد وولّوا الدُّبُر.**

فقال: **يا علي، اكفني أمر هؤلاء .**

فتعجبت الملائكة من ثباته فقال جبرئيل: **قد عجبت الملائكة من حسن مواساة علي عليه السلام لك بنفسه.**

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **ما يمنعه من ذلك وهو مني وأنا منه ؟**

وغزاة الخندق حين نادى عمرو بن ود بالبراز [2]، ولم يخرج إليه أحد وكأنها على رؤسهم الطير، فخرج إليه علي عليه السلام وقتله.

قال ربيعة السعدي: أتيت حذيفة اليمان فقلت: **يا أبا عبد الله إنا لنتحدث عن علي عليه السلام ومناقبه فيقول أهل البصرة: إنكم لتفرطون في علي عليه السلام. فهل تحدثني بحديث؟**

---

[1] لم أجد ترجمته في الكتب التي توفرت لدي، وقد نقل عنه العلامة الأميني في الغدير والمرعشي النجفي في شرح أحقاق الحق، وغيرهما، وكتابه موجود بمكتبة المرحوم المرعشي النجفي بقم المقدسة.

[2] الصحيح : عبد ود

فقال حذيفة: **والذي نفسي بيده، لعمل علي عليه السلام في مقاماته وجهاده لا يوازيه عمل عامل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأين كان حذيفة وأصحاب رسول الله يوم عمرو بن ود وقد دعا للبراز وأحجم الناس ما خلا علي عليه السلام، فإنه برز إليه فقتله. والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من أصحاب محمد** صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي غزاة بني المصطلق قتل ملكاً وابنه، واصطفى جويرية بنت الحارث فاصطفاها النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي غزاة خيبر كان الفتح فيها له، قتل مرحباً وانهزم الجيش بقتله، وغلّقوا باب الحصن فعالجه ورمى به وجعله جسراً على الخندق للمسلمين، وظفروا بالحصن وأخذوا الغنائم. وقال عليه السلام: والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية بل بقوة ربانية.

وفي غزاة حنين مع كثرة المسلمين انهزموا ولم يثبت إلا علي عليه السلام وتسعة رهط من هاشم فأنزل الله تعالى ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، يريد علياً ومن ثبت معه، وقتل جمعاً كثيراً فانهزم المشركون ووقع الأمر فيهم وابتُلي بجميع الغزوات وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

روى أبو بكر الأنباري في أماليه: إن علياً جلس إلى جانب عمر بن الخطاب في المسجد، فلما قام عرض واحدٌ بذِكره ونسبَه إلى النية والعُجُب[2]. فقال عمر: **حقٌّ لمثله ذلك، والله لولا سيفه لما قام عمود الإسلام، وهو بَعدُ أقضى الأمة وذو سابقتها وشرفها**[3].

❋❋❋❋❋❋❋❋

١ التوبة/٢٥ - ٢٦

٢ النية - لعله يقصد الريه

٣ المرعشي: شرح إحقاق الحق - ج ٣٢ - ص ٣٣٤ - ٣٣٥

محمد رشيد رضا:

هو الشيخ محمد رشيد رضا القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب (١٢٨٢ هـ - ١٣٥٤ هـ)، صاحب مجلة المنار، وتلميذ الشيخ محمد عبده، و اعتُبر من رجالات الإصلاح في عهده.

قال في كتابه **الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه رابع الخلفاء الراشدين:** (شهد علي رضي الله عنه الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان له فيها شأن عظيم، وأظهر شجاعة عجيبة، وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللواء في مواطن كثيرة...).

وبعد أن عدّد مواطن بطولاته قال: (يُعلم مما تقدم أن علياً رضي الله عنه ربي في بيت النبوة، وكان أسبق الناس إلى الإسلام، ونشأ وقد أشربت روحه بتعاليمه، وشبّ على الصلاح، ورأى الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان من كتّابه، لكن لم يبلغنا متى وكيف وممن تعلم القراءة والكتابة ؟ وهو الذي كتب بخطه ما أملاه عليه رسول الله من صلح الحديبية، وقد خالط الرسول وعاشره وحفظِ القرآن وسمع الحديث ورواه وتفقه في الدين.

وقد كان رضي الله عنه شجاعاً بطبعه، فهو من سلالة أبطال شجعان. وقضى زهرة شبابه في الدفاع عن رسول الله ونشر لواء الإسلام، وتثبيت دعائمه غير هيّاب ولا وجل.

وكلما راجعنا غزوات رسول الله وجدنا اسم علي مقروناً بها، فتارة نجده يحمل اللواء، وتارة يفرّق جموع الأعداء ويلم شمل المجاهدين، ويبارز أبطال القريش أعداء الإسلام، فيصرعهم ويفتح الحصون المستعصية، ويهدم الأصنام، وهو صاحب الفضل في دخول هَمْدان في الإسلام، وهي قبيلة كبيرة في اليمن، حتى خرج رسول الله ساجداً شكراً لله على إسلامها. أصابته رضي الله عنه يوم أحُد ست عشرة ضربة) [1].

---

١ المرعشي : شرح إحقاق الحق - ج ٣٢ - هامش ص ٣٠٦

محسن الأمين العاملي:

المرجع الديني الراحل السيد محسن بن عبدالكريم الأمين الحسيني العاملي (١٢٨٢ هـ ـ ١٣٧١ هـ)، ولد في قرية شقراء من أعمال مرجعيون بجبل عامل، وتعلم بها ثم في النجف الأشرف، واستقر لاحقاً في دمشق وهو يحمل مشروعاً إصلاحياً، ولاقى معارضة عنيفة إلا أنه لم يتوانَ في إنجازه، وآثار ذلك حاضرة إلى هذا اليوم في بلاد الشام وغيرها. كما كان السيد الأمين مكثراً من التأليف والدفاع عن الإسلام والمذهب، ومن أشهر مؤلفاته **أعيان الشيعة** الذي هو من أهم مصادر كتابنا هذا.

في موسوعته أعيان الشيعة في معرض حديثه حول خصائص الإمام علي عليه السلام قال: (الثامن: الشجاعة وامتيازه بها وتفوقه فيها ملحق بالضروريات... أقول: لا يمكن أن توصف الشجاعة بأكثر من أنه ما نكَل عن مُبارز[1]، ولا بارز أحداً إلا قتله، ولا فرّ قط، ولا ضَرب ضربة فاحتاج إلى ثانية، وكان يقول: ما **بارزتُ أحداً إلا وكنت أنا ونفسُه عليه.**

وفي كتاب **عجائب أحكامه** قيل له: **يا أمير المؤمنين، ألا تعدّ فرساً للفر والكر ؟**

فقال: **أما أنا فلا أفرّ، ومن فرّ مني فلا أطلبه.**

وكفى في ذلك مبيته على الفراش ليلة الغار معرضاً نفسه للأخطار لم يخف ولم يحزن، فوقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه وفداه بمهجته، غير هياب ولا متردد ولا حزين. وخروجه بالفواطم[2] جهاراً من مكة، ولحوق الفوارس الثمانية به لما علموا بخروجه حنقين عليه عازمين على قتله إن لم يرجع راغماً...

ولا بد أن يكونوا من شجعان مكة وأبطالها لأن من ينتدب لمثل ذلك لا يكون من جبناء الناس، وهم فرسان وهو راجل، وهم ثمانية وهو واحد، وليس معه إلا أيمن ابن أم أيمن وأبو واقد الليثي، وهما لايغنيان عنه شيئاً، وقد أخذ الهلع أبا واقد حين

---

١ نكل عنه = جبن ونكص

٢ الفواطم = جمع فاطمة ، ويقصد بهن فاطمة الزهراء وفاطمة بنت أسد وفاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب

رأى الفرسان، فسكّن جأشه، ولم يُنقل أنهما عاوناه بشئ، بل كان حظهما حظ الواقف المتفرج، وهو ليس بحاجة إلى مساعد، على أن ثمانية فوارس ولو لم يكونوا في الدرجة العالية من الشجاعة لا يفلت منهم رجل واحد في العشرين من سنّه أو تجاوزها بقليل مهما كان شجاعاً، فيمكنهم أن يحيطوا به من كل جانب فيقتلوه ولو رضخاً بالحجارة، فإذا كرّ على الذين أمامه حمل عليه الذين وراءه، أو كرّ على الذين وراءه حمل عليه الذين أمامه، فلا يمكنه الخلاص ويسهل عليه قتله أو أسره، أمّا أن يكون رجل واحد على قدميه يشدّ على فارس في مقدمة ثمانية فوارس، ولا بد أن يكون أشجعهم فيقدّه نصفين ويصل سيفه إلى قربوس فرسه [1]، فهذا شئ خارق للعادة من شاب لم يسبق له مباشرة الحرب قبل هذا، وهو منتهى الشجاعة والجرأة والإقدام، فلا جرم أن ترتعد منه فرائض الباقين فيولّوا هاربين مذعورين ويطلبوا منه أن يكف عنهم ، فكانت هذه أول مظهر من مظاهر شجاعته الخارقة...

وما كان منه في وقعة بدر... التي بها تمهدت قواعد الدين، وأذل الله جبابرة المشركين، وقتلت فيها رؤساؤهم، ووقعت الهيبة من المسلمين في قلوب العرب واليهود وغيرهم، فقد كان في هذه الوقعة قطب رحاها وليث وغاها، بارز الوليد بن عتبة أول نشوب الحرب، فلم يلبثه حتى قتله، وشارك عمه حمزة في قتل عتبة، واشترك هو وحمزة وعبيدة في قتل شيبة فأجهزوا عليه.

قال المفيد: فكان قتل هؤلاء الثلاثة أول وهنٍ لحق المشركين ودخل عليهم، ورهبة اعتراهم بها الرعب من المسلمين، وظهر بذلك إمارات نصر المسلمين.

قال: وبرز إليه حنظلة بن أبي سفيان فقتله، وبرز إليه من بعده طعيمة بن عدي فقتله، وقتل بعده نوفل بن خويلد وكان من شياطين قريش، ولم يزل يقتل واحداً منهم بعد واحد حتى أتى على شطر المقتولين منهم [2]، وكانوا سبعين قتيلاً، تولى كافة

---

١ القربوس = حنو السرج
٢ شطر = نصف

من حضر بدراً من المسلمين مع ثلاثة آلاف من الملائكة المسومين قتل الشطر منهم، وتولى أمير المؤمنين قتل الشطر الآخر وحده بمعونة الله له وتأييده وتوفيقه ونصره، وكان الفتح له بذلك وعلى يديه.

وما كان منه في وقعة أحُد... فقد كان قطب رحاها وليث وغاها وعليه مدارها وهو واحدها وقائدها كما كان كذلك يوم بدر، والمتأمل فيما ذكره أهل السير والتواريخ لا يشك في ذلك مهما دس الدساسون، ومهما أرادوا أن يجعلوا له مشاركاً في بعض مزاياه التي امتاز بها في تلك الوقعة وغيرها، لكن المطالع للأخبار يعرف بأقل نظرة صحة ما قلناه، فقد امتاز في تلك الوقعة كغيرها مع الوقائع بأمور كثيرة...

وقتله عزوراً اليهودي لما رمى قبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلاً وهو يحاصر بني النضير [1]، فلحقه علي حتى قتله وجاء برأسه، وكان معه تسعة فهربوا فلحقهم بعشرة من المسلمين فقتلوهم، وكان ذلك سبب فتح حصون بني النضير.

ومبارزته يوم الخندق عمرو بن عبد ود فارس يليل، وقد جبن عنه الناس، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يندبهم لمبارزته ويضمن لمبارزه الجنة، فسكتوا كأنما على رؤوسهم الطير إلا علي بن أبي طالب، فبارزه وقتله ولحق بعض من كان معه وهو نوفل بن عبد الله فقتله في الخندق، وانهزم بقتله المشركون وكفى الله المؤمنين القتال به، وكانت ضربته في ذلك اليوم تعدل عمل الثقلين إلى يوم القيامة.

قال المفيد: وفي الأحزاب أنزل الله تعالى ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ۝ .... إلى قوله .... وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ قال: فتوجه العتب إليهم

---

[1] قبة - خيمة

والتوبيخ والتقريع، ولم ينجُ من ذلك أحد بالاتفاق إلا أمير المؤمنين، إذ كان الفتح له وعلى يديه، وكان قتله عمْراً ونوفل بن عبد الله سبب هزيمة المشركين.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد قتله هؤلاء النفر: **الآن نغزوهم ولا يغزوننا.**

وقد روى يوسف بن كليب عن سفيان بن زيد عن قرة وغيره من عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ: ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ﴾ بعلي [1].

ومبارزته مرحباً يوم خيبر، وقتله، وفتح الحصن ودحو الباب بعد ما رجع غيره منهزماً يجبّن أصحابه ويجبّنونه، أو منهزماً يؤنّب قومه ويؤنّبونه...

وثباته يوم حنين مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد هرب عنه الناس غير عشرة تسعة من بني هاشم والعاشر أيمن بن أم أيمن، وقتْله أبا جرول وأربعين من المشركين غيره، وانهزام المشركين بقتله وقتلهم، ورجوع المسلمين من هزيمتهم بثباته ومن معه الذين كان ثباتهم بثباته.

قال المفيد: وذلك أنا أحطنا علماً بتقدمه في الشجاعة والبأس والصبر والنجدة على العباس والفضل ابنه وأبي سفيان بن الحارث والنفر الباقين لظهور أمره في المقامات التي لم يحضرها أحد منهم، واشتهار خبره في منازلة الأقران وقتل الأبطال، ولم يُعرف لأحد من هؤلاء مقام من مقاماته ولا قتيل عُزي إليهم بالذكر، فعُلم بذلك أن ثبوتهم كان به، وأن بمقامه ذلك وصبره مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان رجوع المسلمين إلى الحرب وتشجعهم في لقاء العدو.

وما كان منه في غزوة أوطاس والطائف فكان الفتح فيها على يده، وقتل فيها من قتل من خثعم، إلى غير ذلك من غزواته ووقائعه في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

أما وقائعه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما بويع بالخلافة أيام الجمل وصفين والنهروان فاشتهار شجاعته العظيمة فيها قد زاد عن حد الضرورة.

---

[1] هذه الإضافة من ابن مسعود تعد لحواً من التفسير لا التنزيل، وهو شائع آنذاك.

ففي يوم الجمل ثبت الفريقان وأشرعوا الرماح بعضهم في صدور بعض كأنها آجام القصب [1]، ولو شاءت الرجال أن تمشي عليها لمشت، وكان يُسمع لوقع السيوف أصوات كأصوات القصّارين [2].

ولما اشتد القتال وقامت الحرب على ساقها زحف عليه السلام نحو الجمل بنفسه في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار وحوله بنوه، ثم حمل فغاص في عسكر الجمل حتى طحن العسكر ثم رجع وقد انحنى سيفه فأقامه بركبته، فقال له أصحابه وبنوه: **نحن نكفيك.**

فلم يُجب أحداً منهم ولا رد إليهم بصره، وظل ينحط ويزأر زئير الأسد [3]، ثم حمل حملة ثانية وحده، فدخل وسطهم يضربهم بالسيف قدماً قدماً والرجال تفر من بين يديه وتنحاز عنه يمنة ويسرة، حتى خضّب الأرض بدماء القتلى، ثم رجع وقد انحنى سيفه فأقامه بركبته، فاجتمع عليه أصحابه وناشدوه الله في نفسه وفي الإسلام، فقال: **والله ما أريد بما ترون إلا وجه الله والدار الآخرة.**

ثم قال لمحمد: **هكذا تصنع يا ابن الحنفية.**

فقال الناس: **من الذي يستطيع ما تستطيعه يا أمير المؤمنين ؟!**

ومن مواقفه في صفين ما كان يوم الهرير، قال بعض الرواة: فوالله الذي بعث محمداً بالحق نبياً ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السماوات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب علي، إنه قتل فيما ذكر العادّون زيادة على خمسمائة من الأعلام، يخرج بسيفه منحنياً فيقول: **معذرةً إلى الله وإليكم من هذا، لقد هممت أن أفلقه [4]، ولكن يحجزني عنه أني سمعت رسول الله يقول: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي.**

وأنا أقاتل به دونه.

---

١ أجلم = جمع أجمة أي الشجر الكثيف الملتف

٢ القصار = الخطاب

٣ النحط = الزئير

٤ في بعض المصادر (أصقله) أي أزيل ما به من حفر نتيجة الضرب به ، ولعله هو الصحيح ، فلا معنى لأفلقه هنا .

فكنا نأخذه فنقوّمه ثم يتناوله من أيدينا فيقتحم به في عرض الصف، فلا والله ما ليثٌ بأشد نكاية منه في عدوه.

وكان في أوائل أيام صفين يسهر الليل كله إلى الصباح يعبّئ الكتائب، ويؤمّر الأمراء ويعقد الألوية، ومرّ في اليوم السابع ومعه بنوه نحو الميسرة والنبل يمر بين عاتقيه ومنكبيه وما من بنيه إلا من يقيه بنفسه، فيكره ذلك ويتقدم نحو أهل الشام ويؤخر الذي يقيه إلى ورائه.

وهو الذي لبس يوم صفين سلاح العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب لما برز إليه اللخميان، فبرز إليه أحدهما فكأنما اختطفه، ثم برز إليه الآخر فألحقه بالأول.

وهو الذي قتل الحِمْيري الذي لم يكن في الشام أشهر منه بالبأس والنجدة بعد أن قتل ثلاثة من أهل العراق مبارزة ورمى أجسادهم بعضها فوق بعض، ووقف عليها بغياً وعتوّاً، فضربه أمير المؤمنين عليه السلام ضربةً خرَّ منها قتيلاً يتشحّط في دمه [1]، وقتل معه اثنين، وتلا: ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [2].

التاسع [3]: القوة والأيد، وحسبك في ذلك قلعه باب خيبر وجعله جسراً على الخندق، وكان يغلقه عشرون رجلاً، وتترّسه يومئذ ببابٍ لم يستطع قلبُه ثمانية نفر.

قال المفيد: روى أصحاب الآثار عن الحسن بن صالح عن الأعمش عن أبي عبدالله الجدلي قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: **لما عالجت باب خيبر جعلته مِجَنّاً لي [4]، فقاتلتهم به، فلما أخزاهم الله وضعت الباب على حصنهم طريقاً، ثم رميت به في خندقهم.**

---

١ يتشحط = يتمرغ

٢ البقرة/ ١٩٤ و ستأتي تفاصيل ذلك كله في معرض الحديث حول حرب صفين بإذن الله.

٣ التاسع من خصائص الإمام علي التي أوردها الأمين في كتابه

٤ المجن = الدرع وما يحتمي به

فقال له رجل: **لقد حملت منه ثقلاً !**

فقال: **ما كان إلا مثل جُنَّتي التي في يدي غير ذلك المقام** [1].

ذكر أصحاب السيرة أن المسلمين لما انصرفوا من خيبر راموا حمل الباب، فلم يُقله منهم إلا سبعون رجلاً...

قال ابن أبي الحديد: أما القوة والأيد فبه يُضرب المثل فيهما، قال ابن قتيبة في **المعارف**: ما صارع أحداً قط إلا صرعه. وهو الذي قلع باب خيبر واجتمع عليه عُصبة من الناس ليقلبوه فلم يقدروا، وهو الذي اقتلع هُبل من أعلى الكعبة، وكان عظيماً كبيراً جداً، فألقاه إلى الأرض، وهو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيام خلافته بيده بعد عجز الجيش كله عنها، فانبطّ الماء من تحتها... وهو الذي قطع حريثاً مولى معاوية نصفين يوم صفين لما أغراه عمرو بن العاص بمبارزته، وكان معاوية يعدّه لكل مبارز وكل عظيم، وكان يلبس سلاح معاوية متشبهاً به، وكان يقول له: **اتّقِ علياً وضَعْ رمحك حيث شئت** [2]. وهو الذي كان يقتلع الفارس من ظهر جواده بيده ويرمي به إلى الأرض من فوق رأسه، فعل ذلك أيام صفين بأحمر مولى بني أمية لما همّ أن يضرب أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن قتل كيسان مولاه، فوضع أمير المؤمنين عليه السلام يده في جيب درع أحمر، وجذبه عن فرسه وحمله على عاتقه، ثم ضرب به الأرض فكسر منكبه وعضديه وأجهز عليه الحسين وابن الحنفية. وهو الذي كان إذا أمسك بذراع أحد أمسك بنفَسه فلم يستطع أن يتنفس، ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب. وقد قبض على يد خالد بن الوليد ليلة المبيت على الفراش حين تقدم إليه أمام القوم فجعل يقمص قماص البكر [3]، رواه الشيخ الطوسي في أماليه.

العاشر: الجهاد في سبيل الله وتفوقه فيه على كافة الخلق ملحق بالضروريات،

---

١ أي كانت من حيث الثقل بالنسبة إلي في ذلك الموقف ، كثقل جُنته التي كان يستخدمها في المواقف الأخرى.

٢ سنأتي على ذكر الحادثة ضمن أخبار حرب صفين

٣ القمص = رفع اليدين وطرحهما معاً مع العجن بالرجلين .

والاستدلال عليه يُعد من العبث، فهو كالاستدلال على وجود الشمس الضاحية. وقد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله مشاهده كلها غير تبوك، وفي جميعها يكون الفتح له وعلى يديه، وقد قتل الله بسيفه صناديد المشركين وجبابرة قريش وطواغيت العرب، وفي جميع الوقائع تكون قتلاه أزيد ممن قتله باقي الجيش، حتى أنه في يوم بدر زادت قتلاه على قتلى الجيش وهو شاب لم يتجاوز العشرين أو الخمسة والعشرين، ومثله في هذا السن يكون قليل البصيرة بالحرب ناقص الخبرة بالطعن والضرب، وهذا داخل في المعجزات خارج عن مجرى العادات، ولو عُدّ في عداد معجزات النبي صلى الله عليه وآله لكان صواباً، بل إذا عُدّ علي بن أبي طالب إحدى معجزاته صلى الله عليه وآله كان عين الصواب.

قال المفيد: وأما الجهاد الذي ثبتت به قواعد الإسلام واستقرت بثبوتها شرائع الملة والأحكام، فقد تخصص منه أمير المؤمنين بما اشتهر ذكره في الأنام واستفاض الخبر به بين الخاص والعام، ولم يختلف فيه العلماء ولا شَك فيه إلا غفل لم يتأمل الأخبار ولا دفعه أحد ممن نظر في الآثار، إلا معاند بهّات لا يستحي من العناد. ثم ذكر جهاده في بدر وغيرها.

وقال ابن أبي الحديد: أما الجهاد في سبيل الله فمعلوم عند صديقه وعدوه وأنه سيد المجاهدين، وهل الجهاد لأحد من الناس إلا له ؟! ....

وإذا رجعت إلى مغازي محمد بن عمر الواقدي و تاريخ الأشراف ليحيى بن جابر البلاذري وغيرهما علمت صحة ذلك، دع من قتله في غيرها كأحد والخندق وغيرهما، وهذا الفصل لا معنى للإطناب فيه لأنه من المعلومات الضرورية كالعلم بوجود مكة ومصر ونحوها)[1].

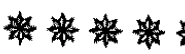

١ محسن الأمين : أعيان الشيعة - ج ١ - ص ٣٣٨ - ٣٤٠

عباس العقاد:

هو الأديب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد (١٣٠٦ هـ - ١٣٨٣ هـ)، ولد في أسوان بمصر، وبها تلقى تعليمه الابتدائي، ثم انطلق في عالم الأدب والفكر والثقافة معتمداً على نفسه لشغفه في المطالعة والبحث، فغدا واحداً من أعلام عصره، وصنّف ٨٣ كتاباً.

قال في كتابه عبقرية علي: (فكانت شجاعته من الشجاعات النادرة التي يشرّف بها من يصيب بها ومن يصاب، ويزيدها تشريفاً أنها ازدانت بأجمل الصفات التي تزين شجاعة الشجعان الأقوياء، فلا يعرف الناس حلية للشجاعة أجمل من تلك الصفات التي طبع عليها علي بغير كلفة ولا مجاهدة رأي، وهي التورع عن البغي، والمروءة مع الخصم، قوياً أو ضعيفاً على السواء، وسلامة الصدر من الضغن على العدو بعد الفراغ من القتال.

فمن تورعه عن البغي، مع قوته البالغة وشجاعته النادرة، إنه لم يبدأ أحداً قط بقتال وله مندوحة عنه[1]، وكان يقول لابنه الحسن: **لا تدعونَّ إلى مبارزة، فإن دُعيت إليها فأجب ، فإن الداعي إليها باغ والباغي مصروع.**

وعلم أن جنود الخوارج يفارقون عسكره ليحاربوه، وقيل له: **إنهم خارجون عليك فبادرهم قبل أن يبادروك.**

فقال: **لا أقاتلهم حتى يقاتلوني، وسيفعلون.**

وكذلك فعل قبل وقعة الجمل، وقبل وقعة صفين، وقبل كل وقعة صغرت أو كبرت ووضح فيها عداء العدو أو غمُض، يدعوهم إلى السلم وينهى رجاله عن المبادأة بالشر، فما رفع يده بالسيف قط إلا وقد بسطها قبل ذلك للسلام.

كان يعظ قوماً، فبهرت عظته بعض الخوارج الذين يكفّرونه، فصاح معجباً

---

[1] مندوحة = سعة

إعجاب الكاره الذي لا يملك بغضه ولا إعجابه: **قاتله الله كافراً ما أفقهه.**

فوثب أتباعه ليقتلوه فنهاهم عنه، وهو يقول: **إنما هو سبٌّ بسبٍّ أو عفوٌ عن ذنب.**

وقد رأينا أنه كان يقول لعمرو بن عبد ود: **إني لا أكره أن أهريق دمك.**

ولكنه على هذا لم يرغب في إهراق دمه إلا بعد يأس من إسلامه ومن تركه حرب المسلمين، فعرض عليه أن يكف عن القتال فأنِف، وقال: **إذاً تتحدث العرب بفراري.**

وناشده: **يا عمرو ، إنك كنت تعاهد قومك ألا يدعوك رجل من قريش إلى خلّتين إلا أخذت منه إحداهما.**

قال: **أجل.**

قال: **فإني أدعوك إلى الإسلام أو إلى النزال.**

قال: **ولم يا بن أخي ؟ فوالله ما أحب أن أقتلك.**

فلم يكن له بُد بعد ذلك من إحدى اثنتين: **أن يقتله أو يُقتَل على يديه.**

وعلى ما كان بينه وبين معاوية وجنوده من اللدد في العداء[1]، لم يكن ينازلهم ولا يأخذ من ثاراته وثارات أصحابه عندهم إلا بمقدار ما استحقوه في موقف الساعة، فاتفق في يوم صفين أن خرج من أصحاب معاوية رجل يسمى كريز بن الصباح الحميري فصاح بين الصفين: **من يبارز ؟**

فخرج إليه رجل من أصحاب علي فقتله ووقف عليه ونادى: **من يبازر ؟**

فخرج إليه آخر فقتله وألقاه على الأول، ثم نادى: **من يبارز ؟**

فخرج إليه الثالث فصنع به صنيعه بصاحبه، ثم نادى رابعة: **من يبارز ؟**

فأحجم الناس ورجع من كان في الصف الأول إلى الصف الذي يليه، وخاف في أن يشيع الرعب بين صفوفه فخرج إلى ذلك الرجل المدل بشجاعته وبأسه فصرعه، ثم نادى نداءه حتى أتم ثلاثة صنع بهم صنيعه بأصحابه، ثم قال مُسمعاً الصفوف:

---

١ اللدد = الشدة

يا أيها الناس ! إن الله ﷻ **يقول:** ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [1]، **ولو لم تبدؤونا ما بدأناكم.**

ثم رجع إلى مكانه.

وقد كان مدار هذا الخلق في ابن أبي طالب على ثقة أصيلة فيه لم تفارقه منذ حبا ودرج، وقبل أن يبلغ مبلغ الرجال. فما منعته الطفولة الباكرة يوماً أن يعلم إنه شئ في هذه الدنيا وإنه قوة لها جوار يركن إليه المستجير.

ولقد كان في العاشرة أو نحوها يوم أحاط القروم القرشيون بالنبي ﷺ [2]، ينذرونه وينكرونه وهو يقلّب عينه في وجوههم، ويسأل عن النصير ولا نصير، لو كان بعلي أن يرتاع في مقام نجدة أو مقام عزيمة لارتاع يومئذ بين أولئك الشيوخ الدين رفعتهم الوجاهة ورفعتهم آداب القبيلة البدوية إلى مقام الخشية والخشوع، ولكنه كان علياً في تلك السن الباكرة كما كان علياً وهو في الخمسين أو الستين، فما تردد وهم صامتون مستهزئون أن يصيح صيحة الواثق المغضوب: **أنا نصيرك.**

فضحكوا منه ضحك الجهل والاستكبار، وعلم القدر وحده في تلك اللحظة أن تأييد ذلك الغلام أعظم وأقوم من حرب أولئك القروم.

عليٌّ هذا هو الذي نام في فراش النبي ليلة الهجرة، وقد علم ما تأتمر به مكة كلها من قتل الراقد على ذلك الفراش...) [3].

❋❋❋❋❋❋❋❋

---

١ البقرة/ ١٩٤.

٢ القروم = جمع قرم، وهو السيد والفحل

٣ المرعشي: شرح إحقاق الحق - ج ٣٣ - هامش ص ٣٠٦

العربي التباني:

الشيخ محمد العربي التباني الجزائري المالكي المكي (ت ١٣٩٠ هـ) شيخ علماء مكة، كان محدثاً فقيهاً مؤرخاً نسابة، له كتب مشهورة داخل الوسط السلفي، ومن المبالغين في الرد على الشيعة.

قال في كتابه **تحذير العبقري من محاضرات الخضري**[1]: (وشجاعة علي متواترة تواتراً معنوياً، قال أسيد بن أبي أياس الكناني رضي الله تعالى عنه - قبل أن يسلم بعد بدر الكبرى - يعيّر قريشاً بما فعل علي فيهم:

في كل مجمع غاية أحرزاكم ... صدع يفوق على المذاكي القرح
لله دركم ألما تذكروا ... قد يذكر الحر الكريم ويستحي
هذا ابن فاطمة الذي أفناكم ... ذبحاً وقتلاً بعضه لم يرتح
أين الكهول وأين كل دعامة ... في المعضلات وأين زين الأبطح

وكانت درعه رضي الله تعالى عنه صدراً لا ظهر لها، فقيل له: **يا أبا الحسن لم لا تجعل لها ظهراً ؟**

فقال: **إذا مكّنتُ عدوي من ظهري فلا أبقى الله علي**).

ثم أخذ يعدد مواقفه البطولية ومن بينها: (خرج أبو سعد بن أبي طلحة العبدري يوم أحد وبيده لواء المشركين مبارزاً وقال: **أنا قاصم أي داهية**.

---

١ قال الأستاذ حسن بن فرحان المالكي حول كتاب (محاضرات الخضري) : أقول لكم - وبلا فخر - خذوا مني هذه الحقائق التي هي خلاصة دراسة استمرت أربع سنوات في كتب التاريخ ، وهي : ١ - أن الكتب المفتقلة للتحقيق العلمي المتشدقة بمنهج أهل الحديث بالإضافة إلى ما سبق هي كتب محب الدين الخطيب وتحقيقاته وتعليقاته ومن أشهرها تعليقه على (العواصم من القواصم) لابن العربي المالكي ، تلك التعليقات التي قلدها الجهلة من المؤرخين وأصبحوا يعارضون بها الأحاديث الصحيحة والروايات الثابتة كذلك كتاب (أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ) ما هو إلا كتاب أباطيل ولم يأت بفائدة تذكر ، لأن التأليف داخل العقل الذي لا يعرف حدوده لا يجدي . وكذلك (محاضرات الخضري) التي أصبحت مرجعاً لدارسي التاريخ في جامعاتنا ، ففي هذه المحاضرات من الأخطاء الموبقة والنصب الظاهر ما يندي له الجبين ، وقد أحسن المحدث محمد العربي التباني - رحمه الله - في نقض هذه المحاضرات بكتاب أسماه (تحذير العبقري من محاضرات الخضري) ، وكذلك (تاريخ الإسلام) لحسن إبراهيم حسن ، وكتاب (العواصم من القواصم) هذه أهم الكتب التي يطالعها الطلاب والمؤرخون ويثقون فيها ثقة تفوق ثقتهم في الصحاح . فخذوها مني نصيحة صريحة : إن هذه الكتب المذكورة فيها من الأخطاء التاريخية ما يحتاج لبسطه في مجلدات ! وغالبها تجمع بين نقيضين وهما الدعوة إلى التحقيق والسقوط عند التطبيق، مع تحريف الحقائق أو الاستدلال بالصحيح أو الكذب الصراح المجرد أحياناً... المالكي: في إنقاذ التاريخ الإسلامي - ص ٣٥- ٣٦

فخرج إليه علي وهو يقول: **أنا أبو القصم**.

فقتله).

وأضاف في شأن فتح خيبر: (فتْحه حصنها وتترسه بباب من أبوابه ـ لم يستطع ثمانية من الصحابة قلبَه ـ مشهور. قال سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر الصديق برايته إلى بعض حصون خيبر، فقاتل فرجع ولم يك فتح وقد جهد، ثم بعث الغد عمر بن الخطاب فقاتل ثم رجع ولم يك فتح وقد جهد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار.**

قل: فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً وهو أرمد فتفل في عينه ثم قال: **خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك.**

قل سلمة: فخرج ـ والله ـ بها يهرول هرولة وإنا لخلفه نتبع أثره حتى ركزها في رضم من حجارة تحت الحصن، فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال: **من أنت ؟**

قل: **أنا علي بن أبي طالب.**

قل: فقال اليهودي: **علوتم وما أُنزِل على رأس موسى** [1] **!**

فما رجع حتى فتح الله على يديه.

قل أبو رافع مولى النبي صلى الله عليه وآله وسلم: خرجنا مع علي بن أبي طالب حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من يهود فطاح ترسه من يده، فتناول علي باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يديه حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر سبعة معي أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه) [2].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

١ أي أنه ادرك أن المسلمين سينتصرون ببطولة علي فأقسم بالتوراة على ذلك.

٢ المرعشي: شرح إحقاق الحق ـ ج ٣٢ ـ هامش ص ٣٠٦

طه العفيفي:

الكاتب المعاصر طه عبد الله العفيفي، له عدة مؤلفات من بينها من **وصايا الرسول**، و كتاب **من أفعال الرسول في الطهارة والصلاة**، و كتاب **الحقوق الإسلامية**.

قال في كتابه العشرة المبشرون بالجنة: (ومن شجاعته ما حدث وهو في العاشرة من عمره حين أحاط المشركون بالنبي قبل انتشار الدعوة الإسلامية وهم ينذرون النبي ويتوعدونه، ويقولون له: **إنك وحيد ليس لك فينا نصير**.

وعندما سمع ذلك علي، صاح قائلاً وهو ينظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم: **أنا نصيرك**. فضحك القوم من هذا الصبي الصغير، ولكنه شدَّ قبضته كأنه فارس مغوار، وهو يهم بالهجوم على القوم دفاعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم).

وأضاف في معرض حديثه عن مبيت الإمام بفراش النبي ليلة الهجرة: (ومن أجمل ما قرأت حول هذا قصيدة للشاعر المصري الشيخ محمد عبدالمطلب رحمه الله يقول فيها تحت عنوان **علي ليلة الهجرة**:

ولن ينسى النبي له صنيعاً ... عشيةَ ودَّع البيت الحراما
عشيَّة سامه في الله نفساً ... لغير الله تُكبَر أن تساما [1]
فأرخصها فدىً لأخيه لما ... تسجّى في حظيرته ونامـا
وأقبلت الصوارم والمنايا ... لحرب الله تنتحم انتحاما
فلم يأبَه لها أنفاً عليٌّ ... ولم تقلق بجفنيه منامـا
وأعشى الله أعينهم فراحت ... ولم ترَ ذلك البدر التماما) [2]

* * * * * * * *

---

١ سامه = طلب منه

٢ العفيفي: العشرة المبشرون بالجنة ـ ص ٢١٢ - ٢١٦

عبدالفتاح عبدالمقصود:

الباحث والأديب المصري الأستاذ عبدالفتاح عبدالمقصود، ولد عام ١٣٢٩ هـ بالقرب من مدينة الإسكندرية، ونال شهادة الليسانس في الآداب قسم التاريخ، وعُيِّن أخصائياً للإعلام والنشر في المؤسسة الاقتصادية بالقاهرة، ومديراً لمكتب نائب رئيس الجمهورية بمصر، ثم مديراً لمكتب رئيس الوزراء للتحرير والنشر.

أهم مؤلفاته **الإمام علي بن أبي طالب**، في ٩ أجزاء، **أبناؤنا مع الرسول، الزهراء أم أبيها، السقيفة والخلافة.**

قال في موسعته حول الإمام علي عليه السلام[1]: (ألا ما أعزلها ليلة بين لياليه، ما أعزلها ليلة تفضل كل لياليه! هاهو ذا على فراش الرسول، مسجى ببرده الأخضر حتى لايستطيع أن يرى أتقدم القوم نحوه خطوات أم ما زال عن أسلحتهم بمنجاة. لكن أصواتهم كانت تسري دائماً إلى سمعه، هامسة كأنها طنين نحل، تطوف به همهمتها مخافتة، وكان صافي الذهن حاضره، صاحي العين لم يطف بعينه نوم.

أترى وجد في اليقظة متعة فراض نفسه على السهر ليشهد كيف تستقبل هذه الطغمة فشلها حين تتبين فرار محمد؟ كان هذا بعض ما جال بذهنه، وأما بقيته فارتقاب طعنة الموت يتلقاها من سنان حانق.

لن يسرّ القوم أن يلعب الفتى لعبته فيفقدهم صيدهم وهم على حافة النصر، وليس بمستبعد إذاً أن يأخذوا الفادي الحاضر بالمفتدى المهاجر.

ولعب على شفتيه طيف بسمة نصفها رضا ونصفها سخرية. إن الموت كان غاية المأمول من حياته لأنه الوسيلة إلى حياة عقيدته، وليكونن في مقتله لقريش والعرب قارعة أي قارعة، لأن دماءه لن تذهب لُقى[2]، بل سوف تدعو من بين قومه أناساً للثأر

---

١ سنضطر إلى الاختصار في بعض المقاطع.

٢ لقى = بلا فائدة

له انتصاراً لحرمة الدم. ولئن كانت قريش قد أجمعت أمرها على قتل محمد، فقد تذرعت لجرمها هذا بأن رسول الله شق عصاها وبذر بدعوته الجديدة في صفوفها الفرقة. أما ابن أبي طالب فلن تنهض لقريش حجة أمام ذويه على قتله إياه....

ولكنهم اليوم عُمي القلوب والبصائر، وإن حدَّت منهم العيون والنواظر، بل إنهم ما لبثوا أن فقدوا أيضاً حِدَّة البصر وحضور الذهن حين اخترق محمد جمعهم ومر بالنطاق الذي ضربوه حول الدار. وكان عليٌّ في مرقده، واجف القلب إشفاقاً على الرسول، يرى بلحظ الخيال دون رُأى اللحظة، إليه يسري ترتيل محمد، إذ يسير مخلّفاً المكان، خافت الرنين رافع اليقين ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[1].

وحقّت كلمة الله فلم يره منهم راء ولم يسمع خَطْوه سميع، واطمأن قلب علي وسكنت نفسه حين تلاشى رويداً رويداً جرس الآيات وراح في السكون، ثم أغرقت البسمة شفتيه، ناطقةً بفرحة قلبه لنجاة محمد ونفاذه من بين عدوه كسريان النَّسمة، ترعاه عين الله وتظله رعايته، وتحوطه يد عنايته الإلهية وهي توجه خَطْوه خارج مكة، صوب الشمال إلى يثرب، أرض النصر.

تلك كانت أولى لحظات الفتى بالخلود، شعر ساعتها بالسعادة كما لم يشعر بمثلها مطلقاً قلب إنسان، ولم يكن هذا لنجاة محمد فحسب، لأنها كانت في قلب علي راسخة رسوخ اليقين وإن شق عليه أن يرد إلمامةً من جزع طافت به وهو يرهف سمعه لخطو النبي إذ يسير مجتازاً باب الدار وحلقة الثوّار.

ولم يكن من أجل انتقال الدعوة الإسلامية من بلدة شائنة جاحدة إلى أرض طيبة صالحة للحياة والنماء، فهو وطيد الإيمان بالمستقبل المسطور لدين الله في لوحة القضاء، لا لهذا أو ذاك غمر الفتى من سعادته ورضاه ما ملأ أجواء دنياه، ولكن لأنه

---

[1] يس/٩

رقد يرتقب أن يمس عنقه سيف تحركه يد حانقٍ من القوم ويجهز عليه بـه، لأن موتـه العاجل ها هنا فيه نصرة لدينه وعزة لنبيه وخدينه [1].

لقد استخلص الفتى هذا بعد أن فكّـر وقـدّر ومـا كـان ذوو قربـاه مـن قـريش ليغفروا لقاتليه قطرة دم تراق منه، بل سيجتمعون على الثأر له، قاصـيهم ودانـيهم، حاضرهم وغائبهم، ولن يتخلف منهم عن تلبية نداء الدم عبّاد أصنام وأتباع إسلام.

كذلك فكّر علي وقدّر فأصاب، ولم يكن مبالغاً، بل كان يستخلص النتائج بقياس حدثه على غيره من أحداث...

ولكن أولئك الذين عصف الغضب بجوانحهم حين حسـروا الغطـاء فلـم يـروا محمداً تحته، عرفوا كيف يملكون سَوْرتهم عند حد، فلم يفز الفتى بأمنيته ـ لم يُقتَل !

لم ترفرف روحه في الفضاء تدعو آل عبـدالمطلب وآل هاشـم ومـن تـابَع هـؤلاء وأولئك إلى الثأر له والانضواء تحت لواءٍ واحد قد كادوا أن يجتمعوا تحته تلبية لنداء الدم.

ولئن أفلتت من علي هذه الفرصة فلسوف تواتيه الأيام وشيكاً بغيرها من فرص سانحات، ولن يلبث أولئك الذين تركوه ولم يضرّجوا الفراش بدمه أن يندموا لأنهم تلك الليلة أبقوا على حياته فأحيوا فيه شبح الموت الذي ظل يلاحقهم بعدها مـدى أعوام وأعوام !

كان علي منجل الموت الـذي أخـذ يلاحـق رؤوس قـريش مـن أعـداء ديـن الله فيقطفها قطفاً ويخطفها خطفاً، تسقط تحت سيفه كالثمر، وتتراكم عند قدميه في عـدد المدر، وذاك الفتى الذي كان في صباه سبّاقاً إلى الدين أصبح اليوم ـ في فجـر شـبابه ـ سبّاقاً إلى ضرب الهام وشق الأجسام.

وفي كلا ناحيتي شجاعته المعنوية والمادية كان المؤيَّـد الـدائم برسـول الله، المقـرب إليه، المرموق منه بعين الحب والرعايـة... حتـى في سـاعة الحـرب، والـنفس البشـرية

---

١ خدين = صديق

مشغولة عن دنياها جميعاً بلحظة الطعان المنتظرة، كان النبي حين سعى إلى بدر بجيوش المسلمين يسير آونات إلى جوار بعيره ويدعه مطيّةً لابن عمه ليخفف عنه بعض مشقة الطريق....

وكانت بدر كلها نصراً هو فاتحة النصر المبين لراية الدين، بل كانت المنفذ الذي اجتازه هواء الحياة إلى رئة الإسلام، جازت محنتها الفئة القليلة فغلبت الفئة الكثيرة بإذن الله.

ولئن كان النصر سبقت أنباؤه إلى لوح القضاء طعان الأبطال، فإن علياً كان الأسبق يداً وسيفاً إلى أعناق الأعداء. لم يكن في المسلمين أسنَّهم، ولا أشدَّهم ساعداً ولا أبعدهم صيتاً في مجال الكفاح يوم خاض غمار هذه الواقعة البعيدة الأثر في تاريخ الإنسان، ولم يكن قط مارس من الحرب ما مارست الكثرة من صحابة المسلمين، إذ كان بعد بالدنيا حديث عهد، لم يجاوز العشرين إلا بقليل. ولكنه كاد أن ينفرد بجنان ثَبْت وقلب جَلد، لا يستطيع أن يطرقه خوف أو تطوف بساحته رهبة. ولم يكن فوق هذا وذاك كأولئك الشجعان الذين ينسون في معمعان المعركة كيانهم، ويفنون فيها فناء يحجب عن أبصارهم سيرها، وإنما كان مرهف الحواس متمالك الجأش ، يقظاً غاية اليقظة أمام كل صغيرة وكبيرة تبدو أثناء الصراع من مناجزيه حتى كأنما جسمه كان عيوناً تنظر.

وما من شك في أنه لم ينفرد وحده بالصيال[1]، ولكن الثابت ثبات اليقين أنه وحمزة عمه كانا فرسي رهان، وكانا دائماً سبّاقين إلى رؤوس الكفر وأشياخ قريش الضالين يضربان الهام كأنما تخيّرا ذلك اليوم أن يحفروا قبور الأصنام....

وأما علي فقد تهيّب الناس فيه صِلْقَ حَمَلِه وحدَّ نصْله، فكانوا إن آثروا الثبات لا يملكون إلا الوقوع صرعى تحت قدميه، أو فضَّلوا السلامة أدبروا يفرّون أو ارتدوا ينكصون بُعداً منه، ثم كان يبعثهم كربُهم أحياناً على اصطناع الحيلة كيلا يعمل في

---

١ الصيال = القتال

أقفيتهم سلاحه، فيكشفوا عن عوراتهم إذ علموه يربأ بناظريه أن يرى سوأة.

وكانت يقظته لا تغادره لحظة مهما تأجج لهب الحرب، بل يظل أبداً متمالك الأعصاب، يتحرك كمن في نزهة، فلا تفوته من صفوف مناجزيه أجمعين لفتة أو حركة، وقد بقيت يقظته هذه الدرع الواقية والحصن الذي حال طوال حروبه بينه وبين أعدائه المتوالين أن ينالوا منه، وإن رصدوا له العيون والأرصاد، وكتلوا بين يديه وخلفه حشدهم بالمرصاد.

كانت بدر نصراً كلها للدين وللمسلمين رفع لواءه عالياً عليّ، وباء بالخذلان أئمة الكفر الذين أفلتوا من السيف والسنان. وهكذا ثبَّت الله قدم نبيَّه وأعزَّ أمره...)[1].

وقال في شأن بطولة علي في حرب الأحزاب: (تقدمت من بينهم عُصبة هي أشدهم وأجلدهم على الصراع والصيال، فامتطت الخيل وسارعت تضرب أجنابها إلى ناحية من الخندق سهلة الاجتياز محاولة أن تقتحمها كي تكون مَجاز بقية جيشها إلى المدينة، ولكن علياً كان كدأبه اليقظ الذي لا تفوته من عدوه حركة أو لفتة.

في سرعة الصوت قفز بجواده على أولئك المجترئين لم يثنه عنهم أنهم جماعة وهو فرد ، ولم تذهله المفاجأة التي اندفعوا بها يقتحمون الخندق على المسلمين قبل أن ينتبه لفعلتهم كثيرون غيره، وكالبرق طاح بينهم سيفه اللمّاح حتى راعهم منه ما حسبوا من قبل أنهم مروّعوه بمثله، وكأنما أعادت حملته الصادقة إلى نفوس أصحابه الوعي الذي غاب عنهم هنيهة، فسارعوا إليه يسيرون في أعقابه ويدفعون حتى فرّت خيل المشركين ولوت أعنَّتها لتعبر الخندق إلى صفوفها مرتدة.

لابد أن يكون هذا قد أصاب من اعتداد قريش ومن صَلَفها ومن كبريائها، ولابد أنها استشعرت فيه طعم مهانة لم تذق لها في يومها طعماً، وكان أكثرها شعوراً بمرارة

---

١ عبدالمقصود: الإمام علي بن أبي طالب ـ ج١ ـ ص ٥٤ ـ ٦٣

هذه الفاتحة الخاسرة فارسها المجلى وبطل ميادينها عمرو بن عبد ود ، الذي قاد عصبةَ خيلِها فاقتحم الخندق عزيزاً ثم انثنى فاجتازها مدحوراً ذليلاً.

لم تعد القضية الآن في حسبانه قضية قريش، بل أصبحت قضيته هو، قضية الذِّكْر الذاهب في أنباء البطولة إلى السماء، والصيت الذي تحدث به العرب في الجزيرة ورواه رواتهم في كل الأنحاء، قضية السيف الحاصد البتّار كأنه شعلة نار، والرجل الذي لا يقومه قومه بين الرجال إلا بألف من الأبطال، قضية الكبرياء المهيضة الجناح كأنما قد طُعنت في قلبها بأصمى سلاح [1] !

لم تثبت بعمرو قوائم فرسه حتى عاد بها إلى جانب الخندق كأنه القلعة فوق صهوتها، دارعاً مقنّعاً بالزرد والحديد تهتز الأرض تحت تيهه وزهوه، وتنتبه العيون من كلا الفريقين بنظرات فيها رهبة، وفيها إعجاب، ثم لا تكاد أن تستقر عليه طويلاً بل تغضي لفرط ما ملأ الأسماع من صيته المرهوب وما جرى من أنبائه في النفوس والقلوب....) [2].

واسترسل المؤلف في حديثه حول مجريات المواجهة بين الإمام علي عليه السلام وعمرو ابن عبد ود ، ثم قال: (كانت قريش جميعها واثقة من المصير المحتوم الذي ينتظر الشاب، عالمة به قبل وقوعه، وكان المسلمون مثلها منذ بدأ الصراع وإن استبدلوا بفرحتها بهذا المصير اللوعة على المُنازل الصغير.

أجل، فلم يكن بين كلا الفريقين إلا من هو مؤمن أشد الإيمان بإضافة عمرو ضحية جديدة في عداد ضحاياه، ولكن الله بدّل حدسهم جميعاً، لأن العيون وقعت بعد قليل على ما لم يدر مطلقاً في الأخلاد والظنون. سقط عمرو وقد هدّته الضربة، وثار لسقطته الغبار إلى جوار أقدام عليٍّ كما يثور لحركات ثور ذبيح !

---

١ أصمى سلاح - أكثره نفاذاً وتاثيراً

٢ عبدالمقصود: الإمام علي - ج ١ - ص ٩٠ - ٩١

ومن بين الغبرة التي ارتفعت علا صوت ابن أبي طالب بالتهليل والتكبير يتلوه هتاف الآلاف من عسكر المسلمين.

إقدامٌ حيث لا معدى لغيره عن التزام الإحجام، هذه ناحية من خُلُق علي، واضحة الملامح جلية، رفعته في مجالي الشجاعة على الناس، إن أدلى بالرأي أو هزَّ السيف. ومع ذلك فلم تكن في الشاب دفعة، ولا تهور أو طيش، ولكنه كان يصدر فيما يأتيه دائماً عن حكمة خفيت عن نفوس الناس، وشعور كأنه إلهام يوفى به على إحكام التقدير عند اقتحام المعامع أو معالجة الأمور. كانت له نظرة ثاقبة نفاذة فيما يعرض له، ولكنها كانت أيضاً لمّاحة تسبق ما يستخلصه سواه بعد إعمال فكر أو موالاة تدبّر، وتصل به سريعاً ـ وغيره لم يزل بعدُ في بدء التفكير ـ إلى النتائج العصيّة على العقول حتى ليحسبه الناس يجنح إلى اعتساف الحلول.

وكانت تقوده دائماً بديهة صافية، ويسدد خطاه قلبٌ ملأته الثقة بقدرة صاحبه، وإن كانت هذه صفة تعدل الغرور في نظر مغلولي الصدور !)[1].

وتحدث الكاتب حول فتح خيبر، بيد علي، في أعجوبة انحنت لها أقلام فحولة التاريخ إجلالاً، فأخذ يصف المشاهد البطولية تقديراً وإعجاباً، وبعبارات بليغة تأخذ بالألباب، ثم عقَّب على ذلك بقوله: (على هذا المنوال كانت حياة علي مثالاً فذاً من البطولة منذ أشرق فجر حياته على دنيا التاريخ، وكانت سيطرته على نفسه هي رائدُه الأوحد إلى هذه البطولة، لا يعنيه إلا أن يفعل ما دام يؤمن بمقدرته على أن يفعل، وكان دائماً يؤمن بهذه القدرة التي جربها فلم تخنه مطلقاً في مرة، وما أحسبه كان مستطيعاً غير هذا وهو الذي شب في أكناف رجل وقف بمفرده أمام عالَمه بغير سلاح، إلا إيمانه !

إنما نحلَهُ محمد بعض الثقة التي سلّحه بها الله، وأضفى عليه من سوابغها آيات،

---

١ عبدالمقصود: الإمام علي ـ ج ١ ـ ص ٩٣ - ٩٥

ولئن كان علي قد برز في هذه البطولة المادية، فلقد توفرت له منها ـ فوق التوجيه النفسي ـ طوابعها الجسدية التي كانت تنبئ دائماً بما فيه.

كان الفتى في الأقران شديد البنيان، موفور القوة إلى مدى لا يصل إليه قرين ولاأقران، وبحسبك أن تسمع حديث التاريخ يلقي على مسمعك في قصة حصن ناعم أن بضعة عشر رجلاً من أصحابه حاولوا أن يحملوا الباب الذي كان تِرسه، فناؤوا به !

وكان ضخم عضلة الساق، أمْيَل إلى القِصَر، فهو بصفتيه هاتين أثبت في موطئ قدميه وأشد رسوخاً، ملئ عضلات الأعضاد مكتّلها، حتى يستطيع أن يخطف بذراعٍ واحدةٍ فارساً عن فرسه، وإن كان دارعاً في الحديد ، فيجلد به الأرض كما تضربها بسوط، ثم يقذف به كالكرة إلى أينما شاء !) [1].

* * * * * * * *

خالد محمد خالد:

الأستاذ الشيخ خالد محمد خالد ، ولد عام ١٣٣٨ هـ ، ودرس الشريعة في الأزهر مدة ١٦ عاماً إلا أنه لم يلبس العمامة. له مؤلفات عديدة معروفة، من بينها **أبناء الرسول في كربلاء و من هنا نبدأ و رجال حول الرسول** . توفي عن عمر يناهز ٧٦ عاماً، وقد أوصى قبيل وفاته أن يوضع نعشه عند مقام الإمام الحسين عليه السلام ـ ولو لمدة خمس دقائق ـ قبل دفنه في مسقط رأسه، علماً بأن أباه أتى به عند المقام في أول دخولهما القاهرة وذلك بغرض التحاقه بالأزهر الشريف.

قال في كتابه **خلفاء الرسول**: (ذات يوم، والرسول بالمدينة، نزل عليه الوحي بآية

---

١ عبدالمقصود: الإمام علي ـ ج ١ ـ ص ٩٦ ـ ٩٧

جديدة من القرآن، وراح الرسول يتلوها على أصحابه وهم منصتون: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [1]، وأحدثت الآية في أفئدة الصحابة رد فعل قوياً، وظن بعضهم أنها تنعى إليهم نبيهم عليه الصلاة والسلام.

وصاح علي بن أبي طالب: **والله لا ننقلب على أعقابنا بعد أن هدانا الله، ولئن مات أو قُتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت.**

وطوال عمر علي في حياة الرسول وبعد وفاته، وهذه الآية لا تبارح ذاكرته وإنها لتلح على وجدانه إلحاحاً دائباً وعجيباً. فهو دائماً يذكرها فيتلوها، ويتبع تلاوته لها بكلماته التي سمعناها الآن: والله، لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، ولئن مات أو قُتل، لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت.

ولكن لماذا اختار القتال سبيلاً للتعبير عن ولائه للدين، وإصراره على متابعة طريق الرسول ؟ لماذا لم يقل: ولئن مات أو قُتل لأواصلن السير على نهجه، والاهتداء بسنته وهديه ؟

إن طبيعة المقاتل تحتل كل ذرّة في كيانه، فإذا أعطى العهد على مواصلة السير تحت الراية التي يرفعها الرسول بيمينه، فإنه يصوغ عهده من الكلمات التي تتسق مع طبيعته وتعبّر عنها في أمانة وصدق. وأي كلمة تعبّر عن طبيعة المقاتل سوى كلمة سأقاتل ؟

صحيح أن الآية نزلت في معركة دائرة، وقتال مشبوب في غزوة أحد أو بعدها، والمشركون يومئذ يُرجِفون بأن الرسول قُتل، فنزلت الآية تسفّه أحلامهم، وتشد عزم المسلمين، وتخبرهم بأنه حتى لو مات الرسول أو استشهد، فإن رايته لن تسقط، ودينه لن يتقهقر، وجنده لن يضعوا السلاح. فلئن كانت طبيعة المناسبة، تجعل الرد على تساؤل الآية: سنقاتل، فإن طبيعة المقاتل هي التي جعلت كلمة سأقاتل شعار حياة

---

[1] آل عمران / ١٤٤

بأسرها، وليست شعار مناسبة بذاتها.

وهكذا رأينا الإمام طوال حياته المديدة والمجيدة، لا يفتأ يذكر الآية الكريمة فيتلوها، ثم يعقب عليها بنشيده ذاك: **ولئن مات أو قُتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت.**

قلنا: إن علياً يحمل بين جنبيه طبيعة المقاتل وسجاياه، فهل هذه منقبة توضع في ميزان فضائله، ومزاياه ؟

وبتعبير آخر: هل وجود طبيعة المقاتل في إنسان أمر يشرّف ذلك الانسان ؟

أما بالنسبة لابن أبي طالب، فنعم. إن كون طبيعة المقاتل في أعماقه، لما يزيده شرفاً ورفعة وكمالاً. ذلك أن طبيعة المقاتل فيه قد بلغت من الاستقامة، ومن العدالة، ومن الشرف، المدى الذي أفاءه عليها القرآن، والرسول والإسلام. فهي عند الإمام لاتمثل عدواناً ولا تشكل بهتاناً ولا تنطلق وقوداً لأغراض الدنيا، وأطماع النفس. وهي بهذا، ولهذا، تجاوز نفسها إلى أعلى مستويات البطولة.

كما أن البطولة عنده وظيفة تحمل أسمى تبعات الرجولة، والرجولة عنده ليست اندفاعاً عرمرماً تزجيه طاقاته الجبارة، إنما هي التزام يكاد يكون مطلقاً لمنهج الرسول الذي آمن به، والدين الذي حمل رايته.

وهكذا نرى البطل والمسلم يلتقون في شخصية الإمام علي أصدق لقاء. أجل لم ينفصم البطل، عن الرجل، عن المسلم، في حياة عليٍّ أبداً.

فإذا رأيناه يبارز خصماً مثلاً، فليس البطل المتمكن هو وحده الذي يبارز، بل إن رجولة الرجل، وورع المسلم هما اللذان يرسمان للبطل أسلوب المبارزة وآدابها.

انظروا ! في غزوة أحد يخرج من صفوف المشركين أحدُ مبارزيهم الأشداء هو أبوسعد بن أبي طلحة، وينادي علياً ليبارز ويخرج علي إليه ويتلاقان في مبارزة ضاربة حامية ويتمكن منه سيف عليّ بضربة تطرحه أرضاً، وهو يتلوّى من الألم. وبينما علي يتهيأ ليُجهز عليه بضربة قاضية، ينحسر جلباب الرجل فتنكشف عورته،

فيغمض عليٌّ عينيه، ويغض بصره ويثني إليه سيفه ويعود إلى مكانه في الصف.

ويسأله المسلمون: **لماذا لم تُجهز عليه ؟**

ويجيبهم: **لقد استقبلني بعورته، فعطفتني الرحم.**

إن شرف المقاتل خُلقٌ لا ينساه علي أمام النصر، وأمجاد الظفر. ولقد عُرف عنه ذلك دائماً، فراح أعداؤه يلمسون هذا الوتر كلما رأوا المنايا تهوى عليهم من سيفه الوثيق.

إن الأبطال الأصلاء العظماء، لا ينشدون النصر مجرد النصر، إنما هم ينشدون النصر عفاً شريفاً عادلاً، فإذا لم يأتهم النصر موشّى بهذه الفضائل، فلا خفقت راياته، ولا دقت طبوله. وسنرى ونحن نتتبع مشاهد البطولة في حياة الإمام، كيف كان حرصه الشديد على شرف المقاتل آثر وأبقى من غلبة ومن كل انتظار.

ومن المفارقات العجيبة لشخصيته، أن براعة المقاتل فيه، كانت تزلزل خصومه خوفاً وهلعاً في حين شرف المقاتل فيه، كان يملأ نفوسهم طمأنينة وأمناً. أجل لطالما تحولت نقمته على أعدائه إلى رحمة بهم بسبب إيمانه الحق بأن القتال الشريف النبيل العادل، هو وحده سبيل الرجال، إذا اضطروا لقتال.

بعد أن تحقق له النصر في موقعة الجمل، وقبل أن تبدأ موقعة صفين وكان لا يزال يرجو أن يفيء معاوية إلى الحق، على الرغم من كل الشواهد التي كانت تنبئ بإصراره على موقفه وإعداده العريض للحرب والقتال يومئذ، علم الإمام أن اثنين من كبار أنصاره يجهران بشتم معاوية، ولعن أهل الشام، هما: حجر بن عدي وعمرو بن الحمق، فأرسل إليهما آمراً أن يكفّا عن هذا الشتم وهذا اللعن، فقدِما عليه وسألاه:

يا أمير المؤمنين، ألسنا على الحق، وهم على الباطل ؟

أجابهم الإمام: **بلى، ورب الكعبة.**

قالوا: **فلم تمنعنا من شتمهم ولعنهم ؟**

قال الإمام: **كرهتُ لكم أن تكونوا شتّامين لعانين، ولكن قولوا: اللهم احقن**

دماءنا ودماءهم، وأصلِح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي من لجّ به.

إنه شرف المقاتل أيضاً، وإنها البطولة التي تزجيها الرجولة[1]، والرجولة التي صاغها الإسلام في أحسن تقويم.

ولكن، لماذا عجلنا وتخطينا الزمن ورحنا ننشد الأمثلة على بطولة الإمام من أخريات أيامه ؟ ألا يحسن بنا أن نستشرف هذه البطولة في بداياتها الرائعة ؟

بلى فلنرجع مع الزمن إلى وراء، حيث الرسول في مكة يتهيأ للهجرة إلى المدينة التي سبقه إليها أصحابه. إن خطة الهجرة كما رسمها الرسول، كانت تتطلب أن يأخذ مكانه في البيت رجل تشغل حركته داخل الدار أنظار المحاصرين لها من مشركي قريش، وتخدعهم بعض الوقت عن مخرج الرسول ﷺ، حتى يكون وصاحبه أبوبكر قد جاوزا منطقة الخطر، وخلّفا وراءهما من متاهات الصحراء مسافة تتشتت فيها مطاردة قريش إذا هي خرجت في طلبهما.

ولكن ما مصير هذا الذي سيخلف الرسول في داره، ويخدع قريشاً كلها عن مخرجه ؟ ما مصيره حين تكتشف قريش الحيلة، وترى كيدها الذي عبأت فيه كل قواها، يرتد، لا هزيمة ملحقة فحسب، بل وسخرية تضحك منها وِلْدانها، وخزياً يجثم فوق جبينها ؟

إن مصيره مفروغ منه، إنه القتل، إذا لم تجد قريش ما هو أشد من القتل تشفّياً وفتكاً. والحق أنها ستكون نهاية موحشة، فالرجل الذي سيكتب عليه أن يحمل هذه التضحية، لن يُقتل فحسب بل هو سيقتل في بلد موحش، قد خلا من كل أصحابه الذين كانوا بالأمس يملأون فجاجه دوياً بالقرآن كدوي النحل. في هذا البلد الموحش سيُقتل وحيداً دون أن يجد من إخوانه من يشجعه ولو من بعيد بنظرة تثبيت، أو

---

[1] تزجيها = تقودها

يودعه ولو من بعيد أيضاً بنظرة عطف ومحبة أو يتسلل في جنح الظلام إلى قبره فيقف عليه مسلّماً.

لا شئ من ذلك سيكون، ولا شئ من ذلك سيخفف من وقع النهاية التي ستختارها قريش لمن يمثّل دور الرسول عليها حتى يخدعها عنه، وحتى يرد كيدها العاتي تراباً في تراب.

فمن أي طراز سيكون هذا الفدائي العظيم، ومن أي ناحية سيجئ البطل ؟ إنه من بيت النبوة يجئ، إنه سليل بني هاشم وتلميذ محمد، إنه ربيب الوحي وسابق المسلمين، إنه علي يفاجئ قريشاً فليسوء على يديه صباحها كما ساء بخروج النبي مساها.

على أن مهمة علي رضي الله عنه، لم تكن مقصورة على المبيت مكان الرسول والمكر بقريش حتى يغادر الرسول مكة، بل كان لها جانب آخر يتطلب نفس القدر من الفدائية والبذل والتضحية، ذلك هو قيامه بردّ الأمانات والودائع التي كان الرسول يحتفظ بها لذويها من أهل مكة.

لقد تلقى علي من الرسول كل هذه الودائع وتلقى منه أسماء أصحابها، وكان عليه أن يذهب إليهم داراً داراً وفرداً فرداً ويعطي كل إنسان أمانته، دون أن ينيل قريشاً منه فرصة تحول بينه وبين إنجاز مهمته كلها.

ولقد قام البطل والرجل بالمهمة على خير وجه، وحفظه الله ورعاه وصدق وعد الرسول له حين قال وهو يودعه: **لن يخلص إليك شئ تكرهه منهم.**

وبعد أيام ثلاثة، قضاها الفتى الوثيق بمكة، يردّ الأمانات إلى ذويها، ركب الصحراء مهاجراً إلى الله ورسوله، وحده، خرج مجتازاً نفس الطريق الذي خرجت عليه قوات قريش تطارد الرسول والصدّيق، وتطلبهما بكل جهد وثمن.

وحده خرج عليٌّ في رباطة جأش تجل عن النظير، وفي إيمان مطلق جعل عزمه

يتألق مضاء وتهللاً. وبعد أيام وليال، كان هناك في قباء ينزل مع الرسول في نفس الدار التي أعدت له عليه السلام، دار كلثوم بن هدم، أخو بني عمرو بن عوف.

وبعد أيام، ينتقل مع الرسول إلى المدينة دار الهجرة وعاصمة العالم الجديد الذي جاء محمد ينشئه ويبنيه على دعائم الإيمان والحق والعدل والرحمة والسلام.

وتجئ غزوة بدر، ويواجه الإسلام الوثنية في أول لقاء مسلح ينشب بينهما، ويظهر علي بن أبي طالب، وعمه حمزة رضي الله عنهما من المقدرة والجَلَد والبطولة ما يبهر الألباب).

واسترسل الكاتب في وصف بطولات علي في المعارك حتى قال: (والآن نتابع البطل في خيبر، فأمام حصنها المنيع ارتدّت أول يوم كتيبة قوية يقودها أبو بكر الصديق، ثم ارتدّت في اليوم الثاني كتيبة أخرى، يقودها عمر بن الخطاب.

لم يجزع الرسول، فما كان هو بالجازع أبداً، وإنما ألقى على الصفوف الحافلة بأصحابه وبجيشه نظرة متفائلة وقال: **لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه.**

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **ما تمنيت الإمارة قط إلا ذلك اليوم، رجاء أن أكون مَن يحبه الله ورسوله.**

أصبح الصباح، وأقبل المسلمون إلى حيث يلتقون برسولهم وكلهم شوق إلى معرفة الرجل الذي سيعطيه الرسول الراية، والذي سيتم على يديه فتح ذلك الحصن الرهيب. واكتملت أعدادهم، واستوت صفوفهم واشرأبت الأعناق متمنية راجية. وشقّ السكون صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **أين علي بن أبي طالب ؟**

كان عليٌّ هناك وسط الزحام، لم يخطر بباله يومئذ أن يكون هو الرجل الذي وعد الرسول أصحابه، وجعله بشرى الفتح القريب. لم يخطر هذا الاختيار بباله لسبب، هو أنه في ذلك اليوم كان يشكو رمداً في عينيه، لا يمكنه من العمل الصعب الذي تتطلبه مهمة

ذلك اليوم المشهود ولكنه لبّى نداء الرسول من فوره: **ها أنذا يا رسول الله !**

وأشار الرسول إليه بيمينه ليتقدم منه، فتقدم البطل ورأى الرسول ما بعينه من وجع واهتياج، فبلّل أنامله المضيئة بريقه الطهور، ومس بها عين البطل ثم دعا بالراية فأمسكها ورفعها إلى أعلى وهزها ثلاثاً، ثم غرسها في يمين علي، وقال: **خذ هذه الراية، فامض بها حتى يفتح الله عليك.**

دقائق، لعلها لا تجاوز خمساً ولكنها تمثل حياة كاملة لا منتهى لأبعادها، ولا غاية لأمجادها. حمل البطل الراية، وتقدم كتيبته يهرول هرولة وأمام باب الحصن نادى: **أنا علي بن أبي طالب.**

أجل فإنه ليعرف تماماً ما هذا الاسم في أفئدة أعداء دينه من رهبة، وما يثيره فيهم من فزع وخذلان.

وتلقى علي ضربة قوية لم تصبه بسوء، لكنها أطارت ترسه من يده. ورأى نفسه يواجه فرقة مسلحة من حرس الحصن، فصاح: **والذي نفسي بيده، لأذوقن ما ذاق حمزة أو ليفتحن الله لي.**

رأى سليل بني هاشم نفسه، ولا درع معه فاندفع نحو باب من باب الحصن ولايدري الناس عندها ماذا حدث ؟ كل ما يذكرون أن علياً صاح: **الله أكبر !**

ثم التفت نحوهم وباب الحصن بين يديه. يقول أبو رافع مولى رسول الله، وقد كان ضمن كتيبة علي: **لقد هممتُ أنا وسبعة معي أن نحرّك هذا الباب من مكانه على الأرض فما استطعنا.**

وهجمت كتيبة الإسلام تحت قيادة بطلها علي، وفي وقت وجيز كانت القوة المنتصرة تردد من شرفات الحصن الذي سقط بكل ما فيه، هتاف النصر: **الله أكبر !**

خربت خيبر وصدقت نبؤة الرسول التي قالها لابن عمه: **خذ هذه الراية، فامضِ بها حتى يفتح الله عليك.**

أجل لقد فتح الله عليه، ومنحه النصر المرتجى).

تحدث الكاتب عن معركة الخندق وقتل عمرو بن عبد ود فعقّب قائلاً: (وعاد علي إلى صفوف المسلمين، تستقبله تحيات شاعرهم:

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرتَ رب محمد بصواب

لا تحسبن الله خاذل دينه ورسوله ، يا معشر الأحزاب

وقبل أن نستطرد مع مشاهد بطولته الخارقة، يحسن بنا أن نتذكر ما قلناه من قبل، ألا وهو أن بطولة علي كانت تزدان بكل شرف الرجولة، ولم تكن قط في خدمة هوى أو زهو، إنما كانت في خدمة تلك المبادئ العلى التي هداه الله إليها والتي آمن بها علي أوثق الإيمان.

من أجل هذا لا نعثر على مشهد واحد من مشاهد بطولته، يمثل عدواناً أو بهتاناً. وبطولته على الرغم من شموخها واقتدارها، كانت بطولة مسالمة عاقلة عادلة. ففي هذه البطولة التقت شدة البأس ولين الجانب لقاء موفقاً. من أجل هذا نجد الرسول عليه السلام يندبه في مهام الحرب والقتال لتلك التي تتطلب حظاً وافراً من ضبط النفس ولين الجانب، وفي هذا تزكية لبطولته وإطراء.

في ذلك اليوم المشهود يوم فتح مكة كان الزعيم الأنصاري سعد بن عبادة يحمل الراية على كتيبة كبيرة من المسلمين، ولم تكد تتراءى له مشاهد مكة، حتى استجاشته ذكريات عداء قريش للرسول ولصحبه، فصاح قائلاً وسط نشوة الظفر التي تستخف الأحلام: **اليوم يوم الملحمة اليوم تُستحل الكعبة !**

قالوا: وسمعه بعض الصحابة فروّعهم هذا النداء، وسارع عمر بن الخطاب إلى النبي عليه السلام ونقل إليه كلمات سعد، وقال معقباً عليها: **يا رسول الله، ما نأمن أن يكون لسعد في قريش صولة.**

وعلى الفور، نادى الرسول علياً وقال له: **أدرِك سعداً، وخذ الراية منه فكن أنت الذي تدخل بها.**

عليٌّ الذي شهد كل الأذى الذي صبّته قريش على ابن عمه ورسوله، عليٌّ الذي يحمل طاقة زاخرة فوارة تحرك الجبال، عليٌّ، وهذا يومه، حيث يتوقع منه بأس المقاتل وزهو المنتصر، يختاره أعرف الناس به لمهمة قهر الزهو ونسيان الثأر، مهمة دخول مكة المفتوحة، في تواضع وإخبات وسلام.

ومشهد آخر يعرّفنا بجمال هذه البطولة وإنسانيتها، وما كانت تتمتع به من أناة ومعدلة. فبعد فتح مكة، أرسل الرسول إلى من حولها من القبائل سرايا تدعوها إلى الله في غير قتل لها أو حرب معها، وكان خالد بن الوليد على رأس إحدى هذه السرايا، أمره الرسول أن يسير بأسفل تهامة داعياً لا مقاتلاً، وعند قبيلة بني خزيمة بن عامر، تصرّف أحد رجالها تصرفاً تسرع تجاهه خالد فأعمل فيهم السيف.

ونمى الخبر إلى رسول الله، فغضب وحزن وبرئ إلى الله مما صنع خالد بن الوليد، ثم رأى عليه السلام أن يبادر بإرسال رسولِ سلام، وكان ابن أبي طالب هو الرسول المختار.

دعاه رسول الله إليه، وقال له: **يا علي، أخرج إلى هؤلاء القوم، فانظر في أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك.**

وأعطاه الرسول من المال ما يكفي لدية القتلى، وتعويض أهلهم عن كل خسارة حاقت بهم، وقام علي بالمهمة خير قيام.

وهكذا، حيث تضري البطولات[1]، وتستعلي الأناة والحكمة، يكون علي هو الرجل، وهو البطل الذي يختاره الرسول ليقيم الميزان بالقسط، ويمزج القصاص بالعدل، والقوة بالرحمة، ويضع الشجاعة تحت إمرة السداد والأناة والحكمة.

وإذا كان الفضل ما يشهد به الأعداء، فلنستمع في هذا المقام لشهادة أبي سفيان أيام شركه ووثنيته، فعندما نقضت قريش عهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستخار النبي ربه في الخروج إلى مكة لفتحها، نمى الخبر إلى قريش فسقط في يدها، وأرسلت

---

١ تضري = تعتاد

أبا سفيان إلى المدينة، ليعتذر إلى الرسول، وليسأله الموافقة على المعاهدة التي كانت بينهما، والتي أبرمت يوم الحديبية.

ونزل أبو سفيان المدينة وقابل زعماء المسلمين راجياً أن يزكّوا مهمته عند الرسول فكلهم رفض، بل إن ابنته أم حبيبة ـ وكانت إحدى زوجات النبي ـ أبت أن تجلسه على فراش رسول الله، وكان مبسوطاً في فناء حجرتها ساعة دخوله عليها، فطوته عنه ! ولما عاتبها في صنيعها هذا أجابته قائلة: إنك مشرك، وفراش رسول الله لايطؤه مشركون.

ولما عاد إلى مكة خائب المسعى، جلس يحدّث قريشاً عن محاولته، فقال فيما قال: وجئت ابن أبي قحافة ـ يعني أبا بكر ـ فلم أجد منه عوناً، وجئت ابن الخطاب فوجدته أعدى العدو لقد قال لي: **أأنا أشفع لكم عند رسول الله ؟ والله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به.**

وجئت علياً فوجدته ألين القوم !

أجل في هذه المناسبة بالذات، حيث لا يتوقع من علي كرم الله وجهه سوى بأس المقاتل، وتشفّي صاحب الثأر، نجد لين الجانب ورحمة الغلب يسمان موقفه وتصرفه. وبشهادة من ؟! بشهادة خصمه أبي سفيان زعيم قريش يومئذ وقائد جيوشها وحامل لواء وثنيّتها.

ذلكم هو نوع البطولة التي أفاءتها مقادير علي عليه، بطولة يقودها العقل لا العاطفة، بطولة تحكمها أخلاقياتها النبيلة السامية، فلا تستعلي على الرحمة ولا تزيغ عن الحق ولا تتنكب طريق الأناة والحكمة.

وبهذه البطولة وقف علي تحت راية الرسول في حياته وبعد مماته، بهذه البطولة الشهمة العادلة، قاتل المشركين فما تخلف عن غزاة ولا عن مشهد أبداً، إلا غزاة واحدة أمره الرسول بعدم الخروج إليها ليكون خليفته في المدينة على أهله. ولما

تململت روح البطل إزاء هذا التخلف أرضاه الرسول بقوله على ملأ من أصحابه:

أما يرضيك أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ؟

وبهذه البطولة الشهمة العادلة، سيخوض قتاله مع معاوية ومع الخوارج، وسيواجه الفتن الحالكة التي تدع الحليم حيران بأخلاقه الطاهرة، قبل أن يواجهها بمقدرته القاهرة. لن يجد بأساً ـ أيَّ بأس ـ في أن يخسر ألف معركة، ولكنه لن يسمح للظروف ـ مهما تبلغ ضراوتها وشدتها ـ أن تسلبه فضيلة واحدة من فضائل نفسه وفضائل دينه. والحق أن معارك الحروب الأهلية التي اضطر الإمام لخوضها كانت أعظم مجاليّ عظمته ورجولته ونُبله، فإلى هناك لنرى بعض مشاهدها.

إن منصة الأستاذية قد رفعت فوق المشقة والهول، وقد علاها البطل والمعلم ليرى الدنيا على الطبيعة كيف تعمل البطولات العظيمة في نُبل واستقامة وشرف) [1].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

العلامة فضل الله:

المرجع الديني المعاصر والمفكر الإسلامي السيد محمد حسين بن عبدالرؤوف بن نجيب الدين الحسني، نسبت أسرته إلى جدهم السيد فضل الله بن محمد، ولد في النجف الأشرف عام ١٣٥٤ هـ ، وبها تلقى علومه على يد جهابذة العلم فيها فنبغ، ثم غادر إلى لبنان عام ١٣٩٦ هـ حاملاً مشروعاً كبيراً على مستوى التوعية وإنشاء المؤسسات والعمل السياسي والفكري، وقد أنجز الكثير منه على أرض الواقع، ويعد اليوم أحد أبرز الشخصيات الإسلامية على المستوى العالمي. له مؤلفات عديدة، كما جمعت محاضراته وخطبه في كتب كثيرة متسلسلة.

---

[1] خالد: خلفاء الرسول ـ ص ٤٠٧ - ٤٢٦

قال في كتابه **في رحاب أهل البيت**: (كان كل شئ في شخصيته عليه السلام في خدمة الله، وهكذا كان سيفه وبطولته وشجاعته، لا في خدمة الذات وإنما في خدمة الله. كان الإمام علي عليه السلام يشعر أنه لا يملك شجاعته، ولا يملك بطولته، ولا يملك سيفه، بل كان يشعر أنها ملك لله.

لم تكن الشجاعة والبطولة عنده حالة ذاتية، ولم يكن السلاح ملكاً شخصياً له، فهو يعتبر ذلك ملكاً لله، لهذا كان لا يحرك سلاحه إلا في المواقع التي يريد الله منه أن يحرك سلاحه فيها، كان ينتظر أمر الله وينتظر المعركة التي يشعر أن الله يرضى بها، ولايسمح لنفسه أن يدخل أية معركة يمكن أن لا تكون في رضا الله، أو يمكن أن تسئ إلى الإسلام.

وهكذا إذا درسنا كل حروب الإمام علي عليه السلام منذ الحرب التي بدأها في بدر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى الحرب التي انتهت بها حياته بعد ذلك مع الخوارج. كان الإمام علي عليه السلام يبحث عن الأساس الشرعي للحرب، وكان يريد أن يعرف كيف تتحرك الحرب في طريق الله وفي طريق الإسلام، ولا تتحرك في طريق الذات وطريق الشهوات.

هكذا رأينا علياً عليه السلام في سلمه وحربه، فهو يسالم لا لأن مصلحته الشخصية تفرض عليه السلم، ولكن كان يسالم إذا كانت مصلحة الإسلام تفرض عليه السلم، حتى لو كان السلم على حساب قضاياه الخاصة، ولهذا كان يقول: **لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين**.

كان يسالم عندما يرى أن قضايا المسلمين تفرض عليه أن يسالم، ويحارب عندما يرى أن حياة المسلمين ومصلحة الإسلام تفرض عليه أن يحارب، كانت حربه منطلقاً في طريق الله، وكان سلمه متحركاً في طريق الله.

عندما انطلق الإمام عليه السلام في حياته كان يستصغر كل من حوله أمام الله، ولهذا

لايخاف من أحد، لأن خوف الله قد شغله، ولأن شعوره بعظمة الله جعلته ينشغل عن النظر في عظمة الآخرين. ولهذا كان علي البطل الذي لا يخاف، كان الكرّار غير الفرّار، قالها رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يفتح للمسلمين سر شخصية الإمام علي عليه السلام، يقول: **لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه.**

يحب الله فيكرّ على أعداء الله، ويحبه الله فيستمد القوة من محبة الله فيثبت في المعركة، لأنه يشعر أنه برعاية الله يتحرك.

هذه الروح التي أراد الإمام علي عليه السلام أن يجعل الناس يتحركون من خلالها، لأن أية قضية وأية مشكلة وأية معركة إذا لم تكن منطلقة من عمق الإيمان وفي روحيته، فإنها تظل معركة على السطح وتظل معركة لا تثبت فيها الأقدام)[1].

❋❋❋❋❋❋❋❋

[1] فضل الله: في رحاب أهل البيت ـ ج ١ ـ ص ١٤٦ - ١٤٨

الفصل السادس

نفاثة الجاحظ

نفاثة الجاحظ [1]

وقد علمنا ضرورة من دين الرسول تعظيمه لعلي تعظيما دينيا، لأجل جهاده ونصرته، فالطاعن فيه طاعن في رسول الله، إذ زعم أنه قد يمكن أن يكون جهاده لا لوجه الله تعالى، بل لأمر آخر من الأمور التي عددها، وبعثه على التفوه بها إغواء الشيطان وكيده، والإفراط في عداوة من أمر الله بمحبته، ونهى عن بغضه وعداوته. أترى رسول الله خفي عليه من أمر علي ما لاح للجاحظ والعثمانية فمدحه وهو غير مستحق للمدح ؟! ....

أبوعثمان عمرو بن بحر بن محبوب الملقب بالجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، أحد كبار الأدباء العرب في زمانه وله مؤلفات عديدة، ونُسبت إليه فرقة الجاحظية من المعتزلة. عُرف بأمويّته، وانعكس ذلك بوضوح فيما كتب.

انتقص الجاحظ من شخصية الإمام علي عليه السلام، وشكك في قيمة كثير مما روي في شأنه، و انبرى أبوجعفر محمد بن عبدالله الإسكافي المعتزلي للرد عليه في كلمات رائعة نقلها لنا ابن أبي الحديد [2]، وننقل منها هنا بعض ما يخص جانب الشجاعة من شخصية الإمام عليه السلام ودوره في نصرة النبي والإسلام والمسلمين، مع الاختصار بحذف بعض المقاطع لحساسية مضمونها.

١ النفاثة من النفث = شبه النفخ، وهو أقل من التفل، لأن التفل لا يكون إلا معه شئ من الريق. وفي المثل: لابد للمصدور أن ينفث. والمصدور هو المهموم المتألم نفسياً.

٢ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة - ج ١٣ - ص ٢٥٦ - ٢٩٥

المورد الأول:

قال الجاحظ: علِم الناس أن علياً عليه السلام[1] إنما ظهر فضله، وانتشر صيته، وامتُحن ولقي المشاق منذ يوم بدر، وأنه إنما قاتل في الزمان الذي استوفى فيه أهل الإسلام، وأهل الشرك، وطمعوا في أن يكون الحرب بينهم سجالاً، وأعلمهم الله تعالى أن العاقبة للمتقين ...

ورد الإسكافي قائلاً: لا أشك أن الباطل خان أبا عثمان، والخطأ أقعده، والخذلان أصاره إلى الحيرة، فما علم وعرف حتى قال ما قال، فزعم أن علياً عليه السلام قبل الهجرة لم يُمتحن ولم يُكابد المشاق، وأنه إنما قاسى مشاق التكليف ومحن الابتلاء منذ يوم بدر، ونسي الحصار في الشِّعب[2]، وما مُني به منه ... وعليٌّ يقاسي الغمرات، ويكابد الأهوال، ويجوع ويظمأ، ويتوقع القتل صباحاً ومساءً، لأنه كان هو المتوصل المحتال في إحضار قوت زهيد من شيوخ قريش وعقلائها سراً، ليقيم به رمق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبني هاشم، وهم في الحصار، ولا يأمن في كل وقت مفاجأة أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له بالقتل، كأبي جهل بن هشام وعقبه بن أبي معيط، والوليد بن المغيرة، وعتبة بن ربيعة وغيرهم من فراعنة قريش وجبابرته.

ولقد كان يُجيع نفسه ويطعم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زاده، ويُظمئ نفسه ويسقيه ماءه، وهو كان المعلِّل له إذا مرض، والمؤنس له إذا استوحش ...

ثلاث سنين، محرّمة معاملتهم ومناكحتهم ومجالستهم، محبوسين محصورين ممنوعين من الخروج والتصرف في أنفسهم، فكيف أهمل الجاحظ هذه الفضيلة، ونسي هذه الخصيصة، ولا نظير لها ؟! ولكن لا يبالي الجاحظ بعد أن يسوغ له لفظه، وتنسق له خطابته، ما ضيّع من المعنى، ورجع عليه من الخطأ.

---

[1] هكذا في المصدر . ولا أعلم إن كان الجاحظ هو الذي سلم على أمير المؤمنين في كل المواضع التالية أم أنها من إضافات الإسكافي أو النساخ .

[2] دام الحصار في شعب أبي طالب ٣ سنوات كابد خلالها آل رسول الله المشاق الكثيرة ، والظروف الصعبة .

فأما قوله واعلموا أن العاقبة للمتقين، ففيه إشارة إلى معنى غامض قصده الجاحظ، يعنى أن لا فضيلة لعلي عليه السلام في الجهاد، لأن الرسول كان أعلمه أنه منصور، وأن العاقبة له، وهذا من دسائس الجاحظ وهمزاته ولمزاته، وليس بحق ما قاله، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعلم أصحابَه جملةً أن العاقبة لهم، ولم يُعلم واحداً منهم بعينه أنه لا يُقتَل، لا علياً ولا غيره. وإن صح أنه كان أعلمه أنه لا يُقتل، فلم يُعلمه أنه لا يُقطع عضو من أعضائه، ولم يُعلمه أنه لا يمسه ألمُ جراحٍ في جسده، ولم يُعلمه أنه لا يناله الضرب الشديد.

وعلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أعلم أصحابه قبل يوم بدر، وهو يومئذ بمكة، أن العاقبة لهم، كما أعلم أصحابه بعد الهجرة ذلك ...

* * * * * * * *

المورد الثاني:

قال الجاحظ: وأن بين المحنة في الدهر الذي صار فيه أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مقرّنين لأهل مكة ومشركي قريش، ومعهم أهل يثرب أصحاب النخيل والآطام والشجاعة والصبر والمواساة، والإيثار والحماماة والعدد الدثر، والفعل الجزل، وبين الدهر الذي كانوا فيه بمكة يُفتنون ويُشتمون، ويُضربون ويشرّدون، ويجوعون ويعطشون، مقهورين لا حراك بهم، وأذلاء لا عزّ لهم، وفقراء لا مال عندهم، ومستخفِين لا يمكنهم إظهار دعوتهم، لفرقاً واضحاً، ولقد كانوا في حال أحوجت لوطاً وهو نبي إلى أن قال ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾[1]، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: عجبت من أخي لوط، كيف قال: أو آوي إلى ركن شديد، وهو يأوي

[1] هود/ ٨٠

إلى الله تعالى ؟! ثم لم يكن ذلك يوماً ولا يومين ولا شهراً ولا شهرين، ولا عاماً ولا عامين، ولكن السنين بعد السنين ...

ورد الإسكافي قائلاً: ... يُقال له: ما بالك أهملت أمر مبيت علي عليه السلام على الفراش بمكة ليلة الهجرة هل نسيته أم تناسيته ؟! فإنها المحنة العظيمة والفضيلة الشريفة التي متى امتحنها الناظر، وأجال فكره فيها، رأى تحتها فضائل متفرقة ومناقب متغايرة، وذلك أنه لما استقر الخبر عند المشركين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مُجمع على الخروج من بينهم للهجرة إلى غيرهم، قصدوا إلى معاجلته، وتعاقدوا على أن يبيّتوه في فراشه، وأن يضربوه بأسياف كثيرة بيد كل صاحب قبيلة من قريش سيف منها، ليضيع دمه بين الشعوب، ويتفرق بين القبائل، ولا يطلب بنو هاشم بدمه قبيلة واحدة بعينها من بطون قريش، وتحالفوا على تلك الليلة، واجتمعوا عليها.

فلما علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك من أمرهم، دعا أوثق الناس عنده، وأمثلهم في نفسه، وأبذلهم في ذات الإله لمهجته، وأسرعهم إجابة إلى طاعته، فقال له: **إن قريشاً قد تحالفت على أن تبيّتني هذه الليلة، فامض إلى فراشي، ونم في مضجعي، والتفّ في بُردي الحضرمي ليروا أنى لم أخرج، وإني خارج إن شاء الله.**

فمنعه أولاً من التحرز وإعمال الحيلة، وصدّه عن الاستظهار لنفسه بنوع من أنواع المكايد والجهات التي يحتاط بها الناس لنفوسهم، وألجأه إلى أن يعرض نفسه لظبات السيوف الشحيذة من أيدي أرباب الحنق والغيظة [1]، فأجاب إلى ذلك سامعاً مطيعاً طيبة بها نفسه، ونام على فراشه صابراً محتسباً، واقياً له بمهجته، ينتظر القتل. ولا نعلم فوق بذل النفس درجة يلتمسها صابر، ولا يبلغها طالب، والجود بالنفس أقصى غاية الجود. ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علم أنه أهلٌ لذلك، لما أهّله، ولو كان عنده نقص في صبره أو في شجاعته أو في مناصحته لابن عمه، واختير لذلك، لكان من

---

[1] الظبة = حد السيف . والشحيذة = الحادة

اختاره صلى الله عليه وآله منقوضاً في رأيه، مضراً في اختياره، ولا يجوز أن يقول هذا أحد من أهل الاسلام، وكلهم مجمعون على أن الرسول صلى الله عليه وآله عمل الصواب، وأحسن في الاختيار. ثم في ذلك ـ إذا تأمله المتأمل ـ وجوه من الفضل:

ـ منها أنه وإن كان عنده في موضع الثقة، فإنه غير مأمون عليه ألا يضبط السر فيفسد التدبير بإفشائه تلك الليلة إلى من يلقيه إلى الأعداء.

ـ ومنها أنه وإن كان ضابطاً للسر وثقة عند من اختاره، فغير مأمون عليه الجبن عند مفاجأة المكروه، ومباشرة الأهوال، فيفرّ من الفراش، فيُفطن لموضع الحيلة، ويُطلب رسول الله صلى الله عليه وآله فيُظفر به.

ـ ومنها أنه وإن كان ضابطاً للسر، شجاعاً نجداً، فلعله غير محتمل للمبيت على الفراش، لأن هذا أمر خارج عن الشجاعة إن كان قد قامه مقام المكتوف الممنوع، بل هو أشد مشقة من المكتوف الممنوع، لأن المكتوف الممنوع يعلم من نفسه أنه لاسبيل له إلى الهرب، وهذا يجد السبيل إلى الهرب وإلى الدفع عن نفسه، ولا يهرب ولايدافع.

ـ ومنها أنه وإن كان ثقة عنده، ضابطاً للسر، شجاعاً محتملاً للمبيت على الفراش، فإنه غير مأمون أن يذهب صبره عند العقوبة الواقعة، والعذاب النازل بساحته، حتى يبوح بما عنده، ويصير إلى الإقرار بما يعلمه، وهو أنه أخذ طريق كذا فيُطلب فيؤخذ.

فلهذا قال علماء المسلمين إن فضيلة علي عليه السلام تلك الليلة لا نعلم أحداً من البشر نال مثلها، إلا ما كان من إسحاق وإبراهيم عند استسلامه للذبح [1]، ولولا أن الأنبياء لا يفضلهم غيرهم لقلنا إن محنة علي أعظم، لأنه قد روي أن إسحاق تلكأ لما أمره أن يضطجع، وبكى على نفسه، وقد كان أبوه يعلم أن عنده في ذلك وقفة، ولذلك قال له ﴿ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ [2]، وحال علي عليه السلام بخلاف ذلك، لأنه ما تلكأ ولا تتعتع، ولا تغير لونه ولا اضطربت أعضاؤه.

---

١ لنا ملاحظات على الكلام التالي للإسكافي، منها أن الذي أريد ذبحه هو إسماعيل وليس بإسحاق، كما أن مسألة التلكؤ فيها كلام

٢ الصافات / ١٠٢

ولقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشيرون عليه بالرأي المخالف لما كان أمر به وتقدم فيه، فيتركه ويعمل بما أشاروا به، كما جرى يوم الخندق في مصانعته الأحزاب بثلث تمر المدينة، فإنهم أشاروا عليه بترك ذلك فتركه، وهذه كانت قاعدته معهم، وعادته بينهم، وقد كان لعلي عليه السلام أن يعتلّ بعلة، وأن يقف ويقول: **يا رسول الله، أكون معك أحميك من العدو، وأذبّ بسيفي عنك، فلستَ مستغنياً في خروجك عن مثلي، ونجعل عبداً من عبيدنا في فراشك، قائماً مقامك، يتوهم القوم - برؤيته نائماً في بُردك - أنك لم تخرج، ولم تفارق مركزك.**

فلم يقل ذلك، ولا تحبّس ولا توقّف، ولاتلعثم، وذلك لعلم كل واحد منهما صلى الله عليه وآله وسلم أن أحداً لا يصبر على ثقل هذه المحنة، ولا يتورط هذه الهلكة، إلا من خصه الله تعالى بالصبر على مشقتها، والفوز بفضيلتها. وله من جنس ذلك أفعال كثيرة، كيوم دعا عمرو بن عبد ود المسلمين إلى المبارزة، فأحجم الناس كلهم عنه، لما علموا من بأسه وشدته، ثم كرر النداء، فقام علي عليه السلام، فقال: **أنا أبرز إليه.**

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **إنه عمرو!**

قال: **نعم، وأنا علي.**

فأمره بالخروج إليه، فلما خرج قال صلى الله عليه وآله وسلم: **برز الإيمان كله إلى الشرك كله.**

وكيوم أحُد حيث حمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أبطال قريش وهم يقصدون قتله، فقتلهم دونه، حتى قال جبرئيل عليه السلام: **يا محمد، إن هذه هي المواساة.**

فقال: **إنه مني وأنا منه.**

فقال جبريل: **وأنا منكما.**

ولو عددنا أيامه ومقاماته التي شرى فيها نفسه لله تعالى لأطلنا وأسهبنا.

* * * * * * * *

المورد الثالث:

قال الجاحظ: ... وأمْرُ علي عليه السلام ونومه على الفراش، وإن كان ثابتاً صحيحاً، إلا أنه لم يُذكر في القرآن، وإنما جاء مجئ الروايات والسير ...

قال أبوجعفر الإسكافي: ... قال أهل التفسير إن قوله تعالى ﴿ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ كناية عن علي عليه السلام، لأنه مكر بهم، وأول الآية ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ [1]، أنزلت في ليلة الهجرة، ومكرهم كان توزيع السيوف على بطون قريش، ومكر الله تعالى هو منام علي عليه السلام على الفراش ...

وقد روى المفسرون كلهم إن قول الله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ [2]، أُنزلت في علي عليه السلام ليلة المبيت على الفراش ...

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

المورد الرابع:

قال الجاحظ في شأن مبيت أمير المؤمنين على فراش النبي ليلة الهجرة: .. لم يكن له في ذلك كبير طاعة، لأن الناقلين نقلوا أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال له: نَم، فلن يخلص إليك شئ تكرهه ...

رد الإسكافي: هذا هو الكذب الصراح، والتحريف والإدخال في الرواية ما ليس منها، والمعروف المنقول أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال له: اذهب فاضطجع في مضجعي، وتغشّ ببردي الحضرمي [3]، فإن القوم سيفقدونني، ولا يشهدون مضجعي، فلعلهم إذا رأوك يسكنهم ذلك حتى يصبحوا، فإذا أصبحت فاغدُ في أداء أمانتي.

---

١ الأنفال / ٣٠

٢ البقرة / ٢٠٧

٣ يتغشى = يتغطى

ولم ينقل ما ذكره الجاحظ، وإنما ولده أبو بكر الأصم [1]، وأخذه الجاحظ، ولا أصل له، ولو كان هذا صحيحاً لم يصل إليه منهم مكروه، وقد وقع الاتفاق على أنه ضُرب ورُمي بالحجارة قبل أن يعلموا من هو حتى تضوّر [2]، وأنهم قالوا له: **رأينا تضوّرك، فإنا كنا نرمي محمداً ولا يتضوّر.**

ولأن لفظة المكروه إن كان قالها إنما يراد بها القتل، فهب أنه أمِن القتل، كيف يأمن من الضرب والهوان، ومن أن ينقطع بعض أعضائه، وبأن سلمت نفسه ؟ أليس الله تعالى قال لنبيه ﴿ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [3]، ومع ذلك فقد كُسرت رباعيته وشجّ وجهه، وأدميت ساقه [4]، وذلك لأنها عصمة من القتل خاصة، وكذلك المكروه الذي أومن علي عليه السلام منه ـ وإن كان صح ذلك في الحديث ـ إنما هو مكروه القتل.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

المورد الخامس:

قال الجاحظ: ... طاعة الشاب الغرير والحدث الصغير الذي في عز صاحبه عزه، ليست كطاعة الحليم الكبير الذي لا يرجع تسويد صاحبه إلى رهطه وعشيرته.

قال الإسكافي: أما كثرة المستجيبين، فالفضل فيها راجع إلى المجيب، لا إلى المجاب، على أنا قد علمنا أن من استجاب لموسى عليه السلام أكثر ممن استجاب لنوح عليه السلام، وثواب نوح أكثر، لصبره على الأعداء، ومقاساة خلافهم وعنتهم ...

وأما طاعة علي عليه السلام، وكون الجاحظ زعم أنها كانت لأن في عز محمد عزه وعز

---

١ أي أنه قول ابتدعه أبو بكر عبدالرحمن بن كيسان الأصم (توفي نحو ٢٢٥ هـ) . فقيه معتزلي مفسر ، كان يخطئ علياً في كثير من أفعاله ويصوب معاوية في بعض أفعاله .

٢ تضور = أصابه الضرر

٣ المائدة/٦٧

٤ لنا تحفظ في ارتباط الآية بما جرى في معركة أحد ، إذ أنها ترتبط بقضية الغدير وتبليغ الولاية .

رهطه ... فهذا يفتح عليه أن يكون جهاد حمزة كذلك، وجهاد عبيدة بن الحارث، وهجرة جعفر إلى الحبشة، بل لعل محاماة المهاجرين من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لأن في دولته دولتهم، وفي نصرته استجداد ملك لهم، وهذا يجر إلى الإلحاد، ويفتح باب الزندقة، ويفضي إلى الطعن في الإسلام والنبوة.

❋❋❋❋❋❋❋❋

المورد السادس:

قال الجاحظ: والحجة العظمى للقائلين بتفضيل علي عليه السلام قتله الأقران، وخوضه الحرب، وليس له في ذلك كبير فضيلة، لأن كثرة القتل والمشي بالسيف إلى الأقران، لو كان من أشد المحن وأعظم الفضائل، وكان دليلاً على الرياسة والتقدم، لوجب أن يكون للزبير وأبي دجانة ومحمد بن مسلمة، وابن عفراء، والبراء بن مالك من الفضل ما ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه لم يقتل بيده إلا رجلاً واحداً ولم يحضر الحرب يوم بدر، ولا خالط الصفوف، وإنما كان معتزلاً عنهم في العريش ومعه أبوبكر، وأنت ترى الرجل الشجاع قد يقتل الأقران، ويجندل الأبطال، وفوقه من العسكر من لا يقتل ولا يبارز، وهو الرئيس أو ذوي الرأي، والمستشير في الحرب، لأن للرؤساء من الاكتراث والاهتمام وشغل البال والعناية والتفقد ما ليس لغيرهم، ولأن الرئيس هو المخصوص بالمطالبة، وعليه مدار الأمور، وبه يستبصر المقاتل، ويستنصر، وباسمه ينهزم العدو، ولو لم يكن له إلا أن الجيش لو ثبت وفرّ هو لم يغن ثبوت الجيش كله، وكانت الدبرة عليه، ولو ضُيِّع القوم جميعاً وحفظ هو لانتصر وكانت الدولة له، ولهذا لا يضاف النصر والهزيمة إلا إليه ...

قال أبوجعفر: لقد أعطِي أبو عثمان مقولاً وحُرم معقولاً [1]، إن كان يقول هذا على اعتقاد وجِد، ولم يذهب به مذهب اللعب والهزل، أو على طريق التفاصح والتشادق وإظهار القوة، والسلاطة وذلاقة اللسان وحدّة الخاطر والقوة على جدال الخصوم.

ألم يعلم أبو عثمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أشجع البشر، وأنه خاض الحروب، وثبت في المواقف التي طاشت فيها الألباب، وبلغت القلوب الحناجر؟!

فمنها يوم أحد، ووقوفه بعد أن فرّ المسلمون بأجمعهم، ولم يبق معه إلا أربعة: علي والزبير وطلحة وأبو دجانة، فقاتل ورمى بالنبل حتى فنيت نبله، وانكسرت سية قوسه، وانقطع وتره، فأمر عكاشة بن محصن أن يوترها.

فقال: **يا رسول الله لا يبلغ الوتر.**

فقال: **أوتِر ما بلغ.**

قال عكاشة: فوالذي بعثه بالحق لقد أوترت حتى بلغ، وطويت منه شبراً على سية القوس، ثم أخذها فما زال يرميهم، حتى نظرت إلى قوسه قد تحطمت.

وبارز أبيّ بن خلف، فقال له أصحابه: **إن شئت عطف عليه بعضنا.**

فأبى، وتناول الحربة من الحارث بن الصمة ثم انتقض بأصحابه، كما ينتقض البعير.

قالوا: **فتطايرنا عنه تطاير الشعارير [2]، فطعنه بالحربة فجعل يخور كما يخور الثور.**

ولو لم يدل على ثباته حين انهزم أصحابه وتركوه إلا قوله تعالى ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴾ [3]،

---

١ أي أن الجاحظ وهب العلم في المنقول والأدب دون أن يمتلك التفكير العميق والقدرة على التحليل السليم للأمور

٢ الشعارير = ما يجتمع على دبرة البعير من الذباب، فإذا هيجت تطايرت عنها. ولابد أن أشير هنا إلى أنني أتحفظ على كون النبي قد قاتل في المعارك، وذلك لئلا يتعارض قتله لأعدائه مع انتشار رسالته وقبول الأعداء بها، لأن العرب كانت تحمل عداء دائماً لمن يقتل منها فرداً. ولذا تحمّل الإمام علي كل ردود الفعل لاحقاً حيث أضمر له بعض العرب العداوات بسبب من قتل منهم، فكان ما كان. والله العالم.

٣ آل عمران/١٥٣

فكونه عليه السلام في أخراهم وهم يصعدون ولا يلوون، هاربين، دليل على أنه ثبت ولم يفر.

وثبت يوم حنين في تسعة من أهله ورهطه الأدنين، وقد فر المسلمون كلهم والنفر التسعة محدقون به والعباس آخذ بحكمة بغلته، وعليٌّ بين يديه مصلت سيفه، والباقون حول بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله يمنة ويسرة، وقد انهزم المهاجرون والأنصار، وكلما فرّوا أقدم هو صلى الله عليه وآله وصمم مستقدماً، يلقى السيوف والنبال بنحره وصدره، ثم أخذ كفاً من البطحاء، وحصب المشركين، وقال: **شاهت الوجوه.**

والخبر المشهور عن علي عليه السلام، وهو أشجع البشر: **كنا إذا اشتد الباس، وحمى الوطيس اتقينا برسول الله** صلى الله عليه وآله **ولذنا به.**

فكيف يقول الجاحظ أنه ما خاض الحرب، ولا خالط الصفوف ؟ وأي فرية أعظم من فرية من نسب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإحجام واعتزال الحرب ؟ ...

وحقٌّ لمثله إذا تنحّى عن الحرب واعتزلها أن يتنحّى ويعتزل، لأن ذلك شأن الملوك والرؤساء، إذا كان الجيش منوطاً بهم وببقائهم، فمتى هلك الملك هلك الجيش، ومتى سلم الملك أمكن أن يبقى عليه ملكه، وإن عطب جيشه فإنه يستجد جيشاً آخر.

ولذلك نهى الحكماء أن يباشر الملك الحرب بنفسه، وخطّئوا الإسكندر لما بارز قوسراً ملك الهند، ونسبوه إلى مجانبة الحكمة ومفارقة الصواب والحزم...

وكيف يقول الجاحظ لا فضيلة لمباشرة الحرب ولقاء الأقران، وقتل أبطال الشرك؟ وهل قامت عمد الإسلام إلا على ذلك ؟ وهل ثبت الدين واستقر إلا بذلك ؟ أتراه لم يسمع قول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [1] ؟ والمحبة من الله تعالى هي إرادة الثواب، فكل من كان أشد ثبوتاً في هذا الصف، وأعظم قتالاً، كان أحب إلى الله، ومعنى الأفضل هو الأكثر

[1] الصف/٤

ثواباً. فعلي عليه السلام إذاً هو أحب المسلمين إلى الله، لأنه أثبتهم قدماً في الصف المرصوص، لم يفر قط بإجماع الأمة، ولا بارزه قرن إلا قتله.

أتراه لم يسمع قول الله تعالى ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1] ؟ وقوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾[2]، ثم قال سبحانه مؤكداً لهذا البيع والشراء ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[3]، وقال الله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ﴾[4].

فمواقف الناس في الجهاد على أحوال، وبعضهم في ذلك أفضل من بعض، فمن دلَف إلى الأقران، واستقبل السيوف والأسنّة، كان أثقل على أكتاف الأعداء، لشدة نكايته فيهم، ممن وقف في المعركة، وأعان ولم يُقدِم. وكذلك من وقف في المعركة، وأعان ولم يُقدِم، إلا أنه بحيث تناله السهام والنبل أعظم غناء، وأفضل ممن وقف حيث لا يناله ذلك. ولو كان الضعيف والجبان يستحقان الرياسة بقله بسط الكف وترك الحرب، وإن ذلك يشاكل فعل النبي صلى الله عليه وسلم، لكان أوفر الناس حظاً في الرياسة، وأشدّهم لها استحقاقاً حسان بن ثابت [5]...

وأنت إذا تأملت أمر العرب وقريش، ونظرت السِّيَر، وقرأت الأخبار، عرفت أنها كانت تطلب محمداً صلى الله عليه وسلم وتقصد قصده، وتروم قتله، فإن أعجزها وفاتها

---

١ النساء/٩٥

٢ التوبة/١١١

٣ التوبة/١١١

٤ التوبة/١٢٠

٥ لم يكن حسان بن ثابت أهل حرب وقتال، ولذا كان النبي أحياناً يخلفه في المدينة كما جرى في معركة الخندق

طلبَت علياً عليه السلام، وأرادت قتله، لأنه كان أشبههم بالرسول حالاً، وأقربهم منه قرباً، وأشدهم عنه دفعاً، وأنهم متى قصدوا علياً فقتلوه أضعفوا أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكسروا شوكته، إذ كان أعلى من ينصره في البأس والقوة والشجاعة والنجدة والإقدام والبسالة. ألا ترى إلى قول عتبة بن ربيعة يوم بدر، وقد خرج هو وأخوه شيبة وابنه الوليد ابن عتبة، فأخرج إليه الرسول نفراً من الأنصار، فاستنسبوهم، فانتسبوا لهم، فقالوا: **ارجعوا إلى قومكم.**

ثم نادَوا: **يا محمد، أخرِج إلينا أكفاءنا من قومنا.**

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأهله الأدنين: **قوموا يا بني هاشم، فانصروا حقكم الذي آتاكم الله على باطل هؤلاء. قم يا علي، قم يا حمزة، قم يا عبيدة.**

ألا ترى ما جعلت هند بنت عتبة لمن قتَله يوم أحُد، لأنه اشترك هو وحمزة في قتل أبيها يوم بدر ؟ ألم تسمع قول هند ترثي أهلها:

ما كان عن عتبة لي من صبر ... أبي وعمي وشقيق صدري

أخي الذي كان كضوء البدر ... بهم كسرتَ يا عليُّ ظهري

وذلك لأنه قتل أخاها الوليد بن عتبة، وشرك في قتل أبيها عتبة، وأما عمها شيبة، فإن حمزة تفرّد بقتله.

وقال جبير بن مطعم لوحشيّ مولاه ـ يوم أحُد ـ : **إن قتلت محمداً فأنت حُر، وإن قتلت علياً فأنت حُر، وإن قتلت حمزة فأنت حُر.**

فقال: **أما محمد فسيمنعه أصحابه، وأما علي فرجل حذر كثير الالتفات في الحرب، ولكني سأقتل حمزة.**

فقعد له وزرقه بالحربة فقتله [1].

ولما قلنا من مقاربة حال علي عليه السلام في هذا الباب لحال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومناسبتها إياها ما وجدناه في السير والأخبار، من إشفاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحذره

[1] زرقه = طعنه

عليه، ودعائه له بالحفظ والسلامة، قال صلى الله عليه وآله وسلم يوم الخندق، وقد برز علي إلى عمرو[1]، ورفع يديه إلى السماء بمحضر من أصحابه: **اللهم إنك أخذت مني حمزة يوم أحُد، وعبيدة يوم بدر، فاحفظ اليوم عليَّ علياً** ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[2].

ولذلك ضنّ به عن مبارزة عمرو حين دعا عمرو الناس إلى نفسه مراراً[3]، في كلها يحجمون ويقدم عليٌّ، فيسأل الإذن له في البراز حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **إنه عمرو!**

فقال: **وأنا علي.**

فأدناه وقبّله وعمّمه بعمامته، وخرج معه خطوات كالمودّع له، القلق لحاله، المنتظر لما يكون منه. ثم لم يزل صلى الله عليه وآله وسلم رافعاً يديه إلى السماء، مستقبلاً لها بوجهه، والمسلمون صموت حوله، كأنما على رؤوسهم الطير، حتى ثارت الغبرة، وسمعوا التكبير من تحتها، فعلموا أن علياً قتل عَمْراً، فكبّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكبّر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين.

ولذلك قال حذيفة بن اليمان: **لو قُسِّمت فضيلة علي عليه السلام بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم لوسعَتهم.**

وقال ابن عباس في قوله تعالى ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ﴾[4] قال: **بعلي بن أبي طالب.**

* * * * * * * *

١ عمرو بن عبد ود العامري
٢ الأنبياء/٨٩
٣ ضن = بخل وآثر الاحتفاظ به
٤ الأحزاب/٢٥

المورد السابع:

قال الجاحظ: على أن مشي الشجاع بالسيف إلى الأقران، ليس على ما توهمه من لا يعلم باطن الأمر، لأن معه في حال مشيه إلى الأقران بالسيف أموراً أخرى لا يبصرها الناس، وإنما يقضون على ظاهر ما يرون من إقدامه وشجاعته، فربما كان سبب ذلك الهوَج [1]، وربما كان الغرارة والحداثة [2]، وربما كان الإحراج والحميَّة، وربما كان لمحبة النفخ والأحدوثة [3]، وربما كان طباعاً كطباع القاسي والرحيم والسخي والبخيل.

وردّ الإسكافي على ما سبق بقوله: فيقال للجاحظ فعلى أيها كان مشى علي بن أبي طالب إلى الاقران بالسيف ؟ فأيما قلت من ذلك بانت عداوتك لله تعالى ولرسوله، وإن كان مشيه ليس على وجهٍ مما ذكرت، وإنما كان على وجه النصرة والقصد إلى المسابقة إلى ثواب الآخرة، والجهاد في سبيل الله، وإعزاز الدين، كنتَ بجميع ما قلت معانداً، وعن سبيل الإنصاف خارجاً، وفى إمام المسلمين طاعناً.

وإنْ تطرّق مثل هذا الوهم على علي عليه السلام ليتطرقنّ مثله على أعيان المهاجرين والأنصار أرباب الجهاد والقتال، الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنفسهم ووقوه بمُهَجهم، وفدوه بأبنائهم وآبائهم، فلعل ذلك كان لعلة من العلل المذكورة، وفي ذلك الطعن في الدين، وفى جماعة المسلمين.

ولو جاز أن يتوهم هذا في علي عليه السلام وفى غيره، لما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حكاية عن الله تعالى لأهل بدر: **اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.**

ولا قال لعلي عليه السلام: **برز الإيمان كله إلى الشرك كله.**

ولا قال: **أوجَب طلحة** [4].

---

١ هوج = حمق وتهور

٢ أي أنه صغير في العمر لا يقدر الأمور بحقيقتها ، فاخذته حماسة الموقف دون وعي للمخاطر

٣ أي ان يشتهر بين الناس ويصبح حديث ساعتهم

٤ أي: عمل عملاً يدخله الجنة .

وقد علمنا ضرورةً من دين الرسول صلى الله عليه وآله تعظيمه لعلى عليه السلام تعظيماً دينياً، لأجل جهاده ونصرته، فالطاعن فيه طاعن في رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ زعم أنه قد يمكن أن يكون جهاده لا لوجه الله تعالى، بل لأمر آخر من الأمور التي عددها، وبعثه على التفوه بها إغواء الشيطان وكيده، والإفراط في عداوة من أمر الله بمحبته، ونهى عن بغضه وعداوته. أترى رسول الله صلى الله عليه وآله خفي عليه من أمر علي عليه السلام ما لاح للجاحظ والعثمانية فمدحه وهو غير مستحق للمدح ؟!

❋❋❋❋❋❋❋❋

المورد الثامن:

وقال الجاحظ: فصاحب النفس المختارة المعتدلة يكون قتاله طاعة، وفراره معصية، لأن نفسه معتدلة، كالميزان في استقامة لسانه وكفتيه، فإذا لم يكن كذلك كان إقدامه طباعاً، وفراره طباعاً.

وعلّق الإسكافي قائلاً: ... ولعل رسول الله صلى الله عليه وآله في دعائه إلى الإسلام وإكبابه على الصلوات الخمس في جوف الليل [1]، وتدبيره أمر الأمة لا ثواب له فيه، لأنه قد تكون نفسه غير معتدلة، بل يكون في طباعه الرياسة وحبها، والعبادة والالتذاذ بها.

ولقد كنا نعجب من مذهب أبي عثمان أن المعارف ضرورة، وأنها تقع طباعاً، وفى قوله بالتولد وحركة الحجر بالطبع [2]، حتى رأينا من قوله ما هو أعجب منه، فزعم أنه ربما يكون جهاد علي عليه السلام وقتله المشركين لا ثواب له فيه، لأنه فعَلَه طبعاً، وهذا أطرف من قوله في المعرفة وفى التولد.

---

١ يبدو أن لا محل لكلمة (الخمس) في تعبير الإسكافي ، ولعلها من خطأ النساخ ، أو أن عبارة ما قد سقطت في البين .

٢ نظريات يتبناها الجاحظ

المورد التاسع:

و قال الجاحظ: ووجه آخر أن علياً لو كان كما يزعم شيعته، ما كان له بقتل الأقران كبير فضيلة، ولا عظيم طاعة، لأنه قد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال له: ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين.

فإذا كان قد وعده بالبقاء بعده فقد وثق بالسلامة من الأقران، وعلم أنه منصور عليهم وقاتلهم، فعلى هذا يكون جهاد طلحة والزبير أعظم طاعة منه.

قال الإسكافي: هذا راجع على الجاحظ في النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لأن الله تعالى قال له ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1]، فلم يكن له في جهاده كبير طاعة، وكثير طاعة.

وكثير من الناس يروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم: **اقتدوا بالذين من بعدي، أبي بكر وعمر.** فوجب أن يبطل جهادهما.

وقد قال للزبير: **ستقاتل علياً وأنت ظالم له.**

فأشعره بذلك أنه لا يموت في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال في الكتاب العزيز لطلحة ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ﴾[2]، قالوا نزلت في طلحة، فأعلمه بذلك أنه يبقى بعده، فوجب ألا يكون لهما كبير ثواب في الجهاد. والذي صحّ عندنا من الخبر وهو قوله ـ ستقاتل بعدي الناكثين ـ أنه قال لما وضعت الحرب أوزارها، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، ووضعت الجزية، ودانت العرب قاطبة.

* * * * * * * *

---

١ المائدة / ٦٧

٢ الأحزاب / ٥٣

المورد العاشر:

قال الجاحظ: ثم قصد الناصرون لعلي، والقائلون بتفضيله إلى الأقران الذين قتلهم فأطروهم وغلوا فيهم، وليسوا هناك. فمنهم عمرو بن عبد ود، تركتموه أشجع من عامر بن الطفيل وعتبة بن الحارث وبسطام بن قيس، وقد سمعنا بأحاديث حروب الفجار وما كان بين قريش ودوس وحلف الفضول، فما سمعت لعمرو بن عبد ود ذكراً في ذلك.

قال الإسكافي: أمرُ عمرو بن عبد ود أشهر وأكثر من أن يُحتج له، فلنتلمح كتب المغازي والسير، ولينظر ما رثته به شعراء قريش لمّا قُتل. فمن ذلك ما ذكره محمد بن إسحاق في مغازيه، قال: وقال مسافع بن عبد مناف ابن زهره بن حذافة بن جمح يبكي عمرو بن عبد الله بن عبد ود حين قتله علي بن أبي طالب عليه السلام مبارزة لما جزع المذاد[1]، أي قطع الخندق:

عمرو بن عبد كان أول فارس ... جزع المذاد وكان فارس مليل[2]

سمح الخلائق ماجد ذو مرة ... يبغي القتال بشكة لم ينكل[3]

ولقد علمتم حين ولوا عنكم ... أن ابن عبد منهم لم يعجل

حتى تكنفه الكماة وكلهم ... يبغي القتال له وليس بمؤتل[4]

ولقد تكنفت الفوارس فارساً ... بجنوب سلع غير نكس أميل[5]

سال النزال هناك فارس غالب ... بجنوب سلع ليته لم ينزل

فاذهب علي ما ظفرت بمثلها ... فخراً ولو لاقيت مثل المعضل[6]

---

١ المذاد: موضع قرب المدينة المنورة حيث حفر الخندق عام ٥ هـ.
٢ مليل: واد حيث وقعت معركة بدر الكبرى.
٣ مرة = قوة. شكة = سلاح
٤ تكنفه الكماة = أحاط به المقاتلون الشجعان. ليس بمؤتل = غير مقصّر
٥ سلع = جبل عند المدينة المنورة. والنكس = الدنئ من الرجال. والأميل = الذي لا رمح معه
٦ المعضل = الأمر الشديد

نفسي الفداء لفارس من غالب ... لاقى حمام الموت لم يتحلحل [1]
أعني الذي جزع المذاد ولم يكن ... فشِلاً وليس لدى الحروب بزمل [2]

وقال هبيرة بن أبي وهب المخزومي، يعتذر من فراره عن علي بن أبي طالب، وتركِه عمراً يوم الخندق ويبكيه:

لعمرك ما وليت ظهري محمداً ... وأصحابه جبناً ولا خيفة القتل
ولكنني قلبت أمري فلم أجد ... لسيفي غناء إن وقفت ولا نبلي
وقفت فلما لم أجد لي مقدماً ... صدرت كضرغام هزبر إلى شبل [3]
ثنى عطفه عن قرنه حين لم يجد ... مجالاً وكان الحزم والرأي من فعلي
فلا تبعدن يا عمرو حياً وهالكاً ... فقد مت محمود الثنا ملجد الفعل [4]
ولا تبعدن يا عمرو حياً وهالكاً ... فقد كنت في حرب العدا مرهف النصل
فمن لطراد الخيل تقدع بالقنا ... وللبذل يوماً عند قرقرة البزل [5]
هنالك لو كان ابن عمرو لزارها ... وفرجها عنهم فتى غير ما وغل
كفتك علي لن ترى مثل موقف ... وقفت على شلو المقدم كالفحل
فما ظفرت كفاك يوماً بمثلها ... أمنت بها ما عشت من زلة النعل

وقال هبيرة بن أبي وهب أيضاً، يرثي عمْراً ويبكيه:

لقد علمت علياً لؤي بن غالب ... لفارسها عمرو إذا ناب نائب [6]
وفارسها عمرو إذا ما يسوقه ... علي وإن الموت لا شك طالب
عشية يدعوه علي وأنه ... لفارسها إذ خام عنه الكتائب [7]

---

١ لم يتحلحل = لم يبرح مكانه
٢ الزمل = الضعيف الجبان
٣ مقدماً = لم أجد من يقدمني . وصدرت = رجعت . والضرغام = الأسد . والهزبر = الشديد . والشبل = ابن الأسد
٤ الثنا = الثناء = الذكر الطيب . والماجد = الشريف .
٥ تقدع = تكف . والقرقرة = أصوات فحول الإبل . والبزل ، جمع بازل = البعير الذي فطر نابه وذلك زمان اكتمال قوته
٦ ناب نائب = عرض مكروه
٧ خام = جبن ورجع عن القتال هيبة وخوفاً

فيا لهف نفسي إن عمراً لكائن ... بيثرب لا زالت هناك المصائب

لقد أحرز العليا عليّ بقتله ... وللخير يوماً لا محالة جالب

وقال حسان بن ثابت الأنصاري يذكر عمْراً:

أمسى الفتى عمرو بن عبد ناظراً ... كيف العبور وليته لم ينظر

ولقد وجدت سيوفنا مشهورة ... ولقد وجدت جيادنا لم تقصر [1]

ولقد لقيت غداة بدر عصبة ... ضربوك ضرباً غير ضرب الحسر

أصبحت لا تدعى ليوم عظيمة ... يا عمرو أو لجسيم أمر منكر

وقال حسان أيضاً:

لقد شقيت بنو جمح بن عمرو ... ومخزوم وتيم ما نقيل

وعمرو كالحسام فتى قريش ... كأن جبينه سيف صقيل

فتى من نسل عامر أريحي ... تطاوله الأسنة والنصول

دعاه الفارس المقدام لما ... تكشفت المقانب والخيول

أبو حسن فقنّعه حساماً ... جُرازاً لا أفل ولا نكول [2]

فغادره مكباً مسلحباً ... على عفراء لا بعد القتيل [3]

فهذه الأشعار فيه، بل بعض ما قيل فيه. وأما الآثار والأخبار، فموجودة في كتب السِّيَر وأيام الفرسان ووقائعهم، وليس أحد من أرباب هذا العلم يذكر عمْراً إلا قال: **كان فارس قريش وشجاعها.**

وإنما قال له حسان: "**ولقد لقيت غداة بدر عصبة**" لأنه شهد مع المشركين بدراً، وقتل قوماً من المسلمين ثم فرّ مع من فرّ، ولحق بمكة، وهو الذي كان قال وعاهد الله عند الكعبة ألا يدعوه أحد إلى واحدة من ثلاث إلا أجابه، وآثاره في أيام الفجّار

---

[1] لم تقصر = لم تكف عن التجوال

[2] حسام جراز = سيف قاطع

[3] مسلحب = مُمتد . وعفراء = أرض بيضاء لم توطأ

مشهورة تنطق بها كتب الأيام والوقائع. ولكنه لم يُذكر مع الفرسان الثلاثة وهم عتبة وبسطام وعامر، لأنهم كانوا أصحاب غارات ونهب، وأهل بادية، وقريش أهل مدينة وساكنوا مدر وحجر، لايرون الغارات، ولا ينهبون غيرهم من العرب، وهم مقتصرون على المقام ببلدتهم وحماية حرمهم، فلذلك لم يشتهر اسمه كاشتهار هؤلاء.

ويقال له: إذا كان عمرو كما تذكر ليس هناك[1]، فما باله لما جزع الخندق في ستة فرسان هو أحدهم[2]، فصار مع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على أرض واحدة، وهم ثلاثة آلاف ؟ ودعاهم إلى البراز مراراً لم ينتدب أحد منهم للخروج إليه، ولا سمح منهم أحد بنفسه، حتى وبخهم وقرعهم، وناداهم: **ألستم تزعمون أنه من قُتل منا فإلى النار، ومن قُتل منكم فإلى الجنة ؟ أفلا يشتاق أحدكم إلى أن يذهب إلى الجنة، أو يُقدم عدوَّه إلى النار ؟**

فجبنوا كلهم ونكلوا، وملكهم الرعب والوهل[3]. فإما أن يكون هذا أشجع الناس كما قيل عنه، أو يكون المسلمون كلهم أجبن العرب وأذلهم وأفشلهم.

وقد روى الناس كلهم الشعر الذي أنشده لما نكل القوم بجمعهم عنه، وأنه جال بفرسه واستدار وذهب يمنة، ثم ذهب يسرة، ثم وقف تجاه القوم، فقال:

ولقد بححت من النداء ... بجمعهم هل من مبارز

ووقفت إذ جبن المشيع ... وقفة القرن المناجز

وكذاك أنى لم أزل ... متسرعاً نحو الهزاهز

إن الشجاعة في الفتى ... والجود من خير الغرائز

فلما برز إليه علي أجابه، فقال له:

لا تعجلن فقد أتاك ... مجيب صوتك غير عاجز

---

١ أي لم يكن شجاعاً وبطلاً معروفاً

٢ جزع = عبر وقطع

٣ الوهل = الفزع

ذو نيـــــــــة وبصـــــــــيرة يرجـــو الغـــداة نجـــاة فـــائز

إنـــــى لأرجـــــو أن أقـــــيم عليـــــك نائحـــــة الجنـــــائز

مـــن ضـــربة تفنـــى ويبقـــى ذكرهـــــا عنـــــد الهزاهـــــز

ولعمري لقد سبق الجاحظ بما قاله بعض جهّال الأنصار، لما رجع رسول الله من بدر، وقال فتى من الأنصار شهد معه بدراً: **إن قَتلنا إلا عجائز صلعاً.**

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **لا تقل ذلك يا بن أخ، أولئك الملأ**[1].

❋❋❋❋❋❋❋❋

المورد الحادي عشر:

قال الجاحظ: وقد أكثروا في الوليد بن عتبة بن ربيعة قتيله يوم بدر، وما علمنا الوليد حضر حرباً قط قبلها، ولا ذكِر فيها.

وردّ عليه أبو جعفر الإسكافي: كل من دوَّن أخبار قريش وآثار رجالها، وصف الوليد بالشجاعة والبسالة، وكان مع شجاعته أنه يصارع الفتيان فيصرعهم، وليس لأنه لم يشهد حرباً قبلها ما يجب أن يكون بطلاً شجاعاً، فإن علياً عليه السلام لم يشهد قبل بدر حرباً، وقد رأى الناس آثاره فيها.

---

[1] إشارة إلى ماذكره الواقدي في مغازيه من أن الناس لقوا رسول الله بالروحاء يهنئونه بفتح الله عليه، فلقيه وجوه الخزرج، فقال سلمة ابن سلامة بن وقش: ما الذي تهنئونه فوالله ما قتلنا إلا عجائز صلعاً! فتبسم النبي فقال: يا بن أخي، أولئك الملأ، لو رأيتهم لهبتهم، ولو أمروك لأطعتهم، ولو رأيت فعالك مع فعالهم لاحتقرتها وبئس القوم كانوا على ذلك لنبيهم. فقال سلمة أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله. إلخ.

الفصل السابع

شعراء يتغنون بشجاعته

شعراء يتغنّون بشجاعته

واذ عاش أمير المؤمنين عليه السلام حياته بطلا شجاعا ملأت سيرته الآفاق، فقد خلد الشعراء تلك البطولات في قصائدهم، واستلهموا منها العبر، وشحنوا نفوس الناس بالعنفوان والإباء والبسالة والتضحية في المواقف المختلفة، ومزجوا ذلك بقيم العقيدة والأخلاق التي كان يتحلى بها علي عليه السلام.

أخذ شعر الحرب مسلحته في القصيدة العربية، واتسعت مدلولاته ومفرداته اللفظية، وشحنت القصيدة بالحديث حول قدرات المقاتلين الأشداء الذين كانوا يغنون عطاءهم بتضحيتهم، ويوقدون سعيرها باقتحامهم، ويمتلكون زمام المبادرة بجرأتهم النادرة وبطولاتهم الفريدة. ومما زاد في غنى النصوص الشعرية عند العرب، أن عدداً من شجعان العرب كانوا بأنفسهم من شعراء الطراز الأول، فأغنوا بأحاسيسهم الصادقة وتجاربهم الميدانية القصيدة الحماسية، وخلّدوا فيها مشاهد الشجاعة والعنفوان والمآثر التي يظل صداها في قلوب الرجال الذين يستذكرونها باعتزاز ويعيشونها بإباء ويتمثلون بها كلما دعت الحاجة اليها.

ويختلف شعر الحرب والحماسة في عصر الرسالة الإسلامية عما سبقه بأنه استوعب مضامينه، ولكنه أضاف إليها قيم الحرب الجديدة المنطلقة من قيم الإسلام العظيمة التي اعتبرت أن الهداية هي أساس الانطلاق في الحياة حرباً وسلماً، وان الأخلاق إطار لا يمكن الاستغناء عنه حتى في لحظات الحرب العصيبة، وأن لا قيمة للحرب بعنوانها ما لم تكن ضمن تلك القيم والمبادئ.

كما امتاز شعر الحرب في عصر الرسالة بأنه ضخ معاني العقيدة التي ملأت على العرب حياتهم، وجددت فيها روح التضحية، ووحدت في اندفاعهم قدرة الاندفاع، وحررت من خلال سلامة قيادتهم نفوس البشر.

ولذا يمكن القول أن شعر الحرب في عصر الرسالة يشكل بداية جديدة للشعر العربي الذي جاء بعد هذا العصر، لأنه استطاع أن يفرد لمعاني الحرب صورتها الجديدة، ويبرز في أتون سعيرها الألق البطولي المتميز.

وإذ عاش أمير المؤمنين عليه السلام حياته بطلاً شجاعاً ملأت سيرته الآفاق، فقد خلّد الشعراء تلك البطولات في قصائدهم، واستلهموا منها العبر، وشحنوا نفوس الناس بالعنفوان والإباء والبسالة والتضحية في المواقف المختلفة، ومزجوا ذلك بقيم العقيدة والأخلاق التي كان يتحلى بها علي عليه السلام.

ولما كان هذا الكتاب يهدف لعرض جانب الشجاعة من شخصية أمير المؤمنين عليه السلام فسيقتصر التركيز في النماذج الشعرية على ما كان يخص ذلك الجانب، وإن اضطررت أحياناً إلى تدوين أبيات شعرية تتحدث في البين عن جوانب أخرى من شخصيته الفذة، وذلك لعدم انفكاك جوانب الشخصية عن بعضها البعض، ولارتباط الأبيات أحياناً ببعضها البعض بصورة قد يؤدي استقطاعها إلى فساد المعنى أو التركيب.

واعتمدتُ في ترتيب ذكر الشعراء على تاريخ وفاتهم، علماً بأن الفصول اللاحقة ستتضمن ـ قهراً ـ أبياتاً أخرى تناسب الموضوع وتأتي ضمن الأحداث التاريخية وفي نسقها.

السيد الحميري:

إسماعيل بن محمد بن يزيد الحميري، شاعر آل البيت عليهم السلام (١٠٥ هـ ـ ١٧٣ هـ).

كتب أبوالفرج الأصفهاني في **الأغاني**: يقال إن أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ثلاثة، بشار وأبوالعتاهية والسيد.

للسيد الحميري أشعار في مدح آل البيت والولاء لهم، ومنها قصيدته الموسومة بالقصيدة المذهبة يذكر فيها بطولاته وشجاعته، جاء فيها:

خير البرية بعد أحمد من له ... منّي الهوى وإلى بنيه تطربي

أمسي وأصبح معصماً مني له ... بهوى وحبل ولاية لم يقصب [١]

ونصيحة خلص الصفاء له بها ... مني وشاهد نصرة لم يعزب

ولقد سرى فيما يسير بليلة ... بعد العشاء بكربلا في موكب [٢]

حتى أتى متبتلاً في قائم ... ألقى قواعده بقاع مجدب [٣]

بانيه ليس بحيث يلقى عامراً ... غير الوحوش وغير أصلع أشيب

في مدمج زلق أشم كأنه ... حلقوم أبيض ضيق مستصعب [٤]

فدنا فصاح به فأشرف ماثلاً ... كالنسر فوق شظية من مرقب [٥]

هل قرب قائمك الذي بوأته ... ماء يصاب فقال ما من مشرب

إلا بغاية فرسخين ومن لنا ... بالماء بين نقى وقيّ سبسب [٦]

---

١ معصماً - متمسكاً . يقصب - يقطع

٢ هذا البيت وما بعده إلى ١٣ بيتاً إشارة إلى ما روي مما حاصله أنه لما سار أمير المؤمنين إلى حرب صفين أخذ طريق البر وترك الفرات . وأصاب أصحابه عطش شديد فلاح لهم دير فهتف به فاشرف راهب من صومعته ، قال : هل قرب قائمك من ماء ؟ قال بيني وبين الماء أكثر من فرسخين . فسار قليلاً ونزل بموضع فيه رمل وأشار إلى مكان فكشفوه فأصابوا تحته صخرة بيضاء عظيمة ، فأمرهم بقلعها فلم يقدروا فاقتلعها الإمام بيده ونحاها فإذا تحتها ماء فشرب الناس وارتووا وحملوا منه .

٣ المتبتل : إشارة إلى الراهب الذي لاقاه في الطريق

٤ المدمج - الشئ المستور ، إشارة إلى صومعة الراهب . ويشبه صومعة الراهب لارتفاعها وطولها بحلقوم طائر يسميه العرب (الأبيض)

٥ الشظية - قطعة من الجبل منفردة . المرقب - المكان المرتفع

٦ النقى أو النقا - قطعة من الرمل محدودبة . القيّ - الأرض القفر ، وكذلك السبسب

فثنى الأعنة نحو وعث فاجتلى ... ملساء تبرق كاللجين المذهب [1]

قال اقلبوها إنكم إن تقلبوا ... تروا ولا تروون إن لم تقلب

فاعصوصبوا في قلعها فتمنعت ... منهم تمنع صعبة لم تركب [2]

حتى إذا أعيتهم أهوى لها ... كفاً متى ترد المغالب تغلب

فكأنها كرة بكف حزور ... عبل الذراع دحا بها في ملعب [3]

فسقاهم من تحتها متسلسلاً ... عذباً يزيد على الألذ الأعذب

حتى إذا شربوا جميعاً ردها ... ومضى فخلت مكانها لم يقرب

أعني ابن فاطمة الوصي ومن يقل ... في فضله وفعاله لم يكذب [4]

ليست ببالغة عشير عشير ما ... قد كان اعطيه مقالة مطنب

صهر النبي وجاره في مسجد ... طهر بطيبة للرسول مطيب

سيان فيه عليه غير مذمم ... ممشاه إن جُنباً وان لم يجنب

وسرى بمكة حين بات مبيته ... ومضى بروعة خائف مترقب

خير البرية هارباً من شرها ... بالليل مكتتماً ولم يستصحب

باتوا وبات على الفراش ملفّعاً ... ويرون أن محمداً لم يذهب

حتى إذا طلع الشميط كأنه ... في الليل صفحة خدادهم مغرب [5]

ثاروا لأخذ أخي الفراش فصادفت ... غير الذي طلبت أسف الخيب

فتراجعوا لما رأوه وعاينوا ... أسد الإله وعصبوا في منهب

قالوا اطلبوه فوجهوا من راكب ... في مبتغاه وطالب لم يركب

حتى إذا قصدوا لباب مغارة ... ألفوا عليه نسيج غزل العنكب

---

١ الوعث - المكان اللين الذي لا يسلك لأن الاخفاف تغيب فيه

٢ اعصوصبوا - اجتمعوا وصاروا عصبة واحدة

٣ الحزور - الغلام القوي . العبل - الغليظ الممتلئ

٤ فاطمة بنت أسد الهاشمية أم الإمام علي

٥ الشميط - الصبح ، سمي بذلك لاختلاط لونيه من الظلمة والضوء

صنع الإله له فقال فريقهم ... ما في المغار لطالبٍ من مطلب
ميلوا وصدهم المليك ومن يرد ... عنه الدفاع مليكه لا يعطب
حتى إذا أمن العيون رمت به ... خوض الركاب إلى مدينة يثرب
فاحتل دار كرامة في معشر ... آووه في سعة المحل الأرحب
وله بخيبر إذ دعاه لراية ... ردت عليه هناك أكرم منقب
إذ جاء حاملها فأقبل متعباً ... يهوي بها العدوي أو كالمتعب
يهوي بها وفتى اليهود يشله ... كالثور ولى من لواحق أكلب
غضب النبي لها فأنّبه بها ... ودعا أخا ثقةٍ لكهل منجب
رجلا كلا طرفيه من سام وما ... حام له باب ولا بأبي أب
من لا يفرّ ولا يُرى في نجدة ... إلا وصارمه خضيب المضرب
فمشى بها قِبَل اليهود مصمماً ... يرجو الشهادة لا كمشي الأنكب [1]
تهتز في يمنى يدي متعرض ... للموت أروع في الكريهة محرب [2]
في فيلق فيه السوابغ والقنا ... والبيض تلمع كالحريق الملهب
والمشرفية في الأكف كأنها ... لمع البروق بعارض متحلب
وذوو البصائر فوق كل مقلص ... نهد المراكل ذي سبيب سلهب [3]
حتى إذا دنت الأسنة منهم ... ورموا فنالهم سهام المقنب
شدوا عليه ليرجلوه فردهم ... عنه بأسمر مستقيم الثعلب [4]
ومضى فأقبل مرحب متذمراً ... بالسيف يخطر كالهزبر المغضب

---

١ الأنكب = المنحرف

٢ المحرب = الحسن البلاء في الحرب

٣ المقلص = مأخوذ من التشمير في الثياب وغيرها ووصف الفرس بذلك لتشمر لحمه وارتفاعه عن قوائمه . نهد المراكل = كثير لحم المراكل وهي مواضع ركل الفارس برجله يصف جسمه بالحسن والتمام . السبيب = خصل شعر الناصية وجمعها سبائب . السلهب = الطويل .

٤ الأسمر = الرمح . الثعلب = طرف الرمح

فتخالسا مهج النفوس فأقلعا ... عن جري أحمر سائل من مرحب

فهوى بمختلف القنا متجدلاً ... ودم الجبين بخده المتترب

أجلى فوارسه وأجلى رجله ... عن مقعص بدمائه متخضب [1]

فكان زوره العواكف حوله ... من بين خامعة ونسر أهدب [2]

شعث لعامظة دعوا لوليمة ... أو يأسرون تخالسوا في منهب

فاسأل فإنك سوف تخبر عنهم ... وعن ابن فاطمة الأغر الأغلب

وعن ابن عبد الله عمرو قبله ... وعن الوليد وعن أبيه الصقعب [3]

وبني قريضة يوم فرّق جمعهم ... من هاربين وما لهم من مهرب

وموائلين إلى أزل ممنع ... رأسي القواعد مشمخر حوشب [4]

رد الخيول عليهم فتحصنوا ... من بعد أرعن جحفل متحزب [5]

إن الضباع متى تحس بنبأة ... من صوت أشوس تقشعر وتهرب [6]

فدعوا ليُمضي حكم أحمد فيهم ... حكم العزيز على الذليل المذنب [7]

❋❋❋❋❋❋❋❋

---

١ المقعص = المقتول

٢ العواكف = من العكوف وهو طول المقام . الخامعة = الضبع لأنها تتخمع في مشيها فتمشي كأن بها عرجاً . الأهدب = كثير أشفار العين ، ووصفه بأنه أهدب لسبوغ ريشه ولحوقه بالأرض .

٣ ابن عبدالله أي عمرو بن عبد ود العامري . والوليد هو ابن عتبة بن ربيعة قتله علي يوم بدر . الصقعب = الرجل الطويل

٤ موائلين = لاجئين . الأزل = الذي تزل به الأقدام لطوله ووعورة طرقه وهو حصنهم . المشمخر = العالي . الحوشب = العظيم الجنبين .

٥ الأرعن = الجيش العظيم . الجحفل = الجيش الكثير العدد

٦ نبأة = صوت

٧ الأمين : أعيان الشيعة - ج ١ - ص ٥٥٤ - ٥٥٦

أبوتمام الطائي:

واسمه حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (١٨٨ هـ ـ ٢٣١ هـ)، شاعر وأديب يعد أحد أمراء البيان. ولد في **جاسم** من قرى حوران بسوريا، ورحل إلى مصر، ثم استقدمه الخليفة العباسي المعتصم إلى بغداد حيث قدّمه على شعراء عصره.

كان موالياً لآل البيت عليهم السلام، وله في ذلك أشعار من قبيل:

ويوم الغدير استوضح الحق أهله ... بفيحاء لا فيها حجاب ولا ستر
أقام رسول الله يدعوهم بها ... ليقربهم عرف وينآهم نكر
فكان له جهر بإثبات حقه ... وكان لهم في بزهم حقه جهر
لكم ذخركم أن النبي ورهطه ... وجيليهم ذخري إذا التمس الذخر
جعلت هواي الفاطميين زلفة ... إلى خالقي ما دمت أو دام لي عمر[1]

عُرف بذاكرته المتميزة، فقد حفظ ١٤ ألف أرجوزة من أراجيز العرب سوى القصائد والمقاطيع، وله علة دواوين.

ومن شعره في مدح أمير المؤمنين عليه السلام:

أخوه إذا عد الفخار وصهره ... فلا مثله أخ ولا مثله صهر
وشدّ به أزر النبي محمد ... كما شد موسى بهارونه الأزر
وما زال صباراً ديلجير غمرة ... يمزقها عن وجهه الفتح والنصر
هو السيف سيف الله في كل مشهد ... وسيف الرسول لا ددان ولا دئر[2]
فأي يد للذم لم يبر زندها ... ووجه ضلال ليس فيه له إثر
ثوى ولا هل الدين أمن بحده ... وللواصمين الدين في حده ذعر
يسد به الثغر المخوف من الردى ... ويعتاص من أرض العدو به الثغر[3]

---

١ الأمين : أعيان الشيعة ـ ج ١ ـ ص ٤٢١
٢ الددان = السيف الكليل . الدئر = الرجل البطئ الخامل النؤوم
٣ يعتاص = يقوى ويشتد

بأحـد وبـدر حـين مـاج برجلـه ... وفرسـانه أحـد ومـاج بهـم بـدر
ويـوم حـنين والنضـير وخيـبر ... وبالخنـدق الثـاوي بعقوتـه عمـرو
سما للمنايا الحمر حتى تكشفت ... وأسـيافه حمـر وأرماحـه حمـر
مشـاهد كـان الله كاشـف كربهـا ... وفارجـه والأمـر ملتـبس إمـر [1]

❋❋❋❋❋❋❋❋

علي بن حماد البصري:

أبو الحسن علي بن حماد بن عبيد الله بن حماد العدوي العبدي البصري، ولد في أوائل القرن الرابع وتوفي في أواخره. كان عالماً وحافظاً للحديث وشاعراً، ومن المكثرين في أهل البيت عليهم السلام مدحاً ورثاءً، وله ديوان يربو على ٢٢٠٠ بيت من الشعر، ومن شعره في بيان مقام أمير المؤمنين وشجاعته:

وشـد بـه أزر الـنبي محمـد ... وكـان لـه في كـل نائبـة ركنـا
وأفـرده بـالعلم والبـأس والنـدى ... فمـن قـدره يسـمو ومـن فعلـه يكنـى
هو البحر يعلـو العنبر المحض فوقه ... مـا الـدر والمرجـان مـن قعـره يجنـى
إذا عـد أقـران الكريهـة لم نجـد ... لحيـدرة في القـوم كفـواً ولا قرنـا
يخـوض المنايـا في الحـروب شـجاعة ... وقد ملأت منـه ليـوث الشـرى جُبنـا [2]
يرى الموت من يلقـاه في حومـة الوغـا ... يناديـه مـن هنـا ويـدعوه مـن هنـا
إذا استعرت نـار الـوغى وتغشـمرت ... فوارسها واستخلفوا الضرب والطعنا [3]
وأهدت إلى الأحداق كحـلاً معصـفراً ... وألقـت علـى الأشـداق أرديـة دكنـا

---

١ الأمين: أعيان الشيعة ـ ج ١ ـ ص ٥٦١ - ٥٦٢
٢ الشرى = أنثى الشر
٣ الغشمرة = التهضم والظلم والأخذ بالقهر

وخلت بها زرق الأسنة أنجماً ... ومن فوقها ليلاً من النقع قد جنا
فحين رأت وجه الوصي تمزقت ... كثلة ظأن أبصرت أسداً شنا
فتى كفه اليسرى حمام بحربه ... كذاك حياة السلم في كفه اليمنى
فكم بطل أردى وكم مرهب أودى ... وكم معدم أغنى وكم سائل أقنى
يجود على العافين عفواً بما له ... ولا يتبع المعروف من منه منا
ولو فض بين الناس معشار جوده ... لما عرفوا في الناس بخلاً ولا ضنّا
وكل جواد جاد بالمال إنما ... قصاراه أن يستنّ في الجود ما سنا
وكل مديح قلت أو قال قائل ... فإن أمير المؤمنين به يُعنى

وله أيضاً:

ذاك علي المرتضى الطهر الذي ... بفخره قد فخرت عدنانه
صنو النبي هديه كهديه ... إذ كل شي شكله عنوانه
وصيه حقاً وقاضي دينه ... إذ اقتضى ديونه ديّانه
ناصحه الناصر حقاً إذ غدا ... سواه ضد سرّه إعلانه
وارثه علم الهدى أمينه ... في أهله وزيره خلصانه
ذاك الفتى النجد الذي إذا بدا ... بمعرك ألقت له فتيانه
ليث لو الليث الجريّ خالَه ... لطار من هيبته جِنانُه
صقرٌ ولكن صيده صيد الوغا ... ليثٌ ولكن فرسه فرسانه
ذاك الشجاع إن بدا بمعرك ... تفرقت من خوفه شجعانه
تبكي الطلى إن ضحكت أسيافه ... وترتوي إن عطشت سنانه
ترى سباع البيد تقفوا إثره ... لأنها يوم الوغا ضيفانه
يقرن أرواح الكماة بالردى ... لذاك حاصت دونه أقرانه
وكم كميٍّ قد قَراه في الوغا ... فليس تخبو أبداً نيرانه

يشـــهد في ذا بـــدره وأحْـــده وطيبـــة ومكـــة أوطانـــه
وخيـــبر والبصـــرة الـــتي بهـــا النكـــث وصـــفين ونهروانـــه [1]

❋❋❋❋❋❋❋❋

علي بن فخر الدين الإربلي:

بهاء الدين أبو الحسن علي بن فخر الدين عيسى بن أبي الفتح الإربلي نزيل بغداد ودفينها (ت ٦٩٢ هـ). عالم وشاعر، له عدة مؤلفات من بينها **كشف الغمة بمعرفة الأئمة و المقامات الأربع**.

من أبيات له في مدح أمير المؤمنين عليه السلام:

سل عن عليٍّ مقامات عرفن به شدّت عُرى الدين في حل ومرتحل
بدراً وأحداً وسل عنه هوازن في أوطاس واسئل به في وقعة الجمل
واسئل به إذ أتى الأحزاب يقدمهم عمرو وصفين ، سَل إن كنت لم تسل
مآثر صافحت شهب النجوم علا مشيدة قد سمت قدراً على زحل
وسنّة شرعت سبل الهدى وندى أقام للطالب الجدوى على السبل
كم من يدٍ لك فينا يا أبا حسن يفوق نائلها صوب الحيا الهطل [2]
وكم كشفت عن الإسلام فادحة أبدت لتفرس عن أنيابها العضل
وكم نصرت رسول الله منصلتاً كالسيف عري متناه من الخلل
ورب يوم كظل الرمح ما سكنت نفس الشجاع به من شدة الوهل [3]
ومأزق الحرب ضنك لا مجال به ومنهل الموت لا يغني على النهل
والنقع قد ملأ الأرجاء عثيرة فصار كالجبل الموفي على الجبل

---

١ الأميني: الغدير - ج ٤ - ص ١٥٣ - ١٥٨
٢ الهطل = المطر المتفرق
٣ الوهل = الفزع

جلوتـه بشـبا البـيض القواضـب ... والجرد السلاهب والعسالة الـذبل [1]

بـذلت نفسـك في نصـر الـنبي ولم ... تبخـل ومـا كنـت في حـال أخـا بخـل

وقمـت منفـرداً كـالرمح منتصـباً ... لنصـره غـير هـيّاب ولا وكـل [2]

تردي الجيوش بعـزم لـو صـدمت بـه ... صم الصفا لهوى من شامخ القُـلل [3]

❋❋❋❋❋❋❋❋

كاظم الأزري:

شاعر أهل البيت الشيخ كاظم بن محمد بن مهدي الوائلي البغدادي المعروف بالأزري (ت ١٢٠١ هـ). له ديوان مرتب على الحروف. وأشهر قصائده هي القصيدة التالية التي تبلغ ألف بيت، أكلت الأرضة منها أكثر من أربعمائة بيت، بعد أن احتفظ بها صاحبها في طومار ولم يبق منها إلا ٥٧٨ بيتاً نأخذ منها ما يلي:

أسـد الله مـا رأت مقلتـاه ... نـار حـرب تشـب إلا اصـطلاها

فـارس المـؤمنين في كـل حـرب ... قطـب محرابهـا إمـام وغاهـا

لم يخـض في الهيـاج إلا وأبـدى ... عزمـة يتقـي الـردى إياهـا

ذاك رأس الموحـدين وحـامي ... بيضـة الـدين مـن أكـف عـداها

مـن تـرى مثلـه إذا صـرت الحـر ... ب ودارت علـى الكلمـات رحاهـا

ذاك قمقامهـا الـذي لا يـروي ... غـير صمصـامه أوام صـداها [4]

وبـه اسـتفتح الهـدى يـوم بـدر ... مـن طغـاة أبـت سـوى طغواهـا

صـب صـوب الـردى عليهم همـام ... لـيس يخشـى عقبـى الـتي سـواها

---

١ البيض = السيف . والقواضب = جمع قاضب ، أي شديد القطع . والجرد = الترس . والسلاهب = هـع السلهب ، أي الطويل والعسالة من الرمح = ما يهتز لينا . والذبل = جمع الذابل ، أي الدقيق : المهزول ، توصف بها الرماح .

٢ الوكل = الجبان والعاجز

٣ الإربلي : كشف الغمة ـ ج ١ ـ ٣٧٥

٤ القمقام = السيد

يـــوم جـــاءت وفي القلـــوب غليـــل ... فســـقاها حســـامه مـــا ســـقاها

فأقامـــت مـــا بـــين طـــيش ورعـــب ... وكفاهـــــا ذاك المقـــــام كفاهـــــا

ظهـــرت منـــه في الـــوغى ســـطوات ... مـــا أتـــى القـــوم كلـــهم ماتاهـــا

يـــوم غصـــت بجـيش عمـــرو بـــن ود ... لهـــوات الفـــلا وضـــاق فضـــاها

وتخطـــــى إلى المدينـــــة فـــــرداً ... بســـــرايا عـــــزائم ســـــاراها

فـــدعاهم وهـــم ألـــوف ولكـــن ... ينظـــرون الـــذي يشـــب لظاهـــا

أيـــن أنـــتم عـــن قســـور عـــامري ... تتقـــي الأســـد بأســـه في شـــراها

فابتـــدى المصـــطفى يحـــدث عمـــا ... تـــؤجر الصـــابرون في أخراهـــا

قـــــائلاً إن للجليـــــل جنانـــــاً ... لـــيس غـــير المجاهـــدين يراهـــا

أيـــن مَـــن نفسُـــه تتـــوق إلى ... الجنـــات أو يـــورد الجحـــيم عـــداها

مـــن لعمـــرو وقـــد ضـــمنتُ ... علـــى الله لـــه مـــن جنانـــه أعلاهـــا

فـــالتووا عـــن جوابـــه كســـوام ... لا تراهـــا مجيبـــة مـــن دعاهـــا

وإذا هـــم بفـــارس قرشـــي ... ترجـــف الأرض خيفـــة إذ يطاهـــا

قـــائلاً مـــا لهـــا ســـواي كفيـــل ... هـــذه ذمـــةٌ علـــيَّ وفاهـــا

ومشـــى يطلـــب الصـــفوف كمـــا ... تمشـــي خمـــاص الحشـــا إلى مرعاهـــا

فانتضـــى مشـــرفية فتلقّـــى ... ســـاق عمـــرو بضـــربة فبراهـــا

وإلى الحشـــر رنـــة الســـيف منـــه ... يمـــلأ الخـــافقين رجـــعُ صـــداها

يـــا لهـــا ضـــربة حـــوت مكرمـــات ... لم يـــزن ثقـــل أجرهـــا ثقلاهـــا

هـــذه مـــن عـــلاه إحـــدى المعـــالي ... وعلـــى هـــذه فقـــس مـــا ســـواها

وبأحـــدٍ كـــم فـــلَّ آحـــاد شـــوس ... كلمـــا أوقـــدوا الـــوغى أطفاهـــا

يـــوم دارت بـــلا ثوابـــت إلا ... أســـد الله كـــان قطـــب رحاهـــا

يـــوم خانـــت نبالـــة القـــوم عهـــداً ... لـــنبي الهـــدى فخـــاب رجاهـــا

وتـــراءت لهـــا غنـــائم شـــتى ... فـــاقتفى الأكثـــرون أثـــر ثراهـــا
وأحاطـــت بـــه مـــذاكي الأعـــادي ... بعـــد مـــا أشـــرفت علـــى استيلاها
فـــترى ذلـــك الـــنفير كمـــا تخـــبط ... في ظلمـــة الـــدجى عشـــواها
يتمنـــى الفتـــى ورود المنايـــا والمنايـــا ... لـــو تشـــترى لاشـــتراها
كلمـــا لاح في المهامـــة بـــرق ... حســـبته قنـــا العـــدى وظباهـــا
لم تخلـــها إلا أضـــالع عجـــف ... قـــد رآهـــا الســـرى فحـــل براهـــا
لأتلمهـــا الحـــيرة وارتيـــاع ... فقـــدت عزّهـــا فعـــز عزاهـــا
إن يفتهـــا ذاك الجميـــل فعـــذراً ... إنمـــا حليـــة الرجـــال حجاهـــا
قـــد أراهـــا في ذلـــك اليـــوم ضـــرباً ... لـــو رأتـــه الشـــبان شـــابت لحاهـــا
وكســـاها العـــار الـــذميم بطعـــن ... مـــن حلـــي الكبريـــاء قـــد أعراهـــا
يـــوم ســـالت ســـيل الرمـــال ولكـــن ... هـــبّ فيهـــا نســـيمة فـــذراها
لا تـــرُم وصـــفه ففيـــه معـــان ... لم يصـــفها إلا الـــذي ســـواها
ولـــه يـــوم خيـــبر فتكـــات ... كـــبرت منظـــراً علـــى مـــن رآهـــا
يـــوم قـــال الـــنبي إنـــي لأعطـــي ... رايـــتي ليثهـــا وحـــامي حماهـــا
فاســـتطالت أعنـــاق كـــل فريـــق ... لـــيروا أي ماجـــد يعطاهـــا
فـــدعا أيـــن وارث العلـــم والحلـــم ... مجـــير الأيـــام مـــن بأســـاها
أيـــن ذو النجـــدة الـــذي لـــو دعتـــه ... في الثريـــا مروعـــة لبّـــاها
فأتـــاه الوصـــي أرمـــد عـــين ... فســـقاه مـــن ريقـــه فشـــفاها
ومضـــى يطلـــب الصـــفوف فولّـــت ... عنـــه عِلمـــاً بأنـــه أمضـــاها
وبـــرى مرحبـــاً بكـــفٍّ اقتـــدار ... أقويـــاء الأقـــدار مـــن ضـــعفاها
ودحـــا بابهـــا بقـــوة بـــأس ... لـــو حمتهـــا الأفـــلاك منـــه دحاهـــا
عائـــد للمـــؤملين مجيـــب ... ســـامع مـــا تســـر مـــن نجواهـــا

من تلقى يد الوليد بضرب ... حيدري بري اليراع براها

وسقى منه عتبة كأس بؤس ... كان صرفاً إلى المعاد احتساها

ورأى تيه ذي الخمار فردا ... هُ من الذل بردة ما ارتداها

ومن المهتدي بيوم حنين ... حين غاوي الفرار قد أغواها

حيث بعض الرجال تهرب من ... بيض المواضي والبعض من قتلاها

حيث لا يلتوي إلى الألف إلف ... كل نفس أطاشها ما دهاها

من سقاها في ذلك اليوم كأساً ... فايضاً بالمنون حتى رواها

أعجب القوم كثرة العد منها ... ثم ولّت والرعبُ حشو حشاها

وقفوا وقفة الذليل وفرّوا ... من أسود الشري فرار مهاها

وعليٌّ يلقى الألوف بقلب ... صوّر الله فيه شكل فناها

إنما تفضل النفوس بجد ... وعلى قدره مقام علاها

لو تراه وجوده مستباح ... قبل كشف العفاة سر عفاها

خلت من أعظم السحائب سحباً ... سقت الروض قبل ما استسقاها

وهو للدائرات دائرة السعد ... ألا ساء حظ من ناواها

لم يدع ذلك الطبيب كلوماً ... قد أساءت بالدهر إلا اساها

صادق الفعل والمقالة يحوي ... غرة مثل حسنه حسناها

لم تفه ملة من الشرك إلا ... فض بالصارم الإلهي فاها

وطواها طي السجل همام ... نشر الحرب علمه وطواها

كم عرا مشكل فحل عراه ... ليس للمشكلات إلا فتاها

واسأل الأعصر القديمة عنه ... كيف كانت يداه روح غذاها [1]

---

[1] الأمين: أعيان الشيعة - ج ١ - ص ٥٥٧ - ٥٥٨

هاشم الكعبي:

الحاج هاشم بن حردان الكعبي (ت ١٢٣١ هـ)، شاعر من أهل دورق بخوزستان، درس في كربلاء وبها اشتهر، له ديوان شعر، وأشعار في المراثي الحسينية. و هذه أبيات من قصيدة له في مدح أمير المؤمنين وذكر بطولاته عليه السلام:

ومواقف لك دون أحمد جاوزت ... بمقامك التعريف والتحديدا

فعلى الفراش مبيت ليلك والعِدى ... تهدي إليك بوارقاً ورعودا

فرقدت مثلوج الفؤاد كأنما ... يهدي القراع لسمعك التغريدا

فكفيت ليلته وقمت معارضاً ... بالنفس لا فشلاً ولا رعديدا

واستصبحوا فرأوا دوين مرادهم ... جبلاً أشم وفارساً صنديدا

رصدوا الصباح لينفقوا كنز الهدى ... أوَ ما دروا كنز الهدى مرصودا

وغداة بدر وهو أم وقائع ... كثرت وما زالت لهن ولودا

قابلتهن فلم تدع لعقودها ... نظماً ولا لنظامهن عقيدا

فالتاح عتبة ثاويا بيمين من ... يمناه أردت شيبة ووليدا

سجدت رؤوسهم لديك وإنما ... كان الذي ضربت عليه سجودا

وتوحدت بعد ازدواج والذي ... ندبت إليه لتهتدي التوحيدا

وقضية المهراس عن كثب وقد ... عم الفرار اساودا وأسودا

فشددت كالليث الهزبر فلم تدع ... ركنا لجيش ضلالة مشدودا

وكشفتهم عن وجه أبيض ماجد ... لم يعرف الأدبار والتعريدا

وعشية الأحزاب لما أقبلت ... كالسيل مفعمة تقود القودا

عدلت عن النهج القويم وأقبلت ... حلف الضلال كتائباً وجنودا

فأبحت حرمتها وعدت بكبشها ... في القاع تطعمه السباع حنيدا

وبني قريضة والنضير وسلحم ... والوادين وخثعماً وزبيدا

مزقت جيب نفاقهم فتركتهم ... أمماً لعارية السيوف غمودا

وشللت عشراً فاقتنصت رئيسهم ... وتركت تسعاً للفرار عبيدا

وعلى حنين أين يذهب جاحد ... لما ثبت به وراح شريدا

ولخيبر خبر يصم حديثه ... سمع العدى ويفجر الجلمودا

يوم به كنت الفتى الفتاح ... والكرار والمحبوب والصنديدا

من بعد ما ولى الجبان براية ... الإيمان تلتحف الهوان برودا

ورأتك فانتشرت بقربك بهجة ... فعل الودود يعاين المودودا

فنصرتها ونضرتها فكانما ... غصن يرنحه الصبا املودا

فغدوت ترقل والقلوب خوافق ... والنصر يرمي نحوك الاقليدا

فلقيتها وعقلت فارسها ولا ... عجب إذا افترس الهزبر السيدا

ويل أمه أيظنك النكس الذي ... ولى غداة الطعن يلوي الجيدا

وتبعتها فحللت عقدة تاجها ... بيد سمت ورتاجها الموصودا

وجعلته جسرا فقصر فاغتدت ... طولى يمينك جسرها الممدودا

وأبحت حصنهم المشيد فلم يكن ... حصن لهم من بعد ذاك مشيدا

وحديث أهل النكث عسكر ... بهم البهيمة جندها المحشودا

لاقاك فارسهم فبغدد هارباً ... لو كان محتوم القضا مردودا

وعلى ابن هند طار منك بأشأم ... يوم غدا لبني الولاء سعودا

ألفى جحاش الكرملين فقادهم ... جهلا فأبئس قائدا ومقودا

فغدوت مقتنصا نفوس كماته ... لله مقتنص يصيد الصيدا

حتى إذا اعتقد القنا ورأى ... القنا مذروية ورأى الحسام حديدا

وبدا له العضب الذي من قبله ... قد فل آباء له وجدودا

رفع المصاحف لا ليرفعها عُلا ... لكن ليخفض قدرها ويكيدا

فجنى بها ثمر الأمان وخلفه ... يوم يجرعه الشراب صديدا
وكذاك أهل النهر ساعة فارقوا ... بفراقهم لجلالك التأييدا
فوضعت سيفك فيهم فأفادهم ... تلفاً فديتك متلفاً ومبيدا
ولقد روى مسروقهم عن أمه ... والحق ينطق منصفاً وعنيدا
قالت هم شر الورى ومبيدهم ... خير الورى أكرم بذاك مبيدا
سبقت مكارمك المكارم مثلما ... ختمت لعمر فخارك التأبيدا
إني لأعذر حاسديك على العلا ... وعلاك عذري لو عذرت حسودا
فليحسد الحساد مثلك إنه ... شرف يزيد على المدى تجديدا
ما أنصفتك عصابة جهلتك إذ ... جعلت لذاتك في الوجود نديدا
ثم ارتقت حتى أبتك رضى بمن ... لم يرض كعبك أن يراه صعيدا
ضلت أدلتها أتبدل بالعمى ... رشداً وبالعدم المحال وجودا [1]

❋❋❋❋❋❋❋❋

عبدالمطلب المصري:

الشيخ الشاعر المصري محمد بن عبدالمطلب بن واصل (١٢٨٨ هـ - ١٣٥٠ هـ)، حسن الرصف ويعد من الأدباء الخطباء، تلقى علومه في الأزهر، وشارك في الحركة الوطنية التي عاصرها من خلال أدبه وشعره. توفي في القاهرة، وله ديوان شعر وعدة كتب.

له قصيدة في مدح أمير المؤمنين عليه السلام، نختار منها ما يناسب المقام:

وإذ يدعو العشيرة يوم جمع ... لينذر في رسالته الأناما
فكهلٌ في جهالته تولّى ... وشيخٌ في ضلالته تعامى

١ الأمين: أعيان الشيعة - ج ١ - ص ٦٦٥ - ٦٦٧

وهـــذا يوســـع المختـــار لومـــاً ... وذلـــك عـــن ملامتـــه تحـــامى
وآخـــر لا يـــبين لـــه جوابـــاً ... أطـاع الصـمت واجتنـب الكلامـا
وأيّـــده علـــى التقـــوى أخـــوه ... إذا مـــا خـــاف كـــل أخ وخامـــا
ولجّـــت في عمايتهـــا قـــريش ... تصـــارحه العـــداوة والخصـــاما
وجاشـــت بـــين أضـــلعها قلـــوب ... علـــى الإســـلام تلتهـــب احتـــداما
فمـا فعـل الفتـى والشـر تغلـي ... مراجلـــه وتهتـــزم اهتزامـــا
مضـــى كالســـيف لم يعقـــد إزاراً ... علـــى ريـــب ولم يشـــدد حزامـــا
يـــروح علـــى مجـــامعهم ويغـــدو ... كشـــبل الليـــث يعـــترم اعترامـــا
صـــغير الســـن يخطـــر في إبـــاء ... فـــلا ضـــيماً يخـــاف ولا ملامـــا
ومـــا زالـــت بـــه الأيـــام ترقـــى ... علـــى درج النهـــى عامـــاً فعامـــا
وقـــد جمـــع الحِجـــى والـــدين فيـــه ... خلائـــق تجمـــع الخـــير اقتســـاما
فمـا أوفـى علـى العشـرين حتـى ... شـــهدنا مـــن عظائمـــه عظامـــا
فلـــن ينســـى الـــنبي لـــه صـــنيعاً ... عشـــيّة ودّع البيـــت الحرامـــا
عشـــية ســـامه في الله نفســـاً ... لغـــير الله تكـــبر أن تســـاما
فأرخصـــها فـــدىً لأخيـــه لمـــا ... تســـجّى في حظيرتـــه ونامـــا
وأقبلـــت الصـــوارم والمنايـــا ... لحـــرب الله تنـــتحم انتحامـــا
فلـــم يأبـــه لهـــا أنِفـــاً علـــي ... ولم تقلـــق بجفنيـــه منامـــا
وأغشـــى الله أعيـــنهم فراحـــت ... ولم تـــر ذلـــك البـــدر التمامـــا
وغـــادرت البطـــاح بـــه ركـــاب ... إلى الـــزوراء تعتـــزم اعتزامـــا
وفي أم القـــرى خلـــى أخـــاه ... علـــى وُجـــدٍ بـــه يشـــكو الأوامـــا
أقـــام بهـــا ليقضـــيها حقوقـــاً ... علـــى الهـــادي بهـــا كانـــت لزامـــا
فـــإن يـــك عهـــده فيهـــا وبـــالاً ... علـــى الطـــاغوت أو داءً عقامـــا

فكم طابت به للحق نفس ... بطيبة حين أوطنها مقاما
وكم شهدت له الزوراء يوماً ... وكم حمد الحنيف له مقاما
سل الرايات كم شهدت عتياً ... يصرف تحتها الجيش اللهاما
كأني بابن عتبة يوم بدر ... يعاني تحت مجثمه جثاما
ولو علم الوليد بمن سيلقى ... لألقى قبل مصرعه السلاما
رويد بني ربيعة قد ظلمتم ... بني الأعمام والرحم الحراما
وصلناكم بها وقطعتموها ... فكان الحزم أن تردوا الحِماما
فهل ينسون للفرقان يوماً ... سقاهم من صوارمنا سماما
وما صهر النبي إذا تنادوا ... كمن يدعو ربيعة أو هشاما
ومن غدت البتول إليه تُهدى ... بنى في النجم بيتاً لا يسامى
بأمر الله قد زُفّت إليه ... عشية راح يخطبها وساما
كأني بالملائك إذ تدلت ... بذاك البيت تزدحم ازدحاما
فلو كُشف الحجاب رأيت فيه ... جنود الله تنتظم انتظاما
أطافوا بالحظيرة في جلال ... صفوفاً حول فاطمة قياما
تفيض على منصتها وقاراً ... وتكسو حسن طلعتها وساما
فلا يحزن خديجة أن تولت ... ولم تبلغ بجلوتها مراما
تولاها الذي ولّى أباها ... رسالته وزوجها الامام
قِرانٌ زاده الإسلام يُمناً ... وشمل زاده الحب التئاما
فإن تكُ خير من عقدت إزاراً ... وأكرم كل من أرخت لثاما
فما شغلته عن خوض المنايا ... إذا التطمت زواخرها التطاما
فإن تسأل فسائل عنه أُحداً ... غداة هناك طير الموت حاما
وجاءت في زمازمها قريش ... يهزون المثقف والهذاما

فقطر كبشها وهوى صريعاً ... على الدقعاء يلتهم الرغاما
هوى من تحت رايتهم فخرّت ... بأم الأرض ترتطم ارتطاما
فويح المسلمين هناك ولوا ... فراراً لا أسميه انهزاما
وخلوا ثم أحمد في وغاها ... بجند الكفر يصطدم اصطداما
فأرجف بالنبي هناك قوم ... فعاذوا حول موقفه حياما
وحطم غمد صارمه عليٌّ ... وذبّ عن النبي بها وحامى
وأقبل نحوهم وهوى إليهم ... هويّ الباز يعتبط الحماما
فطاروا عن مواقفهم شعاعاً ... وطاحوا في مصارعهم حطاما
فذاك ولو ترى إذ جاب قوم ... على الإسلام خندقه اقتحاما
وأقبل في لباس البأس عمرو ... يزيد على مخيلته عراما
فجال منازلاً ودعا مُدِلاً ... فعم الهول حين دعا وغاما
نزال بني الهدى هل من كميٍّ ... يسوم الخلد بالنفس استياما
هنالك بادر الكرّار لما ... غدوا والرعب قد منع الكلاما
إذا ما هم أقعده أخوه ... وزاد إلى اللقاء جوىً فقاما
مكانك يا عليّ فذاك عمرو ... له الأبطال يوم وغى تحامى
فقال وإن يكن عمراً فإني ... عليٌّ سوف ألجمه الحساما
فلم يك غير أن أودى ابن ودٍّ ... وخاض السيف في دمه وعاما
وعاد إلى النبي يفيض بأساً ... ويزخر في حميته جماما
وراح الكفر يرجف جانباه ... وأمسى عضب عزته كهاما
وسائل يوم خيبر عن عليٍّ ... تجد فيها مأثره جساما
إذ الرايات في جهد عليها ... تعاصي الفتح والهرب استداما
فأقبل بالعقاب على خميس ... يهرول مسرعاً يمضي أماما

فشـــدَّ علـــى مناكبهـــا وثاقـــاً ... ولـــفَّ علـــى معاطســـها خطامـــا

ولم تغـــن الحصـــون ولا الصياصـــي ... وإن قـــام الحديـــد لهـــا دعامـــا

وأقبـــل مرحـــب في البـــأس يجبـــوا ... وكـــان البـــأس صـــاحبه لزامـــا

ومـــا علـــم الفتـــى أن المنايـــا ... خططـــن بـــذي الفقـــار لـــه منامـــا

وأن لـــه مـــن الكـــرار يومـــاً ... عبوســـاً مُدنِـــياً منـــه الحمامـــا

ضـــفا حلـــق الحديـــد عليـــه مثنـــى ... وظـــاهر فـــوق بيضـــته الرخامـــا

فشـــد علـــى الإمـــام بـــذي شـــطوب ... تضـــمن حـــده موتـــاً زؤامـــا

فـــزال مجنُّـــه فـــإذا رتـــاج ... هنـــاك تخالـــه جـــبلاً تســـامى

فســـل يســـراه كيـــف تلقفتـــه ... وقـــد أعيـــا تحملـــه فئامـــا [1]

عـــلاه بضـــربة لـــو أن رضـــوى ... تلقاهـــا لعـــاد بهـــا هيامـــا [2]

فلـــم يعصـــمه مـــن حـــين رخـــام ... ولم يجـــد الحديـــد لـــه عصـــاما

وعـــادت خيـــبر لله فيئـــاً ... يُقسَّـــم في كتائبـــه اقتســـاما

فـــدع عنـــك المـــواطن والمغـــازي ... ومـــن سـلَّ الظبـــا فيهـــا وشـــاما

ومـــن أجـــرى عتـــاق الخيـــل قبـــاً ... فأوطاهـــا مـــن الأعـــداء هامـــا

يخـــوض بهـــا المـــواطن معلمـــات ... ونصـــر الله كـــان لهـــا علامـــا

فمـــا وجـــدت كحيـــدرة إمامـــاً ... يصـــيد الصـــيد فـــذا أو توامـــا

وســـل أهـــل الســـلام تجـــد عليـــاً ... إمـــام النـــاس يبتـــدر الســـلاما [3]

* * * * * * * *

١ الفئام = الجماعة من الناس

٢ الهيام = الرمل المهيل

٣ الأمين : أعيان الشيعة ـ ج ١ ـ ص ٥٥٩ - ٥٦٠

السيد رضا الهندي:

أبو أحمد السيد رضا بن محمد بن هاشم الرضوي الموسوي التقوي المعروف بالهندي (١٢٩٠ هـ ـ ١٣٦٢ هـ)، ولد بالنجف الأشرف وبها ترعرع، ثم انتقل إلى سامراء مع والده لمدة ١٣ عاماً ثم عاد إلى النجف مجدداً حيث اشتغل بطلب العلم في حوزتها المباركة.

واشتهرت له قصيدته الخالدة الموسومة **بالقصيدة الكوثرية**، التي سنختار منها هذا المقطع:

قد تمت لي بولايته ... نِعمٌ جمَّت عن أن تُشكر

لأصيب بها الحظ الأوفى ... وأخصص بالسهم الأوفر

بالحفظ من النار الكبرى ... والأمن من الفزع الأكبر

هل يمنعني وهو الساقي ... أن أشرب من حوض الكوثر

أم يطردني عن مائدة ... وُضعت للقانع والمعتر

يا من قد أنكر من آيا ... تِ أبي حسن ما لا يُنكر

إن كنت لجهلك بالأيام ... جحدت مقام أبي شبر

فاسأل بدراً واسأل أحُداً ... وسل الأحزاب وسل خيبر

مَن دبَّر فيها الأمر ومَن ... أردى الأبطال ومن دمَّر

مَن هدَّ حصون الشرك ومَن ... شاد الإسلام ومن عمَّر

من قدَّمه طه وعلَى ... أهلِ الإيمان له أمَّر

إلى أن قال:

مَن غيرُك مَن يدعى للحر ... ب وللمحراب وللمنبر

أفعال الخير إذا انتشرت ... في الناس فأنت لها مصدر

وإذا ذكر المعروف فما ... لسواك به شيء يُذكر

أحييت الدين بأبيض قد ... أودعت به الموت الأحمر
قُطباً للحرب يدير الضرب ... ويجلو الكرب بيوم الكَر
فاصدع بالأمر فناصِرُ ... ك البتَّار وشانئُك الأبتر [1]

* * * * * * * *

محمد عبدالحافظ:

أختم هذا الفصل بقسم من الملحمة الزجلية التي كتبها الشاعر المصري محمد عبدالحافظ [2]، بعنوان **سيرة الإمام البطل علي بن أبي طالب** باللهجة المصرية، مع التحفظ على بعض المعلومات التي وردت فيها:

(بطولة)

وِفْ يوم ما قالت قريش
كلمتها في محمد
وصممت تقتله بالغدر
كان مشهد
مشهد بطولي جرئ
لما النبي هاجر
وساب مكانه علي
فوق الفراش ساهر
****

---

١ الشاكري: علي في الكتاب والسنة والأدب ـ ص ٨٤ - ٨٦

٢ شاعر وكاتب مصري معاصر ، صدرت له أعمال درامية ومجموعتان شعريتان .

ملفوف ببردة نبينا الخضرة

ومآمن

واللّى سلاحه الإيمان

عمره يعيش آمن

****

فتيان قريش فكّروا

إن النبي بالدار

واستنّوا

لكن نبينا كان وصل للغار

****

وهمّ ناموا وصحيوا

والسيوف في الإيد

واقفين بباب النبي

لكن بغدر عنيد

****

ولما طال انتظارهم

بصّوا جُـوّا الدار

لاقوا علي

قادت قلوبهم نار

قالوا لبعض : إزاي

خرج واحنا ولا ندره ؟

واللي العنايه معاه

ما تخوّفو كتره

أما علي .. ما سأل

وكان يا ناس

رمز لْبطوله عظيمه

تحيّر الإحساس

إزّاي يخاطر الفتى ومكان نبينا ينام

والموت أمامه ... وخلفه

والسيوف خدّام

****

لا الموت ولا الفرسان

فكّر فتانا فيه

دَ الموت يخافه جبان

نفسه تعزّ عليه

****

لاكنّه قام الصبح

من بدري ولا هَـمُّه

ومعاه أمانات النبي

توزيعها كان هَـمُّه

وزعها لصْحابها

وجهز نفسه للهجره

يلحق بعز الأحبة

ف يثرب الثوره

****

ثورة إرادة البشر

ضد الهوان والظلم

ثورة صنعها القدر

ثورة حضاره وعلم

****

(غزوة بدر)

ولما سعْـتِ الخطر دقّت

في ليلة قدر

ونادى داعي الجهاد

للمسلمين في بدر

والحق والإيمان صمد

زي الجبل للغدر

كان الإمام البطل

هوً وعمه وأخوه

أول تلاته تصدّوا

للعدو وهزموه

****

بارزوا تلاته من قريش

زي الأسود في الحرب

عتبه .. و شيبه .. و الوليد

أولاد ربيعه .. صعب

****

دي ملحمه سته جبابره

مشهورين بالضرب

كان الوليد قدام علي

واتقابل الجبلين

لكن علي ف لمح البصر

شق الوليد نصّين

وراح يساعد أبوعبيده

وعمو معاه

قتل التلاته تلاته

في البطوله عُـتاه

****

والله أكبر جلجلت

والجر هلّ ضياه

والنصر دايماً

بالشجاعه .. والإيمان بالله

****

(غزوة أحد)

شفنا البطل

مين غير علي

تاريخ حياته بالجهاد مشهور ؟

مين غير علي

أول مبارز في الحروب على طول ؟

في الهجره كان له دور

وف بدر أشهر دور

لكن بطولته ف أحُـد

فوق كل دور مذكور

****

الكفر لما انكسر

في بدر عاد محزون

خطّط ليوم ينتقم

والحرب فيها فنون

جمعت قريش جمعها

علشان تاخد بالتار

لّمت قبايل العرب

وجماعه مِ الأشرار

كان اليهود خلفها

بالمكر والأفكار

وحدة غضب همها

تطفي الغضب بالنار

****

ورجال ثقيف و كنانه

وعدد كبير لتهامه

تَـلَتْ تلاف موتور

أو محترف مأجور

فيهم نسا ورجال

بالطبل والزمّـار
يقلولهم إمحوا العار
وخُدوا لبدر بالتار
****

والحرب مش أعداد
لكن إيمان وجهاد
والحرب فيها عِـبَر
ودروس لمن يعتبر
دايماً دُوَل وسجال
ما حد دام لُه حال
****

والمسلمين في ألف
متوحّدين في زحف
قدّامهم المختار
بيصف فيهم صف
****

ظهر العدو في صفوف
تسمع وراها دفوف
****

وبرز بطل الأبطال
طلحه ولد طلحه
قال : مين يباز .. مين ؟
راح لُه علي في الحال

خلاّ دماغو اتنين

وعَـلَم قريش انزال

****

و أبوسعيد طلحه

حمل العلَم بعدُه

لحو علي راح لُه

خلاّ القضا يخدُه

حمل العلم عثمان

برضه أبوطلحه

حمزه ظهر خلاّه

ما اتهنى بالفرحه

قتله وكان جبار

مليان بحقد التار

****

حمل العلَم غيرُه

قتله علي وغيرُه

****

كانت بداية خير

لكن النهايه شر

والسر فيها ف بير

بعد العنا والكر

ربك عليم وكبير

يعلم خفيّ الأمر

(دروس أحد)

شفنا بداية أحُـد
وف ساحة الميدان
شفنا الإمام البطل
فارس في كل مكان
يضرب بسيفه الضلال
والشرك والطغيان
يا ما بإيد البطل
اتجندلت فرسان
والمسلمين طبعُهم
دايماً في كل أوان
الجنة أحسن لهم
مِ الدنيا مهما كان
ونقولك إيه يا أحُـد
درك عظيم الشان
****

يا ما ظهر يا ناس
في ساحة البر جاس
سعد و علي و حمزه
رافعين بعزة الراس
****

وأبطال كتير غيرهم

مِ الأوس .. ومِ الخزرج
من مكه .. من يثرب
ما لْقَتْ قريش مخرج
لكن إرادة الله
فوق كل قوه وجاه
والعبد في تفكير
والرب في تدبير
لُقْمه في إيدك
تلاقيها تروح للغير
واللي تقول دا شر
تلقاه يكون الخير
****

كان النبي في أحُـد
عامل حرس ترعاه
تحمي ظهور النبي
والمسلمين وياه
حراس شداد كلُّهم
من خير خلق الله
شافوا العدو انهزم
تركوا المكان إيّاه
لكن إرادة الله
فوق كل قوة وجاه
****

خالد هجم من ورا
بكتيبه مِ الفرسان
كان قبل إسلام البطل
واللي مقدّر كان
خلاّ المقدّر يقع
واتحوّل الميزان
****

و علي كأنه هرم
ثابت في إيده العلَم
جرحوا اليمين ما انهزم
حمل العلم بالتانيه
واللي يخاف الألم
ما ينول أمل في الدنيا
****

واتحوّل الميزان
لصالح الشيطان
والمسلمين بعضُهم
يضرب بسيفه بعض
يا ما شهيد يا ما بطل
لامس جبينه الأرض
****

وقع النبي ف حفره

وأخذْ علي بإيده

و قريش أشاعت خبر

ماكر بعيد الأثر

قالوا نبينا انقتل

لكن نبينا ظهر

****

واتحوطوا حمزه

من العِدا عشرات

والغدر خد لحظه

في زحمة الضربات

وحشي وكان حبشي

في أحرج الأوقات

وقع الأسد حمزه

وبسهم كان الجرح

سهم وأصاب مقتله

لا بسيف وقع ولا رمح

****

كان الإمام البطل

فارس في كل مكان

يضرب بسيفه الضلال

والشرك والطغيان

يا ما بإيد البطل

اتجندلت الفرسان

****

(غزوة الأحزاب)

لو كنت ألاقي قلم

يكتب كلام من نور

ومداده عطر ودهب

مِ الجنه جيْ مصهور

ولاّ ألاقي حروف

مِ الورد تبقى سطور

لاكتِب حكاية **علي**

في غزوة الأحزاب

وأنشرها ويّـا الهوى

والنسمه بيها تدور

****

سيرة البطوله في النفوس

دايماً لها تأثير

واللي يخاطر بالحياه

يستاهل التقدير

لو للعقيده ... والوطن

لو للعداله تسير

****

واللي ملا قلبه الإيمان

ما يزل نفسه لْـحَد

ويكون في كل أوان

جاهز لساعة الجِـد

****

وف غزوة الأحزاب

الكفر كان أسراب

دقوا على الأبواب

بسيوف كثير وحراب

﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾[1]

****

والخندق المحفور ... عبَرُوا من الكفار

فارس بطل مشهور ... فارس لكن جبار

عمرو بن ود شهير

في الحرب شأنه خطير

فارس عظيم وقدير

في الحرب مالو نظير

في الجيش يساوي ألف

يعمل حسابه الغير

****

---

١ الأحزاب / ١٠ - ١١

نادى بأعلى صوت :

ياللي تحب الموت

والمسلمين سامعين

سامعين لكن ساكتين

راح لُه علي في الحال

ولا همّه عمرو بحال

واثق بنصر الله

للي إيمانو حماه

ولا عمرو هزّه بسمعتُه

ولا خاف سلاحه وسطوتُه

و علي صغير السن

قدّامه فارس جِـن

قال : يا علي ما يهون عليّـا يا فتى

إني أقتلك

ابعت لي عمك ولاّ واحد كفء

ليّـا يكبرك

قالّوا علي إنت اللي قلت :

أن خيّروني بين شيئين

اختار لا زم واحد ؟

قالّوا : نعم

قالّوا علي : آمن بدين الله

إلهك ... ربك الواحد

قالّوا : والله دي في نفسي منها شئ

قالّوا علي : يبقى بعون الله

بسيفي حاقتلك

****

غضب ابن ود وراح

يبين سطوته

لكن علي خيّب ظنونه وفكرته

عمرو ابتدا بالسيف

وسدّد ضربته

ضَرْبَـه جمع فيها شجاعته وقوته

راغ منها في خِـفّه علي

وصمد .. وزادت جرأته

واقف على رجليه وخصمه ع الفرس

في كسوته

لما فشل حاول يدوسه ويدهسه

وغضب وزادت قسوته

لكن علي بعزم الهدى ..

بنور اليقين

سدّد لعمرو ضربة قاشية هدّته

الضربه جتْ في فخدته

انفصلت بعيد عن جتّته

قام عمره شايلها ولكن ما نفع

نزف الجراح خلاّ الجبل خرّ ووقع

والله أكبر جلجلت

حتى الجبال اتزلزلت

و علي البطل عاد للنبي

يشاركه سعادته وفرحتُه

قبّـل جبينه المصطفى

وْكُـل الصحابه باركته

(حصار خيبر)

صوره رسمها البطل

نادره .. وشفناها

صورة بطوله .. فريده

سامي معناها

عايشه في فكر الزمن

ما بينسى ذكراها

شفنا الإمام البطل

جندل عزيمة عمرو

و قريش .. وطاش سهمها

وْضلّت في مسعاها

****

آمنت قريش إنها

بتضرب دماغها في صخر

واتخلى عنها الحليف

واستسلمت للأمر

والمسلمين في جهاد
موصول وله أبعاد
واتغير التكتيك
ولا عاد يفيد تشكيك
****

واتحولوا لهجوم
زلزل كيان الكفر
رافعين رايات الله
حاملين دروع الصبر
راجعين بعون الله
من كل غزوه بنصر
كان اليهود اتجمعوا
بعد الجلاء واستوطنوا
في حصون .. في خيبر
واستعدوا .. وحصنوا
واتجبروا بعد التآمر
وافتروا
واتسلحوا بأقوى سلاح
واتنمروا
****

ظنوا حصونهم درع يحمي غدرهم
ظنوا سلاحهم قوة ترهب خصمهم
لكن كتايب الحق ما تهاب المحن

زحفت على خيبر

على وكر الفتن

****

المسلمين حاصروا الحصون

وحصارها طال

هجمت جيوش النور

على كهوف الضلال

أياك : ثلاثة .. وأربعه

والحرب نارها مولّعه

والراية خامس يوم

كانت في إيد **أبوبكر**

برضه استمر القوم متحصنين في صبر

و **عمر** في سادس يوم

حامل رايات النصر

هاجم لكن الحصن

بابه كأنه صخر

قال النبي :

(سأعطي الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبانه)

****

شفنا الإمام البطل

هوّ وجيوش النصر

رايحين في ضل النبي

ليهودا وكر الغدر

ولحصن خيبر وصل

كان حصن ليهم فخر

كله سلاح أو مُـوَن

طوّل حصارهم شهر

والراية شالها عمر

و أبوبكر قبله ف صبر

كان اليهود كلهم

عارفين حقيقة الأمر

كانت نهاية لهم

يا الموت يا إما الأسر

الراية شالها البطل

طار بيها زي النسر

قصة بطوله وعِبر

قصة تفيد العصر

****

الراية سابع يوم

خدها علي في فخر

هاجم حصون القوم

هاجم حصون الغدر

هاجم وبالإيمان

وبهِـمّة الفارس

خلاّ بيت الشيطان

مفتوح بلا حارس

****

وبرز له مِ الداخل

مرحب وَ خُوه حارث

مرحب كان القائد

وخوه كان الساعد

جنلهم الإثنين

والمولى له حارس

****

وحصون وراها جْموع

سقطت بما فيها

وسلاح كتير ودروع

ما حمتش حاميها

واتطهّرت أرض العرب

يومها من الغادرين

والخصم مهما جلب

من مال وكان له حصون

الحق صاحب الغلب

ع الغدر مهما يكون

والحق لما انتصر

ع الغدر والطغيان

فرحه وْ صنعها القدر

للعدل والإيمان

(الإمام والخلافه)

بعد ما مات الرسول

كان الإمام له رأي واضح في الخلافه

كان صريح

ما دارى رأيه خليفه .. أو خلافُه

****

قاله بنفسه شعر

تلمس فيه ثقه .. فيه الحقيقه

فيه مشاعر نفس صافيه

فيه أحاسيسه البريئه

****

لولا إنه كان مُحارَب

من قريش والموتورين

اللي كان ليهم ضحايا

وبإيديه متجندلين

لولا إنه كان صغير السن

بالنسبه لغيره من كبار السن

لولا إنه مش رجل دنيا ومظاهر

لولا إنه ما بيداهن أو يناور

كان علي قادر يشيل السيف

ويضرب ضربته

كان علي الفارس

بماضيه البطل فيه جرأته

****

لكن علي الحر الأبي

لكن علي صهر النبي

لكن علي الفاهم لدينه

لكن علي الثابت يقينه

رأيه كان إنه أحق

لكن الرأي الأحق

فات أمور الناس لهم

يختاروا اللي يرغبوه

لا ارتجالهم .. أو فرض نفسه

ولا قال ليه فَتُوه [1]

---

١ عبدالحافظ : سيرة الإمام البطل علي بن أبي طالب - ص ٣٣ - ١٥١

الفصل الثامن

بطولاته في العهد النبوي

بطولاته في العهد النبوي

برز الإمام علي عليه السلام ـ من جديد ـ بدور المدافع الذي لم تتزلزل قدماه في الذود عن الإسلام وعن رسول الله، وقد عبر ابن الأثير عن هذه البطولة قائلاً: (كان الذي قتل أصحاب اللواء عليٌ ـ قاله أبو رافع ـ .

قال: فلما قتلهم، أبصر رسول الله صلى الله عليه وآله جماعة من المشركين فقال لعلي: احمل عليهم.

فحمل عليهم ففرقهم وقتل منهم، ثم أبصر جماعة أخرى فقال له: احمل عليهم.

فحمل عليهم وفرقهم وقتل منهم. فقال جبرئيل: يا رسول الله هذه المواساة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنه مني وأنا منه.

فقال جبرئيل: وأنا منكما.

قال: فسمعوا صوتا: لا سيف إلا ذوالفقار، ولا فتى إلا علي ...

زخر تاريخ الإسلام بمواقف عديدة تؤكد بلا ريب ولا تحفظ أن علياً عليه السلام كان أشجع أهل زمانه ـ خلا رسول الله صلى الله عليه وآله ـ في نصرة الدين وإحقاق الحق وترسيخ دين الله في الأرض، منذ بدء الرسالة إلى أن ارتحل النبي إلى باريه عز وجل، حتى ورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: **ما قام ولا استقام ديني إلا بشيئين: مال خديجة وسيف علي بن أبي طالب**[1]، وفي الحفاظ على الإسلام وقيمه والدفاع عن المظلومين ومحاربة الفساد الإداري والمالي الذي عم بلاد المسلمين بعد زمن من رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

---

١ الحائري: شجرة طوبى ـ ج ٢ ـ ص ٢٣٣

وسنستعرض في هذا الفصل مقاطع من التاريخ تشهد لشجاعة علي، وتخط له بقلمها ملاحم خالدة تمتزج فيها البطولة بالإخلاص، والفتوة بالأخلاق، والشهامة بالحلم، والشجاعة بالتقوى. كما سنعتمد على التسلسل التاريخي للأحداث، ووفقاً لألفاظ بعض الروايات الواردة في شأن الحدث بعينه، دون التركيز على مصدر واحد في نقلها.

كما أننا سنتحدث حول مشاهد التاريخ التي حفظت لعلي بطولاته دون أن نسترسل بنقل كل أحداث الفترة الزمنية التي عاشها أمير المؤمنين عليه السلام، سواءً مع النبي أو بعد ذلك.

بدء الدعوة:

منذ أن صدح رسول الله صلى الله عليه وآله بالرسالة، وعلي عليه السلام إلى جانبه يعاضده ويمنع عنه ويؤازره في المواقف كلها، دون أن يهاب صناديد قريش وأزلامهم الذين كانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر، ويسعون لإلحاق الأذى بمن تصل إليه أيديهم، كل ذلك وعلي لم يبلغ الحلم بعد، إذ بدأت الدعوة وهو في العاشرة من عمره المبارك، فعاش آفاقها وآلامها ومصاعبها لحظة بلحظة، دون أن يهزه شئ أو يردّه موقف أو تُسجل له كلمة تدل على أنه عاش الخوف في ابتلاءات كانت تزلزل أقدام الرجال، أو امتنع حرجاً من اتهام يوجَّه إليه أو كلمة سوء يسمعها.

فعندما نزلت آية ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [1] دعا النبي عشيرته وعرض عليهم الإسلام، فامتنعوا عن إجابته.

فقال: **من يؤازرني على الأمر فيكن أخي ووصيي ووزيري وخليفتي من بعدي ؟**

فلم يجبه أحد سوى علي عليه السلام وهو أصغرهم يومئذ سناً، دون تردد ولا وجل، ولم يدفعه إلى ذلك طمعٌ في دنيا أو حبٌّ إلى جاه. وأعاد النبي كلامه إتماماً للحجة، فنهض علي مجدداً وهو يقول: **أنا أؤازرك يا رسول الله.**

وعندها أقره النبي على ذلك قائلاً: **إن هذا أخي ووصيي ووزيري وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا.**

وعلى الرغم من أن القوم قاموا يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن **تسمع لابنك وتطيع**، إلا أن هذا الموقف لم يترك أثراً سلبياً في نفس علي كي يدفعه للتردد عن الإقدام لنصرة النبي في المواقف اللاحقة، بل استمر بكل صدق وإخلاص في الدفاع عن الإسلام ونبيه متى ما تطلب الأمر ذلك [2].

وحفظ له التاريخ أنه كان يلاحق أطفال المشركين الذين كانوا يرمون النبي

---

١ الشعراء / ٢١٤

٢ ورد حديث آية الإنذار (حديث الدار) في مصادر عديدة منها تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير وكنز العمال للمتقي والسيرة النبوية للحلبي وغيرها.

بالحجارة، فيهجم عليه ويقضم أنوفهم وآذانهم، فعن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه سئل عن معنى قول طلحة بن أبي طلحة لما بارزه علي[1]: يا قُضَم، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان بمكة لم يجسر عليه أحد لموضع أبي طالب، وأغروا به الصبيان، و كانوا إذا خرج رسول الله يرمونه بالحجارة والتراب، وشكى ذلك إلى علي عليه السلام فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إذا خرجت فأخرجني معك.

فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه أمير المؤمنين عليه السلام فتعرض الصبيان لرسول الله صلى الله عليه وآله كعادتهم، فحمل عليهم أمير المؤمنين عليه السلام، وكان يقضمهم في وجوههم وآنافهم وآذانهم، فكان الصبيان يرجعون باكين إلى آبائهم ويقولون: قضَمَنا علي، قضمنا علي، فسمى لذلك القضم[2].

---

١ برز طلحة بن أبي طلحة العبدري يوم أحُد مطالباً البراز، فبرز إليه أمير المؤمنين، فقال طلحة: من أنت يا غلام؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، قال: قد علمت يا قضم، أنه لا يجسر علي أحد غيرك، فشد عليه طلحة فضربه فاتقاه أمير المؤمنين بدرعه، ثم ضربه أمير المؤمنين على فخذيه فقطعهما جميعاً فسقط على ظهره، وسقطت الراية، فذهب علي ليجهز عليه فحلفه بالرحم فانصرف عنه، فقال المسلمون: ألا أجهزت عليه؟ قال: قد ضربته ضربة لا يعيش منها أبداً. وسنتعرض لذلك مفصلاً حين الحديث عن معركة أحد.

٢ المجلسي: بحار الأنوار - ج ٢٠ - ص ٥٢

الحصار في شعْب أبي طالب:

يئس المشركون من أساليب الترغيب والترهيب التي مارسوها مع النبي ﷺ، وشقَّ عليهم انتشار الإسلام المتزايد ونفوذه العجيب في القبائل العربية في مدة غير طويلة بالنسبة إلى عمر الدعوة، علاوة على حرية التحرك الّتي اكتسبها المسلمون على أثر الهجرة إلى أرض الحبشة، لذا فإنهم عمدوا لاستخدام أسلوب الحصار الاقتصادي والاجتماعي، ففرضوه على بني هاشم أملاً في أن تضيق الأرض عليهم بما رحبت، وتغدو الدنيا لهم على سعتها كسجن ضيق وصغير، ويصيرون عُرضة للانهيار والاستسلام لمطالبهم التي وضعوا على رأسها القضاء على النبي ودعوته.

فاجتمع مشركو قريش في دار الندوة في الليلة الأولى من السنة السابعة لبعثة النبي، وكتبوا بينهم عهداً يتضمن البنود التالية:

١ ـ أن لا يبتاعوا من أنصار النبي ولا يبيعوهم شيئاً

٢ ـ أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم

٣ ـ أن لا يؤاكلوهم ولا يكلموهم

٤ ـ أن يكونوا يداً واحدة على النبي وأنصاره

وقد وقّعت على هذه الصحيفة كل الشخصيات البارزة في قريش إلا **مطعم بن عدي**، وتم الإعلان عن سريان مفعولها بكل قوة وإصرار.

فلما علم أبوطالب بذلك جمع بني هاشم و بني المطلب وحمّلهم مسئولية الدفاع عن رسول اللّه ﷺ والحفاظ على حياته وسلامته، وأمرهم بالبقاء في الحي المعروف **بشِعب أبي طالب** وأخذ الحيطة والحذر، لاسيما في نوايا المشركين تجاه النبي، كما عمد إلى بث رجال منهم في نقاط مرتفعة للمراقبة والحراسة تحسباً لأي هجوم مباغت قد تقوم به قريش. وقد استمر هذا الحصار ثلاثة أعوام كاملة، وبلغ الجهد بالمحاصَرين في الشعب بحيث ارتفع صراخ الأطفال من الجوع والضر، وبلغت هذه

الصرخات مسامع قساة مكة إلاّ أنها لم تؤثر فيهم قط، كما كان الشباب والرجال منهم يعيشون على تمرة واحدة طوال اليوم، وربما تناصف اثنان تمرة واحدة، ولم يأمنوا الخروج من الشعب طوال هذه السنوات الثلاث إلاّ في الأشهر الحرم حيث يسود الأمن كل أنحاء الجزيرة العربية، وتضطر قريش بالتالي للالتزام بهذا الوضع وعدم التعرض للمسلمين، وإن كانت تمارس بعض الطرق الملتوية والدنيئة لمنعهم من التعامل الاقتصادي مع الوفود القادمة إلى مكة المكرمة من قبيل عرض أسعار أعلى للبائعين في ما لو أرادوا بيع بضاعتهم للمسلمين، حتى لو لم يرغبوا فيها.

وكان أبو لهب أكثر الناس إصراراً على هذا الحصار، فقد كان ينادي في الأسواق: **يا معشر التجار، غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئاً، فقد علمتم مالي ووفاء ذمتي، فأنا ضامن أن لا خسار عليكم.**

ولا يجسر أحد على أن يبيع من بني هاشم شيئاً ومن فعل انتهبت قريش ماله. فقد كان أبوجهل والعاص بن وائل و النضر بن الحارث بن كلدة و عقبة بن أبي معيط يخرجون إلى الطرقات التي تدخل مكة فمن رأوه معه ميرة وطعام نهوه أن يبيع من بني هاشم شيئاً، وإلا انتهبوا ما معه.

لقد بلغ الجهد والجوع بالمحاصَرين في الشعب حداً جعلهم يأكلون كل ما تقع عليه أيديهم من الخبط وورق السمر، حتى أن سعد بن أبي وقاص يقول: **لقد جعت حتى أني وطئتُ ذات ليلة على شيء رطب فوضعته في فمي وبلعته، وما أدري ما هو إلى الآن** [1].

و خلال تلك السنوات الصعبة، سعى أبو طالب لحماية النبي من الاغتيال بطرق عدة، منها ترتيب أمور حراسة الشِّعب كل ليلة، ومنها أنه كان ينيم ابنه علياً مكانه في شطر من الليل تحسباً لأي احتمال لعملية تجسس تكون قد تم من خلالها تحديد موضع مبيت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

---

١ السبحاني: سيد المرسلين ـ ج ١ ـ ص ٥٠٣

وكان الإمام علي عليه السلام لا يبالي بذلك، ويقدم عليه دون تردد، ويتوقع القتل في أية لحظة، حتى أنه روي أنه قال لأبيه في إحدى تلك الليالي العصيبة: **يا أبتاه، إني مقتول ذات ليلة.**

فرد أبوطالب قائلاً:

اصبِرنّ يا بُنَيَّ فالصبر أحجى ... كل حَيٍّ مَصيرُه لشعوبِ

ثد بلَوْناك والبَلاءُ شَديد ... لفِداءِ النجيبِ و ابن النجيبِ

فأجاب علي عليه السلام:

أتأمرُني بالصَّبر في نصر أحمَد ... ووالله ما قلتُ الذي قلتُ جازعاً

ولكنّني أحبَبتُ أن تَرَ نُصرَتي ... وتعلمَ أني لم أزل لك طائعاً [1]

ثم حانت ساعة الخلاص، إذ نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله بالبشارة، فلقد أكلت الأرضة كتاب العهد الذي كتبه المشركون وأودعوه في البيت الحرام، ولم يبق منه سوى كلمة **باسمك اللهم**، فأخبر النبي عمه أباطالب بالأمر، فتوجه من فوره إلى رجالات قريش، وعرض عليهم الأمر، فإن كان محمد صادقاً أنهوا الحصار، وإن كان كاذباً سلّمه إليهم ليفعلوا فيه ما شاءوا. لقد أنصفهم شيخ الأبطح، فما من أحد كان بمقدوره أن يخبر النبي بمصير الكتاب.

وهكذا توجه أبوطالب و من معه إلى الكعبة الشريفة، ففتحوا الباب، وأخرجوا الكتاب، فإذا به كما أخبر الصادق المصدق محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله، وانقضت محنة السنوات الثلاث، ولكن القدر لم يمهل أباطالب وخديجة فتوفيا بعيد انتهاء الحصار، وبين رحيلهما أيام قلائل ملأت القلب الشريف بالحزن العميق حتى عرف ذلك العام بعام الحزن.

---

[1] ابن شهر آشوب: المناقب - ج ١ - ص ٦٤

على أبواب الهجرة إلى المدينة:

عرض النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الدين الحنيف على أهل يثرب، فأسلم بعضهم، وبايعوا النبي بيعة العقبة الأولى، ثم عادوا في العام المقبل بعدد أكبر من قومهم، مسلمين مبايعين على النصرة وإيواء المسلمين من أهل مكة وغيرهم ممن أراد اللجوء إلى يثرب، فكانت بيعة العقبة الثانية.

احتضن أهل يثرب المسلمين المهاجرين بكل ترحيب، ولم يبق منهم في مكة سوى القليل، ومن بينهم النبي الأكرم وعلي بن أبي طالب وأبي بكر وبعض المسلمين من المحبوسين وكبار السن والعجزة و النساء.

وكانت هذه البقية الباقية على أبواب الهجرة ومغادرة مكة إلى المدينة، إلا أنها واجهت ـ فجأة ـ قراراً قاطعاً وحاسماً وخطيراً جداً في هذا المجال، فقد انعقدت جلسة هامة للتشاور في دار الندوة حضرها رؤساء قريش، قرروا على أثرها أن ليس هناك من رأي إلا أن يعمدوا إلى قبائلهم ليختاروا من كل قبيلة منها رجلاً قوياً، ثم ليهجموا على محمد معاً ليلاً، ويقطعوه إرباً إرباً فيتفرق دمه في قبائل قريش جميعاً فلا تستطيع بنو هاشم وبنو المطلب مناهضة قبائل قريش كلها في صاحبهم، فيرضون حينئذ بالدية منهم !!

بعد أن دبّر الكفار ما دبروا، نزل الوحي جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأخبره بما حاك ضدّه المشركون من مؤامرة، وقرأ عليه قول الله عزّ وجلّ ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[1].

وعلى أثر ذلك أُمرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالهجرة من مكة إلى المدينة على عجَل، ولكنّ التخلص من أيدي القساة المكلّفين بقتله من قبل زعماء الوثنيين ـ وبالنظر

---

١ الأنفال / ٣٠

إلى المراقبة الدقيقة التي كانوا يقومون بها لجميع التحركات ـ لم يكن بالأمر السهل، وخاصة مع ملاحظة بُعد المسافة بين مكة والمدينة، ولذا كان لابد من خطة دقيقة، ومدد إلهي لتتم الهجرة بسلام.

أما التدابير التمويهية فكانت تتعلق ـ من جهة ـ بمبيت شخص في فراش النبي يكون على استعداد للتضحية بنفسه فيما لو تطلب الأمر ذلك، ويكون مؤهلاً لهذه المهمة فيما لو قُبض عليه حياً فلا يُفشي السر تحت أية ظروف. ومن جهة أخرى كان الأمر يتطلب أن يسلك النبي طريقاً تمويهياً يظن معه ملاحقوه بأنه يقصد اتجاه اليمن جنوباً، ليكسب بعض الوقت، ومن ثم يتوجه شمالاً نحو المدينة المنورة.

وعرض النبي الأمر على أمينه ووزيره علي بن أبي طالب، وهل غير علي يمكن أن يكون رجل الموقف ؟ وقد نقلت بعض كتب السيرة حوار النبي مع الإمام علي في تلك اللحظات:

قال رسول الله: **يا عليّ إنَّ قريشاً اجتمعت عَلى المكر بي وقتلي، وإنّه أوحيَ إليَّ عن ربّي أن أهجرَ دار قومي، فنم على فراشي والتحف ببردي الحضرمي لتُخفي بمبيتك عَليهم أثري. فما أنت قائل وصانع ؟**

فقال علي: **أوَ تَسلَمَنَّ بمَبيتي هناك يا نبيَّ الله ؟**

قال: **نعم.**

فتبسّم علي مسروراً وأهوى إلى الأرض ساجداً، شكراً لما أنبأه رسول الله من سلامته، فلما رفع رأسه قال للنبي: **امضِ لما أُمِرتَ ـ فِداك سمعي وبصري وسويداء قلبي ـ ومُرني بما شئتَ أكن فيه كمسرّتك [1]، وأقع فيه بحيث مرادك [2]، وإن توفيقي إلاّ بالله.**

---

١ أي : كما تحب

٢ أي : كما تريد

ثم رقدَ علي عليه السلام على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واشتمل ببُرده الحضرمي، ولما مضى شطرٌ من الليل حاصرَ رَصد قريش - وهم أربعون رجلاً - بيت رسول الله وقد جرّدوا سيوفَهم، ينتظرون لحظة الهجوم، ويتطلّعون إلى داخل البيت من فرجة الباب بين الحين والآخر ليتأكدوا من بقاء رسول الله في مضجعه. وكلما نظروا وجدوا الفراش على وضعه، لم يغادره النبي بظنهم، وهم يحسبون أن النائمَ في الفراش ليس سواه.

ولكن كيف خرج النبي من بيته ؟ ذهب البعض إلى أن النبي كان يعلم بالمؤامرة مسبقاً، وهو ما مكّنه من الخروج قبل قدوم المشركين إلى بيته. وذهب فريق آخر إلى أن الله سبحانه وتعالى ألقى النعاس على المتآمرين بأجمعهم، وخرج النبي دون أن يشعر به أحد منهم، وذهب إلى المكان الذي كان من المقرر أن يختبئ به. وقالت طائفة أخرى بأن النبي خرج من أمام القوم وهم أيقاظ ، إلا أن الله عز وجل جعل على أبصارهم غشاوة فلم يروه، واستطاع بذلك التخلص منهم [1].

* المفاجأة الكبرى:

طوّقت قوى الكفر بيت النبي وباتت تنتظر لحظة الإذن في إقتحامه والهجوم على النبي في فراشه وضربه وتقطيعه بالسيوف إرباً إرباً ! وقد أصرّ جماعة منهم أن ينفّذوا خطتهم المشؤومة هذه في منتصف الليل وقبل الفجر، فمنعهم أبو لهب من ذلك وقال: لا أدعكم أن تدخلوا عليه بالليل، فإنَّ في الدار صبياناً ونساءً من بني هاشم، ولا نأمن أن تقع يد خاطئة. فنحرسه الليلة، فإذا أصبحنا دخلنا عليه.

ومع انقشاع الظلام اقتحم فتيان قريش حجرة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، وبينما هم

---

١ السبحاني: سيد المرسلين - ج ١ - ص ٥٨٩ - ٥٩٠ ، وقد شكك المؤلف في وجود ضرورة لوقوع معجزة أو كرامة في مثل هذا الموقف مع وجود إمكانية لتدبير الأمر ضمن التخطيط المسبق ووفق القوانين الطبيعية .

يهمّون بأخذ مَن كان راقداً في الفراش بسيوفهم، إذا بهم يواجهون علياً عليه السلام الذي وثب في وجوههم وهو يكشف عن نفسه البُرد الأخضر، وقال لهم في منتهى الطمأنينة والشجاعة: **ما شأنكم ؟ وماذا تريدون ؟**

فقالوا له بغضب: **أين محمد ؟**

أجاب: **أجعلتموني عليه رقيباً ؟!**

وتحقق للنبي ما أراد ، وفشل المشركون مجدداً في النيل منه، وضرب الإمام علي عليه السلام أروع نموذج للتضحية والتفاني في طريق الحق. ولذا نزلت الآية المباركة ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [1]، كما نصت على ذلك الأخبار، وقال به جمع من المفسرين من الفريقين كالفخر الرازي في تفسيره: (في سبب النزول روايات.... والرواية الثالثة: نزلت في علي بن أبي طالب بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة خروجه إلى الغار، ويروى أنه لما نام على فراشه قام جبريل عليه السلام عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجبريل ينادي: **بخٍ بخٍ، مَن مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة.**

ونزلت الآية) [2].

وقد علق العلامة فضل الله في تفسيره لهذه الآية الشريفة قائلاً: (جاءت هذه الآية الشريفة في صورة مقارنة مع نموذج الإنسان الذي مسخ شخصيته فأصبح شيطاناً يفسد ويدمر دون حساب ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [3].

---

١ البقرة/ ٢٠٧

٢ الرازي: التفسير الكبير- ج ٥ - ص ٢٢٣ - ٢٢٤

٣ البقرة/ ٢٠٤ - ٢٠٦

وهناك صورة أخرى لنموذج جديد مشرق في داخل الحياة وخارجها، تتمثل بالإنسان الذي شرى نفسه لله من أجل الحصول على رضاه ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ الأمر الذي يجعله يشعر أنه لا يملك نفسه ولا يرى لها حريّة مطلقة بعيداً عن إرادة اللّه وطاعته. ولذلك فهو يعيش الإحساس العميق بأنَّ عليه أن يبذل كلّ طاقاته الفكرية والروحية والجسدية في سبيل اللّه، فلا مجال للترف الفكري في الأجواء التي تتحرك فيها التحديات الفكرية ضد الفكر الحق، ولا موقع للخيال أمام حاجة الواقع إلى التعامل مع الظروف الموضوعية المطروحة في الساحة، ولا وقت للفراغ في المجالات التي يشعر فيها الإنسان بالزمن يضيق عن المطامح الكبرى للقضايا الأساسية الحية في واقع الإنسان والحياة. وهكذا تنطلق حياته لتتحرك من موقع الحق المتحرك في أكثر من اتجاه ضد خطوات الباطل التي تطلق التحدي في أكثر من مجال.

إنه نموذج الرساليين الذين يعيشون رسالتهم في كلّ مظهر لحركة الحياة من حولهم، ويعيشون حياتهم من أجل رسالتهم في الخط المستقيم؛ فلا ينحرفون أمام كلّ محاولات الإغراء، ولا يستسلمون لكلّ عوامل الضغط، بل يظلون في الموقع الصلب، في ساحات التحدي الصعب، ليشهدوا الله على أنهم صدقوا العهد وأكدوا الميثاق بجهادهم وتضحياتهم في سبيله، ولم تأخذهم فيه لومة لائم.

﴿ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ فهو الذي يتقبل منهم هذه النفوس المجاهدة التي تستقبل الموت بكلّ رضى واطمئنان، انطلاقاً من خط الواجب الذي تلتقي فيه الرسالة بالشهادة والشهادة بالنصر، ويجزل لها الثواب في مستقر رحمته ورضوانه، وهو الذي يجازيهم الثواب الكثير بالعمل القليل)[1].

---

١ محمد حسين فضل الله: من وحي القرآن ـ ج ٤ ـ ص ١٢٠

* هنبثة ابن تيمية[1]:

ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم الحرّاني الحنبلي الذي مات في سجنٍ بدمشق في سنة ٧٢٨ هـ ، وتعود إليه أكثر معتقدات السلفيين، له آراء ومواقف خاصة من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين وعامة أهل بيت النبوة عليهم السلام، وقد صرح بأكثر آرائه ومعتقداته هذه في كتابه **منهاج السنة**. وقد دفعت عقائدُه وآراؤه الكثيرَ من علماء عصره إلى اتخاذ موقف عنيف منه، كما سُجن بسبب ذلك.

ولابن تيمية رأي عجيب حول فضيلة المبيت في فراش النبي نذكره بتصرف بسيط في الألفاظ من باب الاختصار، قال: **إن مبيت علي في فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاتعد فضيلة، لأن علياً عرف من طريقين بأنه لن يصيبه شئ في تلك الليلة:**

الأول: إخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصادق المصدق نفسه إياه بذلك إذ قال له في نفس تلك الليلة: نَمْ في فِراشي فإنه لا يَخلُصُ إليكَ شيء تكرَهه.

الثاني: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلّفه بردّ الودائع وأداء الأمانات التي أودعها أهل مكة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أصحابها.

فعلم ـ من ذلك ـ أنه لن يُقتل وإلا لكلّفَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الآخرين بها. فعرف عليٌّ من هذا التكليف أنه لن يلحقه أذى في هذه العملية وأنه سيوفَّق لأداء ما كلفه به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذه الشبهة ـ كما اطلعنا في الفصل السادس ـ لا تبتعد كثيراً عن رأي الجاحظ في القضية ذاتها، وإن كان العلامة الإسكافي قد تكفل بالرد على شبهة الجاحظ، فإن المحقق المعاصر الشيخ جعفر السبحاني قد تناول شبهة ابن تيمية بالرد إجمالاً وتفصيلاً وفق البيان التالي، قال:

---

١ الهنبثة = الاختلاط في القول

(نقول إجمالاً: إن ابن تيمية بانكاره هذه الفضيلة أثبت فضيلة أعلى لعلي عليه السلام، لأنه إمّا أن كان إيمان علي بصدق مقالة الرسول إيماناً عادياً، وإما أن كان إيماناً قوياً جداً، وكانت جميع أقوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإخباراته لديه ـ في ضوء إيمانه ـ كالنهار في وضوحه.

وعلى الفرض الأول لم يكن لعلي يقين بنجاته من تلك الواقعة لأنه لا يحصل لمثل هذه الطبقة من الناس ـ ولا شك أن علياً ليس منهم حتماً ـ يقين من كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وحتى لو قبلوا به في الظاهر، فإنهم سيساورهم القلق، ولا يفارقهم الاضطراب، وإذا هم باتوا في فراشه في لحظات الخطر، فانه سيبقون فريسة الخوف والوجل، وستمرّ في نفوسهم احتمالات كثيرة حول مآل الأمر ومصيره، وسيتمثل أمامهم شبح الموت المرعب في كل لحظة وآن.

وعلى هذا الفرض لابد أن يقال: بأنَّ علياً عليه السلام لم يُقدم على هذا الأمر الخطير إلا وهو يحتمل الهلاك على أيدي المشركين، لا أنه بات وهو يتيقن النجاة والسلامة.

وأما بناءً على الفرض الثاني فإنه تثبت لعلي عليه السلام فضيلة أعلى وأعظم، لأن إيمان الرجل يجب أن يبلغ من القوة والكمال بحيث لا يفرّق بين صدق كلام النبي وبين وضوح النهار، أي أنهما يكونان عنده بمنزلة سواء، ولا شك أن أهمية مثل هذا الإيمان لا يمكن أن يعادِلها شئ. ونتيجة هذا الإيمان هي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما قال له: نم في فراشي فلن يصيبك من هجوم الأعداء الحاقدين مكروه، أن ينام في فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقلب واثق بالسلامة، ونفس مطمئنة إلى النجاة، ومن دون أن يخالج نفسَه أقل احتمال للخطر.

ولو كان مراد ابن تيمية من قوله: أن علياً كان واثقاً من سلامته، لأن الصادق المصدَّق أخبره بذلك، هو: إثبات أعلى درجات الإيمان لعلي عليه السلام فقد أثبت له من حيث لا يشعر أكبر فضيلة وأعلى منقبة، وهي كمال الإيمان والثقة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإخباره.

هذا هو الجواب الإجمالي وإليك الجواب التفصيلي:

فنقول عن الدليل الأول: إن عبارة **لا يخلص إليك شيء تكرهه** لم ينقلها بعض أرباب السيرة ورجال علم التاريخ الذين لهم سابقة لا تنكر في هذا الصعيد[1].

نعم روى ابن الأثير المتوفي عام ٦٣٠ ، والطبري المتوفى عام ٣١٠ هذه العبارة وكأنما قد أخذاها عن ابن هشام في سيرته التي نقل فيها تلك العبارة بالصورة المتقدمة الذكر[2]، خاصة أنّ عبارة ذينك المؤلّفين ـ الطبري وابن الأثير ـ تطابق عبارة ابن هشام في هذا المجال تماماً.

هذا مضافاً إلى أنّ القضية لا توجد بهذه الصورة في مؤلفات علماء الشيعة على ما نعلم، ولقد نقل شيخ الطائفة الإمامية محمد بن الحسن الطوسي المتوفي عام ٤٦٠ في أماليه قصة الهجرة بشكل أكثر تفصيلاً ودقة، وذكر العبارة المذكورة مع تغيير بسيط، إلاّ أنه تختلف صورة القضيّة مع ذلك عما هي عليه في كتب أهل السنة، فإنه رحمه الله يصرّح بأن علياً عليه السلام انطلق هو وهند بن أبي هالة ابن خديجة وربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منتصف الليل بعد ليلتين من الهجرة حتى دخلا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لعلي: **إنّهم لن يَصِلُوا مِنَ الآن إليك يا علي بأمر تكرهه حتى تقدم عليَّ.**

وهذه الجملة تشبه الجملة التي ذكرها ابن هشام والطبري وابن الأثير، ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالها لعلي عليه السلام مطمْئناً إياه بعد ليلتين من المبيت في الفراش، وليس ليلة المبيت كما يروي الثلاثة المذكورون. هذا علاوة على أنّ كلام علي نفسه خير شاهد على ما نقول، فلقد عدّ علي عليه السلام عمله هذا ـ أي المبيت في فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تلك الليلة الرهيبة ـ نموذجاً من بذله وتفانيه في سبيل الحق كما يتضح ذلك بجلاء من أشعاره حيث يقول:

---

١ مثل مؤلف الطبقات الكبرى ـ ج ١ ـ ص٢٢٧ ـ ٢٢٨ المولود عام ١٦٨ و المتوفى عام ٢٣٠ . وكذا المقريزي في إمتاع الأسماع . عند ذكرهم لتفاصيل قضية المبيت .

٢ الكامل في التاريخ : ج ٢ ـ ص ٧٢ . وتاريخ الطبري : ج ٢ ـ ص ٩٩ . والسيرة النبوية : ج ١ ـ ص ٤٨٣

وقيتُ بنفسي خيرَ مَن وَطأ الحصا ... ومَن طاف بالبيتِ العتيقِ وبالحجر

محمد لما خافَ أن يمكُروا به ... فوقاه ربّي ذو الجلالِ مِن المَكرِ

وَبِتُّ أُراعي منهم ما يسوؤني ... وقد وطّنتُ نفسي على القتل والأسرِ

وباتَ رسولُ اللهِ في الغار آمِناً ... هناك وفي حفظِ الإله وفي سَترِ

ومع هذه العبارات الصريحة لا مجال للاعتماد على قول ابن هشام الذي تدل قرائن كثيرة على خطأه، ويُحتمل ـ احتمالاً قوياً ـ اشتباهه وخطأه قد نشأ من تلخيصه لسيرة ابن اسحاق، وحيث أنه ـ ونعني ابن هشام ـ قد بنى في سيرته على الاختصار لذلك اكتفى بنقل أصل العبارة، مهمِلاً ظرف النطق بها لعدم أهمية زمن النطق بها وأنها قيلت في الليلة الثانية أو الثالثة ـ في نظره ـ وروى الموضوع بنحو يوهم بأن جميع هذه الأمور وقعت في ليلة واحدة !!

ويؤيد رأينا هذا أيضاً الحديث المعروف الذي رواه كثير من علماء السنة والشيعة وهو: **أن الله أوحى إلى جبرئيل وميكائيل عليهما السلام أنّي قد آخيت بينكما وجعلت عُمْرَ أحدكما أطول من عمر صاحبه فأيكما يؤثر أخاه ـ وكلاهما كره الموت ـ ؟**

فأوحى الله إليهما: عبداي ألا كنتما مثل وليي علي ؟ آخيت بينه وبين محمد نبيي فآثره بالحياة على نفسه ؟ أو قال: قد نام على فراشه يقيه بمهجته.

ثم أمرهما بالهبوط إلى الأرض وحراسة علي وحفظه من عدوه [1].

وأما الدليل الثاني الذي يستفيد منه ابن تيمية أن علياً كان يعلم بمصيره: هو توصية النبي صلى الله عليه وآله له بأداء الأمانات والودائع إلى أهلها، التي كانت تكشف عن أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعلم بأنه لن يصلَ إليه مكروه، ولهذا أمره بردّ الودائع والأمانات إلى أصحابها. ولكننا نعتقد أن في مقدورنا الحصول على حل لهذه المشكلة إذا استعرضنا بقية قصة الهجرة بشكل صريح وكامل) [2].

---

١ المجلسي: بحارالأنوار ـ ج ١٩ ـ ص ٣٩ ، نقلاً عن إحياء علوم الدين للغزالي .

٢ السبحاني: سيد المرسلين ـ ج ١ ـ ص ٥٩٧ ـ ٦٠٠

وسنقتصر نحن هنا على مقطع من بحث المحقق السبحاني حول تفاصيل الهجرة، سيتضح من خلالها مراده في الجواب التفصيلي، إذ قال حول فترة اختباء النبي مع أبي بكر في الغار:

(وكان يتردّد عليه صلى الله عليه وآله في هذه الأثناء علي عليه السلام وهند بن أبي هالة ـ ابن خديجة ـ على رواية الشيخ الطوسي في أماليه، وعبدالله بن أبي بكر وعامر بن فهيرة راعي أغنام أبي بكر بناءً على رواية كثير من المؤرخين.

يقول ابن الاثير: كان عبدالله بن أبي بكر يتسمَّع لهما بمكة نهاره ثم يأتيهما ليلاً، وكان يرعى غنمه نهاره على مقربة من الغار، وكان إذا غدا من عندهما عفى على أثر الغنم.

يقول الشيخ الطوسي في أماليه: عند ما دخل علي عليه السلام وهند على رسول الله صلى الله عليه وآله في الغار ـ بعد الهجرة ـ أمر رسول الله صلى الله عليه وآله علياً أن يبتاع بعيرين له ولصاحبه، فقال أبوبكر: **قد كنتُ أعددتُ لي ولك ـ يا نبي الله ـ راحلتين نرتحلهما إلى يثرب.**

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني لا آخذهما ولا أحدهما إلا بالثمن.

ثم أمر صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام فدفع إليه ثمن البعيرين.

وكان من جملة وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام في الغار في تلك الليلة أن يؤدي أمانته على أعين الناس ظاهراً، وذلك بأن يقيم صارخاً بالأبطح غدوةً وعشياً: ألا من كان له قبل محمد أمانة أو وديعة فليأت فلنؤدِّ إليه أمانته.

ثم أوصاه صلى الله عليه وآله بالفواطم ـ والفواطم هن: فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله الحبيبة لديه والأثيرة عنده، وفاطمة بنت أسد أم علي عليه السلام وفاطمة بنت الزبير ـ ومن يريد الهجرة معه من بني هاشم، وأمره بترتيب أمر ترحيلهم معه إلى يثرب وتهيئة ما يحتاجون إليه من زاد وراحلة، وهنا قال صلى الله عليه وآله عبارته التي تذرَّع بها ابن تيمية في دليله الأول: **إنهم لن يصلوا من الآن إليك يا علي بأمر تكرهه حتى تقدم عليَّ.**

فالملاحظ للقارىء هو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما قال هذه العبارة عندما أمره بأداء أمانته، وذلك بعد انقضاء قضية ليلة المبيت، أي أنه أمر علياً بذلك، وقال له تلك العبارة وهو يتهيأ للخروج من غار ثور.

يقول الحلبي في سيرته: وصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في إحدى الليالي وهو بالغار علياً رضي الله عنه بحفظ ذمته وأداء أمانته ظاهراً على أعين الناس [1].

وثم ينقل عن مؤلف كتاب الدر ما يقتضي أنه اجتمع به عند خروجه من الغار.

وخلاصة القول: أنه مع رواية شيخٍ جليلٍ سمن مشائخ الشيعة الإمامية كالشيخ الطوسي بالإسناد الصحيحة، أن الأمر بردّ الودائع والأمانات صدر من جانب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي عليه السلام بعد ليلة المبيت، لا يحقّ لنا أن نعارض هذا النقل الصحيح، ونعمد إلى إلهاء العامة بالتوافه.

وأما رواية مؤرخي أهل السنة هذا المطلب بشكل آخر يوحي ظاهرُه بأن جميع وصايا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي تمت في ليلة واحدة هي ليلة الهجرة ـ ليلة المبيت ـ فقابلٌ للتفسير والتوجيه، لأنه لا يبعد أن عنايتهم كانت مركزة على رواية أصل الموضوع، ولم يكن لظرف صدور هذه الوصايا والأوامر ووقت بيانها أهمية عندهم) [2].

---

١ الحلبي: السيرة الحلبية ـ ج ٢ ـ ص ٣٥.

٢ السبحاني: سيد المرسلين ـ ج ١ ـ ص ٦٠١ - ٦٠٣

عليٌّ يلتحق بالنبي:

بعد أن غادر النبي صلى الله عليه وآله غار ثور، اتجه نحو يثرب، حتى إذا وصل قرية قبله القريبة منها، استقر بها بانتظار قدوم الإمام علي عليه السلام وبرفقته الفواطم، وكان يقول في رده على من كان يصرّ على الإسراع في الورود إلى المدينة المنورة: **فما أنا بداخلها حتى يقدم ابن أمي وأخي، وابنتي** - يعني علياً وفاطمة - عليهما السلام.

أما الإمام علي عليه السلام فقد أقام بمكة ثلاث ليال بأيامها، وكان يقف على مكان مرتفع في مكة - بكل شجاعة ودون تردد أو خوف في تلك الظروف الصعبة - وينادي قائلاً: من كان له قِبَل محمد أمانةٌ أو وديعةٌ فليأتِ فلنؤدّ إليه أمانته.

فكان يأتيه من له أمانة أو وديعة عند رسول الله، يذكر علامتها ويأخذها، فلما فرغ من أداء الأمانات والودائع، خرج بفاطمة بنت رسول الله وأمه فاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب، وآخرين ممن لم يكن قد هاجر مكة حتى تلك الساعة، وتوجه بهم نحو المدينة ليلاً سالكاً بها طريقاً في منطقة ذي طوى.

وقد ذكر الشيخ محمد بن الحسن الطوسي في أماليه في هذا الصدد: إن جواسيس قريش عرفت بسفر علي مع تلك الجماعة فخرجوا لملاحقتهم، لغرض إعادتهم إلى مكة، فأدركوهم في **ضجنان**[1]، ووقع بين رجال قريش وبين علي تناوش وأخذ وردٌّ، ودنا الرجال من النسوة والمطايا ليثوّروها، فحال علي بينهم وبينها، ولم يجد عليه السلام طريقاً إلا أن يدافع عن حرم الإسلام والمسلمين، فشدّ عليهم بسيفه شدّة الأسد الغَضِب والليث الغيور وهو يقول مرتجزاً:

خَلّوا سبيل الجاهد المجاهِد ... آليتُ لا أعبُد غيرَ الواحِد

فلما وجدوا ما به من الجدّ والغضب خافوه وتفرّقوا عنه وقالوا بنبرة الخائف المتضرع: **احبس عنّا نفسك يا ابن أبي طالب.**

---

١ جبل يبعد عن مكة ٢٥ كم تقريباً

فقال: **فإني منطلقٌ إلى ابن عمّي رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **يثرب، فمن سرَّه أن أفري لحمه وأهريق دمه فليتبعني وليدنُ مني.**

فتركه القومُ وعادوا من حيث أتوا، وواصل الركبُ رحلته باتجاه المدينة.

وقد روى ابن الأثير الجزري في **أُسْد الغابة** بسنده عن أبي رافع في هجرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم النص التالي، قال: (... وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً أن يلحقه بالمدينة، فخرج علي في طلبه بعد ما أخرج إليه أهله، يمشي الليل ويكمن النهار، حتى قدم المدينة، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدومه قال: **ادعوا لي علياً.**

قيل: **يا رسول الله لا يقدر أن يمشي.**

فأتاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما رآه اعتنقه وبكى رحمةً لما بقدميه من الورم، وكانتا تقطران دماً، فتفل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في يديه ومسح بهما رجليه، ودعا له بالعافية، فلم يشتكهما حتى استشهد رضي الله تعالى عنه) [1].

---

[1] ابن الأثير: أسد الغابة ـ ج ٤ ـ ص ١٩

معركة بدر الكبرى:

* ظروف المعركة:

معركة بدر من معارك الإسلام الكبرى والتي قررت مصير الدعوة النبوية، وأفرزت وضعاً جديداً في الجزيرة العربية، فبعد أن كانت هناك قوة واحدة، هي قوة قريش، أصبح المسلمون قوة أخرى منافسة ذات شأن، ويحسب لها الخصوم ألف حساب. وعلى صعيد الأفراد الذين شاركوا في المعركة، فإنهم فقد اكتسبوا منزلة خاصة بين المسلمين فيما بعد، فعُرفوا من خلالها بالبدريين. ولو دخلوا في أمر ما، قال المسلمون: **ووافقنا عليه البدريون**. وإذا أريد رفع شأن أحدهم قيل إنه كان من البدريين.

كان بدؤ الأمر حين بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في منتصف جمادى الآخرة من السنة الثانية للهجرة، أن قافلة قريش التجارية خرجت من مكة إلى الشام بقيادة أبي سفيان ابن حرب، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لملاحقتها إلى منطقة **ذات العشيرة** [1]، وتوقف هناك إلى مطلع الشهر التالي، دون أن يستطيع اللحاق بها.

وحيث أن أموال المسلمين المهاجرين إلى المدينة كانت قد صودرت في مكة على أيدي قريش، فقد بات من المناسب أن يأخذ المسلمون أموال قريش في تلك القافلة، ويحتفظوا بها ريثما تفرج قريش عن أموال المسلمين المهاجرين المصادرة بمكة، فإذا لجّوا وأصرّوا في مصادرتها، كان من حق النبي أن يقسّم ما في القافلة على المتضررين من أصحابه باعتبارها كغنائم حرب.

من هنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم: **هذه عِيرُ قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها** [2].

---

١ ذات العشيرة منطقة بين مكة والمدينة قرية من ينبع جهة البحر الأحمر

٢ ابن هشام: السيرة النبوية - ج ٢ - ص ٤٤٠. العير = القافلة

ومن الواضح أن يسمح العاقل لنفسه ـ أيّاً كان ـ بأن يعامِلَ عدوه بمثل هذه المعاملة التي عامله بها العدو. قال الله عزّ وجلّ ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [1].

ومع عودة المسلمين إلى المدينة المنورة، كلّف النبي أحد المسلمين بتتبع مسار القافلة في طريق عودتها، ورصد أحوالها وعدد المرافقين لها، فجاءه النبأ بأنها تتكون من ألف بعير، ببضاعة تربو على خمسين ألف دينار من الذهب، وبرفقة أربعين شخصاً فقط.

ولما اقترب موعد عودة القافلة من الشام، خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً: إثنان وثمانون من المهاجرين، ومائة وسبعون من الخزرج، وواحد وستون من الأوس، يمتطون سبعين بعيراً و ثلاثة أفراس، وقد عقد رايتين سلّم إحداهما إلى مصعب بن عمير، والأخرى وتسمى العقاب إلى علي بن أبي طالب عليه السلام.

وكما كان المسلمون بانتظار عودة القافلة، كان أبوسفيان يتوجس خوفاً من حدوث ذلك، ولذا فقد أرسل الرصَد ليأتوا إليه بالأخبار، ويكثر السؤال من الأعراب وممن يلقاهم في الطريق فيما لو أنهم شاهدوا محمداً قد كمن له في مكان ما.

وفي إحدى المنازل أحس أبوسفيان بالخطر يقترب منه، فأحجم عن الاقتراب إلى منطقة بدر، ولم ير بُدّاً من أن يخبر قريشاً ويطلب مساعدتهم، فاستأجر رجلاً يُدعى ضمضم بن عمرو الغفاري، وأمره بأن يجدع بعيره [2]، ويحوّل رَحْله [3]، ويشقّ قميصَه من قُبُله وَ دبُره ويصيح: **الغوث ! الغوث !** ويخبر قريشاً أن محمداً تعرّض لتجارتهم.

أثار هذا المنظر أهل مكة، فتجهّزوا سراعاً، وتهيّأوا للخروج، وأعدّ كل صناديد

---

١ الحج / ٣٩

٢ الجدع = قطع الأنف

٣ أي يجلس على حصانه بصورة مقلوبة ، بحيث يواجه خلف الحصان لا عنقه ورأسه .

قريش ورجالها المقاتلون أنفسهم للتحرك نحو المدينة إلا أبولهب الذي لم يشترك في هذا الخروج، وأرسل مكانه العاصي بن هشام لقاء أجر قدرُه أربعةَ آلاف درهم.

وعلى أثر ذلك تغيرت المعادلة كلياً، فلم تعد المسألة احتجاز قافلة والتعرض لأربعين رجلاً أكثرهم من العبيد، بل أصبحت حرباً حقيقية متوقعة، دون تكافؤ بين طرفيها، ولذا فبمجرد أن علم النبي بنبأ خروج قريش بقرابة ألف مقاتل بكامل العتادة والعدة، أصبح يفكر بين أمرين: إما أن يقاتل بالعدد القليل الذين خرجوا معه، ودون استعداد نفسي للحرب ولا تهيؤ عسكري، وبالعتاد الذي لا يمكن الصمود به وفق المعايير المادية البحتة، وإما أن يرجع إلى المدينة من حيث أتى، وهذا يعني أن ينهار كلّ ما تحقق من مكاسب في الفترة السابقة، بل ولربما أدى إلى تطميع قريش بغزو المدينة والقضاء على دولة الإسلام نهائياً!

توجه النبي ـ بحكمته ـ لأصحابه، عارضاً عليهم الأمر ومستشيراً لهم في القرار الحاسم، فقال: **أشيروا عليّ أيّها الناس.**

قام أبو بكر وقال: **يا رسول الله إنّها قريش وخيلاؤُها، ما آمنَت منذ كفرَت، ولا ذلّت مُنذ عزّت، ولم نخرج على أهبة الحرب .**

فقال له رسول الله: **اجلس.**

ثم قام عمر بن الخطاب وكرّر نفس مقالة أبي بكر، فأمره النبي ﷺ بالجلوس أيضاً.

ثم قام المقداد بن عمرو وقال: **يا رسولَ الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقولُ لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى: اذهَب أنت وربُّك فقاتِلا إنّا هاهنا قاعِدون. ولكن اذهب أنت وربُّك فقاتلا، وإنا مَعكُما مُقاتلون. فو الذي بعثك بالحقِّ، لو سِرتَ إلى بِرك الغماد[1]، لجالَدنا معك مِن دونه حتى تبلغه[1]، ولو أمرتنا**

---

[1] برك الغماد = موضع بناحية اليمن

أن نخوضَ جَمر الغضا وشوكَ الهراس لخضناه معك [٢].

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له به.

ثم أعاد رسول الله قوله: أشيروا عليّ أيها الناس. وهو يريد الأنصار.

فقام سعد بن معاذ الأنصاري وقال: والله لكأنك يا رسول الله تريدنا ؟

فقال النبي: أجل.

فقال سعد: بأبي أنتَ وأمّي يا رسول الله، إنا قد آمنّا بكَ وصدّقناك وشهدنا أن ما جئتَ به حق مِن عندالله، وأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول اللهِ لما أردتَ فنحنُ معك.

فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلّف منا رجلٌ واحد، وما نكرهُ أن تلقى بنا عدونا غداً. إنا لصبرٌ في الحرب، صِدْقٌ في اللقاء، لعلّ الله يريك منّا ما تقرّ به عينك. فسِر بنا على بركة الله، وصِل مَن شئت، واقطعْ من شئتَ، وخُذ مِن أموالنا ما شئت، و ما أخذتَ من أموالنا أحبُّ إلينا مما تركتَ.

فسرّ رسول الله بقول سعد ونشّطه ذلك، وأزال سحابة اليأس من النفوس، وأشعل ضياء الأمل في القلوب.

وقد أشار القرآن الكريم إلى تخوف بعض المسلمين من مواجهة العدوّ في هذه الموقعة إذ قال سبحانه: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾[٣].

ولهذا لم يفرغ ذلك الأنصاري البطل والقائد المؤمن الشجاع من مشورته الشجاعة إلا وأصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمْره بالرحيل قائلاً: سيروا على بركة الله

---

١ جالد = قاتل

٢ جمر الغضا = النار المتقدة . شوكَ الهراس = شجر كبير الشوك

٣ الأنفال : ٥ - ٦

وأبشروا، فإنّ الله قد وعدني إحدى الطائفتين ولن يخلف الله وعده، والله لكأني الآنَ أنظُر إلى مصارع القوم.

وتحرك الجيشُ الإسلامي بقيادة النبي الأكرم، ونَزل عند آبار بدر.

* ليلة المعركة :

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الزبير بين العوام وسعد بن أبي وقاص بقيادة علي عليه السلام إلى ماء بدر يلتمسون له الخبر، فأصابوا إبلاً يستقى عليها الماء لقريش فيها غلامان أحدهما لبني الحجاج والآخر لبني العاص، فأتوا بهما إلى رسول الله، فسألهما عن قريش فقالا: هم والله وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى.

فقال: كم القوم وما عدّتهم ؟

فقالا: لا ندري، كثير.

قال: كم ينحرون كل يوم ؟

قالا: يوماً تسعاً، ويوماً عشراً.

قال: القوم فيما بين التسعمائة والألف...

ثم سألهما: فمن فيهم من أشراف قريش ؟

قالا: عتبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام وشيبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف و... و... .

فأقبل رسول الله على أصحابه وقال: هذه مكة قد ألقَت إليكم أفلاذ كبدها.

لم تكن الظروف مواتية لصالح المسلمين من حيث العدة والعدد ـ كما لاحظنا ـ ومن حيث موقع مخيم المسلمين، كونهم قد استقروا على أرض رخوة لا تساعدهم على الحركة بالصورة المطلوبة خلال المعركة، وبُعد آبار الماء عنهم. إلا أن الله سبحانه وتعالى أراد بمشيئته أن ينصر هذه الثلة الصابرة، ويعز الإسلام وأهله، وينزل بالكافرين

العذاب والهوان، وما هي إلا ساعات حتى أمطرت السماء مطراً غزيراً فأصاب قريشاً منه ما حول أرض معسكرهم إلى وحول زلقة، بينما لم يُحدِث المطر أي مشكلة في الموقع الذي استقر فيه المسلمون، بل كان بحيث لبّد الأرض حتى ثبتت أقدامهم.

وألقى الله النعاس على المسلمين لينامو ليلتهم العصيبة تلك براحة وطمأنينة، بعيداً عن أجواء القلق الذي لابد وأن يساورهم في مثل تلك الظروف، ولينشطوا في صبيحة يوم المعركة فيكون قتالهم بعيداً عن كثير من المؤثرات النفسية السلبية وإجهاد السهر والهم. ثم جاءت البشرى على لسان النبي الكريم الذي أخبرهم بالمدد الإلهي... خمسة آلاف من الملائكة مردفين متتابعين، نزلوا ليثبّتوا المؤمنين، وليوحوا لهم بالنصر المؤزّر والقريب. ولم يقتصر المدد الإلهي على ذلك، فقد رأى النبي رؤيا تدل على قلة عدد المشركين وضعفهم، وانعكس تأثيرها على نفوس المسلمين بالإيجاب، كما ألقى الله في نفوس المسلمين حالة من الطمأنينة من خلال تقليل عدد المشركين في أعينهم، قال الله عزّ ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ... إلى قوله تعالى ... إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾[1].

---

١ الأنفال: ٩ ـ ٤٤، والألف من الملائكة تترادف وتتابع، ولذا ورد في سور آل عمران حول نفس الحادثة قولهتعالى: (إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ، بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين)

* ودقت طبول الحرب :

في صبيحة السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة، ارتحلت قريش من وراء الكثيب وانحدرت إلى وادي بدر، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **اللهم هذه قريش قد أقبلَت بُخيَلائها وفَخرِها، تحادُّك وتكذّبُ رسُولَك. اللهم فنَصْرُكَ الذي وعَدتني به، اللهم أحِنهم الغداة** [1].

استقرت قوى قريش في منطقة من أرض بدر استعداداً للمواجهة، وكان التقليد المتبع عند العرب في الحروب أن يبدأ القتال بالمبارزات الفردية ثم تقع بعدها المعركة الشاملة. ولذا فقد خرج ثلاثة فرسان من صناديد قريش المعروفين من صفوف الجيش المكي ودعوا إلى المبارزة، وهؤلاء الصناديد الثلاثة هم: شيبة بن ربيعة وأخوه عتبة وابنه الوليد بن عتبة [2]. فأخذوا يجولون في ميدان القتال ويدعون إلى المبارزة، فخرج إليهم من المسلمين فتيةٌ من الأنصار ثلاثة وهم: عوف و معوذ ابنا الحارث، وعبدالله ابن رواحة. ولما عرف عتبة أنهم من الأنصار قال: **مالنا بكم من حاجة.**

ثم نادى مناديهم: **يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا.**

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **قم يا عبيدة بن الحارث** [3]**، وقم يا حمزة، وقم يا علي.**

فقاموا وخرجوا للمبارزة، ولما دَنوا منهم، سألهم عتبة عن أسمائهم فعرَّفَ أبطال الإسلام أنفسهم وذكروا أسماءهم. فقال رجال المشركين الثلاثة: **نعم أكفاء كرام.**

وقد ذكر بعض المؤرخين أن كل واحد من المسلمين بارز مَن هو في مثل سنه من المشركين، ولذا بارز عليٌّ الوليد، وبارز حمزةُ عتبة، وبارز عبيدةُ شيبة. ومنهم كابن هشام ذكر أن حمزة بارز شيبة وليس عتبة.

وعلى كلٍّ، فقد اختلف علي والوليد ضربتين، أخطأت ضربة الوليد علياً حيث حاد عنها، وضربه عليٌّ على حبل عاتقه الأيسر فأخرج السيف من إبطه، ثم ضربه

---

١ أحنهم الغداة = أهلكهم صبيحة هذا اليوم

٢ عتبة هو والد هند أم معاوية بن أبي سفيان ، والوليد أخو هند وخال معاوية

٣ هو عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب ابن عم النبي ، وكان أكبر الثلاثة سناً

ضربة أخرى فصرعه في الحال.

أما حمزة فقد اختلف المؤرخون هل استطاع أن يقضي على خصمه لوحده، أم أنهما تبارزا حتى انثلمت سيوفهما من شدة الضرب ثم اعتنقا، فصاح المسلمون: **ياعلي، أما ترى الكلب قد بهر عمك حمزة ؟** [1]

فتقدم أمير المؤمنين عليه السلام وصاح: **يا عم طأطئ رأسك.**

وكان حمزة طويلاً، فأدخل رأسه في صدر خصمه، فبادره الإمام علي بضربة أطارت نصف رأسه. وثالث القوم عبيدة الذي تلقى ضربة قطعت رجله في المواجهة، فتوجه علي إلى عتبة ـ أو شيبة ـ فأجهز عليه، ولذا فقد كان لعلي نصيبه في قتل الثلاثة كما أشارت إلى ذلك بعض النصوص، ومن بينها ما ورد عن أبي جعفر الإسكافي المعتزلي شيخ ابن أبي الحديد المعتزلي من أن هنداً قالت:

ما كان لي عن عتبة من صبر ... أبي ، وعمي ، وشقيق صدري

أخي الذي كان كضوء البدر ... بهم كسرت يا علي ظهري [2]

وقال السيد الحميري المعاصر للإمام جعفر الصادق عليه السلام وذلك في مدح أمير المؤمنين عليه السلام:

وله ببدر وقعة مشهورة ... كانت على أهل الشقاء دمارا

فأذاق شيبة والوليد منيّة ... إذ صبحاه جحفلا جرارا

وأذاق عتبة مثلها أهوى لها ... عضبا صقيلا مرهفا بتارا [3]

ويدل على ذلك أبيات من الشعر لرجل من بني عامر قال فيها:

ببدر خرجتم للبراز فردّكم ... شيوخ قريش جهرة وتأخروا

فلما آتاهم حمزة وعبيدة ... وجاء علي بالمهنّد يخطر

---

١ بهر = غلب

٢ ابن أبي الحديد : شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨٣ ، والعثمانية ، قسم نقوض الإسكافي ص ٤٣٢

٣ ديوان السيد الحميري ص ٢١٥

فقالوا: نعم أكفاء صدق فأقبلوا إليها سراعاً إذ بغوا وتجبّروا
فجال عليٌّ جولة هاشمية فدمرهم لما بغوا وتكبروا [1]

وقد كتب الإمام علي عليه السلام في رسالة له لمعاوية: **فأنا أبو الحسن حقاً، قاتل جدك عتبة، وعمك شيبة، وخالك الوليد، وأخيك حنظلة، الذين سفك الله دماءهم على يدي في يوم بدر، وذلك السيف معي، وبذلك القلب ألقى عدوي** [2].

ثم إن النبي صلى الله عليه وآله أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشاً ثم قال: **شاهَتِ الوُجُوه** ثم نفحهم بها، وأمر أصحابه ببدء القتال العام، فقال: **شدّوا**.

ولم يمض وقتٌ طويل حتى ظهرت بوادر انتصار المسلمين على أعدائهم المشركين، فقد انتابَ المشركين خوفٌ ورعبٌ شديدان، وأخذوا ينهزمون أمام زحف المسلمين الذين كانوا يقاتلون عن إيمان وإخلاص، ويعلمون بأنهم ينالون السعادة قَتَلوا أو قُتِلُوا، فلم يرهبُوا شيئاً، وما كان يمنعهم شيء عن التقدم والإقبال.

وكان للإمام علي عليه السلام بطولة قلّ لها نظير، إذ أخذ يجندل أبطال المشركين الواحد تلو الآخر، إذ أقبل حنظلة بن أبي سفيان فلما دنا من الإمام ضربه ضربة بالسيف فسالت عيناه ولزم الأرض قتيلاً. وأقبل العاص بن سعيد بن العاص يبحث للقتال، فبارزه علي فقتله بعدما أحجم عنه غيره.

ومما يذكر في التاريخ أن ابنه سعيداً دخل على الخليفة عمر بن الخطاب في خلافته فجلس ناحية، قال سعيد: فنظر إليّ عمر وقال: **ما لي أراك كأن في نفسك علي شيئاً ؟ أتظن أني قتلت أباك ؟ والله لوددت أني كنت قتلته، ولو قتلتُه لم أعتذر من قتل كافر، ولكني مررت به يوم بدر فرأيته يبحث للقتال كما يبحث الثور**

---

١ ابن شهرآشوب : المناقب - ج ٣ - ص ١١٩

٢ ابن أعثم : الفتوح - ج ٢ - ص ٤٣٥ . ولكن جله في نص نهج البلاغة هكذا . فأنا أبو حسن قاتل جدك وخالك وأخيك شدخاً يوم بدر ، وذلك السيف معي ، وبذلك القلب ألقى عدوي ... وعليه فلم يرد ذكر لشيبة عم هند بنت عتبة .

بقرنه، فهبتُه ورُغت عنه، فقال لي: إلى أين يا ابن الخطاب ؟ وصمَدَ له عليٌّ فتناوله، فوالله ما رمت مكاني حتى قتله .

وكان عليٌّ حاضراً في المجلس فقال: **اللهم غفراً، ذهب الشرك بما فيه ومحا الاسلام ما تقدم، فما لك تهيّج الناس علي ؟**

فكفّ عمر.

فقال سعيد: **أما إنه ما كان يسرني أن يكون قاتل أبي غير ابن عمه علي بن أبي طالب**[1].

قال الواقدي في مغازيه أنه لما رأت بنو مخزوم مقتل من قُتل قالوا: **أبوالحكم لا يُخلص إليه** ـ يعنون أبا جهل ـ . فأحدقوا به وألبسوا لامته عبدَالله بن المنذر ، فصمد له عليٌّ فقتله وهو يتصور أنه أبوجهل، ومضى وهو يقول: **أنا ابن عبد المطلب !**

ثم ألبسوها حرملة بن عمرو، فصمد له عليٌّ فقتله، ثم أرادوا أن يلبسوها خالد ابن الأعلى فأبى.

وقال رسول الله: **اللهم اكفني نوفل بن العدوية .**

وهو نوفل بن خويلد من بني أسد بن عبد العزى، فأسره جبار بن صخر، ورأى علياً مقبلاً نحوه فقال لجبار: **من هذا ؟ واللات والعزى إني لأرى رجلاً يريدني .**

قال : **هذا علي بن أبي طالب.**

فصمد له علي فضربه فنشب سيفه في حجفته فزعّه [2]، وضرب به ساقيه فقطعهما، ثم أجهز عليه فقتله.

---

١ سعيد بن العاص هذا هو والد عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق الذي كان عاملاً على المدينة من قبل يزيد بن معاوية يوم قتل الحسين. ولما أخبر بقتله وسمع واعية بني هاشم ضحك وتمثل بقول عمرو بن معديكرب الزبيدي :

عجت نساء بني زياد عجة كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

٢ الحجف = الترس المصنوع من الجلد . والزع = التحريك

فقال رسول الله: من له علم بنوفل بن خويلد ؟

قال علي: أنا قتلته.

فكبّر رسول الله وقال: الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه.

وروى محمد بن إسحاق أن طعيمة بن عدي قتله علي بن أبي طالب، شجَرَهُ بالرمح [1]، فقال: والله لا تخاصمنا في الله بعد اليوم أبداً.

ثم قال: وقيل قتله حمزة.

أما الواقدي فقد قال: كان علي يحدّث فيقول: إني يومئذ بعدما متع النهار [2]، ونحن والمشركون قد اختلطت صفوفنا وصفوفهم، خرجتُ في أثر رجل منهم، فإذا رجل من المشركين على كثيب رمل، وسعد بن خيثمة، وهما يقتتلان حتى قتل المشرك سعد بن خيثمة، والمشرك مقنّع في الحديد، وكان فارساً، فاقتحم عن فرسه فعرفني وهو معلم فناداني: هلم يا ابن أبي طالب إلى البراز !

فعطفت عليه، فالحط إليّ مقبلاً وكنت رجلاً قصيراً، فالحططت راجعاً لكي ينزل إليّ، كرهت أن يعلوني، فقال: يا ابن أبي طالب فررت ؟

فقلت: قريباً مفرُّ ابن الشتراء [3].

فلما استقرت قدماي وثبتت، أقبل، فلما دنا مني ضربني، فاتقيت بالدرقة، فوقع سيفه فلحج [4]، فأمرّ به على عاتقه وهو دارع فارتعش، ولقد قط سيفي درعه، فظننت أن سيفي سيقتله، فإذا بريق سيف من ورائي فطأطأت رأسي ويقع السيف، فأطنّ قحف رأسه بالبيضة وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطلب.

فالتفتّ من ورائي فإذا هو عمي حمزة، والمقتول طعيمة بن عدي.

---

١ شجره بالرمح = طعنه به

٢ متع النهار = ارتفع قبيل الزوال

٣ مثل يضرب للتراجع قليلاً بهدف الهجوم المباغت ، وابن الشتراء رجل كان يصيب وكان يأتي الرفقة فيدنو منهم حتى إذا همسوا به نأى قليلاً ثم عاودهم حتى يصيب منهم غرة ، فضرب به المثل .

٤ لحج = نشب وعلق

* القول فيمن قتلهم علي ببدر:

أكدت الأخبار بأن نصف قتلى المشركين في ذلك اليوم - والبالغ سبعين قتيلاً - كانوا على يده عليه السلام. وومن روى ذلك الشيخ المفيد حيث قال: (وقد أثبت رواة العامة والخاصة معاً أسماء الذين تولى أمير المؤمنين قتلهم ببدر من المشركين على اتفاق فيما نقلوه من ذلك فكان ممن سموه:

١ - الوليد بن عتبة، وكان شجاعاً جريئاً وقاحاً تهابه الرجال

٢ - العاص بن سعيد بن العاص، وكان هولاً عظيماً تهابه الأبطال، وهو الذي حاد عنه عمر كما مر

٣ - طعيمة بن عدي بن نوفل، وكان من رؤوس أهل الضلال

٤ - نوفل بن خويلد ، وكان من أشد المشركين عداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت قريش تقدمه وتعظمه وتطيعه

٥ - زمعة بن الأسود

٦ - الحارث بن زمعة

٧ - النضر بن الحارث بن عبد الدار

٨ - عمر أو عمير بن عثمان بن كعب بن تيم عم طلحة بن عبيد الله

٩ و ١٠ - عثمان ومالك إبنا عبيد الله أخو طلحة بن عبيد الله

١١ - مسعود بن أمية بن المغيرة

١٢ - قيس بن الفاكه بن المغيرة

١٣ - حذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة

١٤ - أبو قيس بن الوليد بن المغيرة

١٥ - حنظلة بن أبي سفيان

١٦ - عمر بن مخزوم

١٧ - أبو المنذر بن أبي رفاعة

١٨ ـ منبه بن الحجاج السهمي

١٩ ـ العاص بن منبه

٢٠ ـ علقمة بن كلدة

٢١ ـ أبو العاص بن قيس بن عدي

٢٢ ـ معاوية بن المغيرة بن أبي العاص

٢٣ ـ لوذان بن ربيعة

٢٤ ـ عبد الله بن المنذر بن أبي رفاعة

٢٥ ـ مسعود بن أمية بن المغيرة

٢٦ ـ حلجب أو حاجز بن السائب بن عويمر

٢٧ ـ أوس بن المغيرة بن لوذان

٢٨ ـ زيد بن مليص

٢٩ ـ غانم بن أبي عوف

٣٠ ـ سعيد بن وهب حليف بني عامر

٣١ ـ معاوية بن عامر بن عبد القيس

٣٢ ـ عبد الله بن جميل بن زهير بن الحارث بن أسد

٣٣ ـ السائب بن مالك

٣٤ ـ أبو الحكم بن الأخنس

٣٥ ـ هشام بن أبي أمية بن المغيرة .

فذلك خمسة وثلاثون رجلاً سوى من اختلف فيه أو شرك أمير المؤمنين فيه غيره)[1].

وعلق العلامة الأمين على كلام المفيد بقوله: (ولكنه عدّ مسعود بن أمية بن المغيرة مرتين فلذلك بلغوا خمسة وثلاثين وإلا فهم أربعة وثلاثون كما ترى، وبعضهم عدّ معهم عيسى بن عثمان فيكونون بذلك خمسة وثلاثين، وهو نصف

[1] المفيد: الإرشاد ـ ص ٧١ – ٧٢

المقتولين الذين كانوا سبعين قتيلاً، كل هذا ولم يتجاوز الخمسة والعشرين عاماً على الأكثر، ولم يزد عن العشرين على الأقل) [1].

أما الشيخ علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي الشهير بابن الصباغ في **الفصول المهمة** فقد قال: (فكان عدة من قتل علي كرم الله وجهه من مقاتلة المشركين على ما قيل في المغازي أحداً وعشرين قتيلاً، منهم من اتفق الناقلون على انفراده بقتله وهم تسعة: وليد بن عتبة بن ربيعة خال معاوية بن أبي سفيان قتله مبارزة، وكان شجاعاً جرياً فتاكاً وقاحاً تهابه الأبطال، والعاص بن سعيد بن العاص بن أمية، وكان هولاً عظيماً من الرجال المعدودين، وعامر بن عبد الله، ونوفل بن خويلد وكان من شياطين قريش وكان من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت قريش تقدّمه وتعظمه.

ولّما عرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حضوره سأل الله أن يكفيه أمره، فقتله علي بن أبي طالب عليه السلام، ومسعود بن أمية بن المغيرة، وأبو قيس بن فاكهة، وعبد الله بن المنذر بن أبي رفاعة، والعاص بن منتبه بن الحجاج، وحاجب بن السائب.

وأما الذين شاركه في قتلهم غيره فهم أربعة: حنظلة بن أبي سفيان بن حرب أخو معاوية، وعبيدة بن الحارث، وربيعة، وعقيل ابنا الأسود بن المطلب.

وأما المختلَف فيهم فسبعة وهم: طيعم بن عدي بن نوفل، وكان من رؤوس أهل الضلال، وعمر بن عثمان بن عمر، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو العاص ابن قيس، وأوس بن الجمحي، وعقبة بن أبي معيط، ومعاوية بن عامر.

فهذه عدة من قتله علي كرم الله وجهه يوم بدر، وأجمع أهل الغزوات على أن عدة من قُتل من مقاتلة المشركين يوم بدر سبعون رجلاً) [2].

قال ابن أبي الحديد: (... وقد عرفت أن أعظم غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

١ الأمين: أعيان الشيعة ـ ج ١ ـ ص ٣٨٤

٢ ابن الصباغ: الفصول المهمة ـ ص ٣٥

وأشدها نكاية في المشركين بدر الكبرى، قُتل فيها سبعون من المشركين، قَتل علي عليه السلام نصفهم، وقتل المسلمون والملائكة النصف الآخر، وإذا رجعت إلى مغازي محمد بن عمر الواقدي وتاريخ الأشراف ليحيى بن جابر البلاذري وغيرهما علمت صحة ذلك، دع من قتله في غيرها كأحد والخندق وغيرهما، وهذا الفصل لا معنى للإطناب فيه لأنه من المعلومات الضرورية كالعلم بوجود مكة ومصر ونحوهما)[1].

وفيما صنعه أمير المؤمنين عليه السلام ببدر قال أسيد بن أبي إياس بن وثيم، يحرّض مشركي قريش عليه ويعيرهم به:

في كل مجمع غاية أخزاكم ... جذع أبرّ على المذاكي القرّح[2]

لله دركم ألما تنكروا ... قد ينكر الحر الكريم ويستحي

هذا ابن فاطمة الذي أفناكم ... ذبحاً وقتلة قصعة لم يذبح

أعطوه خرجاً واتقوا تضريبه ... فعل الذليل وبيعة لم تربح

أين الكهول وأين كل دعامة ... في المعضلات وأين زين الأبطح

أفناهم قصعاً وضرباً يفتري ... بالسيف يعمل حده لم يصفح[3]

* ما بعد المعركة :

هكذا انتهت المعركة بقتل السبعين، كما أسر سبعون آخرون، بينما لم يستشهد سوى أربعة عشر من المسلمين. وأمر النبي صلى الله عليه وآله بدفن الشهداء، بينما أمر بألقاء قتلى المشركين في القليب، ووقف هناك يخاطبهم واحداً واحداً ويقول: **يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا أمية بن خلف، ويا أبا جهل، هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقاً ؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربّي حقاً. يا أهل**

---

١ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة - ج ١ - ص ٨ ولي تحفظ على كون الملائكة قد قاتلت في المعركة

٢ الجذع = الشاب الحدث . أبر عليهم = إذا غلبهم . المذاكي من الخيل = التي مضى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان

٣ المرتضى : رسائل المرتضى - ج ٤ - ص ١٢٠

القليب، بئسَ عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذّبتموني وصدّقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس.

قال له بعض أصحابه: يا رسول الله أتنادي قوماً موتى ؟

فقال صلى الله عليه وسلم: ما أنتم بأسْمعَ لما أقولُ منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني.

معركة أحد:

* ظروف المعركة:

كانت بذور الرغبة في الانتقام والثأر من المسلمين قد بُذِرَت في مكة منذ أن تقت الهزيمة النكراء في بدر، وقد ساعدت خطة المنع من البكاء والنياحة على قتلى قريش والتي اتخذت بعد عودة الجيش المكي المهزوم على إذكاء روح الانتقام هذه لدى قريش. كما أن تعذّر مرور قافلتها التجارية عبر طريق مكة ـ المدينة ـ الشام، واضطرارها إلى سلوك طريق العراق للسفر إلى الشام زاد هو الآخر من سخطها وانزعاجها.

من هنا اقترح صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل على أبي سفيان ومن كانت له في قافلة قريش التجارية مشاركة، أن يدفع كل واحد منهم مبلغاً من المال لتسديد نفقات الحرب قائلين: **يا معشر قريش إن محمداً قد وتَركم، وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، فلعلّنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منّا.**

ولقي هذا الاقتراح قبولاً من أبي سفيان، وتقرّر الإعداد للحرب بهذه الصورة، والتي تحدث عنها القرآن الكريم في سورة الأنفال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾[1].

وحيث أن زعماء قريش كانوا يدركون قوة المسلمين وقد رأوا من كثب استقامتهم وثباتهم في معركة بدر، لذا قرروا أن يتألف جيشهم هذه المرة من صناديد أكثر القبائل العربية وشجعانها البارزين وأبطالها المعروفين.

ومن هنا انطلق عمرو بن العاص وآخرون لتأليب القبائل العربية ضد النبي والمسلمين في عملية تصوير وهمي للخطر الكبير المحدق بالجزيرة العربية، فتجمع

---

١ الأنفال / ٣٦

أربعة آلاف مقاتل من قريش وغيرها ومن العبيد الذين استدرجوا بالأماني والوعود، فتشكل جيش المشركين من سبعمائة دارع، وثلاثة آلاف فارس، ومشاة كثيرين، وقد خرجوا بعدة وسلاح كثير.

وعلى إثر ذلك بعث العباس بن عبدالمطلب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة تقريراً مفصلاً عن نوايا واستعدادات قريش، وختَمه، واستأجر رجلاً من بني غفار واشترط عليه أن يقطع الطريق إلى المدينة في ثلاثة أيام، ويوصل تلك الرسالة إلى رسول الله.

تسلم النبي رسالة عمه واطلع على محتواها، فأرسل في ليلة الخميس الخامس من شهر شوال من السنة الثالثة من الهجرة، اثنين من الرصَد هما: أنس و مونس ابنا فضالة للتجسس على قريش خارج المدينة، فأعلماه باقتراب جيش المشركين حتى أنهم باتوا يرعون إبلهم وخيولهم في مراعي المدينة !

وتأكد الخبر عن طريق الحُباب بن المنذر، وعليه بات من المحتوم إخبار المسلمين بمستجدات الأمور واتخاذ القرار المناسب في كيفية المواجهة.

* المشورة ووقوع الاختلاف:

أقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عقد شورى عسكرية في يوم الجمعة، واستشار قادة جيشه وأهل الخبرة والرأي من أصحابه في كيفية مواجهة العدو، والتكتيك الذي يجب أن يتبعه المسلمون، فقام عبدالله بن أبيّ بن سلول رأس المنافقين، وطرح فكرة التحصّن في داخل المدينة، والقتال فيها على غرار حرب الشوارع، وذلك بأن لا يخرج المسلمون من المدينة بل يبقوا داخلها، ويستخدموا أبراجها وسطوحها لمقاتلة العدو ودفعه، فترمي النساء العدوّ بالأحجار من السطوح، ويقاتل الرجال أفراده في الشوارع والأزقة.

واتفق معه مجموعة من أكابر أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، إلا أن الأغلبية وفيهم حمزة وسعد بن عبادة، مع فتيان المسلمين، وبخاصة من لم يشهد منهم بدراً رفضوا هذا الرأي بشدة، وطلبوا من رسول الله الخروج إلى العدو ولقائه في أرض مفتوحة يتسنى لهم من خلاله خوض معركة حربية حقيقية.

أخذ رسول الله ﷺ برأي الأكثرية التي كانت ترجح الخروج من المدينة لمقاتلة العدوّ، ورجح هو ﷺ البقاء في المدينة وقتال العدو داخلها، إذ لم يكن من الصالح - بعد ما اقترحه قادة جيشه البارزين مثل حمزة وسعد بن عبادة ونظرائهم وأصروا عليه - أن يأخذ برأي عبدالله بن أبي بن سلول المنافق.

هذا مضافاً إلى أن السماح للعدو بالتقدم نحو حاضرة الإسلام، واللجوء إلى أسلوب حرب الشوارع، واشتراك النسوة في الأمور الدفاعية، آية العجز والوهن، وهو أمر لا يليق بالمسلمين، ولا يتلاءم مع الانتصار العظيم الذي حققوه في معركة بدر قبل عام فقط، كما أن محاصرة المدينة وسيطرة العدوّ على مداخلها وطرقاتها، وسكوت جنود الإسلام على ذلك من شأنه أن يقتل الروح القتالية والفروسية في أبناء الإسلام المجاهدين. ولربما أضمر عبدالله بن أبيّ بن سلول في نفسه نية سيئة تجاه النبي والمسلمين، وأنه باقتراح أسلوب حرب الشوارع كان يريد - في الحقيقة - أن يوجّه ضربة إلى النبي ﷺ.

وهكذا قرر النبي الاستعداد للمعركة المفتوحة، وصدرت الأوامر بذلك، ودخل هو ﷺ بيته فلبس لامته ودرعه وتقلد سيفه، إلا أن مجموعة من المسلمين تلاوموا فيما بينهم، وشعروا أنهم قد اجبروا النبي على الخروج إلى ساحة المعركة، بينما كان يرجح هو البقاء في المدينة، فتوجهوا إليه معتذرين مما بدر منهم، وسألوه أن يفعل ما يشاء، فأجابهم بحكمته: **ما ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لامَتَه أن يضعها حتى يُقاتِل.**

* بدء المعركة:

صلى النبي الجمعة بأصحابه، وخرج في ألف مقاتل نحو جبل أحد حيث يخيم المشركون، وفي الطريق انسحب ابن سلول المنافق وعاد بثلث الجيش تقريباً، بحجة أن رسول الله أخذ برأي الفتية والشباب، ورفض اقتراحه وهو البقاء في المدينة.

وقد أشار القرآن الكريم إلى الظروف الصعبة التي واكبت الاستعداد للحرب وموقف بعض المسلمين وجماعة المنافقين والتجاذبات التي وقعت قبل وأثناء المعركة، قال الله ﷻ ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [1]. وقال ﷻ ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [2].

وفي صبيحة يوم السبت السابع من شهر شوال اصطفّت قوى الإسلام أمام قوى الشرك، وعيّن رسول الله خمسين من الرماة على ظهر تلة عينين المطلة على أرض المعركة، ليقوموا بحماية ظهر المسلمين، وأمّر عليهم عبدالله بن جبير، ونهاهم عن التخلي عن هذا الموقع مهما كانت الظروف إلا بأمره.

وأما الراية فكانت بيد علي بن أبي طالب، كما كانت معه في معركة بدر، بينما كان اللواء بيد مصعب بن عمير، الذي ما إن استشهد حتى أعطاه النبي لعلي، فصار اللواء والراية معاً بيده عليه السلام.

وقد روي عن أبي البختري القرشي أنه قال: كانت راية قريش ولواؤها جميعاً بيد قصي بن كلاب، ثم لم تزل الراية في يد وُلْد عبدالمطلب يحملها منهم من حضر

---

١ آل عمران / ١٢٢

٢ آل عمران / ١٥٢

الحرب حتى بعث الله رسوله، فصارت راية قريش وغيرها إلى النبي صلى الله عليه وآله، فأقرّها في بني هاشم، فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب في غزاة ودان [1]، وهي أول غزاة حُمل فيها راية في الإسلام مع النبي، ثم لم تزل معه في المشاهد ببدر، وهي البطشة الكبرى، وفي يوم أحُد.

وكان اللواء يومئذ في بني عبدالدار، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله مصعب بن عمير [2] فاستشهد ووقع اللواء من يده، فتشوّفته القبائل فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله فدفعه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فجمع له يومئذ الراية واللواء، فهما إلى اليوم في بني هاشم.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى الترتيبات الميدانية، التي قام بها رسول الله وتعيينه لمكان كل قطعة من قطعات الجيش الإسلامي إذ قال عزّ وجلّ: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [3].

وفي المقابل فقد نظم أبوسفيان ـ قائد المشركين ـ صفوف جنوده وقسّمهم إلى ثلاثة أقسام: الرماة وجعلهم في الوسط، والميمنة واستعمل عليهم خالد بن الوليد، والميسرة واستعمل عليهم عكرمة بن أبي جهل، وقدّم جماعة فيهم حملة الألوية والرايات.

ثم قال لأصحاب الرايات وكانوا جميعاً من بني عبدالدار: إنا إنما أُتينا يوم بدر من اللواء، وإنما يُؤتى القوم من قِبَل لوائهم، فالزموا لواءكم وحافظوا عليه، أو خلّوا بيننا وبينه فإنا قوم مستميتون موتورون، نطلب ثاراً حديث العهد.

فشقَّ هذا الكلام على طلحة بن أبي طلحة الملقب بكبش الكتيبة لشجاعته،

---

١ ودان - منطقة قريبة من الجحفة في الطريق ما بين مكة والمدينة، وهذه الغزوة تعرف أيضاً بغزوة الأبواء وكانت بعد مضي عام من الهجرة، وكان يريد من خلالها تأديب قريش وبني ضمرة بن بكر، إلا أنه لم يحارب فيها أحداً إذ استسلم بنوضمرة ووادعوه.

٢ وكان من بني عبدالدار

٣ آل عمران / ١٢١

فاندفع من فوره إلى ساحة القتال، وطلب المبارزة، متحدياً بذلك أبا سفيان، وأخذ يهتف: **يا محمد، تزعمون أنكم تجهزونا بأسيافكم إلى النار، ونجهزكم بأسيافنا إلى الجنة، فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إلي.**

فبرز إليه علي عليه السلام قائلاً :

يا طلح إن كنتم كما تقول ... لكم خيول ولنا نصول

فاثبت لننظر أيّنا المقتول ... وأيّنا أولى بما تقول

فقد أتاك الأسد المسئول ... بصارمٍ ليس به الفلول

ينصره القاهر والرسول

ثم تصاولا بعض الوقت حتى عاجله علي بضربة أهلكته. فأخذ الراية أخوان آخران لطلحة فخرجا لقتال عليٍّ على التناوب، فقتلهما أمير المؤمنين جميعاً على يديه.

وروى باكثير الحضرمي عن ابن عباس: أنه خرج طلحة بن أبي طلحة يوم أحد وكان صاحب لواء المشركين، فقال: **يا أصحاب محمد، تزعمون أن الله يجعلنا بأسيفاكم إلى النار ويعجلكم بأسيافنا إلى الجنة فأيكم يبرز إلي ؟**

فبرز إليه علي بن أبي طالب وقال: **والله لا أفارقك حتى أعجلك بسيفي إلى النار .**

فاختلفا بضربتين فضربه عليٌّ على رجله فقطعها وسقط إلى الأرض، فأراد علي أن يجهز عليه فقال: **أنشدك الله والرحم يا بن عم .**

فانصرف عنه إلى موقفه، فقال المسلمون: **هلاّ أجهزت عليه.**

فقال: **ناشدني الله ولن يعيش.**

فمات، وبُشّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فسرّ، وسُرّ المسلمون، وكان الفتح يوم أحد بصبر علي عليه السلام في ذلك اليوم وثباته وحسن بلائه في ذلك الموقف وشدة بأسه

على أولئك القوم وتواليه وثباته [1]. وفي نص آخر أن طلحة بن أبي طلحة العبدري نادى: **معاشر أصحاب محمد، إنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة، فهل منكم من أحد يبارزني ؟**

قال قتادة: فخرج إليه علي عليه السلام وهو يقول:

أنا ابن ذي الحوضين عبد المطلب وهاشم المطعِم في العام السَّغب

أوفي بميعادي وأحمي عن حسب

قال: فضربه علي عليه السلام فقطع رجله، فبدت سوأته، وهو قول ابن عباس والكلبي، وفي روايات كثيرة أنه ضربه في مقدم رأسه فبدت عيناه، قال: **أنشدك الله والرحم يا ابن عم .**

فانصرف عنه ومات في الحال. ثم بارزهم حتى قتل منهم ثمانية، ثم أخذ باللواء **صوأب** عبدٌ حبشيٌّ لهم، فضرب على يده، فأخذه باليسرى فضُرب عليها، فأخذ اللواء وجمع المقطوعتين على صدره، فضُرب على أم رأسه فسقط اللواء.

قال حسان بن ثابت:

فَخَرتم باللواء وشرٌّ فخرٍ لواءٌ حين رُدَّ إلى صوابِ

فسقط اللواء، فأخذته عمرة بنت الحارث بن علقمة بن عبد الدار، فصُرعت وانهزموا، وقال حسان بن ثابت:

ولولا لواء الحارثية أصبحوا يباعون في الأسواق بالثمن الوكس [2]

فانكب المسلمون على الغنائم... [3].

وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى هذه الحادثة في مجلس ضم كبار الصحابة بعد مقتل الخليفة عمر بن الخطاب، وعقد شورى تعيين الخليفة من بعده، قال: **نشدتكم**

---

١ الحضرمي : وسيلة المآل ـ ص ١٤٨

٢ الوكس = الناقص والقليل

٣ المجلسي : بحار الأنوار ـ ج ٤١ ـ ص ٨٢

بالله، هل فيكم أحد قتل من بني عبد الدار تسعة مبارزة، كلُّهم يأخذ اللواء، ثم جاء صوأب الحبشي مولاهم وهو يقول: لا أقتل بسادتي إلا محمداً، قد أزبد شدقاه، واحمرّت عيناه، فاتّقيتموه، وحُدتم عنه، وخرجتُ إليه، فلما أقبل كأنه قُبّة مبنيّة، فاختلفت أنا وهو ضربتين [1]، فقطعته بنصفين وبقيت رجلاه وعجزه وفخذه قائمة على الأرض ينظر إليه المسلمون ويضحكون منه، غيري ؟

قالوا: **اللهم لا** [2].

وتتدافع الفريقان يقتتلان، ولم يمض وقت طويل حتى بدأ المشركون يفرون من ساحة المعركة، مخلّفين وراءهم غنائم كثيرة دغدغت مشاعر الرماة على جبل عينين، فخافوا إن هم لم ينزلوا من مواقعهم أن تفوتهم وتكون من نصيب المقاتلين في الساحة فقط، ولذا عجّل أكثرهم بالنزول قبل صدور الأمر من النبي وانتهاء المعركة بشكل كامل، وصار قائدهم ابن جبير يناديهم ليعودوا، إلا أنهم تشاغلوا عنه، فانكشف معسكر المسلمين من ناحية التلة، فاستغل خالد بن الوليد ـ قائد ميمنة قريش ـ ذلك الوضع، فحمل بمن معه من الرجال على الرماة الصامدين في حملة التفافيّة، وقاتل من بقي عند الثغرة وقتلهم بأجمعهم، ثم انحدر بمن معه من الجبل وهاجموا المسلمين الذين كانوا منشغلين بجمع الغنائم، وغافلين عما جرى فوق الجبل، ووقعوا فيهم ضرباً بالسيوف وطعناً بالرماح ورمياً بالنبال ورضخاً بالحجارة، وهم يصيحون تقويةً لجنود المشركين.

تفرقت جموع المسلمين، وعادت فلولُ قريش تساعد خالداً ومن معه، وأحاطوا جميعاً بالمسلمين من الأمام والخلف، وجعل المسلمون يقاتلون حتى قُتِل منهم سبعون رجلاً.

---

١ اختلفا = تبادلا

٢ الصدوق: الخصال ـ ص ٥٦٠.

* شائعة مقتل النبي:

في هذا الأثناء حمل عبدالله بن قمئة الليثي - وكان من صناديد قريش وأبطالها - على مصعب بن عمير حامل اللواء في تلك المعركة وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتبودلت بينهما طعنات وضربات حتى قُتل مصعب بضربة قاضية من الليثي، وكان المسلمون يومئذ ملثَّمون، ثم صاح: **قتلت محمداً**.

انتشر هذا الخبر في جموع المسلمين كالنار في الهشيم، وعلمت قريش بذلك فسرّوا بذلك سروراً عظيماً، وارتفعت الأصوات في ساحة القتال تنادي: ألا قد قُتِل محمد، ألا قد قُتِلَ محمد !

زاد هذا الخبر الكاذب من جرأة العدوّ، فتحرك أفراده نحو المسلمين يسعى كل واحد منهم أن يقتطع من جسم رسول الله عضواً، وبذلك ينال فخراً في أوساط المشركين !!

وبقدر ما ترك هذا الخبر الكاذب من أثر إيجابي في نفوس المشركين، ترك أثراً سيئاً جداً في نفوس المسلمين، وأضعف معنوياتهم بشدة بحيث تخلى عدد كبير من المسلمين عن القتال، ولجؤوا إلى الجبل فراراً بأنفسهم ، ولم يثبت إلا قليل لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة، والنبي يدعوهم للصبر والقتال، ولكن ما من مجيب !

وقد عبّرت الآيات القرآنية عن ذلك الوضع المؤلم، فقال ﷻ ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ

عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [1].

قل الواقدي في هذا الصدد: (بايع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحُد ثمانية على الموت: ثلاثة من المهاجرين: علي وطلحة والزبير، وخمسة من الأنصار، فثبتوا وهرب الآخرون) [2].

وكتب ابن أبي الحديد المعتزلي: (حضرتُ عند محمد بن معد العلوي الموسوي الفقيه على رأي الشيعة الإمامية رحمه الله في داره بدرب الدواب ببغداد في سنة ٦٠٨ هجرية، وقارئ يقرأ عنده مغازي الواقدي، فقرأ: حدثنا الواقدي عن ابن أبي سبرة عن خالد بن رياح عن أبي سفيان مولى بن أبي أحمد عن محمد بن مسلمة قال: سمعت أذناي، وأبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم أحُد، وقد انكشف الناس إلى الجبل وهو يدعوهم وهم لا يلوون عليه، سمعته يقول: **إليَّ يا فلان، إليّ يا فلان، أنا رسول الله.** فما عرّج عليه واحد منهما، ومضيا) [3].

*** لا فتى إلا علي:**

برز الإمام علي عليه السلام ـ من جديد ـ بدور المدافع الذي لم تتزلزل قدماه في الذود عن الإسلام وعن رسول الله، وقد عبّر ابن الأثير عن هذه البطولة قائلاً: (كان الذي قتل أصحاب اللواء عليٌّ ـ قاله أبو رافع ـ .

قل: فلما قتلهم، أبصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جماعةً من المشركين فقال لعلي: **احمل عليهم.** فحمل عليهم ففرّقهم وقتل منهم، ثم أبصر جماعة أخرى فقال له: **احمل عليهم.** فحمل عليهم وفرّقهم وقتل منهم. فقال جبرئيل: **يا رسول الله هذه المواساة.** فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **إنه مني وأنا منه.**

---

١ آل عمران/١٥٣ ـ ١٥٥

٢ الواقدي: المغازي ـ ج ٢ ـ ص ٢٤٠

٣ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ـ ج ١٥ ـ ص ٢٣ ـ ٢٤

فقال جبرئيل: **وأنا منكما.**

قال: فسمعوا صوتاً: **لا سيف إلا ذوالفقار، ولا فتى إلا علي)** [1].

وروي أن أبا سفيان رأى النبي مطروحاً على الأرض فنال بذلك ظفراً، وحث الناس على النبي، فاستقبلهم عليٌّ وهزمهم، ثم حمل النبيَّ إلى أحُد ونادى: **معاشر المسلمين ارجعوا ارجعوا إلى رسول الله.**

فكانوا يثوبون ويثنون على علي ويدعون له، وكان قد انكسر سيف علي، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **خذ هذا السيف.**

فأخذ ذا الفقار وهزم القوم [2].

قال ابن أبي الحديد: (وروى المحدثون أيضاً أن المسلمين سمعوا ذلك اليوم صائحاً من جهة السماء ينادي: **لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي.**

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن حضره: **ألا تسمعون ؟ هذا صوت جبرئيل)** [3].

وقد شرح ابن أبي الحديد هذه القضية بتفصيل أكثر إذ كتب في شرحه لنهج البلاغة يقول: (لما فرّ معظم أصحاب النبي يوم أحُد كثرت عليه كتائبُ المشركين وقصدته كتيبة من بني كنانة، ثم من بني عبد مناة بن كنانة فيها بنو سفيان بن عويف، وهم خالد بن ثعلب وأبو الشعثاء بن سفيان وأبو الحمراء بن سفيان وغراب بن سفيان، وإنها لتقارب خمسين فارساً وهو عليه السلام راجلٌ، فما زال يضربها بالسيف تتفرق عنه ثم تجتمع عليه، هكذا مراراً، حتى قتل بني سفيان بن عويف الأربعة وتمام العشرة منها ممن لا يُعرف أسماؤهم).

ثم نقل ابن أبي الحديد ما قاله جبرئيل، ثم كتب يقول: (وقد روى هذا الخبر جماعةٌ من المحدثين وهو من الأخبار المشهورة وقفت عليه في بعض نسخ مغازي محمد

---

١ ابن الأثير : الكامل في التاريخ - ج ٢ - ص ١٠٧

٢ المجلسي : بحار الأنوار - ج ٤١ - ص ٨٦

٣ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة - ج ٢ - ص ٥٦١

ابن إسحاق ورأيت بعضها خالياً عنها، وسألت شيخي عبدالوهاب بن سكينة عن هذا الخبر، فقال: خبرٌ صحيحٌ.

فقلت: له فما بال الصحاح [1] لم تشتمل عليه ؟

قال: أوَ كلُّ ما كان صحيحاً تشتمل عليه كتب الصحاح ؟ كم قد أهمل جامعو الصحاح من الأخبار الصحيحة) [2].

كما روى الشيخ محمد بن علي بن الحسين الصدوق خبراً عن أمير المؤمنين يشتمل على كلام مفصل له مع رأس اليهود يتحدث فيه عن هذا الموقف إذ قال: **ذهب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعسكرَ بأصحابه في سدّ أحُد، وأقبل المشركون إلينا فحملوا علينا حملة رجل واحد واستشهد من المسلمين من استشهد، وكان ممّن بقي من الهزيمة، وبقيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومضى المهاجرون والأنصار إلى منازلهم من المدينة، كلٌّ يقول قُتل النبي وقُتل أصحابه، ثم ضرب الله عزوجل وجوه المشركين، وقد جُرحتُ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نيفاً وسبعين جراحة، منها هذه، وهذه...**

ثم إنه عليه السلام ألقى رداءه، وأمرَّ يده على جراحاته، وقال: **وكان منّي في ذلك ما على الله عزوجل ثوابُه إن شاء الله** [3].

وقد بلغ علي عليه السلام ـ حسب رواية علل الشرائع ـ من كثرة ضربه لطوائف المشركين الذين كانوا يحملون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحُد، أن انكسر سيفه، فجاء إلى النبي وقال: **يا رسول الله، إنّ الرجل يقاتِل بسلاحه وقد انكسر سيفي.**

فأعطاه سيفَه ذا الفقار، فما زال يدفع به عن رسول الله، فقال جبرئيل في حقه وفي سيفه ما مر [4].

---

١ أي كتب الصحاح كالبخاري ومسلم

٢ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ٢٤ ـ ص ٢٥٠ - ٢٥١

٣ الصدوق : الخصال ـ ص ٣٦٨

٤ الصدوق : علل الشرائع ـ ص ٧

وقد أشار ابن هشام في سيرته إلى العبارة التي نادى بها جبرئيل إذ قال: (وحدثني بعض أهل العلم إن ابن أبي نجيح قال: نادى منادٍ يوم أحُد: **لا سيفَ إلا ذوالفقار، ولا فتى إلا علي**) [1].

كما عدد ابن هشام في سيرته القتلى من المشركين في أحُد فكانوا اثنين وعشرين رجلاً، وقد ذكر أسماءهم واحداً واحداً وذكر قبائلهم، وغير ذلك من خصوصياتهم، وقد قُتلَ منهم اثنا عشر رجلاً بيد علي عليه السلام، وقُتل البقية بأيدي المسلمين.

*** أبطال صمدوا مع علي:**

وكما صمد علي عليه السلام صمد أبودجانة الأنصاري، وهو يدفع المشركين عن وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يزل يقاتل حتى أثخنته الجراح وسقط، فاحتمله علي عليه السلام، فجاء به إلى النبي فوضعه عنده، فقال أبودجانة: **يا رسول الله، أوفيتُ ببيعتي ؟**

قال: **نعم.**

وقال له النبي خيراً [2].

ثم إن التاريخ سجل لأم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية موقفاً بطولياً مشابهاً إذ صمدت في أوج المعركة وانهزام الناس.

قالت: خرجتُ أول النهار إلى أحُد وأنا أنظرُ ما يصنع الناس، ومعي سِقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في الصحابة، والدولة والريح للمسلمين [3].

فلما انهزم المسلمون انحزتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعلت أباشرُ القتال وأذبّ عن رسول الله بالسيف، وأرمي بالقوس حتّى خلصت إليّ الجراح.

تقول راوية هذا الخبر عن أم عمارة: فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور [4].

---

١ ابن هشام: السيرة النبوية - ج ٢ - ص ١٠٠

٢ الكليني: الروضة من الكافي - ج ٨ - ص ٣٢٠

٣ الدولة والريح = الانتصار والغلبة

٤ غور = عمق

فقلت: **يا أم عمارة من أصابك بهذا؟**

قالت: **أقبل ابن قميئة وقد ولّى الناس عن رسول الله، يصيح: دلّوني على محمد، لا نجوتُ إن نجا.**

فاعترض له مصعبٌ بن عمير وناس معه، فكنت فيهم، فضربني هذه الضربة، ولقد ضربتُه على ذاك ضربات، ولكنَّ عدوَّ الله كان عليه درعان. هذا والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر إليّ، فنظر إلى جرح على عاتقي فصاح بأحد أولادي وقال: **أمَّك أمّك، إعصبْ جُرْحها.**

فعاونني عليه.

ثم إنها رأت أن ابنها جُرح فأقبلت إليه ومعها عصائب في حقويها قد أعدّتها للجراح، فربطت جرحه والنبي صلى الله عليه وسلم ـ ينظر، ثم قالت لولدها: انهضْ يا بني فضارِب القومَ.

أعجِب رسول الله صلى الله عليه وسلم باستقامتها وثباتها وإيمانها وقال: **ومنْ يُطيقُ ما تُطيقينَ يا أم عمارة ؟!**

وفي الأثناء أقبل الرجل الذي ضرب ولدَها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **هذا ضارب ابنك.**

فاعترضت له وحملت عليه كالأسد المغضب وضربت ساقه فبرك، فازداد رسول الله إعجاباً بشجاعتها وتبسم حتى بدت نواجذه وقال: **استقدتِ يا أمَّ عمارة، الحمدلله الذي ظفّرك وأقرّ عينكِ من عدوِّك.**

* اللحظات الحاسمة:

ظن المشركون أنهم قتلوا النبي، فخفّت حملاتهم، وصعد النبي مع نفر من المسلمين إلى جبل أحُد، وعلم المسلمون تدريجياً بسلامته، فصاروا يتجمعون حوله،

وبدأ أبوسفيان يطلق شعارات في محاولة للتأثير على نفسية البقية الباقية من المسلمين، إلا أن رسول الله أمر أصحابه بالرد بشعارات مقابلة تؤكد ثباتهم على الإيمان.

كان المشركون يهتفون: **اعلُ هُبَل.. اعلُ هُبَل.**

والمسلمون يردون: **الله أعلى وأجلّ.. الله أعلى وأجلّ.**

وعاد المشركون يهتفون: **نحن لنا العزّى ولا عُزّى لكم !**

وردّ المسلمون: **الله مولانا ولا مولى لكم !**

فنادى منادي الشرك ثالثاً: **يَومٌ بيوم بدر.**

فأمر رسول الله بأن يجيبه المسلمون: **لا سَواء.. قتلانا في الجنة، وقتلاكُم في النار.**

هذه الشعارات القوية الرادعة التي كان يرددها المئات من المسلمين، أثرت بصورة عجيبة في نفس رأس الشرك أبي سفيان، ورأى كيف ارتد كيده إلى نحره، ولهذا انزعج بشدة وقال: ألا إن موعدَكم بدر للعام القابل.

ثم انصرف إلى أصحابه، وغادروا جميعاً أرض المعركة راجعين إلى مكة.

وكان على المسلمين الآن ـ وفيهم مئات الجرحى والمصابين وسبعون قتيلاً ـ أن يُصلّوا الظهرَ والعصر ..

وهكذا صلى بهم رسول الله ﷺ جلوساً، وصلّوا معه جلوساً، لما أصابهم من الضعف، ثم أمر رسول الله بدفن الشهداء، عند جبل أحد.

*** نهاية المعركة:**

وَضَعت الحرب أوزارها، وتباعد الجانبان، وقد تحمّل المسلمون من الخسائر في الأرواح ثلاثة أضعاف ماتحمّله المشركون، وازداد الأمر سوء حين استغلت بعض نسوة المشركين كهند بنت عتبة زوجة أبي سفيان إلى التمثيل بجثث الشهداء وتقطيع

الأنامل والأنوف والآذان، وصنع القلائد منها ليرتدينها اعتزازاً بالانتقام! كما عمدت هند إلى شق صدر حمزة بن عبدالمطلب أسد الله ورسوله، فأخرجت كبده ولاكته بين أسنانها، ثم سرعان ما لفظته من فمها! ولذا عُرفت هذه المرأة لاحقاً بلقب آكلة الأكباد.

وقد قال ابن الصباغ المالكي في **الفصول المهمة**: (وروى محمد بن إسحاق إن علياً رضي الله عنه لما فرغ من القتال ناول سيفه فاطمة وأنشد يقول:

أفاطمُ هاكِ السيفَ غيرَ ذميمٍ ... فلستُ برعديدٍ ولا بمُليم

لعمري لقد أعذرتُ في نصرِ أحمد ... وطاعةِ ربٍّ بالعباد عليم) [1]

وعاد المسلمون إلى المدينة في حزن شديد، ولايكاد بيت من بيوتها يخلو من بكاء ونَوحٍ على الشهداء، إلا أن هذه المعركة الأليمة بنتائجها كانت درساً جديداً للمسلمين لينطلقوا من خلاله إلى مواجهة الابتلاءات الأخرى في طريق تحقيق الفتح الكبير.

[1] ابن الصباغ: الفصول المهمة ـ ص ٣٨

غزوة بني النضير :

بعد هزيمة المسلمين في أحُد، فرح منافقو المدينة ويهودها بهذه الانتكاسة، كما باتوا يتحيّنون الفرصة لإثارة القلاقل والفتن في المدينة لإفهام القبائل خارجها بأنه لاتوجد أية وحدة سياسيّة وانسجام اجتماعيّ في مركز الإسلام وعاصمة الحكومة الإسلامية، وأن الفرصة قائمة للإجهاز على دولة النبي الفتية.

وتوجس النبي خيفة مما يضمره اليهود، ولكي يقف على نوايا يهود بني النضير، مشى في جماعة من أصحابه إلى حصنهم، فاكتشف هناك ما صدق ظنه ! لقد قرر سادتهم التخلص من النبي باغتياله غدراً، وذلك بأن يعلو أحدهم على البيت الذي استند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جداره فيلقي عليه صخرة تقتله.

نهض رسول الله من مجلسه سريعاً، كأنه يريد حاجة، وتوجه فوراً إلى المدينة دون أن يخبر أصحابه الذين أتوا معه، بقصده [1]، وبقي أصحابه هناك ينتظرون عودته من حاجته دون جدوى، فأحس اليهود بانفضاح أمرهم مما جعلهم يعيشون حالة من التخبط في اتخاذ القرار في اللحظات القادمة الحاسمة.

فمن جهة خشي قادتهم من ردة فعل النبي، ومن ناحية أخرى أخذ بعضهم يفكّر في المبادرة بقتل أصحاب النبي الموجودين في ضيافتهم، بهدف توجيه ضربة موجعة للمسلمين قد ينصرفون معها عن التفكير في قتالهم !

وقرر الصحابة العودة إلى المدينة، وتم ذلك دون أية مشكلة تذكر، وما أن التقوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أخبرهم عن حقيقة الموقف: **همّت اليهود بالغدر بي، فأخبرني الله بذلك، فقمت** [2].

لقد بات الخيار أمام المسلمين واضحاً، لابد من تأديب بني النضير، وهكذا أرسل

---

١ يبدو أن عدم إخبار أصحابه كان إجراءً احترازياً من رسول الله فرضته ظروف الحادثة.

٢ المقريزي: إمتاع الأسماع - ج ١ - ص ١٧٨

النبي مبعوثه محمد بن مسلمة الأنصاري مبلغاً إياهم ضرورة الجلاء عن المدينة المنورة خلال عشرة أيام، لأنهم نقضوا العهد، وإلا فالموت مصير المتخلفين[1].

وبرز في هذا المقطع الزمني الحساس دور خبيث للمنافقين، فقد راسل بعض زعمائهم ـ كعبدالله بن أبيّ بن سلول ـ اليهود مشجعين إياهم على المقاومة، وأنهم سيكونون في نصرتهم بألفي مقاتل والكثير من الأموال والعتاد إن هم قرروا القتال، فتشجع حيي بن أخطب وآخرون من قادة بني النضير لهذه الأماني، وقرروا خوض المعركة.

عرف النبي بمخططات المنافقين، فعجّل في الخروج إلى حيث يسكن بنو النضير، وأعطى رايته علي بن أبي طالب، وسار إليهم فصلى العصر وضرب قبته هناك، وحاصرهم وقطع الطريق بينهم وبين بني قريظة، واستمر الحصار عدة أيام قام بعدها النبي بقطع بعض أشجار النخيل الخاصة بهم، فضجوا واتهموه بالإفساد في الأرض، فنزل قوله تعالى ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾[2].

أما المنافقون، فإنهم خذلوا اليهود ولم ينصروهم، مما حدى بهم للاستسلام مقابل أن يسمح لهم النبي بحمل ما تستطيع إبلهم حمله من متاع ماعدا السلاح والدروع.

وهكذا انتهت هذه الغزوة ـ التي جرت في ربيع الأول من العام الهجري الرابع ـ بهذا القرار المذل، وخرج بنو النضير نحو خيبر، يحملون كل ما استطاعوا حمله، حتى أن أحدهم كان يقلع باب بيته فيضعه على الناقة، ثم يهدم بيته لئلا يستفيد المسلمون منه لاحقاً!

---

١ جله في أحد بنود الميثاق: ألاّ يعينوا ـ أي بنو النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع ـ على رسول الله ، ولا على أحد من أصحابه، بلسان و لا يد ولا بسلاح ولا بكراع في السرّ والعلانية، لا بليل ولا بنهار، والله بذلك عليهم شهيدٌ، فإن فعلوا فرسول الله في حل من سفك دمائهم، وسبي ذراريهم، ونسائهم، وأخذ أموالهم

٢ الحشر/٥

وقد تحدثت سورة الحشر عن بعض أجواء هذه الغزوة، فقد قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [1].

ولابد من الإشارة إلى أن المؤرخين اختلفوا في تحديد مدة الحصار ما بين ستة إلى خمسة عشر يوماً، كما أنهم اختلفوا في وقوع القتال بين الطرفين.

وقد ذكر المقريزي أن علياً عليه السلام فُقِد في إحدى ليالي هذه الغزوة، فقال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: **إنه في بعض شأنكم.**

وسرعان ما جاء علي عليه السلام يحمل رأس عزوك [2] اليهودي الذي عُرف عنه شدة بأسه، حيث كمن له علي حتى خرج في نفر من اليهود أرادوا أن يأخذوا المسلمين على حين غرة، فشدّ عليه، فقتله وفرّ من معه من اليهود [3].

روى المؤرخون أن الإمام لما جاء برأس اليهودي وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم سأله: **كيف صنعت ؟**

فقال الإمام: **إني رأيت هذا الخبيث جرياً شجاعاً، فكمنت له وقلت: ما أحراه أن يخرج إذا اختلط الليل يطلب منا غرة. فأقبل مصلتاً بسيفه في تسعة نفر من اليهود، فشددت عليه فقتلته، وأفلت أصحابه ولم يبرحوا قريباً، فابعث معي نفراً فإني أرجو أن أظفر بهم.**

فبعث معه عشرة فيهم أبو دجانة وسهل بن حنيف فأدركوهم قبل أن يلجوا الحصن، فقتلوهم وجاءوا برؤوسهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأمر أن تُطرح في بعض آبار بني حطمة وكان ذلك سبب فتح حصون بني النضير.

---

١ الحشر / ٢

٢ وقيل أن اسمه عزور أو غزول

٣ المقريزي: إمتاع الأسماع - ج ١ - ص ١٨٠

قال العلامة الأمين: ثم تلا غزوة بني النضير غزوات أخرى غير مهمة، كغزوة بدر الموعد وحمل لواء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها علي بن أبي طالب، وغزوتي ذات الرقاع ودومة الجندل وغيرهما، ولم يذكر المؤرخون مع من كان لواؤه فيهما، ولا بد أن يكون مع علي فقد صرح المؤرخون أنه لم يتخلف عنه في غزاة غير تبوك، وأنه صاحب لوائه في المواقف كلها [1].

[1] الأمين: أعيان الشيعة ـ ج ١ ـ ص ٣٦٢

غزوة الخندق (الأحزاب):

* ظروف الغزوة:

في العام الخامس للهجرة، تحرك حيي بن أخطب مع جمع من قادة بني النضير بهدف إثارة قريش وبعض قبائل المشركين ضد النبي، فوجد الأجواء إيجابية، أبرمت على إثرها اتفاقية بين هذه الأطراف لتشكيل قوة تحالف ضخمة تهدف لغزو المدينة المنورة والقضاء على النبي والإسلام قضاء نهائياً.

وهكذا تشكل جيش الأحزاب من قريش وبني فزارة وبني مُرّة وبني أشجع وبني أسد وبني سليم، يعاضدهم اليهود، حتى بلغ قوام الجيش أكثر من عشرة آلاف مقاتل مدججين بالسلاح والدروع.

بلغ الخبر النبيَّ، فاستشار أصحابه، وأشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق من الجهة الشمالية للمدينة، لأنها هي الجهة المكشوفة التي سيهجم من خلالها الأعداء، إذ أن الجهة الجنوبية كانت عبارة عن مزارع واسعة للنخيل يصعب اختراقها.

أما من ناحية الشرق والغرب فقد كانت طبيعة الأرض عائقاً أمام تحرك القوات وتنقلهم، لأنها مليئة بالحجارة السوداء الكبيرة والصلبة، والتي يصعب السير عليها أو فيما بينها، كما أن المنطقتين تخترقها الجبال الوعرة التي تفرض على مثل هذا الجيش أن يسلك طريقاً ينتهي به إلى شمال المدينة المنورة، كما حدث بالنسبة إلى معركة أحد.

أخذ النبي بمشورة سلمان، وبدأ المسلمون بحفر خندق يبلغ مداه أكثر من خمسة كيلومترات، وبعرض خمسة أمتار، وبعمق خمسة أمتار أيضاً. ولم يفتّ من عزم النبي وصحبه صعوبة الظروف من حيث شدة البرد وقلة الزاد ومسابقة الزمن لإنهاء هذا العمل الضخم بالوسائل البسيطة المتاحة لهم وقبل وصول الأحزاب.

* أحداث الغزوة:

ما إن أنجز حفر الخندق حتى وصلت قوات الأحزاب فتفاجأت بالمشهد أمامها، إذ لا مجال للتقدم أكثر من ذلك، فأجبرت تلك القوات على التموضع شمال الخندق، أما المسلمون فقد تمركزوا على الضفة الجنوبية منه. واستمر الوضع على هذا المنوال قرابة الشهر، واجه خلالها الطرفان ظروفاً صعبة.

فمن جهة كان الجو قارس البرودة، كما أن الغزاة لم يتوقعوا أن يبقوا عاجزين عن الهجوم بسبب الخندق، الأمر الذي سبب لبعض الأطراف ضجراً من الحالة التي استمرت أسابيع دون أن يتغير شئ في مجريات الأحداث، ودون أن يلوح في الأفق أي احتمال لوقوع معركة بين الطرفين.

أما المسلمون فقد عانوا أيضاً من خيانة المنافقين في موقف ليس هو الأول من نوعه، حيث انسحبوا مجدداً ـ وكما حدث في معركة أحد ـ مع جمع ممن لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، حتى قُدِّر عددهم في بعض المصادر بما يقارب ثلث جيش المدينة ! كما أن خوف المسلمين من تمكن جيش الأحزاب من عبور الخندق بنحو ما، وهم بهذا العدد الضخم والتسليح الكامل، أدخل الرعب في نفوسهم، فزاد من معاناتهم وضعف من هممهم.

وبدأت بعض التحركات السرية تجري لدفع يهود بني قريظة لنقض عهدهم مع المسلمين، وفتح جبهة في جنوب المدينة المنورة بغرض إشغل المسلمين وتشتيت جهودهم.

وكادت الخطة أن تنجح لولا أن تمكنت عمة النبي صفية بنت عبدالمطلب من قتل جاسوس يهودي كان يحوم حول بيوت المدينة في ظل غياب الرجال، ومن ثم أرسلت من أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالحادثة، فسارع إلى إرسال قوة من خمسمائة مقاتل، وأمرهم بأن يدخلوا المدينة مكبرين بصوت عال، ليُسمعوا اليهود وليُدخلوا في قلوبهم الرعب، فأحجم يهود بني قريظة عن التمادي في غيهم، وفسد عليهم الأمر.

وقد تحدثت الآيات القرآنية في سورة الأحزاب واقع حال المعركة وظروفها الصعبة إذ قال الله ﷻ ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝١٣ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ۝١٤ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ۝١٥ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٦ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝١٧ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٨ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝١٩ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢٠ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ۝٢٢ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم

مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1].

* برز الإيمان كله إلى الشرك كله:

وفي خضم أحداث الحصار، استطاع عمرو بن عبد ود العامري أن يعبر الخندق على فرسه مع أربعة من أشجع الرجال في معسكر المشركين، وبدأ يتحدى المسلمين طالباً منهم المبارزة، إلا أن أحداً لم يجرؤ على مواجهته سوى علي عليه السلام. ولندع النصوص تتحدث عن هذه المواجهة الحساسة في مجريات أحداث غزوة الأحزاب.

روى العلامة المجلسي عن الواقدي وابن إسحاق الحادثة بالصورة التالية: (خرج عمرو بن عبد ود يوم خندق وقد كان شهد بدراً فارتث جريحاً [2] ولم يشهد أحُداً، فحضر الخندق شاهراً نفسه معلماً [3] مدلاً بشجاعته وبأسه، وخرج معه ضرار بن الخطاب الفهري وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزوميون، فطافوا بخيولهم على الخندق إصعاداً وانحداراً يطلبون موضعاً ضيقاً يعبرونه حتى وقفوا على أضيق موضع فيه في المكان المعروف بالمزار، فأكرهوا خيولهم على العبور فعبرت وصاروا مع المسلمين على أرض واحدة، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس وأصحابه قيام على رأسه، فتقدم عمرو بن عبد ود فدعا إلى البراز مراراً فلم يقم إليه أحد فلما كثر قام علي عليه السلام فقال: **أنا أبارزه يا رسول الله**.

فأمره بالجلوس، وأعاد عمرو النداء والناس سكوت كأن على رؤوسهم الطير، فقال عمرو: **أيها الناس إنكم تزعمون أن قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار أفما يحب أحدكم أن يقدم على الجنة أو يقدم عدواً له إلى النار ؟!**

---

١ الأحزاب ١٠ - ٢٤

٢ ارتث: حُمل من المعركة جريحاً

٣ معلماً = جعل له علامة يعرف بها ليُرى مكانه

فلم يقم إليه أحد ، فقام علي عليه السلام دفعة ثانية وقال: **أنا له يا رسول الله.**

فأمره بالجلوس، فجال عمرو بفرسه مقبلاً ومدبراً وجاءت عظماء الأحزاب فوقفت من وراء الخندق ومدت أعناقها تنظر، فلما رأى عمرو أن أحداً لا يجيبه قال: ولقد بححت من النداء بجمعهم هل من مبارز

ووقفت إذ جبن الشجاع موقف القرن المناجز

إني كذلك لم أزل متسرعاً قبل الهزاهز

إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

فقام علي عليه السلام فقال: **يا رسول الله ائذن لي في مبارزته.**

فقال: **ادنُ.**

فدنا فقلّده سيفه وعممه بعمامته وقال: **امضِ لشأنك.**

فلما انصرف قال: **اللهم أعِنه عليه.**

فلما قرب منه قال له مجيباً إياه من شعره:

لا تعجلنّ فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز

ذو نية وبصيرة يرجو بذاك نجاة فائز

إني لآمل أن أقيم عليك نائحة الجنائز

من ضربة فوهاء يبقى ذِكرُها عند الهزاهز

فقال عمرو: **من أنت ؟**

وكان عمرو شيخاً كبيراً قد جاوز الثمانين وكان نديم أبي طالب في الجاهلية [1].

فانتسب علي عليه السلام له وقال: **أنا ابن أبي طالب.**

فقال: **أجل، لقد كان أبوك نديماً لي وصديقاً، فارجع فإني لا أحب أن أقتلك.**

كان شيخنا أبو الخير مصدق بن شبيب النحوي يقول [2]: إذا مررنا في القراءة عليه

---

١ نديم = صاحب . ولعل الصحيح أن أبه كان نديماً لأبي طالب كما في النص الذي رواه ابن عساكر - وسيأتي - وبذا لا حاجة لتكبير سن عمرو بن عبدود ليبلغ الثمانين أو التسعين كما ذكرت بعض النصوص في محاولة لتقريب النص إلى الحقيقة .

٢ هذا المقطع من كلام ابن أبي الحديد المعتزلي

بهذا الموضع: والله ما أمره بالرجوع إبقاءً عليه بل خوفاً منه، فقد عرف قتلاه ببدر وأحُد، وعلم أنه إن ناهضه قتله، فاستحيا أن يُظهر الفشل فأظهر الإبقاء والإرعاء وإنه لكاذب فيها.

قالوا: فقال له علي عليه السلام: **لكني أحب أن أقتلك.**

فقال: **يا ابن أخي إني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك فارجع ورائك خيراً لك.**

فقال علي عليه السلام: **إن قريشاً تتحدث عنك أنك قلت: لا يدعوني أحد إلى ثلاث إلا أجيب، ولو إلى واحدة منها.**

قال: **أجل.**

قال: **فإني أدعوك إلى الاسلام.**

قال: **دع هذه.**

قال: **فإنني أدعوك إلى أن ترجع بمن يتبعك من قريش إلى مكة.**

قال: **إذاً تتحدث نساء قريش عني أن غلاماً خدعني!**

قال: **فإني أدعوك إلى البراز راجلاً.**

فحمي عمرو وقال: **ما كنت أظن أحداً من العرب يرومها مني.**

ثم نزل فعقر فرسه ـ وقيل ضرب وجهه ففر ـ وتجاولا، فثارت لهما غبرة وارتهما عن العيون إلى أن سمع الناس التكبير عالياً من تحت الغبرة، فعلموا أن علياً قتله، وانجلت الغبرة عنهما وعلي راكبٌ صدرَه يجزّ رأسه، وفرّ أصحابه ليعبروا الخندق فظفرت بهم خيلهم[1]، إلا نوفل بن عبد الله، فإنه قصر فرسه فوقع في الخندق، فرماه المسلمون بالحجارة، فقال: **يا معشر الناس أكرموا من هذه**[2].

---

١ أي مكّنتهم خيلهم من العرب بعبور الخندق إلى ضفة المشركين

٢ أي ترافعوا عن رمي بالحجارة

فنزل إليه علي عليه السلام فقتله، وأدرك الزبير هبيرة بن أبي وهب فضربه فقطع قربوسه وسقطت درعٌ كان حملها من ورائه، فأخذه الزبير...) [1].

وروى خبر المبارزة بين علي وعمرو بن عبد ود الحافظ ابن عساكر في ترجمة الإمام علي من **تاريخ دمشق** بسنده عن ابن عباس أنه سمع الخليفة عمر بن الخطاب يقول: (جاء عمرو بن عبد ود فجعل يجول على فرسه حتى جاز الخندق وجعل يقول: **هل من مبارز ؟**

وسكت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **هل يبارزه أحد ؟**

فقام علي فقال: **أنا يا رسول الله.**

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **اجلس.**

فقال رسول الله في الثانية: **هل يبارزه أحد ؟**

فقام علي فقال: **دعني يا رسول الله، فإنما أنا بين حسنتين إما أن أقتله فيدخل النار، وإما أن يقتلني فأدخل الجنة.**

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **اخرج يا علي.**

فخرج علي، فقال عمرو: **من أنت يا ابن أخي ؟**

فقال: **أنا علي.**

فقال عمرو: **إن أباك كان نديماً لأبي، لا أحب قتالك.**

فقال علي: **إنك أقسمت لا يسألك أحد ثلاثاً إلا أعطيته فاقبل مني واحدة.**

فقال عمرو: **وما ذلك ؟**

قال علي: **أدعوك إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.**

قال عمرو: **ليس إلى ذلك سبيل.**

قال: **فترجع فلا تكون علينا ولا معنا ثلاثاً.**

---

[1] المجلسي: بحار الأنوار ـ ج ٣٩ ـ ص ٥ - ٧

قال: **إني نذرت أن أقتل حمزة فسبقني إليه وحشي، ثم إني نذرت أن أقتل محمداً.**

قال علي رضي الله عنه: **فانزل.**

فنزل فاختلفا في الضربة فضربه علي فقتله.

وروى بسند آخر في حديث قال له علي: **يا عمرو قد كنت تعاهد الله لقريش ألا يدعوك رجل إلى خلتين إلا قبلت منه إحداهما.**

فقال عمرو: **أجل.**

فقال له علي: **فإني أدعوك إلى الله وإلى رسول الله وإلى الإسلام.**

قال عمرو: **لا حاجة لي في ذلك.**

فقال: **فإني أدعوك إلى النزاع.**

فقال له: **يا ابن أخي لِـمَ ؟ فوالله ما أحب أن أقتلك.**

فقال علي: **لكني والله أحب أن أقتلك.**

فحمي عمرو فاقتحم عن فرسه فعقره، ثم أقبل فجاء إلى علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي، وخرجت خيلهم منهزمة هاربة حتى اقتحمت من الخندق)[1].

وروى الكراجكي وآخرون بأنه لما برز علي لعمرو بن عبد ود قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **برز الإيمان كله إلى الشرك كله**[2].

كما نقل البيهقي جانباً من الحدث كما يلي: (خرج ـ يعني يوم الخندق ـ عمرو ابن عبد ود فنادى: **من يبارز ؟**

فقام علي وهو مقنّع في الحديد ـ إلى أن قال ـ : فقال له عمرو: **من أنت ؟**

قال: **أنا علي.**

قال: **ابن عبد مناف ؟**

فقال: **أنا علي بن أبي طالب.**

---

١ ابن عساكر: تاريخ دمشق ـ ج ١ ـ ص ١٥٠

٢ الكراجكي: كنز الفوائد ص ١٣٦

فقال: غيرُك يا ابن أخي، من أعمامك مَن هو أسن منك، فإني أكره أن أهريق دمك !

فقال علي رضي الله عنه: لكني والله ما أكره أن أهريق دمك.

فغضب فنزل وسلّ سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي رضي الله عنه مغضباً واستقبله علي رضي الله عنه بدرقته فضربه عمرو في الدرقة فقدّها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجّه، وضربه علي رضي الله عنه على حبل العاتق فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير فعرف أن علياً رضي الله عنه قد قتله) [1].

وقد أضاف أخطب خوارزم بعد النص السابق العبارة التالية: (ثم أقبل علي عليه السلام نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يتهلل نوراً) [2].

قال ابن الصباغ المالكي: (ثم ركب علي رضي الله عنه على فرسه وكرّ على ابنه حسل ابن عمرو فقتله، فخرجت خيولهم مهزمة، ورمى عكرمة بن أبي جهل رمحه وفرّ منهزماً مع من انهزم من أصحابه، فرجع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول:

أعلي تفتخر الفوارس هكذا ... عني وعنهم سائلوا أصحابي

اليوم تمنعني الفرار حفيظتي ... ومصمم في الرأس ليس بناب

أرديت عَمراً إذ طغى بمهنّد ... صافي الحديد مجرّب قضاب

هذا ابن عبد الود كذب قوله ... وصدقت فاستمعوا إلى الكذاب

نصَر الحجارةَ من سفاهةِ رأيه ... ونصرتُ دين محمد بضِرَاب

فصددت حين تركته متجدلاً ... كالجذع بين دكادك ورواب

وعففت عن أثوابه ولو أنني ... كنت المقطّر بزني أثوابي [3]

لا تحسبن الله خاذل دينه ... ونبيه يا معشر الأحزاب) [4]

---

١ البيهقي: السنن الكبرى ـ ج ٩ ـ ص ١٣٢

٢ أخطب خوارزم: المناقب ـ ص ١٠٢

٣ المقطر = المصروع صرعة شديدة. بزني أثوابي = أثوابي المقطعة لكي تُسلب

٤ ابن الصباغ: الفصول المهمة ـ ص ٤٣

كما روى الحلبي في سيرته: (في تفسير الفخر أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي كرم الله وجهه بعد قتله لعمرو بن ود: **كيف وجدت نفسك معه يا علي ؟**

قال: **وجدته لو كان أهل المدينة كلهم في جانب وأنا في جانب لقدرت عليهم**)[1].

وقد أنشد حسان بن ثابت أبياتاً في المناسبة قال فيها:

أمسى الفتى عمرو بن ود قد يرى ... بجنوب يثرب غارة لم ينظر

ولقد وجدت سيوفنا مشهورة ... ولقد وجدت رماحنا لم تقصر

ولقد رأيت غداة بدر عصبة ... ضربوك ضربا ليس ضرب المحضر

أصبحت لا تدعي ليوم عظيمة ... يا عمرو كلا والإله الأكبر [2]

ولبيان قيمة هذا النصر العظيم صدرت عن النبي عدة كلمات رواها المؤرخون والمحدثون، منها ما رواه الحاكم النيسابوري في **المستدرك** والرازي في **تفسيره الكبير** والموفق الخوارزمي في **المناقب** عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ود أفضل من عمل أمتي إلى يوم القيامة** [3].

وروى الحلبي صاحب السيرة أنه لما سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم التكبير: (عرف أن علياً كرم الله وجهه قتل عمراً لعنه الله، وذكر بعضهم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند ذلك قال: **قَتْل عليٍّ لعمرو بن عبد ود أفضل من عبادة الثقلين**.

قال الإمام أبو العباس بن تيمية: وهذا من الأحاديث الموضوعة التي لم ترد في شيء من الكتب التي يعتمد عليها، ولا بسند ضعيف، وكيف يكون قَتْل كافر أفضل من عبادة الثقلين الإنس والجن ومنهم الأنبياء ؟ قال: بل إن عمرو بن عبد ود هذا لم يُعرف له ذكر إلا في هذه الغزوة.

أقول: ويرد قوله **إن عمرو بن عبد ود هذا لم يعرف له ذكر إلا في هذه الغزوة**، قول

---

١ الحلبي: السيرة الحلبية ـ ج ٢ ـ ص ٦٤٣

٢ ابن الصباغ: الفصول المهمة ـ ص ٤٤

٣ الحاكم: المستدرك ـ ج ٣ ـ ص ٣٢ والرازي: التفسير الكبير ـ ج ٣٢ ـ ص ٣١ والخوارزمي: المناقب ـ ص ١٠٧

الأصل [1]، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، فلم يشهد يوم أحد، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً، أي جعل له علامة يعرف بها ليرى مكانه.

ويردّه أيضاً ما تقدم من أنه نذر أن لا يمس رأسه دهناً حتى يقتل محمداً ﷺ.

واستدلاله بقوله وكيف يكون إلى آخره، فيه نظر، لأن قتل هذا كان فيه نصرة للدين وخذلان للكافرين) [2].

* نهاية الغزوة:

طال أمد الحصار، واشتد الأمر على الطرفين، فعمد النبي إلى تدبير خطة لإفساد الأمر بين اليهود والمشركين، وبين الأحزاب أنفسهم، فبعث من يحدث الفتنة بينهم حتى أثمرت الخطة، وتفكك تحالف الشيطان، وصعد النبي الأكرم ﷺ على جبل سلع ودعا الله ﷻ أن ينصر المؤمنين ويهلك الكافرين، فأرسل الله ريحاً شديدة أزالت متاع المشركين وشتّتت خيولهم وإبلهم، وفرقت جمعهم، فقرروا الرحيل أذلاء خائبين.

قال ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [3].

---

١ لما كان الحلبي الشافعي قد ألف هذه السيرة اعتماداً على كتابين أحدهما كتاب عيون الأثر لمؤلفه ابن سيد الناس، فإنه كلما قال (قول الأصل أو قال في الأصل) فإنه يشير إلى هذا الكتاب.

٢ الحلبي: السيرة الحلبية ـ ج ٢ ـ ص ٦٤٢ - ٦٤٣

٣ الأحزاب/٩

غزوة بني قريظة:

على أثر خيانة اليهود من بني قريظة، قرر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم غزوهم، فبمجرد أن عادت قوات المسلمين إلى المدينة المنورة بعيد انسحاب الأحزاب، أعلن رسول الله بعد صلاة الظهر أن: **من كان سامعاً مطيعاً، فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة.**

ثم عقد النبي الراية لعلي عليه السلام، وخرج معه جنود الإسلام، فحاصروا حصون بني قريظة، ودبَّ الرعب في قلوبهم، وبدأت مساعيهم لثني النبي عن عزمه، إلا أنها باءت بالفشل.

وروى المولوي محمد مبين الهندي في **وسيلة النجاة** عن ابن إسحاق أنه قال: (حدثني من أثق به من أهل العلم أن علي بن أبي طالب صاح... : **لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأفتحن حصنهم.**

فقالوا: **يا محمد!**

فنزلوا على حكم سعد بن معاذ)[1].

وروي أنه عليه السلام صاح: **يا كتيبة الإسلام**[2].

وهكذا قرر يهود بني قريظة الاستسلام للمسلمين، ففتحوا الأبواب، ودخل علي عليه السلام على رأس كتيبة خاصة لنزع سلاحهم، ثم حبسوهم في منازل بني النجار إلى أن يقرر النبي مصيرهم.

عرض رسول الله اسم سعد بن معاذ ليكون هو من يقرر مصير اليهود، وقبلوا هم بذلك، فأصدر حكماً بقتل رجالهم وسبي نسائهم وذراريهم وتقسيم أموالهم. فقد ارتأى سعد أن العفو عن رجالهم سيكرر تجرؤهم وتجييشهم الرجال ضد المسلمين كما فعل بنو قينقاع وبنو النضير من قبل، بعد أن صدر العفو النبوي بحقهم.

---

١ المولوي الهندي: وسيلة النجاة ـ ص ٨٥

٢ الحضرمي: وسيلة المآل ـ ص ١٣٧

غزوة المريسيع:

وهي غزوة بني المصطلق، وتعود أحداثها إلى شهر شعبان من العام الخامس الهجري حين بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن بني المصطلق يجمعون له، وقائدهم الحارث ابن أبي ضرار [1]... فلما سمع رسول الله بهم خرج إليهم، حتى لقيهم على ماء لهم يقال له: **المريسيع** من ناحية **قديد** إلى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا، فهزم الله بني المصطلق، وقُتل من قُتل منهم، ونفل رسول الله أبناءهم ونساءهم وأموالهم، فأفاءهم عليه [2].

وفي **الإرشاد**: (كان من بلاء علي عليه السلام ببني المصطلق ما اشتهر عند العلماء... فقتل أمير المؤمنين عليه السلام رجلين من القوم وهما مالك وابنه، وأصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم سبياً كثيراً، وكان ممن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، وكان الذي سبى جويرية أمير المؤمنين عليه السلام، فجاء بها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأعتقها وتزوجها [3].

---

١ وهو أبو جويرية بنت الحارث، التي أصبحت لاحقاً زوج رسول الله.

٢ ابن هشام: السيرة النبوية ـ ج ٣ ـ ص ٧٥٨

٣ المفيد: الإرشاد ـ ج ١ ـ ص ١١٨

صلح الحديبية:

في غرة ذي القعدة من العام السادس الهجري عقد النبي صلى الله عليه وآله العزم على أداء العمرة، فخرج مع ألف وستمائة من أصحابه نحو مكة المكرمة ولواؤه بيد علي عليه السلام، وأرسل مبعوثاً إلى مكة يخبر أهلها عن نيته، فاعترضته قريش تمنعه، فغيّر النبي مساره حتى إذا بلغ الحديبية تواجه مع المشركين من جديد، فعرض النبي على أصحابه أن يبايعوه، فبايعوه تحت الشجرة فيما يعرف ببيعة الشجرة أو بيعة الرضوان.

وجرت الأحداث بحيث اتفق الطرفان على الصلح وتأجيل العمرة إلى العام المقبل، وكتبا ذلك، فكان الإمام علي عليه السلام كاتب رسول الله، ونزلت الآيات القرآنية تتحدث عن ذلك، قال عز وجل ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنۢهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[1].

جاء في **الإرشاد**: (وقد روى الناس لأمير المؤمنين علي في غزاة الحديبية بعد الذي ذكرنا فضيلتين اختص بهما وانضافا إلى فضائله العظام ومناقبه الجسام، فروى إبراهيم بن عمرو عن رجاله عن فائد مولى عبد الله بن سالم قال: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة الحديبية نزل الجحفة، فلم يجد فيها ماءً، فبعث سعد بن مالك

---

١ الفتح/١٨ - ٢٤

حتى إذا كان غير بعيد رجع سعد بالروايا وقال: **يا رسول الله، ما أستطيع أن أمضي، لقد وقفَت قدماي رعباً من القوم.**

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **اجلس.**

ثم بعث رجلاً آخر، فخرج بالروايا حتى إذا كان بالمكان الذي انتهى إليه الأول رجع، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **لم رجعت ؟**

قال: **والذي بعثك بالحق نبياً ما استطعت أن أمضي رعباً.**

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام فأرسله بالروايا وخرج السقاة وهم لايشكّون في رجوعه لما رأوا من جزع من تقدمه، فخرج علي بالروايا حتى ورد الحرار[1] واستقى، ثم أقبل بها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولها زجل[2]، فلما دخل كبّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعا له بخير) [3].

---

١ الحرة = أرض ذات حجارة لحرة سوداء اللون ، والجمع : حرار

٢ الزجل = رفع الصوت

٣ المفيد : الإرشاد ـ ج ١ ـ ص ١٢١ – ١٢٢ وتكتفي هنا بهذه الفضيلة.

غزوة خيبر:

كانت مدينة خيبر بنفوسها العشرين ألفاً وحصونها السبعة [1] مركزاً لإثارة الفتن ضد المسلمين، ولذا قرر النبي صلى الله عليه وآله القضاء على بؤرة الفساد هذه، فدفع راية بيضاء لعلي عليه السلام وتحتها ألف وستمائة مقاتل. وعُرفت تلك الحصون بمَنَعتها، لأسوارها العالية وموقعها المرتفع عن الأرض وأبراجها المطلة على المنطقة المحيطة، فلم يكن باليسير فتحها جميعاً، ومن هنا عمد النبي لإسقاط حصن تلو الآخر في عملية لم تخلُ من بطء نسبي بسبب عنف المواجهات بين الطرفين.

وشهدت أحداث المعركة أن أصيب علي عليه السلام بالرمد في عينيه، فأقعدته شدة الآلام وصعوبة الرؤية و منعته من الاستمرار في تولي أمر الراية وقيادة الجيش المقتحم. فعقد النبي الراية لأبي بكر وأمره أن يقتحم إحدى الحصون بمن معه من المسلمين، إلا أنه عاد دون تحقيق نتيجة إيجابية، فقدم النبي عمر بن الخطاب لذات الأمر، ولكن النتيجة كانت سيان.

تلقى النبي ـ بعدم الارتياح ـ نبأ عودة القائدين العسكريين دون تحقيق انتصار على الحصن الذي يقع تحت إمرة مرحب اليهودي، فقال صلى الله عليه وآله: **لأعطينَّ الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار** [2].

ولما بلغ ذلك علياً عليه السلام وهو في خيمته قال: **اللهم لا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت.**

وفي صبيحة الغد، التفَّ المسلمون حول رسول الله كلٌّ يتطاول لينال شرف أخذ الراية، إلا أن أحداً منهم لم ينل ذلك الشرف، سوى علي عليه السلام، إذ أخذ رسول الله يقول: **أين علي ؟ ائتوني بعلي.**

---

١ وهي: ناعم و القموص و الكتيبة و النطة و شقّ و سطح و سلالم.

٢ أو قال: يفتح الله على يديه غير فرار.

جاء علي يقوده أحد المسلمين لضعف بصره من شدة الرمد، فمسح النبي رضابه بأنامله الكريمة على عينيه، فما عدا أن شفيت عيناه كأن لم يكن بهما بأس أبداً، ثم دفع إليه الراية، ودعا له بالنصر، وأمره بأن يدعو القوم إلى الإسلام، وقال له: **ياعلي، لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ من أن يكون لك حمر النعم** [1].

فإن أبوا فليعرض عليهم السلام مقابل دفع الجزية، فإن أبوا فالقتال.

وفي تعليق على هذه القضية قال علي بن يونس العاملي: (لو دانى علياً في الشجاعة بطل، لما اختص بضرب المثل [2]، كسخاء حاتم، وقد تبين من رب العباد أن محبته في مقابلة الجهاد [3]، ولذلك مدح النبي صلى الله عليه وآله علياً على الكر والإقدام، وذمَّ غيره على الفرار والإحجام، واستأذنه حسان بن ثابت أن يقول في وصف الحال، فأذن له فقال:

وكان علي أرمد العين يبتغي ... دواءً فلما لم يحس مداويا

شفاه رسول الله منه بتفلة ... فبورك مرقيا وبورك راقيا

وقال سأعطي الراية اليوم صارماً ... حميا مجيبا للرسول مواليا

يحب إلهي والإله يحبه ... به يفتح الله الحصون الأوابيا

فأصفا بها دون البرية كلها ... علياً وسماه الوزير المواخيا [4]

خرج للمبارزة أحد أبطال اليهود واسمه الحارث، فانكشف المسلمون وثبت علي، فاضطربا ضربات فقتله الإمام عليه السلام [5]، فتقدم أخوه مرحب غاضباً يريد الانتقام وهو يرتجز:

قد علمت خيبرُ أني مرحبُ ... شاكي السلاح بطلُ مجرَّبُ

---

١ حمر النعم = الإبل الحمراء وهي أغلى أنواعها.

٢ إذ يقال: كشجاعة علي

٣ إشارة لقول النبي: يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار

٤ العاملي: الصراط المستقيم - ج ٢ - ص ٢

٥ المقريزي: إمتاع الأسماع - ص ٣١٤

إن غُلــب الــدهر فــإني أغلِــب والقــرن عنــدي بالــدما مخضَّــبُ

فأجابه علي عليه السلام:

أنــا الــذي سمَّــتني أمــي حيــدره ضــرغامُ آجــامٍ وليــثُ قســوره

عَبــل الــذراعين غلــيظ القيصــره كليــث غابــات كريــهُ المنظــره[1]

أوفيكم بالصاع كيل السندره

تبادل البطلان الضربات بالسيف، وأحدثت قوة ضرباتهما دوياً أفزع قلوب الحاضرين، وارتفع سيف علي عليه السلام ليهوي على خوذة مرحب فقدّها، ونزلت الضربة على رأسه فشقته إلى أن وصل السيف إلى أسنانه ! وسقط مرحب على الأرض مضرجاً بدمائه، وصيحات المسلمين تتعالى بالتكبير والتهليل. وقيل أن علياً جاء النبي برأس مرحب [2]. وروى البرزنجي أن مرحباً كان قد تدرّع بدرعين وسيفين ومغفر وعمامتين وحجر مثقوب كالقلنسوة على رأسه [3].

تقدم جمع آخر من مقاتلي اليهود من بينهم داود بن قابوس وربيع بن أبي الحقيق وأبوالبائث ومرة بن مروان وياسر الخيبري نحو علي فهزمهم وقتلهم، ولاحق الفارين نحو الحصن، وتلقى ضربة على درعه فسقط منه، فاقتلع باب الحصن وتدرّع به، ولم يزل في يده وهو يقاتل إلى أن حقق النصر، وقد حاول لاحقاً ثمانية من المسلمين أن يحملوا ذلك الباب ويحركوه فما استطاعوا !

روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (خرجنا مع علي حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برايته، فلما دنى من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من يهود فطرح ترسه من يده فتناول علي باباً كان عند الحصن فترّس به نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه

---

١ كريه المنظره = أي لا يحب منظره الأعداء من شدة الخوف

٢ البيهقي: السنن الكبرى ـ ج ٩ ـ ص ١٣٢

٣ البرزنجي: مقاصد الطالب ـ ص ٨

من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر معي سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه) [1].

وذكر اليعقوبي في تاريخه أن ذلك الباب كان من الصخر وبطول أربعة أذرع وعرض ذراعين[2]. وروي عن جابر بن عبد الله أن علياً حمل الباب على ظهره يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها ـ يعني خيبر ـ [3].

كما روي عن علي عليه السلام قوله: **لما عالجت باب خيبر، جعلته مجنّاً لي، فقاتلتهم به، فلما أخزاهم الله وضعت الباب على حصنهم طريقاً، ثم رميت به في خندقهم.**

وتساءل رجل عن ثقل ذلك الباب عليه، أجاب: **ما كان إلا مثل جُنّتي التي في يدي في غير ذلك المقام**[4].

وقال في موضع آخر: **ما قلعتها بقوة بشرية، ولكن قلعتها بقوة إلهية ونفس بلقاء ربها راضية مرضية** [5].

أما الراوندي في الخرائج فقد قدم تفاصيل أخرى حيث قال: (كان الباب حجراً منقوراً في صخر والباب من الحجر في ذلك الصخر المنقور كأنه حجر رحى، وفي وسطه ثقب لطيف [6]، فرمى أمير المؤمنين عليه السلام بقوسه من يده اليسرى وجعل يده اليسرى في ذلك الثقب الذي في وسط الحجر دون اليمنى لأن السيف كان في يده اليمنى، ثم جذبه إليه فانهار الصخر المنقور وصار الباب في يده اليسرى، فحملت عليه اليهود فجعل ذلك ترساً له وحمل عليهم) [7].

قال العلامة الأمين: (وهذا يدلنا على أن مرحباً كان قد خرج من الحصن ومعه جماعة ليقاتل، وإذا كان الحصن حوله خندق كما مر فلا بد أن يكون مرحب ومن معه

---

١ ابن حنبل: المسند ـ ج ٦ ـ ص ٨

٢ أربعة أذرع = ٢ متر.

٣ الحافظ الذهبي: تاريخ الإسلام ـ ج ٢ ـ ص ١٩٣

٤ المفيد: الإرشاد ص ٦٢

٥ المجلسي: بحار الأنوار ج ٢١ ص ٤٠

٦ لطيف = صغير

٧ الراوندي: الخرائج والجرائح ـ ج ١ ـ ص ١٦٠

عبروا على جسر خشبي صغير عند باب الحصن فوق الخندق، كما هو الشأن في الخنادق التي حول الحصون والمدن، فلما قتل مرحب وعاد من معه هاربين إلى الحصن عبروا على ذلك الجسر، فيمكن أن يكونوا رفعوه لما دخلوا الحصن فأعاده علي ومن معه وعبروا عليه، ويمكن أن يكون علي قد أعجلهم عن رفعه فعبر عليه هو ومن معه، ومثل هذا الجسر يكون عادة صغيراً لا يكفي إلا لعبور النفر القليل في دفعة واحدة، فلذلك لما قلع باب الحصن جعله جسراً على الخندق ليعبر عليه أكثر من معه الذين كانوا خارج الخندق، ولم يعبر معه منهم إلا القليل لضيق الطريق)[1].

وأضاف الأمين: (عن جابر الأنصاري أن علياً حمل الباب يوم خيبر، وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً رواه البيهقي، وفي رواية للبيهقي إن علياً لما انتهى إلى الحصن المسمى القموص اجتذب أحد أبوابه فألقاه بالأرض فاجتمع عليه بعده سبعون رجلاً، فكان جهدهم أن أعادوا الباب مكانه، وجمع بين روايتي السبعين والأربعين بأن الأربعين عالجوا حمله فما قدروا فتكاملوا سبعين فحملوه، وعن الحافظ ابن حجر أنه جمع بين الرواية السابقة: لقد رأيتني في سبعة نفر إلخ، وبين رواية الأربعين، أن السبعة عالجوا قلبه والأربعين عالجوا حمله والفرق بينهما ظاهر).

ثم قال: (ولكن رواية السبعة واردة في الباب الترس والأربعين في باب الحصن فلا حاجة إلى الجمع)[2].

ويبدو أنها قراءة صحيحة للأخبار، فمن خلال مراجعة النصوص وتضارب الأرقام والتدقيق في العبارات يمكن القول أن الإمام عليه السلام قد قلع بابين، الأول هو الذي تترس به، ولم يتمكن ثمانية نفر من حمله، وكان من الحجر، والآخر أكبر منه جعله جسراً للعبور، وهو ما جاء في بعض الأخبار أنه لم يتمكن أربعون أو سبعون نفراً من حمله، ويبدو أنه كان من الحديد، أو مزيجاً من الخشب والحديد.

---

١ الأمين: أعيان الشيعة ـ ج ١ ـ ص ٤٠٥

٢ الأمين: أعيان الشيعة ـ ج ١ ـ ٤٠٥

قال الشاعر ديك الجن [1]:

سطا يوم بدر بأبطاله ... وفي أحد لم يزل يحمل
ومن بأسه فتحت خيبر ... ولم ينجها بابها المقفل
دحى أربعين ذراعا به ... هزبر له دانت الأشبل [2]

وقال ابن زريك [3]:

والباب لما دحاه وهو في سغب ... من الصيام وما يخفى تعبده
وقلقل الحصن فارتاع اليهود له ... وكان أكبرهم عمدا يفنده
نادى بأعلى العلى جبريل ممتدحاً ... هذا الوصي وهذا الطهر أحمده [4]

وقال العلامة الأمين:

وفي خيبر فرّوا برايته أحمد ... يجبّن بعضهم ما لهم صبر
فقال سأعطي رايتي من يجوزها ... بحق ومن دأبه الكر لا الفر
يحب إلهي والإله يحبه ... فتى في يديه النجح والفتح والنصر
تطاولت الأعناق من ذا يحوزها ... فمن حازها يعلو له الشأن والقدر
فأين علي ساعدي قيل أرمد ... فكان دواه الريق وامصح الضر
إلهي عنه الحر والبرد اقصه ... فما ضره من بعد برد ولا حر
فسار بها نحو اليهود مهرولاً ... فنالتهم البؤسى وعمهم الذعر
تنادوا أخو عمرو اتاكم اتاكم ... ففروا سراعاً راجعين وما قروا
وعاجل بالسيف المهند مرحباً ... وقد قدّ منه الهام والبيضة الصخر [5]

---

١ هو الشاعر عبدالسلام بن زغبان الكلبي (١٦١ هـ ـ ٢٣٥ هـ) ، سمي بديك الجن لأن عينيه كانتا خضراوين ، له ديوان شعر
٢ العاملي : الصراط المستقيم ـ ج ٢ ـ ص ٥
٣ طلائع بن زريك ، كان وزيراً للفاطميين (٤٩٥ هـ ـ ٥٥٦ هـ) ، له ديوان
٤ العاملي : الصراط المستقيم ـ ج ٢ ـ ص ٦
٥ الأمين : أعيان الشيعة ـ ج ١ ـ ص ٤٠٦ - ٤٠٧

وهكذا هوت حصون خيبر، وإنجاز آخر عظيم تحقق على يدي أمير المؤمنين عليه السلام في بطولة لم تتكرر وشجاعة لا نظير لها، وهو ما تحدث عنه أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: **وَرَدنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيبر على رجال من اليهود وفرسانها من قريش وغيرها، فتلقونا بأمثال الجبال من الخيل والرجال والسلاح، وهم في أمنع دار وأكثر عدد، كلٌ ينادي ويدعو ويبادر إلى القتال، فلم يبرز إليهم من أصحابي أحدٌ إلا قتلوه حتّى احمرّت الحدق، و دعيت إلى النزال، وأهمّت كل امرئ نفسه، والتفت بعض أصحابي إلي بعض وكلٌ يقول: يا أبا الحسن انهض. فأنهضني رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى دارهم فلم يبرز إليَّ أحد منهم إلا قتلتُه، ولايثبتُ لي فارس إلا طحنتُه، ثم شددتُ عليهم شدّة الليث على فريسته حتى أدخلتهم جوف مدينتهم مسدَّداً عليهم، فاقتلعت باب حصنهم بيدي حتى دخلت عليهم مدينتهم وحدي أقتلُ من يظهر فيها من رجالها، وأسبي من أجدُ من نسائها حتّى افتتحتها وحدي ولم يكن لي فيها معاونٌ إلا الله وحده**[1].

ويناسب هنا أن ننقل كلمات للعلامة الأمين وهو يستخلص العبر من بطولة الإمام علي عليه السلام في هذه الغزوة، قال: (وقد امتاز أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الغزوة كغيرها من الغزوات بأمور لم يشاركه فيها غيره وهي مستفادة من مجموع ما مر:

١ ـ أنه كان صاحب الراية فيها كسائر الغزوات، وإنما أخذها غيره لما كان أرمد، فلما عادوا منهزمين واحد بعد واحد وشفاه الله تعالى من الرمد ببركة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان هو صاحبها.

٢ ـ قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار يفتح الله على يديه.

٣ ـ أنه به كشفت الشدة والهم والجهد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن المسلمين لما انكشفت الأنصار حتى انتهوا إليه في موقفه، فاشتد ذلك عليه وأمسى مهموماً

---

[1] الصدوق: الخصال ـ باب السبعة ـ ص ٣٦٩

وأصاب الناس شدة وجهد، ثم طابت أنفسهم أن الفتح غداً.

٤ ـ أنه لما خرج بالراية لم يمش الهوينا بل أسرع وهرول هرولة فعل الشجاع الباسل الذي لا يبالي بشئ، فجعلوا يقولون له ارفق فلم يقف حتى ركز الراية في أصل الحصن.

٥ ـ شدة خوف اليهود وإيقانهم بأنهم مغلوبون لما سمعوا باسمه.

٦ ـ قتله مرحباً بضربة سمع العسكر صوتها.

٧ ـ قتله مرحباً وفتحه الحصن قبل أن يتتام لحاق الناس به، فإنه ما تتام آخر الناس معه حتى فتح الله لأولهم.

٨ ـ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألبسه درعه وعممه بيده وألبسه ثيابه وشد ذا الفقار في وسطه بيده وأركبه بغلته.

٩ ـ قتله الحارث أخا مرحب وكان معروفا بالشجاعة.

١٠ ـ ثباته حين خروج الحارث وانهزام المسلمين.

١١ ـ إنه لما بلغه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأعطين الراية، قال : **اللهم لا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت.**

فلم يتطاول ولم يتصادر ولم يتساور ولم يستشرف ولم يظهر حب الإمارة....

١٢ ـ أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم له أن يخبرهم بما يجب عليهم من حق الله وقوله له لئن يهدي الله بك إلخ.

١٣ ـ دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم له أن يكفيه الحر والبرد فاستجاب الله له ذلك.

١٤ ـ تترسه بباب لم يستطع قلبه ثمانية نفر.

١٥ ـ قلعه باب الحصن وإلقاؤه على الأرض ووضعه جسراً على الخندق واجتماع سبعين حتى أعادوه [١].

---

[١] الأمين : أعيان الشيعة ـ ج ١ ـ ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦

ويناسب هنا أن نذكر الخبر التالي الذي رواه النسائي في كتابه **خصائص الإمام علي** بسنده عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال لعلي ـ وكان يسير معه ـ : **إن الناس قد أنكروا منك شيئاً، تخرج في البرد في الملاءتين، وتخرج في الحر في الخشن والثوب الغليظ.**

فقال: لم تكن معنا بخيبر ؟

قال: بلى.

قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله **أبابكر وعقد له لواء فرجع، وبعث عمر وعقد له لواء فرجع، فقال رسول الله** صلى الله عليه وآله: **لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ليس بفرار.**

فأرسل إلي وأنا أرمد، فتفل في عيني فقال: اللهم اكفه أذى الحر والبرد.

قال : ما وجدت حراً بعد ذلك ولا برداً [1].

وقد نظم ابن أبي الحديد قصيدة عينية من ثمانين بيتاً في مدح علي عليه السلام وأشار فيها ضمناً إلى قلع باب الحصن بخيبر، قال:

يا هازم الأحزاب لا يثنيه عن ... خوض الحِمام مدجَّج و مدرَّع

يا قالع الباب الذي عن هزِّها ... عجزت أكف أربعون و أربع [2]

وعلى أثر سقوط حصون خيبر، قرر أهل فدك القريبة أن يصالحوا النبي بأن يعطوا كل عام نصف محاصيلهم، على أن يحفظ لهم المسلمون الأمن ويعيشوا في كنف دولة الإسلام.

---

١ النسائي: تهذيب خصائص الإمام علي ـ ص ٢٧ – ٢٨

٢ الشاكري: علي في الكتاب والسنة والأدب ـ ص ٢٢٥

غزوة ذات السلاسل[1]:

في العام الثامن للهجرة [2] وبعد معركة مؤتة، علم النبي صلى الله عليه وآله من بعض مصادره السرية بأن آلافاً من أبناء القبائل العربية قد تحالفوا بينهم في منطقة تدعى **وادي اليابس**، وقرروا القضاء على النبي ودولته. ولذا عمد النبي لإخبار أصحابه وندبهم للحرب، فخرج جماعة منهم للقتال، فتوجهوا نحو الهدف المنشود، وواجهوا قبيلة بني سليم التي كانت إحدى القبائل المتحالفة ضد المسلمين، ولم يقع بينهم قتال، إلا أن كثرة عدد الأعداء دعت المسلمين للانسحاب والعودة إلى المدينة المنورة.

وهناك ... قرر النبي إرسال قوة عسكرية أخرى، ولكنها لم تحقق أهدافها، فعادت فأرسل ثالثةً فعادت كسابقتيها دون تحقيق نتائج إيجابية.

انزعج رسول الله صلى الله عليه وآله من هذه النتائج المخيبة، فاختار مجموعة جديدة من المقاتلين، وأمّر عليهم علياً عليه السلام، وأعطاه الراية ليتوجه إلى بني سليم من فوره فيعود بالنصر المظفر.

دخل الإمام عليه السلام على زوجته فاطمة عليها السلام، وطلب منها أن تأتي له بالعصابة التي كان يشدها على جبينه في اللحظات العصيبة، فترقرقت عيناها بالدموع، إذ كانت تلك هي عصابة الموت التي إذا تعصّب بها زوجها، فإما النصر وإما الشهادة ! وانحنى رسول الله صلى الله عليه وآله على ابنته يكفكف دموعها.

شيّع النبي المقاتلين إلى أن بلغوا مسجد الأحزاب، وعليٌّ في مقدمتهم يمتطي فرساً أبلق، وقد لبس بردين يمانيين، وبيده رمح هندي، وقد قال النبي في شأنه ذلك اليوم: **أرسلته كراراً غير فرار.**

وهكذا تقدم الإمام برجاله، ولكنه سلك طريقاً أخرى غير تلك التي سلكها

---

١ قيل أنها سميت بذلك نسبة إلى وادي يعرف باسم السلسل، أو لله هناك اسمه السلسل ، أو لأن الرمل كان بعضه على بعض كالسلسلة ، وقيل لأن أسرى المشركين ربطوا بالسلاسل. كما أسموها سرية وادي الرمل

٢ وقيل التاسع الهجري

القادة الذين سبقوه، وكان يسير بهم ليلاً ويستريح نهاراً، إمعاناً في مفاجأة العدو.

ولما وصل الإمام فم الوادي، أمر أصحابه بالترجل والاستراحة ليلتهم تلك، فلما كان الفجر صلى بهم، ثم صعد على قمة التلة، وهجم وأصحابه على الأعداء وهم نيام، فقتلوا منهم جماعة، وأسروا آخرين، وولى الآخرون فراراً.

عاد الإمام علي عليه السلام ظافراً، واستقبله النبي وصحبه، وما أن رأى الإمام النبي ترجل من فرسه احتراماً، فقال له رسول الله وهو يربت على كتفه: **اركب، فإن الله ورسوله عنك راضيان.**

اغرورقت عينا علي استبشاراً بهذا القول، فخاطبه النبي قائلاً: **يا علي، لولا أني أشفق أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في المسيح، لقلتُ فيك اليوم مقالاً لا تمر بملأ من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك** [1].

قال السيد الحميري في ذكر هذه السرية:

وفي ذات السلاسل من سليم ... غداة أتاهم الموت المبير

وقد هزموا أبا حفص وعمراً ... وصاحبه مراراً فاستطيروا

وقد قتلوا من الأنصار رهطاً ... فحل النذر أو وجبت نذور

أزار الموت مشيخة ضخاماً ... جحاجحة [2] تسد بها الثغور

هذا وقد روي أن الآيات الأول من سورة العاديات قد نزلت في شأن هذه الغزوة، حيث قال عز وجل ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾ [3].

---

١ المفيد الإرشاد ـ ص ٨٤

٢ جحاجحة = سادة

٣ العاديات/١ ـ ٥

فتح مكة:

* ظروف الغزوة:

عقد النبي صلى الله عليه وسلم في العام السادس الهجري معاهدة صلح بينه وبين مشركي مكة، وكان البند الثالث ينص على أن لكل طرف الحق في عقد تحالف مع من شاء من قبائل العرب، فتحالفت خزاعة مع المسلمين، وتحالفت كنانة مع قريش.

كما نصت المعاهدة على ألا يعتدي أي طرف على الآخر، ولا على حلفائه، إلا أن قريشاً ارتأت أن تجس نبض المسلمين بعد هزيمتهم في مؤتة، فحرضت بني بكر من كنانة على قبيلة خزاعة، وأمدّتهم بالسلاح والرجال.

هجم البكريون على خزاعة ليلاً في غفلة من الرجال، فقتلت منهم وأسرت آخرين وفرّ من استطاع منهم ذلك، ومن بينهم عمرو بن سالم شيخ القبيلة، الذي توجه إلى المدينة شاكياً ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم منشداً أبياتاً من الشعر يستنهضه فيها، فكان فيما قال:

يا رب إني ناشد محمداً	حِلف أبينا وأبيه ألا تلدا
فانصر هداك الله نصراً أعتدا	وادعُ عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا	إن سيم خسفاً وجهه تربّدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا	إن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا	وجعلوا لي في كداء رصدا
هم بيّتونا بالوتير هُجّدا	وقتلونا ركّعاً وسجّدا

وأخذ يكرر قوله: **قُتلنا وقد أسلمنا ... قُتلنا وقد أسلمنا** ... أملاً في استثارة مشاعر المسلمين.

وقد انزعج النبي شديداً من هذا الغدر، وقال له: **نُصرت يا عمرو بن سالم.**

وفي مكة، ندمت قريش على فعلتها، وقرر سادتها إيفاد أبي سفيان إلى المدينة في

محاولة لثني المسلمين عن أي ردة فعل قد تحمل نتائج خطيرة لقريش. وفعلاً توجه أبوسفيان لوحده نحو المدينة، ودخل على ابنته أم حبيبة زوج النبي، فلم تُحسن استقباله، فلجأ إلى بعض أصحاب النبي طالباً منهم الوساطة، إلا أن جهوده فشلت، فقصد علياً عليه السلام، الذي اقترح عليه أن ينادي في المسلمين أن لهم الأمان، ثم يغادر إلى مكة.

قام أبوسفيان في المسجد، ونادى بالأمان للمسلمين، وغادر نحو مكة ودخلها ظناً منه أنه نجح في مسعاه، إلا أن سادة قريش لاموه على أنه لم ينل من النبي أي وعد، واعتبروا أن علياً عليه السلام قد نجح في أخذ الأمان منه دون أن يعطي قريشاً شيئاً في المقابل وقالوا: **ويلك، والله مازاد الرجل على أن لعب بك، فما يغني عنك ما قلت !**

* **المسير نحو مكة:**

أعد النبي قواته لغزو مكة، وحشد جيشاً من عشرة آلاف مقاتل من أهل المدينة والحلفاء، إلا أن جبرئيل عليه السلام نزل على النبي مخبراً إياه بتسريب الخبر عن طريق حاطب بن بلتعة، وكان من المسلمين، إلا أنه خشي أن يصيب أهله ضرر في القتال، فبعث إليهم برسالة سرية مع عجوز اسمها سارة، خبأت هي بدورها الرسالة في ضفيرتها، وتوجهت على عجل نحو مكة المكرمة.

لما علم النبي بذلك، أرسل علياً والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود، ليعترضوا طريق تلك العجوز، فاستنزلوها وفتشوا ما معها، فلم يجدوا شيئاً، فسألوها فأنكرت. قال علي عليه السلام: **إني أحلف بالله، ما كذب رسول الله ولا كُذبنا، ولتخرجنّ لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك !**

علمت العجوز أن لا مجال لها للإنكار، فطلبت من علي أن يعرض عنها، فلما أعرض عنها حلّت ضفيرتها، وأخرجت الرسالة، فأخذها الإمام إلى رسول الله، الذي استدعى بدوره حاطباً ولامه دون أن يعاقبه، لأن حاطباً كان من المهاجرين والمسلمين

السابقين الذين صدق إيمانهم، إلا أنه ضعف في هذا الموقف، وكاد أن يرتكب خيانة عظمى ويحل عليه غضب النبي، لولا أن تم تدارك الأمر بهذه الصورة.

وقد روي أن الله تعالى أنزل آيات من القرآن الكريم في هذه الحادثة، وهي من سورة الممتحنة حيث قال عز اسمه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٥ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٦ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1].

---

[1] الممتحنة/١ - ٩

وصلت كتائب المسلمين إلى مشارف مكة، فأمر النبي بأن يشعل كل رجل منهم ناراً لتضئ سماء مكة، فتدخل الرعب في أهلها، أملاً في أن يستسلموا دون قتال. ولعب العباس بن عبدالمطلب دوراً حساساً في تلك اللحظات، حيث ركب بغلة النبي ونزل إلى مكة لينذرهم ما قد يواجهونه من خطر داهم إن هم أصروا على القتال.

التقى العباس بأبي سفيان، وطلب منه أن يصحبه إلى النبي، ففعل، ودخلا عليه صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: **ويحك يا أباسفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟!**

قال أبوسفيان: **بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره، لقد أغنى عني شيئاً بعدُ.**

فقال النبي: **ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم اني رسول الله ؟**

قال أبوسفيان: **بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، أما والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً !**

غضب العباس من مقولة أبي سفيان هذه، فقال له: **ويحك، أسلم واشهد أن لاإله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، قبل أن يضرب عنقك !**

فما كان من أبي سفيان إلا أن تشهَّد الشهادتين.

خرج الرجلان من عند رسول الله، الذي أمر عمه بأن يحبس أباسفيان عند مضيق الوادي حتى تمر به جنود الله فيراها. وبدأ العرض العسكري المهيب... عشرة آلاف مقاتل مدججين بالسلاح، مقسمين إلى كتائب تحمل ألوية كثيرة ترهب في مسيرها القلوب، وتحبس الأنفاس، ولاسيما الكتيبة الخضراء التي توسطها النبي [1]، وقد ارتدى رجالها الحديد فلا يُرى منهم إلا الحدق !

عاد أبوسفيان إلى مكة يجبّن أهلها، ويطلب منهم الاستسلام، فلا طاقة لهم في مواجهة هذا الجيش الجرار، ونجحت مساعي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في إدخال الرعب في

[1] عرفت بذلك لأن راياتها كانت خضراء

النفوس، ودفع قريش نحو عدم المواجهة، فدخلت قوات المسلمين دون قتال يُذكر، عدا بعض المناوشات الجانبية التي قُتل فيها المعتدون وفرّ منها آخرون.

وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتل جماعة من الرجال والنساء ولو كانوا تحت أستار الكعبة، لخبثهم وسوء أفعالهم، فبعضهم استؤمن له فعفا عنهم وبعضهم قُتل كالحويرث بن نفيل بن كعب الذي كان يؤذي رسول الله بمكة ، قتله علي عليه السلام.

وبلغ علياً عليه السلام أن أخته أم هانئ قد آوت أناساً من بني مخزوم أقرباء زوجها هبيرة بن أبي وهب المخزومي، منهم الحارث بن هشام وقيس بن السائب، فقصد نحو دارها مقنّعاً بالحديد، فقال: **أخرجوا من آويتم**[1].

قال الراوي: فجعلوا يذرقون والله كما يذرق الحبارى خوفاً منه. فخرجت إليه أم هانئ وهي لا تعرفه لأنه مقنَّع بالحديد، فقالت: **يا عبد الله، أنا أم هانئ ابنة عم رسول الله، وأخت علي بن أبي طالب، انصرف عن داري.**

فقال: **أخرجوهم.**

فقالت : **والله لأشكونك إلى رسول الله.**

فنزع المغفر عن رأسه فعرفته، فجاءت تشتد حتى التزمته، قالت: **فديتك، حلفت لأشكونك إلى رسول الله.**

فقال لها: **اذهبي فبرّي قسمك.**

قالت: **فجئت إلى النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **وهو في قبة يغتسل وفاطمة تستره، فلما سمع كلامي قال: مرحباً بك يا أم هانئ وأهلاً.**

فقلت: **بأبي أنت، أشكو إليك اليوم ما لقيت من علي بن أبي طالب.**

فقال رسول الله: **قد أجرتُ من أجرتِ.**

فقالت فاطمة: **إنما جئتِ يا أم هانئ تشكين علياً في أنه أخاف أعداء الله وأعداء رسوله ؟!**

---

١ ذكرنا في فصل شجاعة بني هاشم نفس الحادثة برواية أخرى، فلاحظ .

فقال رسول الله: **لقد شكر الله لعلي سعيه، وأجرتُ من أجارت أم هانئ لمكانها من علي بن أبي طالب.**

توجه النبي نحو المسجد الحرام لتطهيره من الأصنام، وقد جاء في كتاب **الإرشاد:** ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد وجد فيه ثلثمائة وستين صنماً، فقال لعلي عليه السلام: **اعطني يا علي كفاً من الحصى.**

فناوله فرماها به وهو يقول: **قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.**

فما بقي منها صنم إلا خرَّ لوجهه. ثم أمر بها فأخرجت من المسجد فطُرحت وكُسرت [1].

ثم صعد أمير المؤمنين عليه السلام على منكبي رسول الله، واعتلى الكعبة المشرفة وأسقط صنم قريش الأكبر، وكان مصنوعاً من النحاس، وتعالت صيحات التكبير ونداء: **قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.**

جاء في **الإرشاد:** (وفيما ذكرناه من أعمال أمير المؤمنين عليه السلام في قتل من قتل من أعداء الله بمكة، وإخافة من أخاف، ومعونة رسول الله صلى الله عليه وآله على تطهير المسجد من الأصنام، وشدة بأسه في الله، وقطع الأرحام في طاعة الله، أدل دليل على تخصصه من الفضل بما لم يكن لأحد منهم سهم فيه) [2].

التفّت قريش حول النبي طالبةً الغفران، فأطلق نداء العفو العام وقال كلمته الشهيرة: اذهبوا فأنتم الطلقاء. وبهذا حقق الله لنبيه النصر الكبير، وسقطت عاصمة الشرك، لتغدو أم قرى الإيمان من جديد، كما كانت على عهد إبراهيم الخليل عليه السلام، ولتتهاوى معاقل الشرك لاحقاً الواحدة تلو الأخرى، ولتتعاقب وفود القبائل العربية نحو المدينة المنورة معلنة دخولها في الإسلام.

---

١ المفيد: الإرشاد ـ ج ١ ـ ص ١٣٨

٢ المفيد: الإرشاد ـ ج ١ ـ ص ١٣٨

معركتا حنين والطائف:

أعلنت قبائل هوازن وثقيف الحرب على المسلمين بعيد فتح مكة، بتدبير من مالك ابن عوف النصري الذي كان شاباً متحمساً للزعامة، وجد في الظروف التي أعقبت فتح مكة فرصة مواتية لتزعّم العرب، وسحب بساط السيادة من تحت أقدام قريش.

وقد عمد مالك إلى اصطحاب النساء والأطفال والماشية والأموال التي تمتلكها القبيلتان، لتكون حافزاً على القتال والاستبسال، وبعث ثلاثة جواسيس يستطلعون أمور المسلمين. ومن جهة أخرى فقد بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عبدالله بن حدرد الأسلمي لتقصي أمور هوازن.

خرج اثنا عشر ألفاً من المسلمين بقيادة رسول الله لمواجهة هوازن وثقيف، وقد شعر بعض المسلمين بالفخر والاعتزاز لهذا الجيش الجرار، وبعتاده الضخم، متناسين تكتيكات الحروب، والنتائج العكسية التي قد تجلبها الثقة المفرطة بالنفس، وهو ما حكاه القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[1].

وقع تدبير مالك بن عوف على خطة يفاجئ بها هذا الجيش الذي لا يستطيع مواجهته بالطرق الاعتيادية في الحروب، حيث أمر رجاله بالاختباء في واد ينحدر إلى منطقة حنين، خلف الحجارة وفي شغاف الجبال المطلة على الوادي، حتى إذا دخله المسلمون واطمأنوا، باغتوهم بالنبال والرماح والصخور.

وهكذا كان، فبمجرد أن ورد المسلمون الوادي بعيد أداء صلاة الفجر، والظلام مازال يلف المكان إلى حد ما، انهمرت النبال والرماح والصخور كالمطر، محدثة دوياً مرعباً، أجبرت المسلمين على الفرار من ساحة المعركة تاركين النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع بعض المقاتلين من حوله، فالتفت النبي من حوله وبدأ ينادي بأعلى صوته: **يا أنصار الله وأنصار رسوله، أنا عبدالله ورسوله.**

---

١ التوبة/٢٥

ثم أمر عمه العباس بأن ينادي بصوته الجهوري: **يا معشر الأنصار، يا معشر السمُرة** [1].

لم يثبت في بداية الأمر مع رسول الله سوى نفر قليل، كان أمير المؤمنين عليه السلام في طليعتهم، وعمه العباس والفضل ابنه وأبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب. إلا أن النداءات المتكررة أثمرت، ففعاد جمع من المقاتلين بلغ المائة ثم أخذوا في الازدياد تدريجياً حتى أجبروا العدو على الفرار بعد أن قُتل منهم من قتل وأسِر من أسر، ومخلفين وراءهم نساءهم وذراريهم وأموالهم.

وروى ابن شهراشوب في قوله عز وجل ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [2]: (قال الضحاك: ﴿ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يعني علياً وثمانية من بني هاشم. ابن قتيبة في المعارف والثعلبي في الكشف: الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وآله يوم حنين بعد هزيمة الناس: علي والعباس والفضل ابنه، وأبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب ونوفل وربيعة أخواه، وعبد الله بن الزبير ابن عبد المطلب، وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب، وأيمن مولى النبي صلى الله عليه وآله، وكان العباس عن يمينه والفضل عن يساره، وأبو سفيان [3] ممسك بسرجه عند ثفر بغلته [4]، وسائرهم حوله، وعلي يضرب بالسيف بين يديه، وفيه يقول العباس:

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة ... وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا

وقال مالك بن عباد الغافقي:

لم يواس النبي غير بني هاشم ... عند السيوف يوم حنين

---

[1] معشر السمرة = أصحابه الذين بايعوه عند الشجرة قبيل صلح الحديبية. والسمرة نوع من الأشجار

[2] التوبة/ ٢٥ ـ ٢٦

[3] وهو ابن الحارث بن عبدالمطلب، ابن عم النبي

[4] الثفرة: النقرة التي في وسط الشفة

هـرب النـاس غـير تسـعة رهـط فهـم يهتفـون للنـاس أيـن
ثـم قـاموا مـع الـنبي علـى المـوت فـآبوا زينـا لنـا غـير شـين

وقال خطيب منبج:

وقـد ضـاقت فجـاج الأرض جمعـاً علـيهم ثـم ولـوا مـدبرينا
ولـيس دون الـنبي سـوى علـي يقـارع دونـه المتحاربينـا
وعبـاس يصـيح بهـم أثيبـوا ليثبـتهم وهـم لا يثبتونـا
فـأومى جبرئيـل إلى علـي وقـد صـار الثـرى بـالنقع طينـا
فقـال هـو الـوفي فهـل رأيـتم وفيـاً مثلـه في العالمينـا

وقال المرزكي:

ويـوم حـنين إذ ولـوا هزيمـاً وقـد نشـرت مـن الشـرك البنـود
فغـادرهم لـدى الفلـوات صـرعى ولم تغـن المغـافر والحديـد
فكـم مـن غـادر ألقـاه شـلوا عفـير الـترب يلثمـه العبيـد
هـم بخلـوا بأنفسـهم وولـوا وحيـدرة بمهجتـه يجـود

فكانت الأنصار خاصة تنصرف إذ كمن أبو جرول على المسلمين، وكان على جمل أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام هوازن، إذا أدرك أحداً طعنه برمحه، وإذا فاته الناس دفع لمن وراءه، وجعل يقتلهم وهو يرتجز:

أنـا أبـو جـرول لا بـراح حتـى نبـيح القـوم أو نبـاح

فنهد له أمير المؤمنين عليه السلام فضرب عجز بعيره فصرعه، ثم ضربه فقطره ثم قال:

قـد علـم القـوم لـدى الصـباح أنـي لـدى الهيجـاء ذو نصـاح

فانهزموا، وعد قتلى علي فكانوا أربعين، وقال علي عليه السلام:

ألم تـر أن الله أبلـى رسـوله بـلاءً عزيـزاً ذا اقتـدار وذا فضـل

بمـــا أنـــزل الكفـــار دار مذلـــة ... فذاقوا هوانـا مـن إسـار ومـن قتـل
فأمسـى رسـول الله قـد عـز نصـره ... وكـان رسـول الله أرسـل بالعـدل
فجـاء بفرقـان مـن الله منـزل ... مبينـة آياتـه لـذوي العقـل
فـأنكر أقـوام فزاغـت قلـوبهم ... فـزادهم الـرحمن خـبلا إلى خبـل

وقال سلامة:

أيـن كـانوا في حـنين ويلـهم ... وضـرام الحـرب تخبـو وتهـب
ضـاقت الأرض علـى القـوم بمـا ... رحبـت فاستحسـن القـوم الهـرب[1]

قال العلامة الأمين: (ولما قتل علي عليه السلام أبا جرول، وخذل القوم بقتله، وضع المسلمون سيوفهم فيهم، وعلي عليه السلام يقدمهم حتى قتل أربعين رجلاً من القوم، ثم كانت الهزيمة والأسر حينئذ، وما زال المسلمون يقتلون ويأسرون منهم حتى ارتفع النهار...

قال ابن إسحاق ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم بأوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة.

ثم جمعت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبايا حنين وأموالها فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسبايا والأموال إلى الجعرانة فحبست بها، وأخَّر قسمتها حتى رجع من حصار الطائف.

ومضى الدكتور محمد حسين هيكل المصري في كتابه **حياة محمد** صلى الله عليه وآله وسلم على عادته في غمط حق علي بن أبي طالب لما لا يعلمه إلا الله، فلم يورد له في هذه الغزاة اسما فضلاً عن أن يسند إليه جهاداً أو عملاً، فلم يذكر إن لواء المهاجرين كان معه، واقتصر على قوله يتقدم كل قبيلة علمها، ولم يذكر اسمه في الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين انهزم الناس، واقتصر على قوله: **"وثبت محمد مكانه وأحاط به جماعة من المهاجرين والأنصار وأهل بيته "**.

---

[1] ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب - ج ٢ - ص ٣٣١ - ٣٣٢

مع أنك قد عرفت أنه لم يكن مع أهل بيته إلا أيمن، وبعضهم قال أسامة، وبعضهم قال ابن مسعود، وما روي غير ذلك لا أصل له، ومع ذلك فقد ذكرهم أخيراً ولم يذكر اسم علي الذي كان يضرب بالسيف بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهل يمكن أن لا يكون كذلك لو لم ترد به رواية ؟ أليس هذا غمطاً لحقه ؟!

ثم لما ذكر خبر أبي جرول لم يزد على قوله: " **انحدرت هوازن من مكامنها يتقدمها رجل على جمل له أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل، وهو كلما أدرك المسلمين طعن برمحه** ". ولم يذكر قتل علي له واتّباعه المشركين، ولا ذكَر قَتْل علي أربعين من المشركين، ولا تعرض لشئ من ذلك أصلاً.

ومما لا يكاد ينقضي منه العجب قوله في ذكر هذه الغزوة: " **وثارت بمحمد حميته فأراد أن يندفع ببغلته البيضاء في صدر هذا السيل الدافق من رجال العدو، وليكن بعد ذلك أمر الله، لكن أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أمسك بخطام بغلته وحال دون تقدمها** ". فقد نسب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم التهور وعدم التعقل، وحاشاه بإرادة الاندفاع ببغلته وليس معه إلا تسعة نفر أو أربعة على ثلاثين ألفاً من هوازن، وإن أبا سفيان بن الحارث كان أكثر منه تعقلاً ونظراً في العواقب فأمسك بخطام البغلة وحال دون تقدمها ، مع أنك قد عرفت أنه أمسك بسرجها عند نفورها)[1].

*** الحركة نحو الطائف:**

لما فض الله جمع المشركين بحنين تفرقوا فرقتين ، فأخذت الأعراب ومن تبعهم إلى أوطاس[2]، وأخذت ثقيف ومن تبعها إلى الطائف، فبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا عامر الأشعري إلى أوطاس في جماعة منهم أبو موسى الأشعري، وبعث أباسفيان صخر بن حرب إلى الطائف، فأما أبو عامر فإنه تقدم بالراية وقاتل حتى قُتل دونها، فقال

---

١ الأمين : أعيان الشيعة ـ ج ١ ـ ص ٢٨٠

٢ أوطاس : وادي بالقرب من حنين

المسلمون لأبي موسى: أنت ابن عم الأمير، وقد قُتل، فخذ الراية حتى تقاتل دونها، فأخذها أبو موسى فقاتل هو والمسلمون حتى فتح الله عليهم.

وأما أبو سفيان فإنه لقيته ثقيف فضربوه على وجهه فانهزم ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: **بعثتني مع قوم لا يُدفع بهم البلاء، ولا يُرفع بهم الدلاء من هذيل والأعراب، فما أغنوا عني شيئاً ؟**

فسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبو سفيان الذي اغتبط بهزيمة المسلمين يوم حنين لم يكن يسعى لنصرهم يوم الطائف.

ثم سار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه إلى الطائف فحاصرهم أياماً، وأنفذ علياً عليه السلام في خيل، وأمره أن يطأ ما وجده، ويكسر كل صنم وجده، فخرج حتى لقيته خيل خثعم في جمع كثير، فبرز له رجل من القوم يقال له شهاب في غبش من الصبح.

فقال: **هل من مبارز ؟**

فقال علي عليه السلام: **من له ؟**

فلم يقم إليه أحد، فقام إليه أمير المؤمنين علي، فوثب أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: **تُكفاه أيها الأمير** [1].

فقال: **لا، ولكن إن قُتلت فأنت على الناس.**

فبرز إليه علي وهو يقول:

إن على كل رئيس حقاً ... إن يروي الصعدة أو يدقا

ثم ضربه وقتله ومضى في تلك الخيل حتى كسر الأصنام وعاد إلى رسول الله وهو محاصر لأهل الطائف، فلما رآه النبي كبّر للفتح وأخذ بيده فخلا به وناجاه طويلاً.

وقد روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما خلا بعلي يوم الطائف احتج عليه أحد المهاجرين فقال: **أتناجيه دوننا وتخلو به ؟**

---

١ أي أنا أكفيكه ، فهو يطلب الخروج للمبارزة بدلاً من علي

فقال: **ما أنا انتجيته بل الله انتجاه.**

فأعرض وهو يقول: **هذا كما قلت لنا قبل الحديبية** ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ فلم ندخله وصُددنا عنه !

فناداه النبي: **لم أقل لكم إنكم تدخلونه من ذلك العام.**

ثم خرج من حصن الطائف نافع بن غيلان بن متعب في خيل من ثقيف، فلقيه علي عليه السلام ببطن وَج [1] فقتله، وانهزم المشركون، ولحق القوم الرعب، فنزل منهم جماعة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأسلموا ، وكان حصار النبي للطائف بضعة عشر يوماً [2] .

وروى الطبري الأحداث بصورة مغايرة، إذ ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سار يوم حنين من فوره ذلك حتى نزل الطائف، فأقام نصف شهر يقاتلهم وأصحابه، وقاتلتهم ثقيف من وراء الحصن لم يخرج إليه في ذلك أحد منهم، وأسلم من حولهم من الناس كلهم وجاءته وفودهم ثم رجع، ولم يحاصرهم إلا نصف شهر، وسأل وفد هوازن عن مالك بن عوف رئيسهم وقائدهم يوم حنين ما فعل، فقالوا: **هو بالطائف.**

وكان لما انهزم يوم حنين التجأ إلى ثقيف بالطائف، فقال: **أخبروه أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل.**

فأخبروه بذلك، فخرج من الطائف إليه مستخفياً خوفاً من ثقيف أن يحبسوه إذا علموا، وأدركه بالجعرانة فرد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل وأسلم، فاستعمله على قومه وعلى من أسلم من القبائل حول الطائف.

فلما عاد صلى الله عليه وآله وسلم من حصار الطائف أتى الجعرانة وفيها الأموال والسبي كما مر، قال ابن سعد: (كان السبي ستة آلاف رأس والإبل أربعة وعشرين ألف بعير والغنم أكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية فضة، فانتظر رسول الله بالسبي أن يقدم عليه وفدهم فلم يقسمهم بين المقاتلين ، وبدأ بالأموال فقسمها ، وأعطى

---

١ وج : الطائف

٢ المفيد : الإرشاد ـ ج ١ ـ ص ١٥١ - ١٥٤

المؤلفة قلوبهم أول الناس، فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الإبل،

قال: ابني يزيد ؟

قال: أعطوه مثل ذلك.

قال: ابني معاوية ؟

قال: أعطوه مثل ذلك.

وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل، ثم سأله مائة أخرى، فأعطاه إياها، وأعطى النضير بن الحارث بن كلدة وأسيد بن جارية الثقفي والحارث بن هشام وصفوان ابن أمية وقيس بن علي وسهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن ومالك بن عوف كل واحد مائة من الإبل، وأعطى العلاء ابن حارثة الثقفي ومخرمة بن نوفل وسعيد بن يربوع وعثمان بن وهب وهشام بن عمرو العامري كل واحد خمسين من الإبل، وأعطى العباس بن مرداس أربعين بعيراً) [1].

* موقفان حكيمان:

جاء في بعض التواريخ أن النبي لما قسم للعباس بن مرداس أربعين بعيراً احتج وعاتب النبي في أبيات فقال:

كانت نهاباً تلافيتها ... بكرّي على المهر في الأجرع

وإيقاظي القوم أن يرقدوا ... إذا هجع الناس لم أهجع

فأصبح نهبي ونهب العبيد ... بين عيينة والأقرع

وقد كنت في الحرب ذا تدرأ ... فلم أعطَ شيئاً ولم أمنع

---

١ والصحيح أنه أعطاه أربعاً فقط

إلا أفائـــــــل أعطيتهـــــــا عديـــــد قوائمهـــــا الأربـــــع [1]

ومـــا كـــان حصـــن ولا حـــابس يفوقـــان مـــرداس في المجمـــع

ومـــا كنـــت دون امـــرئ منهمـــا ومـــن تضـــع اليـــوم لا يرفـــع

فبلغ النبي قوله فاستحضره وقال: **قم يا علي واقطع لسانه.**

قال العباس بن مرداس: فوالله لهذه الكلمة كانت أشد علي من يوم خثعم حين أتونا في ديارنا، فأخذ بيدي علي بن أبي طالب فانطلق بي، ولو أدري أن أحداً يخلصني منه لدعوته، فقلت: **يا علي، إنك لقاطع لساني ؟**

قال: **إني لمضض فيك ما أمِرت.**

فما زال بي حتى أدخلني الحظائر فقال لي: **اعتد ما بين أربع إلى مائة** [2].

فقلت: **بأبي أنت وأمي ما أكرمكم وأحلمكم وأعلمكم.**

فقال: **إن رسول الله أعطاك أربعاً، وجعلك مع المهاجرين** [3]، **فإن شئت فخذها، وإن شئت فخذ المائة وكن مع أهل المائة** [4].

قلت: **أشِر عليَّ.**

قال: **فإني آمرك أن تأخذ ما أعطاك رسول الله، وترضى.**

قلت: فإني أفعل.

قال العلامة الأمين: (ولم يسند الدكتور هيكل ذلك في كتابه إلى علي، واقتصر على قوله: **اذهبوا به فاقطعوا عني لسانه.** فأعطوه حتى رضي، وكان ذلك قطع لسانه) [5].

ولما أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله غنائم حنين قريشاً خاصة، وأجزل العطاء للمؤلفة

---

١ أفائل = جمع أفيل، وهو الفصيل

٢ أي اختر رقماً بين الأربع والمائة ليكون هو عدد الإبل المقسومة له، فكان هذا هو قصد النبي من قطع لسانه، أي إعطاؤه العدد الذي يريد لكي يكف عن الكلام والمطالبة

٣ أي كان نصيبك بقدر نصيب المهاجرين، وهو أربعة من الإبل

٤ وهم المؤلفة قلوبهم

٥ الأمين: أعيان الشيعة - ج ١ - ٢٨١

قلوبهم كأبي سفيان وابنه معاوية وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية والحارث ابن هشام، ولم يعط الأنصار إلا شيئاً يسيراً، غضب قوم من الأنصار وتكلموا في ذلك وقالوا: لقي رسول الله قومه [1].

بلغ النبي هذا الكلام ذلك فجمعهم وجاء يتبعه علي عليه السلام حتى جلس وسطهم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **يا معشر الأنصار ما قالة بلغتني عنكم وموجدة وجدتموها ؟! إني سائلكم عن أمر فأجيبوني، ألستم كنتم ضلالاً فهداكم الله بي ؟ ألم تكونوا على شفا حفرة من النار فأنقذكم الله بي ؟ ألم تكونوا قليلاً فكثركم الله بي ؟ وعالة فأغناكم الله بي ؟ وأعداء فألف بين قلوبكم بي ؟**

قالوا: **بلى والله، فلله ورسوله المن والفضل.**

ثم سكت هنيهة ثم قال: **ألا تجيبوني بم عندكم ؟**

قالوا: **بما نجيبك فداك آباؤنا وأمهاتنا ؟ قد أجبناك بأن لك الفضل والمن والطول علينا.**

قال: **أما لو شئتم لقلتم فصدقتم، وأنت قد جئتنا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وخائفاً فآمناك، وعائلاً فآسيناك.**

فارتفعت أصواتهم بالبكاء وقام شيوخهم وسلداتهم إليه وقبّلوا يديه ورجليه ثم قالوا: **رضينا بالله وعنه وبرسوله وعنه، وهذه أموالنا بين يديك فإن شئت فاقسمها على قومك، وإنما قال من قال منا على غير وغر صدر وغل في قلب [2]، ولكنهم ظنوا سخطاً عليهم وتقصيراً بهم، وقد استغفروا الله من ذنوبهم فاستغفر لهم يا رسول الله.**

فقال: **اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار. يا معشر الأنصار، أما ترضون أن يرجع غيركم بالشاء والنعم ورجعتم أنتم وفي سهمكم رسول الله ؟**

قالوا: **بلى رضينا.**

---

١ أي أسلموا ففضلهم علينا

٢ الوغر = الحقد والغيظ

فقال النبي: حينئذ الأنصار كرشي وعيبتي، لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شِعباً لسلكتُ شِعب الأنصار .

* وفد هوازن:

وقدم عليه وفد هوازن أربعة عشر رجلاً وفيهم أبو ثروان السعدي[1] عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، ورئيسهم زهير بن صرد، وذلك بعد ما قسم الغنائم وقد أسلموا وأخبروا بإسلام مَن وراءهم، فقال له عمه من الرضاعة: يا رسول الله، إنما في هذه الحظائر مَن كان يكفلك من عماتك وخالاتك وحواضنك، وقد حضناك في حجورنا وأرضعناك بثدينا ولقد رأيتك مرضَعاً فما رأيت مرضعاً خيراً منك، ورأيتك فطيماً فما رأيت فطيماً خيراً منك، ثم رأيتك شاباً فما رأيت شاباً خيراً منك، وقد تكاملت فيك خلال الخير، ونحن مع ذلك أصلك وعشيرتك، فامنن علينا منَّ الله عليك.

وأعقبه زهير بن الصرد بكلام، فقال رسول الله: أحسن الحديث أصدقه ، فأبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟

فقالوا: خيّرتنا بين أحسابنا وأموالنا وما كنا لنعدل بالأحساب شيئاً فرد علينا أبناءنا ونساءنا.

فقال: أمَّا ما لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وأسال لكم الناس.

فقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله.

فقال الأقرع بن حابس: وأما أنا وبنو تميم فلا.

وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا.

وقال العباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا.

---

[1] وقيل : أبو برقان

فقالت بنو سليم: **ما كان لنا فهو لرسول الله.**

فقال العباس بن مرداس: **وهنتموني.**

وقال رسول الله للذين امتنعوا من الرد: **إن هؤلاء القوم جاءوا مسلمين، وقد كنت استأنّيت بسبْيهم، وقد خيّرتهم فلم يعدلوا بالنسه والأبناء شيئاً فمن كان عنده منهم شئ فطابت نفسه أن يرد فليرد، ومن أبى فليرد، وليكن ذلك قرضاً علينا ست فرائض**[1].

قالوا: **رضينا وسلمنا.**

فردّوا عليهم نساءهم وأبناءهم.

وبذلك انتهى حصار الطائف وتبعاته، ودخلت قبائل هوازن وثقيف وغيرها في الإسلام بأقل الخسائر الممكنة، ومكّن الله عزو جل لنبيه صلى الله عليه وسلم في الأرض، وبدأت بعد ذلك وفود العرب تأتيه تدريجياً من أنحاء الجزيرة العربية معلنة إسلامها.

---

١ ست فرائض: أي ستة من الإبل وسماها فرائض باعتبار أنها تكون فريضة في الزكاة

نحو أرض طي:

في ربيع الآخر سنة تسع من الهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب في خمسين ومائة رجل من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرساً، ومعه راية سوداء ولواء أبيض إلى صنم الفلس يهدمه [1]، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم الطائي مع الفجر، فهدموا الفلس وخربوه وملأوا أيديهم من السبي والنعم والشاء، وفي السبي أخت عدي بن حاتم، وهرب عدي إلى الشام، ووجد في خزانة الفلس ثلاثة أسياف رسوب والمخذم واليماني [2] وثلاثة أدرع، فلما نزلوا ركك اقتسموا الغنائم [3]، وعزل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ صفياً [4] ـ رسوب والمخذم، ثم صار له بعد السيف الآخر، وعزل الخمس وعزل آل حاتم فلم يقسموا حتى قدم بهم المدينة.

أما سفانة بنت حاتم الطائي وهي أخت عدي بن حاتم التي كانت في السبي، فقد عطف عليها علي عليه السلام وأشار إليها بأن تكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكلمته فعفا عنها وأكرمها بسبب إشارة علي إليها بذلك.

قال العلامة الأمين: (وخبرها من الأخبار الطريفة الدالة على نبلها وكمال عقلها وفصاحة لسانها، ويمكن للمرء أن يستفيد منه فوائد ويتعلم منه رأياً وأخلاقاً وأفعالاً كريمة، فلا بأس بأن نذكره هنا... قال ابن هشام في سيرته فيما حكاه عن ابن إسحاق: فقدم بابنة حاتم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سبايا من طيء، وقد بلغه هرب عدي بن حاتم إلى الشام، فجعلت بنت حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا تحبس فيها، فمر بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقامت إليه وكانت امرأة جزلة ـ أي ذات وقار وعقل ـ فقالت: **يا رسول الله، هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي، منَّ الله عليك.**

---

١ الفلس صنم في بلاد طيء، وهي بلاد نجد، وفيها جبلا طيء أجا وسلمى.

٢ رسوب والمخذم سيفان معروفان عند العرب أهداهما الحارث بن أبي شمر إلى الطائيين، والحارث هذا كان غسانياً من نصارى الشام، وكانت طيء على النصرانية فلذلك أهدى السيفين إلى صنمهم ولذلك هرب عدي إليهم لأنهم على دينه.

٣ ركك = محلة من محلات سلمى أحد جبلي طيء بنجد

٤ الصفي = ما يصطفيه الرئيس من الغنائم

قال: **ومن وافدك ؟**

قالت: **عدي بن حاتم.**

قال: **الفار من الله ورسوله ؟**

قالت: ثم مضى وتركني حتى إذا كان من الغد مرّ بي فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس، حتى إذا كان بعد الغد مرّ بي وقد يئست منه، فأشار إلي رجل من خلفه أن قومي فكلميه، فقمت إليه وقلت له مثل ذلك، فقال: **قد فعلت، فلا تعجلي حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة يبلغك إلى بلادك فآذنيني**[1].

وسألت عن الرجل الذي أشار إلي أن أكلمه فقيل: هو علي بن أبي طالب.

فأقمت حتى قدم رهط من طئ، وإنما أريد أن آتي أخي بالشام، فأخبرته أن لي فيهم ثقة وبلاغاً فكساني وحملني وأعطاني نفقة، فخرجت حتى قدمت الشام على أخي، وكان أخوها بدومة الجندل الجوف.

وفي السيرة الحلبية في رواية أنها قالت: **يا محمد، إن رأيت أن تُخلي عنا ولاتشمت بنا أحياء العرب فإني ابنة سيد قومي، وإن أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبه الجائع ويكسو العاري ويقري الضيف ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم طئ.**

فقال لها: **يا جارية، هذه صفة المؤمن حقاً، لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه، خلّوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق...**

وقالت: **شكرَتْك يدٌ افتقرت بعد غنى، ولا ملكتك يدٌ استغنت بعد فقر، وأصاب الله بمعروفك مواضعه ببرِّك مواقعه، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، ولاسلب نعمة من كريم إلا وجعلك سبباً لردها عليه...**

وأسلمت سفانة وحسن إسلامها وقدمت على أخيها عدي بدومة الجندل.

---

[1] آذنيني = أخبريني

قال عدي بن حاتم: فأقامت عندي فقلت لها ـ وكانت امرأة حازمة ـ : **ما ذا ترين في أمر هذا الرجل ؟**

قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تذل في عز اليمن، وأنت أنت.

فقلت: والله إن هذا لهو الرأي.

فقدم عدي على النبي صلى الله عليه وآله بالمدينة وأسلم وحسن إسلامه، وكان من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وشهد معه مشاهده كلها)[1].

[1] الأمين: أعيان الشيعة ـ ج ١ ـ ص ٤١٤ ـ ٤١٥

سَريّة اليمن:

بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً إلى اليمن في شهر رمضان سنة عشر من الهجرة، ليخمّس ركازها[1]، ويقبض ما وقع عليه الصلح مع وفد نجران من الحلل والعين وغير ذلك، وليدعو مذحج وزبيد، وعقد له اللواء وعممه بيده وقال: **امض ولاتلتفت، فإذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك، وادعهم إلى قول لا إله إلا الله، فإن قالوا نعم فمرهم بالصلاة، فإن أجابوا فلا تبغ منهم غير ذلك، والله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت.**

خرج الإمام في ثلثمائة فارس، ففرق أصحابه فأتوا بنهب وغنائم ونساء وأطفال ونعم وشاء وغير ذلك، وجعل على الغنائم بريدة بن الخصيب الأسلمي، فجمع إليه ما أصابوا ثم لقي جمعهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا بالنبل والحجارة، فصفَّ أصحابه ودفع لواءه إلى مسعود بن سنان السلمي ثم حمل عليهم علي بأصحابه، فقتل منهم عشرين رجلاً فتفرقوا وانهزموا، فكف عن طلبهم، ثم دعاهم إلى الإسلام فأسرعوا وأجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الإسلام وقالوا: **نحن على من وراءنا من قومنا، وهذه صدقاتنا فخُذ منها حق الله.**

وجمع علي الغنائم فجزأها على خمسة أجزاء، فكتب في سهم منها الله وأقرع فخرج أول السهام سهم الخمس وقسم علي على أصحابه بقية المغنم.

وسار علي حتى لقي بني زبيد ـ وهم من مذحج ـ بواد يقال له كثير، فلما رآه بني زبيد قالوا لعمرو بن معديكرب: **كيف أنت يا أبا ثور إذا لقيك هذا الغلام القرشي فأخذ منك الأتاوة ؟**

قال: **سيعلم إن لقيني.**

وخرج عمرو فقال: **من يبارز ؟**

---

[1] الركاز = الذهب والفضة

فنهض إليه أمير المؤمنين وقام إليه خالد بن سعيد وقال له: **دعني يا أبا الحسن بأبي أنت وأمي أبارزه.**

فقال له أمير المؤمنين: **إن كنت ترى أن لي عليك طاعة فقف في مكانك.**

ثم برز إليه أمير المؤمنين فصاح به صيحة فانهزم عمرو، وقتل أخاه وابن أخيه وأخِذت امرأته ركانة بنت سلامة وسبي منهم نسوان، وانصرف أمير المؤمنين عليه السلام وخلف على بني زبيد خالد بن سعيد لقبض صدقاتهم ويؤمّن من عاد إليه من الهاربين مسلماً.

ثم رجع الإمام عليه السلام فوافى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمكة قد قدمها للحج سنة عشر، وهي حجة الوداع.

الفصل التاسع

بطولاته في عهد ما بعد النبي

بطولاته في عهد ما بعد النبي

دفع الإمام علي عليه السلام في اليوم الثالث رايته إلى ابنه محمد، وقد استوت الصفوف، وقال له: تزول الجبال ولاتزل، عض على ناجذك، أعر الله جمجمتك، تد في الأرض قدمك، ارم ببصرك أقصى القوم، وغض بصرك، واعلم أن النصر من عند الله سبحانه.
ثم قال له: احمل.

عاش أمير المؤمنين علي عليه السلام بعد رسول الله ثلاثين سنة تقريباً، ومُنع من حقه في الحكم والثابت له بنص القرآن وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومضت تلك السنون دون أن يشارك في أية حرب خاضها المسلمون، وإن بادر بالنصيحة وأشار إذا استشير من قبل الخلفاء، وسعى لدرء الفتن من حين لآخر، لاسيما أحداث الفتنة التي نشبت أظفارها في جسم الأمة على عهد الخليفة عثمان بن عفان وانتهت بقتله.

وعلى أثر تلك الفتنة توجهت الجماهير إلى الإمام علي عليه السلام تطالبه بتولي مسئولية الحكم في تلك الظروف العصيبة، وإنقاذ الأمة من خطر الانقسام وتبعات الأوضاع السلبية التي نخرت في جسد دولة الإسلام، فلم يجد بُداً من الاستجابة، وعبّر عن ذلك بكلمات رائعة قال فيها: ... **فما راعني إلا والناس كعرف الضبع** [1] **إليَّ ينثالون عليّ من كل جانب** [2]، **حتى لقد وُطئ الحسنان، وشُقّ عطفاي** [3]، **مجتمعين حولي كربيضة الغنم** [4]... **أما والذي فلق الحبة وبرأ النسَمة، لولا حضور**

---

١ عرف الضبع = ما كثر على عنقها من الشعر وهو ثخين، يضرب به المثل في الكثرة والازدحام
٢ ينثالون = يتتابعون مزدحمين
٣ شق عطفاه = خدش جانباه من الاصطكاك، وكان هذا الازدحام لأجل البيعة على الخلافة
٤ ربيضة الغنم = الطائفة الرابضة من الغنم، يصف ازدحامهم حوله وجثومهم بين يديه

الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كِظَّة ظالم [1] ولا سغب مظلوم [2]، لألقيت حبلها على غاربها [3]، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز [4].

وهكذا استلم علي عليه السلام الحكم في قرابة آخر خمس سنوات من عمره المبارك، وخاض خلالها ثلاثة حروب طاحنة، كما أنبأه بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [5].

وسنستعرض في هذا الفصل ما يتعلق بشجاعته وبطولاته في عهد ما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكلماته التي تحدث فيها عن تحمله للمسئولية بالتزام عدم إثارة ما من شأنه أن يُحدث الفتنة في صفوف المسلمين، وإن كانت تبعات ذلك أن يقع الظلم عليه خاصة، فقد عاهد الله على أن يتجرع مرارة الحيف الواقع به، ما دام الإسلام والمسلون بخير.

كما سنستعرض بشئ من التفصيل فترة حكمه التي دامت قرابة خمس سنوات، وما تخللتها من حروب طاحنة مؤسفة، وتحليلٍ لأسباب تلك الحروب، وذكرٍ لمجريات أحداثها، ومن ثم تبعات تلك الحروب إلى أن استشهد عليه السلام.

---

١ الكظة = ما يعتري الآكل من امتلاء البطن بالطعام، والمراد استئثار الظالم بالحقوق

٢ السغب = شدة الجوع، والمراد منه هضم حقوقه

٣ الغارب = الكاهل، والكلام تمثيل للترك وإرسال الأمر

٤ الرضي: نهج البلاغة ـ ص ٥٢ - ٥٣ـ الخطبة الشقشقية. عفطة العنز = ما تنثره من أنفها بالنفخ

٥ ورد هذا الخبر في مصادر عديدة منها: مناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي، وشرح الأخبار للقاضي نعمان، والطبري في المسترشد وغيرها.

بعد أحداث السقيفة:

لما توفي النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، واجتمع قوم من الأنصار والمهاجرين في سقيفة بني ساعدة، وتمت البيعة فيها لأبي بكر من قبل أكثر الحاضرين، وبغياب الإمام علي وبني هاشم ورهط من كبار صحابة رسول الله، جاء العباس بن عبدالمطلب وأبوسفيان معه، يطالبان الإمام بأن يمدّ يده ليبايعاه على الخلافة.

وجد الإمام عليه السلام أن في هذا التصرف باباً للفتنة وشقاً لصفوف المسلمين، فتكلم قائلاً: **أيها الناس، شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرّجوا عن طريق المنافرة، وضعوا تيجان المفاخرة. أفلح من نهض بجناح، أو استسلم فأراح.**

هذا ماء آجن [1]، ولقمة يغص بها آكلها، ومُجْتَني الثمرة لغير وقت إيناعها [2]، كالزارع بغير أرضه. فإن أقُلْ يقولوا حرص على الملك، وإن أسكت يقولوا جزع من الموت. هيهات بعد اللتيا والتي [3] ! والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه، بل اندمجتُ [4] على مكنونِ علمٍ لو بُحْتُ به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوي [5] البعيدة [6].

قال ابن أبي الحديد في شرح هذه الخطبة: (تخلصوا عن الفتنة وانجوا منها بالمتاركة والمسالمة والعدول عن المنافرة والمفاخرة.

أفلح من نهض بجناح، أي مات، شبّه الميت المفارق للدنيا بطائر نهض عن الأرض بجناحه. ويحتمل أن يريد بذلك: أفلح من اعتزل هذا العالم، وساح في الأرض منقطعاً عن تكاليف الدنيا. ويحتمل أيضاً أن يريد: أفلح من نهض في طلب الرياسة بناصر

---

١ الماء الآجن = المتغير الفاسد

٢ الإيناع = إدراك الثمرة

٣ اللتيا = تصغير التي، كما أن اللذيا تصغير الذي

٤ اندمجت = انطويت

٥ الأرشية جمع رشاء = الحبل. الطوي = البئر المطوية بالحجارة

٦ الشريف الرضي: نهج البلاغة ـ الخطبة ٥ ـ ص ٥٢

ينصره، وأعوان يجاهدون بين يديه، وعلى التقادير كلها تنطبق اللفظة الثانية، وهي قوله: **أو استسلم فأراح**، أي أراح نفسه باستسلامه.

ثم قال: الإمرة على الناس وخيمة العاقبة، ذات مشقة في العاجلة، فهي في عاجلها كالماء الآجن يجد شاربه مشقة، وفي آجلها كاللقمة التي تحدث عند أكلها الغصة... ويجوز ألا يكون عنى الإمرة المطلقة، بل هي الإمرة المخصوصة، يعنى بيعة السقيفة.

ثم أخذ في الاعتذار عن الإمساك وترك المنازعة، فقال: مُجْتني الثمرة قبل أن تدرك لا ينتفع بما اجتناه، كمن زرع في غير أرضه، ولا ينتفع بذلك الزرع، يريد أنه ليس هذا الوقت هو الوقت الذي يسوغ لي فيه طلب الأمر وأنه لم يأن بعد.

ثم قال: قد حصلتُ بين حالين، **إن قلت، قال الناس حرص على الملك، وإن لم أقل، قالوا جزع من الموت.**

قال: **هيهات**، استبعاداً لظنهم فيه الجزع.

ثم قال: **اللتيا والتي**، أي أبعد اللتيا والتي أجزع ؟! أبعد أن قاسيت الأهوال الكبار والصغار، ومنيت بكل داهية عظيمة وصغيرة ؟ فاللتيا الصغيرة والتي الكبيرة.

ذكر أنَّ أُنسَه بالموت كأُنس الطفل بثدي أمه، وأنه انطوى على علم هو ممتنع لموجبه من المنازعة، وأن ذلك العلم لا يُباح به، ولو باح به لاضطرب سامعوه كاضطراب الأرشية، وهي الحبال في البئر البعيدة القعر، وهذا إشارة إلى الوصية التي خص بها عليه السلام، أنه قد كان من جملتها الأمر بترك النزاع في مبدأ الاختلاف عليه)[1].

---

١ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ١ ـ ص ٢١٣ - ٢١٥

حرب الجمل:

* أسباب المعركة :

شبت الفتنة ـ من جديد ـ بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان عام ٣٥ هـ ، إذ قام البعض باتهام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بتحمل مسئولية ما جرى، على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها الإمام علي عليه السلام لتفادي وقوع الفتنة ومقتل الخليفة، وبدأ الذين اتهموه بذلك بتحريض الناس على الإمام والتمرد على خلافته ونكث بيعته، أملاً في انتزاع الحكم منه، أو تقديم الإمام بعض التنازلات.

ومما ساعد على استجابة البعض لهذا التحريض اتباع الإمام عليه السلام سياسة صارمة في تولية الإمارات ومحاسبة الولاة وعزل من ثبتت عليهم التهم من مناصبهم.

فقد طلب طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام من علي عليه السلام أن يوليهما البصرة والكوفة، لكنه رفض قائلاً: **بل تقيمان معي، فإني لا أستغني عن رأيكما.**

وجد طلحة والزبير أن الأمور لن تجري في صالحهما، فاستأذناه في العمرة، فقال لهما الإمام: **ما العمرة تريدان، وإنما تريدان الغدرة ونكث البيعة.**

فحلفا بالله ما الخلاف عليه ولا نكث البيعة يريدان وما رأيهما غير العمرة.

قال: **فأعيدا البيعة لي ثانية.**

فأعاداها بأشد ما يكون من الأيمان والمواثيق، فأذن لهما، فلما خرجا قال: **والله لاترونهما إلا في فتنة يُقتلان فيها.**

قالوا: **يا أمير المؤمنين، فمُرْ بردّهما عليك.**

قال: **ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.**

وهكذا سارت الأمور بتسارع نحو الحرب، تحت شعار الأخذ بثأر الخليفة عثمان، واجتمع نحو ألف من أهل مكة وغيرها مع القافلة المتجهة نحو البصرة، وانضم إليهم نحو ألفين من أهل القرى والبوادي الواقعة في الطريق.

أما في المدينة المنورة فقد جمع الإمام عليه السلام وجوه الناس وخطب فيهم، مبيناً حقائق

الأمور، وعزمه على رد الناكثين لبيعته، فخرج مسرعاً في سبعمائة ممن اجتمع إليه، وهو يرجو أن يدركهم فيردهم قبل وصولهم إلى البصرة، وكان ذلك في آخر ربيع الأول سنة ٣٦ هـ، ولما بلغ الربذة أتاه الخبر بأنهم سبقوه، ولم يعد بالإمكان اللحاق بهم، فأرسل محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر إلى الكوفة وكتب إليهم يستنهضهم للقتال.

* في ذي قار [1]:

أكمل الإمام علي ومن معه مسيرهم نحو البصرة، حتى إذا وصل ذي قار استقر بها منتظراً قدوم إمدادات القوات إليه.

ولما بلغ الصحابي حذيفة بن اليمان أن علياً عليه السلام قد قدم ذي قار واستنفر الناس، دعا أصحابه فوعظهم وذكرهم الله وزهدهم في الدنيا، ورغّبهم في الآخرة، وقال لهم: **الحقوا بأمير المؤمنين ووصي سيد المرسلين، فإن من الحق أن تنصروه، وهذا الحسن ابنه وعمار، قد قدما الكوفة يستنفران الناس، فانفروا.**

فنفر أصحاب حذيفة إلى علي، ومكث حذيفة بعد ذلك خمس عشرة ليلة، وتوفي رحمه الله.

وذكر المؤرخ أبو مخنف لوط بن يحيى صاحب المؤلفات التاريخية العديدة، وكان معاصراً للإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، أن هاشم بن عتبة المرقال [2]، نظم أبياتاً من الشعر يذكر فيها نفورهم إلى علي عليه السلام، قال:

وسرنا إلى خير البرية كلها ... على علمنا أنا إلى الله نرجع

نوقّره في فضله ونُجِلّه ... وفي الله ما نرجو وما نتوقع

ونخصف أخفاف المطي على الوجا ... وفي الله ما نزجي وفي الله نوضع [3]

---

١ ذي قار = موضع قريب من البصرة

٢ هو هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، ابن أخ سعد بن أبي وقاص، ولقب بالمرقال لأنه كان يمشي سريعاً شبه العدو في المعركة، وهي علامة الشجاعة.

٣ الوجا = أن يشتكي البعير باطن خفه، والفرس باطن حافره. نزجي = ندفع برفق

دلفنا بجمع آثروا الحق والهدى إلى ذي تقى في نصره نتسرع
نكافح عنه والسيوف شهيرة تصافح أعناق الرجال فتقطع

وفي ذي قار عاد مبعوثا الإمام إلى الكوفة محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر بأنباء لا تسر، فقد أتيا والي الكوفة أبا موسى الأشعري بكتاب الإمام، فلم يجدا منه استجابة، بل أخذ يثبّط الناس عن الخروج، فغضب المبعوثان وأغلظا له الكلام دون أن يؤثر ذلك في قراره. وعلى إثر ذلك أرسل الإمام إلى الكوفة ابنَه الحسن ومعه عمار بن ياسر ليستنهضا أهلها ويغيّرا من موقف أبي موسى واليها، فلم يُجْدِ الأمر نفعاً، فأردفهم الإمام بمالك الأشتر الذي جعل لا يمر بقبيلة فيها جماعة إلا دعاهم ليتبعوه إلى قصر الإمارة، وتم عزْل أبي موسى عن الولاية، ونفَرَ معه تسعة آلاف [1]، أخذ في البر ستة آلاف ومائتان وأخذ في الماء ألفان وثمان مائة.

وفي خبر آخر أنه لما بلغ الإمام عليه السلام ذي قار، دار الحوار التالي بينه وبين عبدالله ابن عباس كما رواه أبو مخنف، قال: لما نزلنا مع علي عليه السلام ذي قار، قلت: **يا أمير المؤمنين، ما أقل من يأتيك من أهل الكوفة فيما أظن !**

فقال: **والله ليأتيني منهم ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلاً، لا يزيدون ولا ينقصون.**

قال ابن عباس: **فدخلني والله من ذلك شك شديد في قوله، وقلت في نفسي: والله إن قدموا لأعدَّنَّهم.**

قال أبو مخنف: فحدّث ابن إسحاق، عن عمه عبد الرحمن بن يسار، قال: نفر إلى علي عليه السلام إلى ذي قار من الكوفة في البحر والبر ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلاً. أقام علي بذي قار خمسة عشر يوماً، حتى سمع صهيل الخيل وشحيح البغال حوله.

---

[1] وقيل ١٢ الفاً

قال أبومخنف: فلما سار بهم منقلة [1]، قال ابن عباس: **والله لأعدَّنَّهم، فإن كانوا كما قال، وإلا أتممتهم من غيرهم، فإن الناس قد كانوا سمعوا قوله.**

قال: فعرضتهم، فوالله ما وجدتهم يزيدون رجلاً، ولا ينقصون رجلاً، فقلت: **الله أكبر ! صدق الله ورسوله !**[2]

ثم سرنا.

قال أبو مخنف: فلما قدم أهل الكوفة على علي عليه السلام سلموا عليه، وقالوا: **الحمد لله يا أمير المؤمنين، الذي اختصّنا بموازرتك، وأكرمنا بنصرتك، قد أجبناك طائعين غير مكرهين، فمُرنا بأمرك.**

قال: فقام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله وقال: **مرحباً بأهل الكوفة، بيوتات العرب ووجوهها، وأهل الفضل وفرسانها، وأشد العرب مودة لرسول الله صلى الله عليه ولأهل بيته، ولذلك بعثت إليكم واستصرختكم عند نقض طلحة والزبير بيعتي، عن غير جورٍ مني ولا حدث، ولعمري لو لم تنصروني بأهل الكوفة، لرجوت أن يكفيني الله غوغاء الناس، وطغام أهل البصرة [3]، مع أن عامة من بها ووجوهها وأهل الفضل والدين قد اعتزلوها، ورغبوا عنها.**

فقام رؤوس القبائل فخطبوا وبذلوا له النصر [4].

كما روي أنه لما وصلت جموع المقاتلين ذي قار تلقاهم علي عليه السلام فرحَّب بهم وقال: **يا أهل الكوفة، أنتم قاتلتم ملوك العجم وفضضتم جموعهم حتى صارت إليكم مواريثهم، فمنعتم حوزتكم وأعنتم الناس على عدوهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة، فإن يرجعوا فذاك الذي نريد، وإن يلجّوا داويناهم بالرفق حتى يبدؤونا بظلم، ولم ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه**

---

١ المنقلة = مرحلة السفر

٢ لربما قصد ابن عباس من صدق الله ورسوله هنا أنهما أخبرا عن شأن علي وأنه مع الحق والحق معه.

٣ الطغام = الأراذل

٤ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة – ج ٢ ـ ص ١٨٧ – ١٨٨

الفساد إن شاء الله [1].

وروى الشريف الرضي الخبر التالي: قال عبد الله بن العباس: دخلت على أمير المؤمنين بذي قار وهو يخصف نعله [2]، فقال لي: **ما قيمة هذا النعل ؟**

فقلت: لا قيمة لها.

فقال عليه السلام: **والله لهي أحب إلي من إمرتكم، إلا أن أقيم حقاً، أو أدفع باطلاً.**

ثم خرج فخطب الناس فقال: **إن الله سبحانه بعث محمداً** صلى الله عليه وآله وسلم، **وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً، ولا يدّعي نبوة، فساق الناس حتى بوّأهم محلّتهم** [3]، **وبلّغهم منجاتهم، فاستقامت قناتهم** [4]، **واطمأنت صفاتهم** [5].

أما والله إن كنت لفي ساقتها، حتى تولّت بحذافيرها، ما عجزت ولا جبنت [6]، **وإن مسيري هذا لمثلها، فلأنقبنَّ الباطل حتى يخرج الحقُّ من جنبه** [7].

ما لي ولقريش ! والله لقد قاتلتُهم كافرين، ولأقاتلنَّهم مفتونين، وإني لَصاحبُهم بالأمس، كما أنا صاحبهم اليوم ! والله ما تنقِمُ منَّا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم، فأدخلناهم في حيِّزنا، فكانوا كما قال الأول:

أدمت لعمري شربك المحض صابحاً ... وأكلك بالزبد المقشرة البجرا [8]

ونحن وهبناك العلاء ولم تكن ... علياً وحطنا حولك الجرد والسمرا [9]

وروى الشريف الرضي جانباً من هذه الخطبة برواية أخرى فيها شيء من

---

١ المقريزي : إمتاع الأسماع - ج ١٣ - ص ٢٣٩

٢ وروى آخرون أن ذلك كان في الربذة . خصف النعل = خياطته

٣ بوأهم محلتهم = أسكنهم منزلهم ، أي دعا الناس إلى الإسلام حتى أوصلهم إليه

٤ فاستقامت قناتهم = استقاموا على الإسلام ، أي كانت قناتهم معوجة فأقامها

٥ اطمأنت صفاتهم = كانت متقلقلة متزلزلة ، فاطمأنت واستقرت

٦ شبه الإمام أمر الجاهلية ، إما بعجاجة ثائرة ، أو بكتيبة مقبلة للحرب ، فقال : إني طردتها فولت بين يدي ، ولم أزل في ساقتها أنا أطردها وهي تنطرد أمامي ، حتى تولت بأسرها ولم يبق منها شئ ، ما عجزت عنها ، ولا جبنت منها .

٧ فلأنقبن الباطل = كأنه جعل الباطل كشئ قد اشتمل على الحق ، واحتوى عليه ، وصار الحق في داخله ، كالشئ الكامن المستتر فيه ، فأقسم لينقبن ذلك الباطل إلى أن يُخرج الحق من جنبه .

٨ المحض = اللبن الخالص بلا رغوة . البجر = الارتفاع والتصلب

٩ الجرد = الأرض الخالية من النبات. السمر = نوع من الشجر ، أي جعلناك تملك الأرض الجرداء منها والمزروعة

الاختلاف، وهي كما يلي: **أما بعد، فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً** صلى الله عليه وآله، **وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً** [1]، **ولا يدّعي نبوة ولا وحياً، فقاتل بمن أطاعه من عصاه، يسوقهم إلى منجاتهم، ويبادر بهم الساعة أن تنزل بهم، يحسر الحسير** [2]، **ويقف الكسير، فيقيم عليه حتى يلحقه غايته، إلا هالكاً لا خير فيه، حتى أراهم منجاتهم، وبوّأهم محلّتهم، فاستدارت رحاهم، واستقامت قناتهم.**

وأيْمُ الله لقد كنتُ من ساقتها حتى تولّت بحذافيرها [3]، **واستوسقت في قيادها** [4]، **ما ضعُفتُ ولا جبنتُ، ولا خنت ولا وهنت. وأيم الله لأبقرنَّ الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته!**

ثم علق الرضي قائلاً: وقد تقدم مختار هذه الخطبة، إلا أنني وجدتها في هذه الرواية على خلاف ما سبق من زيادة ونقصان، فأوجبت الحال إثباتها ثانية [5].

وفي ذي قار أتاه والي البصرة من قبله الصحابي عثمان بن حنيف الأنصاري في حالة يرثى لها، إذ نُتف شعر وجهه، وطُرد من البصرة، بعد أن حاول تهدئة الأجواء فيها بمعونة أبي الأسود الدؤلي فلم يفلح. وقد روى بعض المؤرخين أن ابن حنيف لما لاقى الإمام علياً عليه السلام في ذي قار توجه إليه بالخطاب ـ وقلبه يتفطّر من ألم ما حلّ به ـ فقال: **يا أمير المؤمنين، بعثتني ذا لحية وقد جئتك أمرد!**

فقال الإمام: **أصبتَ أجراً وخيراً.**

ولما وجد الإمام عليه السلام أن الغاية من البقاء في ذي قار قد تحققت، قرر المسير نحو البصرة، فأخذ البيعة على من حضره، وتكلم فأكثر من الحمد لله والثناء عليه

---

١ لعل المقصود هنا الكتب السماوية على وجه الخصوص بقرينة باقي الكلام، والمقصود أنه لم ينزل الله كتاباً سماوياً في تلك الفترة.

٢ الحسير = الكليل الذي به إعياء وتعب شديد. وهذا الكلام من باب الاستعارة والمجاز، يقول كان النبي لحرصه على الإسلام وإشفاقه على المسلمين، ورأفته بهم، يلاحظ حال من تزلزل اعتقاده، أو عرضت له شبهة، أو حدث عنده ريب، ولا يزال يوضح له ويرشده حتى يزيل ما خامر سره من وساوس الشيطان، ويلحقه بالمخلصين من المؤمنين.

٣ جعل الجاهلية مثل كتيبة مصادمة لكتيبة الإسلام، وجعل نفسه من الحاملين عليها بسيفه، حتى فرت وأدبرت، واتبعها يسوقها سوقاً، وهي مولية بين يديه. حتى أدبرت بحذافيرها، أي كلها عن آخرها.

٤ استوسقت في قيادها = اجتمعت في ملة الإسلام. أو بمعنى: ولت بحذافيرها واجتمعت كلها تحت ذل المقادة.

٥ الرضي: نهج البلاغة ـ الخطبة ١٠٤ ـ ص ١٥٠ – ١٥١

والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: قد جرت أمور صبرنا عليها في أعيننا القذى تسليماً لأمر الله تعالى فيما امتحننا به ورجاء الثواب على ذلك، وكان الصبر عليها أمثل من أن يتفرق المسلمون وتسفك دماؤهم.

نحن أهل بيت النبوة وعترة الرسول وأحق الخلق بسلطان الرسالة ومعدن الكرامة التي ابتدأ الله بها هذه الأمة، وهذا طلحة والزبير وليسا من أهل النبوة ولامن ذرية الرسول، حين رأيا أن الله قد ردَّ علينا حقنا بعد أعصر لم يصبرا حولاً واحداً ولا شهراً كاملاً حتى وثبا على دأب الماضين قبلهما، ليذهبا بحقّي ويفرّقا جماعة المسلمين عني.

رحَّب الكوفيون بكلام الإمام وعزمه، فشكر لهم ذلك، وسار الإمام من ذي قار ومعه الناس حتى نزل على عبد القيس فانضموا إليه وسار من هناك فنزل الزاوية وسار من الزاوية يريد البصرة.

* وضوح الأمر عند الإمام:

واجه الإمام فتنة عصيبة في ظروف حرب الجمل، وتعود لعدة أسباب، من بينها:

١ ـ طبيعة الشخصيات التي قادت الحرب عليه، فالزبير بن العوام هو ابن عمة النبي صفية بنت عبدالمطلب، وكان من السابقين إلى الإسلام، وله مآثر عدة، وكان سيفاً مصلتاً على أعداء الدين، ولطالما ذبَّ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأبلى بلاءً حسناً، وله امتداد في عاصمة الدولة الإسلامية وخارجها من حيث الأتباع والموالين.

ومن جهة أخرى فإن طلحة بن عبيد الله التيمي لا يقل عن صاحبه تاريخاً وامتداداً في المجتمع، ولقد شُلَّت أصابع يده في معركة أحُد، وكان مقرباً من الخليفتين أبي بكر وعمر، ولا سيما من أبي بكر. وأما أم المؤمنين عائشة فكان لها صيت واسع، فهي زوج النبي وأكثرهن تفاعلاً مع أحداث المجتمع الإسلامي، وقد جعل لها الخليفة عمر بن الخطاب امتيازاً على سائر نساء النبي، إذ كان عطاؤها من بيت المال أكثر

منهن، وفي الدار التي عاشت فيها دُفن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد روت في علاقة النبي بها وحبه لها أحاديث كثيرة، لسنا بصدد تصحيحها أو التشكيك فيها.

٢ ـ عدم وضوح الأمور عند الناس على حقيقتها على أثر الثورة على الخليفة عثمان ابن عفان ومن ثَمَّ اغتياله، إذ أن طلحة والزبير وأم المؤمنين حمّلوا علياً عليه السلام مسئولية جانب مهم من الأحداث المأساوية التي وقعت، على الرغم من براءة الإمام منها، ومحاولاته الحثيثة لوأد الفتنة، بل ولطالما نصح الخليفة عثمان بالأخذ بعين الاعتبار مطالبات الثائرين بتصحيح الأوضاع الإدارية والاقتصادية في الأمصار، وتحمَّل تهديدات واتهامات بعض الثائرين بمالأته للخليفة ومحاباته له، كما قدّم ابنيه الحسن والحسين لمنع الناس من قتل الخليفة.

وقد رد الإمام على هذه التهمة في خطبة ـ سيتم ذكرها بالتفصيل لاحقاً ـ حيث قال فيها: **وإنهم ليطلبون حقاً هم تركوه، ودماً هم سفكوه.**

٣ ـ تداخل المصالح وتشابكها في تشكيلة القوات التي قادها الصحابيان طلحة والزبير، فقد كانا يطمحان في نصيب من الإمارة على عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام، وقد روى اليعقوبي أن الإمام ولى طلحة اليمن، والزبير اليمامة والبحرين، فلما دفع إليهما عهديهما، قالا له: **وصلتك رحم.**

فقال: **وإنما وصلتكما بولاية أمور المسلمين.**

واسترد الإمام العهدين منهما، فعتبا من ذلك وقالا: **آثرت علينا.**

فقال: **لولا ما ظهر من حرصكما فقد كان لي فيكما رأي.**

وعلى أثر ذلك قررا الخروج إلى البصرة، فاستأذناه للخروج إلى العمرة، فقال الإمام لبعض أصحابه: **والله ما أرادا العمرة، ولكنهما أرادا الغدرة!** [1]

ومن جهة ثانية فإن الذين خسروا الامتيازات التي حصلوا عليها على عهد

---

١ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ـ ج ٢ ـ ص ١٨٠

الخليفة عثمان، أرادوا بخروجهم الحصول عليها مجدداً من خلال الإطاحة بحكم الإمام.

روى الطبري عن الزهري قال: (ثم ظهرا - يعني طلحة والزبير - إلى مكة بعد قتل عثمان رضي الله عنه بأربعة أشهر، وابنُ عامر بها يجرُّ الدنيا [1]، وقدم يعلى بن أمية معه بمال كثير وزيادة على أربعمائة بعير، فاجتمعوا في بيت عائشة رضي الله عنها فأرادوا الرأي فقالوا: **نسير إلى علي فنقاتله.**

فقال بعضهم: **ليس لكم طاقة بأهل المدينة، ولكنا نسير حتى ندخل البصرة والكوفة، ولطلحة بالكوفة شيعة وهوى، وللزبير بالبصرة هوى ومعونة.**

فاجتمع رأيهم على أن يسيروا إلى البصرة وإلى الكوفة، فأعطاهم عبد الله بن عامر مالاً كثيراً وإبلاً فخرجوا في سبعمائة رجل من أهل المدينة ومكة ولحقهم الناس حتى كانوا ثلاثة آلاف رجل) [2].

وهكذا اجتمعت الأطراف، وقررت إعلان الحرب على الخليفة علي بن أبي طالب، الذي حاول بدوره أن يثنيهم عن عزمهم إلا أنهم لم يستجيبوا لمحاولاته.

وفي النص التالي نجد الإمام عليه السلام يحاول أن يوضح للناس ما أثير من شبهات، والتي بدت وقد استحكمت في العقول وأخذت بالنفوس، حتى بات من العسير التعامل معها بمنطق العقل والحجة، فراح يبين حقيقة ما جرى قبيل بيعته وما بعدها، إتماماً للحجة ومحاولة لنزع فتيل الحرب الضروس.

وكان فيما قال: **ألا وإن الشيطان قد جمع حزبه [3]، واستجلب خيله ورجله [4]، وإن معي لبصيرتي [5]، ما لبَست على نفسي، ولا لُبِس علَي [6]. وأيم الله لأفرطن لهم**

---

١ هو عبدالله بن عامر ابن خال الخليفة عثمان ووالیه على البصرة.

٢ الطبري: تاريخ الطبري - ج ٣ - ص ٤٧١

٣ اختلف الرواة والمفسرون لكلامه في أن مقصوده إبليس لعنه الله، أم شيطان من الإنس.

٤ الرجل، جمع الراجل = الماشي

٥ أي أن البصيرة التي كانت معي في زمن رسول الله لم تتغير

٦ اللبس = الضلال وعدم وضوح الأمر

حوضاً أنا ماتحه [1]، لا يصدرون عنه [2]، ولا يعودون إليه [3].

وقد روى الشريف الرضي هذا النص بصورة مختلفة قليلاً في موضع آخر من نهج البلاغة تحت عنوان: ومن كلام له عليه السلام في شأن طلحة والزبير: والله ما أنكروا عليّ منكراً، ولا جعلوا بيني وبينهم نَصَفاً [4]، وإنهم ليطلبون حقاً هم تركوه، ودماً هم سفكوه.

فإن كنتُ شريكهم فيه، فإن لهم نصيبهم منه، وإن كانوا ولُوه دوني فما الطَّلِبة إلا قبلهم [5]. وإن أوَّلَ عدلِهم لَلحكمُ على أنفسهم، وإنَّ معي لبصيرتي، مالبَست ولا لُبِّس علي.

وإنها للفئة الباغية فيها الحما والحمة [6]، والشبهة المغدفة [7]. وإن الأمر لواضح، وقد زاح الباطل عن نصابه [8]، وانقطع لسانه عن شغْبه [9]، وأيم الله لأفرطَن لهم حوضاً أنا ماتحه، لا يصدرون عنه بِرَيٍّ، ولا يعبُّون بعده في حَسِيٍّ [10].

فأقبلتم إليّ إقبال العوذ المطافيل على أولادها [11]، تقولون: البيعة البيعة ! قبضتُ كفّي فبسطتموها، ونازعتكم يدي فجاذبتموها.

اللهم إنهما قطعاني وظلماني، ونكثا بيعتي، وألَّبا الناس عليّ [12]، فاحلُل ما عقدا، ولا تحكم لهما ما أبرما، وأرهما المساءة فيما أمَّلا وعملا.

---

١ الفرط = السابق . الماتح = المستقي . يقول لأملأن لهم حياض الحرب التي أنا معتاد عليها، أو لأسبقنهم إلى حياضها التي جربتها .

٢ يعني إذا وردوا المعركة فلن يخرجوا منها لأنه سيقتلهم ، ومن فر منهم لا يعود إليها .

٣ الرضي : نهج البلاغة ـ الخطبة ١٠ ـ ص ٥٤

٤ النصف = الإنصاف ، أي حَكماً منصفاً عادلاً يحكم بيني وبينهم

٥ الطلبة = الشئ المطلوب

٦ الحما = الطين الأسود . وحمة العقرب : سمها ، أي في هذه الفئة الباغية الضلال والفساد والضرر

٧ المغدفة = الخفية ، وأصله المرأة تغدف وجهها بقناعها أي تستره

٨ نصابه = مركزه ومقره

٩ الشغب = تهييج الشر

١٠ الحسي = السهل من الأرض يستنقع فيه الماء ، فيحفرونه لاستخراج الماء منه

١١ العوذ = النوق الحديثات النتاج ، مفردها : عائذ . والمطافيل: جمع مطفل = التي زال عنها اسم العياذ وقد تسمى المطافيل عوذاً مجازاً .

١٢ ألبا = حرّضا

ولقد استتبتهما قبل القتال [1]، واستأنّيت بهما أمام الوقاع [2]، فغمطا النعمة [3]، وردّا العافية [4].

* الإمام يتحدث عن طلحة :

قال الإمام علي عليه السلام في بيان حال طلحة وموقفه منه، ومدى شرعية مطالبته بدم الخليفة عثمان: قد كنتُ وما أُهدَّد بالحرب [5]، ولا أرهب بالضرب، وأنا على ما وعدني ربي من النصر [6].

والله ما استعجَل متجرداً للطلب بدم عثمان إلا خوفاً من أن يطالَب بدمه [7]، لأنه مظنَّته [8]، ولم يكن في القوم أحرص عليه منه [9]، فأراد أن يغالط بما أجلب فيه ليلتبس الأمر، ويقع الشك.

ووالله ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث: لئن كان ابن عفان ظالماً ـ كما كان يزعم ـ لقد كان ينبغي له أن يوازر قاتليه، وأن ينابذ ناصريه. ولئن كان مظلوماً، لقد كان ينبغي له أن يكون من المنهنهين عنه [10]، المعذرين فيه.

ولئن كان في شك من الخصلتين، لقد كان ينبغي له أن يعتزله، ويركد جانباً، ويدع الناس معه. فما فعل واحدة من الثلاث، وجاء بأمرٍ لم يعرف بابه، ولم تسلم معاذيره [11].

---

١ استتبتهما = طلبت منهما أن يثوبا أي يرجعا
٢ استأنيت : من الأناة والانتظار
٣ غمط النعمة = تحقيرها
٤ الرضي : نهج البلاغة ـ الخطبة ١٣٧ ـ ص ١٩٤ - ١٩٥
٥ كان هنا تامة ، وتعني خُلقت ووجِدت وأنا بهذه الصفة
٦ أي مطمئن بأن الله سينصرني لأنني على حق
٧ المستعجل هو طلحة . وتجرد = تفرّغ
٨ أي متهم بالاشتراك في قتله
٩ أي لم يكن أحد أحرص على قتل الخليفة من طلحة
١٠ المنهنه عنه = المدافع الكاف عنه
١١ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ١٠ ـ ص ٣ - ٤ .

* قبيل المعركة:

سار طلحة والزبير وأشياعهم نحو جيش الإمام، فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله ابن زياد، وأقاموا ثلاثة أيام لم يكن بينهم قتال، وكان نزولهم في النصف من جمادى الآخرة سنة ٣٦ هـ [١].

وحاول الإمام عليه السلام ثنيهم عن إشعال الحرب، فبعث إليهم عدة كتب ورسل تنبههم إلى مخاطر ما هم مقدمون عليه، والنتائج الرهيبة التي قد تسفر عنها المعركة فيما لو وقعت، وذكّرهم بالآخرة، وحذرهم من الوقوع في الفتنة، إلا أن القوم أبوا إلا الاستمرار، وفسَّروا تلك المحاولات على أنها إحساس بالضعف، وأن الإمام قد جبن عن ملاقاتهم، فأعلنوا الحرب التي لا رجعة فيها..

و قد روى مسافر بن عفيف بن أبي الأخنس ما جرى في تلك اللحظات حيث قال: لما رجعَت رسُل علي عليه السلام من عند طلحة والزبير وعائشة يؤذنونه بالحرب، قام فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله صلى الله عليه، ثم قال: **أيها الناس، إني قد راقبتُ هؤلاء القوم كي يرعووا أو يرجعوا [٢]، ووبختهم بنكثهم، وعرّفتهم بغيّهم فلم يستحيوا، وقد بعثوا إليّ أن: ابرز للطعان، واصبر للجِلاد، وإنما تُمنّيك نفسُك أماني الباطل، وتعدك الغرور !**

ألا هبَلتهم الهبول، لقد كنتُ وما أهَدَّد بالحرب ولا أُرهب بالضرب [٣] ! ولقد أنصف القارة من راماها [٤]، فليرعدوا وليبرقوا، فقد رأوني قديماً، وعرفوا نكايتي، فكيف رأوني ؟! أنا أبو الحسن، الذي فللتُ حدَّ المشركين، وفرَّقت جماعتهم، وبذلك

---

١ وقيل أن بدء المعركة كان يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى

٢ راقبت = أمهلت

٣ لقد كنت وما أهدد بالحرب = ما زلت لا أهددُ بها

٤ قد أنصف القارة من راماها ، مثل ، والقارة : قوم رمالة من العرب ، والنسبة إليهم قاري ، وزعموا أن رجلين التقيا ، أحدهما قاري والآخر أسدي ، فقال القاري : إن شئت صارعتك ، وإن شئت سابقتك ، وإن شئت راميتك ، فقال : اخترت المراماة ، فقال القاري : لقد أنصفتني ، وأنشد :

قد أنصف القارة من راماها ... إنا إذا ما فئة نلقاها

نرد أولاها على أخراها ثم ... ننزع له سهما فشك فؤادها

القلب ألقى عدوّي اليوم، وإني لعلى ما وعدني ربي من النصر والتأييد، وعلى يقين من أمري، وفي غير شبهة من ديني.

أيها الناس، إن الموت لا يفوته المقيم، ولا يعجزه الهارب، ليس عن الموت محيد ولا محيص، مَن لم يُقتل مات. إن أفضل الموت القتل، والذي نفس علي بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موتة واحدة على الفراش. اللهم إن طلحة نكث بيعتي، وألّب على عثمان حتى قتله، ثم عضهني [1] به ورماني. اللهم فلا تُمهله. اللهم إن الزبير قطع رحمي، ونكث بيعتي، وظاهَر على عدوي، فاكفنيه اليوم بما شئت.

ثم نزل [2].

وقد روى الشريف الرضي نصاً آخر قريب المعنى واللفظ منه، واعتبره القطب الراوندي صاحب الشرح على نهج البلاغة من خطب الإمام التي ألقاها في صفين وليس في الجمل، وجاء فيها: ألا وإن الشيطان قد ذمَّر حزبه [3]، واستجلب جلبه [4]، ليعود الجور إلى أوطانه [5]، ويرجع الباطل إلى نصابه. والله ما أنكروا عليَّ منكَراً، ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً، وإنهم ليطلبون حقاً هم تركوه، ودماً هم سفكوه، فلئن كنتُ شريكهم فيه، فإن لهم لنصيبهم منه، ولئن كانوا ولّوه دوني، فما التبعة إلا عندهم. وإن أعظم حجتهم لعلى أنفسهم، يرتضعون أُمَّاً قد فطَمت [6]، ويحيون بدعة قد أميتت.

يا خيبة الداعي [7]! مَن دعا ؟! وإلام أجيب [8]! وإني لراض بحجة الله عليهم،

---

١ عضهه = قال فيه ما لم يكن

٢ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ـ ج ١ ـ ص ٣٠٦

٣ ذمر = حضّ وحث

٤ الجلب = السحاب الرقيق الذي لا مله فيه، أي جمع قوماً كالسحاب الذي فرغ مازه فلا نفع فيه

٥ وروى: " ليعود الجور إلى قطابه "، والقطاب: مزاج الخمر بالماء، أي ليعود الجور ممتزجاً بالعدل كما كان. ويجوز أن يعنى بالقطاب قطاب الجيب، وهو مدخل الرأس فيه، أي ليعود الجور إلى لباسه وثوبه.

٦ يرتضعون أماً قد فطمت = يقول: يطلبون الشئ بعد فواته، لأن الأم إذا فطمت ولدها فقد انقضى إرضاعها

٧ يا خيبة الداعي = يا خيبة احضري، فهذا أوانك

٨ على سبيل الاستصغار لهم والاستحقار: " من دعا! وإلى ما ذا أجيب! " أي أحقر بقوم دعاهم هذا الداعي! وأقبح بالأمر الذي أجابوه إليه، فما أفحشه وأرذله

وعِلمه فيهم، فإن أبوا أعطيتهم حد السيف، وكفى به شافياً من الباطل، وناصراً للحق ! ومن العجب بعثهم إليَّ أن أبرز للطعان، وأن أصبر للجلاد.

هبلتهم الهبول ! لقد كنتُ وما أُهَدَّد بالحرب، ولا أُرهَب بالضرب. وإني لعلى يقين من ربي، وغير شبهة من ديني [1].

* قيم ومبادئ :

وخطب عليه السلام لما تواجه الجمعان خطبةً اشتملت على مجموعة من التوجيهات الحافلة بالمبادئ والقيم الراقية، في أجواء الحرب التي من المفترض أن لا يرحم فيها الخصم خصمه، وأن ينتهزها ليشفي فيها غيظه منه بكل طريقة.

قال عليه السلام: لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم حُجَّة أخرى، وإذا قاتلتموهم فلا تُجهزوا على جريح، وإذا هزمتموهم فلا تُتبعوا مدبراً ولا تكشفوا عورة ولا تمثّلوا بقتيل، وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً، ولا تهيِّجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم، فإنهن ضعاف القول والأنفس والعقول [2]. لقد كنا نؤمر بالكف عنهن وأنهن لمشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة بالهراوة والجريدة فيُعيَّر بها وعَقِبُه من بعده [3].

* في أجواء حرب الجمل:

لما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرسٍ عليه السلاح، فقيل لعلي: هذا الزبير. فقال: أما إنه أحرى الرجلين إن ذكَّر الله أن يذكر.

---

١ الشريف الرضي : نهج البلاغة ـ الخطبة ٢٢ ـ ص ٦٣ - ٦٤

٢ يشير الإمام بذلك إلى تغلب عاطفة المرأة مما يؤثر على قراراتها .

٣ الأمين : أعيان الشيعة ـ ج ١ ـ ص ٤٥٦

وخرج طلحة فخرج إليهما علي فدنا منهما حتى اختلفت أعناق دوابهم، فقال علي: لعَمري لقد أعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً، إن كنتما أعددتما عند الله عذراً فاتقيا الله سبحانه ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً.

ألم أكن أخاكما في دينكما تحرّمان دمي وأحرِّم دماءكما ؟! فهل من حدث أحل لكما دمي ؟!

قال طلحة: ألّبت الناس على عثمان.

قال علي: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾[1]، يا طلحة تطلب بدم عثمان ؟ فلعن الله قتلة عثمان. يا طلحة جئت بعرس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقاتل بها[2]، وخبّأت عرسك ؟! أما بايعتني ؟

قال: بايعتُك والسيفُ على عنقي.

وقال علي للزبير: أتطلب مني دم عثمان وأنت قتلته ؟ سلط الله على أشدنا عليه اليوم ما يكره، يا زبير أتذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بني غنم، فنظر إلي فضحك وضحكت إليه، فقلتَ: لا يدع ابن أبي طالب زهوه.

فقال لك: صه، إنه ليس به زهو، ولتقاتلنه وأنت له ظالم.

فقال: اللهم نعم، ولو ذكرتُ، ما سرتُ مسيري هذا، والله لا أقاتلك أبداً.

فانصرف عليٌّ إلى أصحابه فقال: أما الزبير فقد أعطى الله عهداً أن لا يقاتلكم.

ورجع الزبير إلى أم المؤمنين عائشة فقال لها: ما كنت في موطن منذ عقلت إلا وأنا أعرف فيه أمري غير موطني هذا.

قالت: فما تريد أن تصنع ؟

قال: أريد أن أدعهم وأذهب.

فقال له ابنه عبد الله: جمعتَ بين هذين العسكرين حتى إذا حدد بعضهم لبعض

---

١ النور / ٢٥

٢ عرسه = زوجته

أردت أن تتركهم وتذهب ؟! لكنك خشيت رايات ابن أبي طالب، وعلمت أنها تحملها فتية أنجاد، وأن تحتها الموت الأحمر فجبنت !

فأحفظه ذلك وقال [1]: **إني حلفت أن لا أقاتله.**

قال: **كفِّر عن يمينك وقاتِله.**

فأعتق الزبير غلامه مكحولاً تكفيراً عن اليمين !

ثم إن الزبير أنصلَ سنانَ رمحه [2]، وحمل على عسكر علي برمح لا سنان له، فقال علي: **أفرجوا له فإنه مُحرَج.**

ثم عاد إلى أصحابه، ثم حمل ثانية ثم ثالثة ثم قال لابنه: **أجُبناً ويلك ترى ؟**

فقال: **لقد أعذرت.**

ترك الزبير الحرب وتوجه من فوره إلى وادي السباع قاصداً المدينة ومعه غلام له يدعى عطية، فتبعه عمرو بن جرموز، فلما حضرت الصلاة، قال ابن جرموز: **الصلاة.**

فقال الزبير: **الصلاة .**

فنزلا واستدبره ابن جرموز فطعنه من خلفه فقتله.

* **بدء المعركة:**

رمى أصحاب الجمل عسكر علي عليه السلام بالنبل رمياً شديداً متتابعاً، فضج إليه أصحابه وقالوا: **عقرتنا سهامهم يا أمير المؤمنين .**

وجئ إليه برجل فقيل له: **هذا فلان قد قُتل.**

فقال: **اللهم اشهد.**

ثم قال: **أعذروا إلى القوم** [3].

فأُتِي برجل آخر، فقيل: **وهذا قد قُتل.**

---

١ فأحفظه ذلك = أثار حفيظته

٢ أنصل = أزال سنان الرمح

٣ رغبة في عدم القتال وإفساح المجال لأي احتمال لوقف الحرب

فقال: **اللهم اشهد، أعذروا إلى القوم.**

ثم أقبل عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحمل أخاه عبد الرحمن قد أصابه سهم فقتله، فقال: **يا أمير المؤمنين هذا أخي قد قُتل.**

فاسترجع عليٌّ ودعا بدرع رسول الله ذات الفضول فلبسها فتدلت على بطنه فرفعها بيده وقال لبعض أهله فحزم وسطه بعمامة وتقلّد ذا الفقار، ودفع إلى ابنه محمد راية رسول الله السوداء وتُعرف بالعقاب، وقال للحسن والحسين عليهما السلام: **إنما دفعت الراية إلى أخيكما وتركتكما لمكانكما من رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم.

طاف علي على أصحابه وهو يقرأ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[1].

ثم قال: **أفرغ الله علينا وعليكم الصبر وأعز لنا ولكم النصر وكان لنا ولكم ظهيراً في كل أمر.**

ثم رفع الإمام مصحفاً بيده فقال: **من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إلى ما فيه وله الجنة ؟**

فقام غلام شاب اسمه مسلم عليه قباء أبيض[2]، فقال: **أنا آخذه .**

فنظر إليه علي وقال: **يا فتى ، إن أخذته فإنَّ يدَك اليمنى تُقطع، فتأخذه بيدك اليسرى فتُقطع، ثم تُضرب بالسيف حتى تُقتل !**

فقال الغلام: **لا صبر لي على ذلك.**

فنادى علي ثانية، فقام الغلام وأعاد عليه القول، وأعاد الغلام القول مراراً حتى

---

١ البقرة/ ٢١٤

٢ قبه = نوع من الثياب

قال الغلام: **أنا آخذه وهذا الذي ذكرت في الله قليل.**

فأخذه وانطلق، فلما خالطهم ناداهم: **هذا كتاب الله بيننا وبينكم.**

فضربه رجل فقطع يده اليمنى، فتناوله باليسرى، فضربه أخرى قطع اليسرى، فاحتضنه وضربوه بأسيافهم حتى قُتل.

* **مجريات المعركة :**

استحرَّ القتل إلى صدر النهار، وقيل إلى الزوال، حتى بانت الهزيمة في معسكر أصحاب الجمل، وأصيب طلحة بن عبيدالله بسهم لا يُدري راميه على التحديد، وقد روى ابن الأثير أن الذي رمى طلحة هو مروان بن الحكم [1]، وكان ذلك منه أخذاً بثأر الخليفة عثمان، لما ذكرناه مسبقاً من أن طلحة كان على رأس الثائرين عليه.

انسحب طلحة من أرض المعركة وهو يقول: **اللهم خذ لعثمان مني حتى ترضى.**

فلما امتلأ خفه دماً وثَقُل قال لغلامه: **اردفني وأمسكني وأبلِغني مكاناً أنزل فيه لا أُعرَف فيه، فلم أر كاليوم شيخاً أضيع دماً مني.**

فدخل البصرة فأنزله في دارٍ خربة، فمات فيها.

اشتد القتال حتى قال أحدهم: لما كان يوم الجمل ترامينا بالنبل حتى فنيت، وتطاعنّا بالرماح حتى تشبكت في صدورنا وصدورهم.

وقال آخر: لقد رأيتنا يوم الجمل ندافعهم بأسنّتنا، ونتكي على أزجّتنا [2]، وهم مثل ذلك، حتى لو أن الرجال مشت عليها لاستقلت بهم [3].

تناول عبد الله بن أبزي خطام الجمل وكان يقاتل قتالاً مستميتاً، ثم شدَّ على عسكر علي فقال:

---

١ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ـ ج ٣ ـ ص ٢٤٤

٢ الزج = نصل الرمح

٣ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ـ ج ٣ ـ ص ٥٣٨

أضـــربهم ولا أرى أبـــا حســـن هـــا إن هـــذا حـــزن مـــن الحـــزن

فشد عليه أمير المؤمنين عليه السلام بالرمح فطعنه فقتله وقال: **قد رأيت أبا حسن فكيف رأيته ؟** وترك الرمح فيه.

ثم خرج عبد الله بن خلف الخزاعي وهو رئيس البصرة وأكثر أهلها مالاً وضياعاً، وطلب المبارزة وسأل أن لا يخرج إليه إلا عليٌّ، وارتجز عليه فقال:

يـــا أبـــا تـــراب أدنُ مـــني فِـــتْرا فـــإنني دان إليـــك شِـــبرا

وإن في صدري عليك غَمرا [1]

فخرج إليه علي عليه السلام فلم يمهله أن ضربه ففلق هامته.

واستدار الجمل كما تدور الرحى وتكاثفت الرجال حوله واشتد رغاؤه واشتد زحام الناس عليه، وقصد المقاتلون من معسكر الإمام علي عليه السلام ذلك الجملَ، والرجال من حوله كالجبال، كلما خف قوم جاء أضعافهم، فنادى أمير المؤمنين علي: **ويحكم ارشقوا الجمل بالنبل، اعقروه !**

فرُشق بالسهام، فلم يبقَ فيه موضع إلا أصابه النبل، فتعلقت السهام به فصار كالقنفذ. ونادت الأزد وضبَّة: **يا لثارات عثمان !** فأخذوها شعاراً.

ونادى أصحاب علي: **يا محمد !** فأخذوها شعاراً.

واختلط الفريقان ونادى علي بشعار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **يا منصورُ أمِتْ !**

تقاتل الفريقان في اليوم الثاني والقتل فاش في المعسكرين، إلا أنه في معسكر خصوم الإمام علي أكثر، وإمارات النصر لائحة لمعسكر الإمام، إلا أن الأمور لم تُحسم.

---

[1] الغمر = الحقد والغل

* موقف لمحمد بن الحنفية:

دفع الإمام علي عليه السلام في اليوم الثالث رايته إلى ابنه محمد، وقد استوت الصفوف، وقال له: **تزول الجبال ولا تزل** [1]، **عض على ناجذك** [2]، **أعر الله جمجمتك** [3]، **تِدْ في الأرض قدمك** [4]، **ارم ببصرك أقصى القوم، وغض بصرك** [5]، **واعلم أن النصر من عند الله سبحانه.**

ثم قال له: احمل.

فتوقف قليلاً، فقال له: احمل.

فقال: **يا أمير المؤمنين، أما ترى السهام كأنها شآبيب المطر** [6] ؟!

فدفع في صدره، فقال: **أدركك عِرقٌ من أمك** [7].

ثم أخذ الإمام الراية فهزَّها، ثم قال:

اطعن بها طعن أبيك تحمد ... لا خير في الحرب إذا لم توقد

بالمشرفيِّ والقنا المسدد [8]

ثم حمل، وحمل الناس خلفه، فطحن عسكر البصرة. ولما عاد دفع الراية إلى ابنه محمد، وقال: **امحُ الأولى بالأخرى، وهذه الأنصار معك.**

قال ابن أبي الحديد: (ثم أدركَت علياً عليه السلام رقة على ولده، فتناول الراية منه بيده اليسرى، وذو الفقار مشهور في يمنى يديه، ثم حمل فغاص في عسكر الجمل، ثم

---

١ أي إن زالت الجبال فلا تزل أنت ، والمراد المبالغة .

٢ الناجذ = أقصى الأضراس

٣ أي ابذلها في طاعة الله .

٤ تد = أمر من وتد قدمه في الأرض ، أي أثبتها فيها كالوتد .

٥ لا تناقض بين قوله : " ارم ببصرك " وقوله : " غض بصرك " ، وذلك لأنه في الأولى أمره أن يفتح عينه ويرفع طرفه ، ويحدق إلى أقاصي القوم ببصره ، كالشجاع المقدام غير المكترث ولا المبالي ، لأن الجبان تضعف نفسه ويخفق قلبه فيقصر بصره ولا يرتفع طرفه ، ولا يمتد عنقه ، ويكون ناكس الرأس ، غضيض الطرف . وفي الثانية أمره أن يغض بصره عن بريق سيوفهم ولمعان دروعهم ، لئلا يبرق بصره ويدهش ويستشعر خوفاً .

٦ شآبيب المطر = دفعات المطر ، ومفردها شؤبوب

٧ إشارة إلى أن تردد ابنه في ذلك الموقف لم يكن بسبب صفة ورثها منه بل من جهة أمه.

٨ المشرفي = السيف

رجع وقد انحنى سيفه، فأقامه بركبته.

فقال له أصحابه وبنوه والأشتر وعمار: **نحن نكفيك يا أمير المؤمنين.**

فلم يُجب أحداً منهم ولا ردّ إليهم بصره، وظل ينحط ويزأر زئير الأسد [1]، حتى فرق من حوله، وتبادروه وإنه لطامح ببصره نحو عسكر البصرة [2]، لا يبصر من حوله، ولا يرد حواراً، ثم دفع الراية إلى ابنه محمد، ثم حمل حملة ثانية وحدَه، فدخل وسطهم فضربهم بالسيف قدماً قدماً، والرجال تفر من بين يديه وتنحاز عنه يمنة ويسرة، حتى خضب الأرض بدماء القتلى، ثم رجع وقد انحنى سيفه، فأقامه بركبته، فاعصوصب به أصحابه [3]، وناشدوه الله في نفسه وفي الإسلام، وقالوا: **إنك إن تُصَب يذهب الدين، فأمسِك ونحن نكفيك.**

فقال: **والله ما أريد بما ترون إلا وجه الله والدار الآخرة.**

ثم قال لمحمد ابنه: **هكذا تصنع يا بن الحنفية.**

فقال الناس: **من الذي يستطيع ما تستطيعه يا أمير المؤمنين ؟!)** [4].

ضم الإمام علي عليه السلام إلى ابنه خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين، في جمع من الأنصار، كثيرٌ منهم من أهل بدر، فحمل حملات كثيرة، أزال بها القوم عن مواقفهم وأبلى بلاء حسناً.

فقال خزيمة بن ثابت لعلي عليه السلام: **أما إنه لو كان غير محمد اليوم لافتضح، ولئن كنتَ خفتَ عليه الجبن وهو بينك وبين حمزة وجعفر لما خفناه عليه، وإن كنتَ أردتَ أن تعلِّمه الطعان فطالما علَّمتَه الرجال.**

وقالت الأنصار: **يا أمير المؤمنين، لولا ما جعل الله تعالى للحسن والحسين لما قدَّمنا على محمد أحداً من العرب.**

---

١ ينحط = يزفر

٢ طمح بصره إليه = امتد ورفع

٣ اعصوصبوا به = استجمعوا والتفوا حوله

٤ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ـ ج ١ ـ ص ٢٥٧ - ٢٥٨

فقال علي عليه السلام: **أين النجم من الشمس والقمر ؟! أما إنه قد أغنى وأبلى، وله فضله، ولا ينقص فضل صاحبيه عليه، وحسب صاحبكم ما انتهت به نعمة الله تعالى إليه.**

فقالوا: **يا أمير المؤمنين، إنا والله لا نجعله كالحسن والحسين، ولا نظلمهما له، ولا نظلمه ـ لفضلهما عليه ـ حقه.**

فقال علي عليه السلام: **أين يقع ابني من ابنَيْ بنت رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال خزيمة بن ثابت فيه:

محمد ما في عودك اليوم وصمة ... ولا كنت في الحرب الضروس معردا [1]

أبوك الذي لم يركب الخيل مثله ... علي ، وسماك النبي محمدا

فلو كان حقاً من أبيك خليفة ... لكنت ، ولكن ذاك ما لا يرى بدا

وأنت بحمد الله أطول غالب ... لساناً ، وأنداها بما ملكت يدا [2]

وأقربها من كل خير تريده ... قريش وأوفاها بما قال موعدا

وأطعنهم صدر الكمي برمحه ... وأكساهم للهام عضبا مهندا

سوى أخويك السيدين ، كلاهما ... إمام الورى والداعيان إلى الهدى

أبى الله أن يعطى عدوك مقعدا ... من الأرض أو في الأوج مرقى ومصعدا [3]

وروى ابن أبي الحديد أن محمد بن الحنفية كان إذا ذكر تلك الحادثة يبكي، ويقول: **لكأني أجد ريح نفسه في قفاي ، والله لا أنسى ذلك أبداً.**

قال ابن أبي الحديد: (قيل لمحمد: **لِمَ يغرُر بك أبوك في الحرب ولا يغرر بالحسن والحسين عليهما السلام؟**

فقال: **إنهما عيناه وأنا يمينه، فهو يدفع عن عينيه بيمينه.**

كان علي عليه السلام يقذف بمحمد في مهالك الحرب، ويكفّ حسناً وحسيناً عنها.

---

١ معرد = منهزم

٢ غالب = ذرية غالب بن فهر بن مالك

٣ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ١ ـ ص ٢٤٥ - ٢٤٦

ومن كلامه في يوم صفين: **أملكوا عني هذين الفتيين، أخاف أن ينقطع بهما نسل رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم [1].

* **نهاية المعركة:**

زحف علي عليه السلام نحو الجمل بنفسه في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار، وحوله بنوه حسن وحسين ومحمد، ولقد كانت الرؤوس تندر عن الكواهل، والأيدي تطيح من المعاصم، وأقتاب البطن تندلق من الأجواف، وهم حول الجمل كالجراد الثابتة لا تتحلحل ولا تتزلزل، ونادى علي: **اعقروا الجمل، فإنه إن عُقر تفرقوا عنه.**

ثم قال: **اعقروه وإلا فنيت العرب.**

ولا يزال السيف قائماً وراكعاً حتى وضع الإمام سيفه على عاتقه وعطف نحوه، وأمر أصحابه بذلك، والخطام مع بني ضبّة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقُتل من بني ضبة مقتلة عظيمة، وخلص علي في جماعة من النخع وهمدان إلى الجمل، فقال لرجل من النخع اسمه بجير: **دونك الجمل يا بجير.**

فضرب عَجْزَ الجمل بسيفه، فوقع لجنبه وضرب بجرانه الأرض. فلما سقط الجمل كانت الهزيمة، وفرّت الرجال عنه كما يطير الجراد في الريح الشديدة الهبوب.

تقدم محمد بن أبي بكر ومعه عمار بن ياسر فقطعا الأنساع عن الهودج واحتملاه [2]، وأمر الإمام عليٌّ عليه السلام محمدَ بن أبي بكر أن يضرب عليها قبة [3]، فلما كان الليل أدخلها البصرة فأنزلها في دار عبد الله بن خلف الخزاعي وهي أعظم دار بالبصرة، ثم أمر الإمام منادياً فنادى: **ألاّ تتّبعوا مدبراً ولا تُجهزوا على جريح ولاتدخلوا الدور ولا ترزأوا سلاحاً ولا ثياباً ولا متاعاً، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن.**

---

١ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ١ ـ ص ٢٤٤

٢ النسع = حبل يضفر وتشد به الرحال ، والجمع أنساع ونسوع ونسع

٣ أي ينصبا خيمة لأم المؤمنين

وهكذا أُسدل الستار على هذه المعركة التي خلفت وراءها من القتلى خمسة عشر ألفاً[1]، ودخل عليه السلام البصرة يوم الإثنين بعد الوقعة بثلاث، فانتهى إلى المسجد فصلى فيه ثم أتاه الناس، فخطب فيهم فكان فيما قال: **قد عفوتُ عنكم، فإياكم والفتنة، فإنكم أول الرعية نكث البيعة وشق عصا هذه الأمة.**

ثم جلس للناس فبايعوه، بما فيهم الجرحى والذين شاركوا في المعركة من معسكر الناكثين.

وجهَّز الإمام علي أمَّ المؤمنين عائشة بكل شئ ينبغي لها من مركب وزاد ومتاع، وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحبَّ المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وأرسل معها أخاها محمداً، وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ٣٦ هـ نحو المدينة المنورة.

---

١ وقيل عشرة آلاف نصفهم من جيش علي

حرب صفين:

بعد انتهاء حرب الجمل قرر الإمام علي عليه السلام التوجه نحو الكوفة لاتخاذها عاصمة له، إذ أن أوضاع المدينة المنورة لم تكن مهيئة لإدارة الحكم من خلالها، لوجود عدد من التيارات السياسية التي كانت ترى لنفسها الحق في إدارة الدولة، والتدخل في القرارات، بما قد يؤدي إلى عرقلة حركة الإصلاحات التي أراد الإمام القيام بها، علاوة على قلة الناصرين له فيها.

وبوصوله إلى الكوفة قرر الإمام اتخاذ الإجراء المناسب بحق معاوية الذي استأثر بولاية الشام معلناً التمرد على الخلافة، وأراد الإمام أن يبعث إلى معاوية رسولاً فاقترح عليه جرير بن عبد الله البجلي أن يقوم هو بالمهمة لما تربطه بمعاوية من علاقة سابقة، فبعثه وقال له: **إن حولي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الدين والرأي مَن قد رأيت، وقد اخترتك عليهم. ائت معاوية بكتابي، فإن دخل فيما دخل فيه المسلمون وإلا فانبذ إليه وأعلمه أني لا أرضى به أميراً.**

انطلق جرير حتى أتى الشام ودخل على معاوية فقال: **أما بعد يا معاوية، فإنه قد اجتمع لابن عمك أهل الحرمين وأهل المصرين وأهل الحجاز واليمن ومصر وأهل العروض وعمان وأهل البحرين واليمامة، ولم يبق إلا هذه الحصون التي أنت بها، لو سال عليها سيل من أوديته غرقها، وقد أتيتك أدعوك إلى ما يرشدك ويهديك إلى مبايعة هذا الرجل.**

ودفع إليه كتاب علي بن أبي طالب وفيه: **بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإن بيعتي لزِمَتْك بالمدينة وأنت بالشام، لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه، فلم يك للشاهد أن يختار وللغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإذا اجتمعوا على رجل فسمّوه إماماً كان ذلك لله رضا، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى ويصليه جهنم وساءت مصيراً.**

وإن طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي وكان نقضهما كردهما فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون.

فادخل فيما دخل فيه المسلمون، فإن أحب الأمور إليَّ فيك العافية، إلا أن تتعرض للبلاء، فإن تعرَّضت له قاتلتُك واستعنتُ الله عليك.

وقد أكثرتَ في قتلة عثمان، فادخل فيما دخل فيه الناس، ثم حاكِم القوم إليَّ أحملُك وإياهم على كتاب الله.

فأما تلك التي تريدها، فخدعة الصبي عن اللبن [1]، ولعمري لئن نظرتَ بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان.

واعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى، وقد أرسلت إليك وإلى مَن قِبَلك جرير بن عبد الله، وهو من أهل الايمان والهجرة، فبايع ولا قوة إلا بالله.

وانتهز جرير الفرصة فقام خطيباً مؤكداً على ما جاء في الرسالة، فقال معاوية: أنظر وتنظر وأستطلع رأي أهل الشام.

وأمر معاوية منادياً فنادى الصلاة جامعة، فصعد المنبر وقال: الحمد لله الذي جعل الدعائم للاسلام أركاناً والشرائع للإيمان برهاناً، يتوقد قابسه في الأرض المقدسة التي جعلها الله محل الأنبياء والصالحين من عباده، فأحلَّها أهل الشام ورضيهم لها ورضيها لهم لما سبق من مكنون علمه من طاعتهم ومناصحتهم خلفاءه والقوَّام بأمره والذابِّين عن دينه وحرماته، ثم جعلهم لهذه الأمة نظاماً وفي سبيل الخيرات أعلاماً، يردع الله بهم الناكثين ويجمع بهم أُلفة المؤمنين، والله نستعين على ما تشعَّب من أمر المسلمين بعد الالتئام وتباعد بعد القرب.

اللهم انصرنا على أقوام يوقظون نائمنا ويخيفون آمننا ويريدون هراقة دمائنا

---

[1] خدعة تصرف بها الأم ابنها عن اللبن أول فطامه، كأن تضع المر على ثديها.

وإخافة سبلنا، وقد يعلم الله أنّا لم نرد بهم عقاباً ولا نهتك لهم حجاباً ولا نوطئهم زلقاً، غير أن الله الحميد كسانا من الكرامة ثوباً لن ننزعه طوعاً ما جاوب الصدى وسقط الندى وعرف الهدى، حملهم على خلافنا البغي والحسد فالله نستعين عليهم.

أيها الناس، قد علمتم أني خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وأني خليفة عثمان بن عفان عليكم، وإني لم أقِم رجلاً منكم على خزاية قط، وأني وليُّ عثمان، وقد قُتل مظلوماً، والله يقول ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾[1]. وأنا أحب أن تُعلِموني ذات أنفسكم في قتل عثمان.

فقام أهل الشام بأجمعهم فأجابوا إلى الطلب بدم عثمان وبايعوه على ذلك، وأوثقوا له على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم ويدركوا ثأره أو يفني الله أرواحهم.

وفي الغد قدم جرير على معاوية يستحثه بالبيعة، فقال: يا جرير، إنها ليست بخلسة وإنه أمرٌ له ما بعدَه، فأبلِغني ريقي حتى انظر.

طلب معاوية عمرو بن العاص ودعا ثقاته، فقال له عتبة بن أبي سفيان: استعِن على هذا الأمر بعمرو بن العاص، وأثمِن له بدينه، فإنه مَن قد عرفت، وقد اعتزل أمر عثمان في حياته، وهو لأمرِك أشدُّ اعتزالاً، إلا أن يرى فرصة.

فكتب معاوية إلى عمرو وهو بفلسطين، كان ذهب إليها لما حوصر عثمان، وكان له منزل بها: أما بعد، فإنه كان من أمرِ علي وطلحة والزبير ما قد بلغك، وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في رافضة أهل البصرة، وقدم علينا جرير بن عبد الله في بيعة علي، وقد حبست نفسي عليك حتى تأتيني. أقبِل أذاكرُك أمراً.

فاستشار عمرو ابنيه عبد الله ومحمداً، فقال عبد الله: قُتل عثمان وأنت عنه غائب، فَقِرْ في منزلك فلستَ مجعولاً خليفة، ولا تريد أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا

[1] الإسراء/٣٣

قليلة أوشك أن تهلك فتشقى فيها.

وقال محمد: **إنك شيخ قريش وصاحب أمرها، وإنْ تصرَّم هذا الأمر وأنت فيه خاملٌ تصاغَر أمرُك** [1]، **فالحقْ بجماعة أهل الشام فكن يداً من أيديها واطلب بدم عثمان.**

فقال عمرو: **أما أنت يا عبد الله فأمرتني بما هو خيرٌ لي في ديني، وأما أنت يا محمد فأمرتني بما هو خيرٌ لي في دنياي، وأنا ناظر فيه.**

قرر عمرو المسير إلى معاوية، فقدِم عليه ونال منه وعداً بمُلْك مصر، فبدأ على أثر ذلك يخطط لمواجهة الإمام من خلال جمع الأنصار وتأليب الناس وتحميل الإمام مسئولية قتل الخليفة عثمان.

وفي أثناء تلك الجهود دخل معاوية على جرير في منزله واقترح عليه أن يكتب إلى علي عليه السلام أن يجعل له الشام ومصر جبايةً، فإذا حضرته الوفاة لم يجعل لأحد بعده بيعة في عنقي، وسيسلِّم له هذا الأمر ويقرُّ له بالخلافة.

وافق جرير فكتب، وجاءه الرد من الإمام: **أما بعد فإنما أراد معاوية أن لا يكون لي في عنقه بيعة، وأن يختار من أمره ما أحب، وأراد أن يريثك حتى يذوق أهل الشام** [2].

وإن المغيرة بن شعبة قد كان أشار عليَّ أن أستعمل معاوية على الشام وأنا بالمدينة، فأبيتُ ذلك عليه، ولم يكن الله ليراني أتخذ المضلين عَضُداً. فإن بايعك الرجل وإلا فأقبِل.

فلما بايع معاوية أهل الشام وذاقهم قال: يا جرير، الحق بصاحبك. وكتب إليه بالحرب. وجرت بينهما مراسلات انتهت دون أن تثني أحداً منهما عن عزمه،

---

١ أي إن انتهى هذا الأمر دون أن تشارك فيه، فسيقل شأنك ومقامك عند الناس.

٢ أي يستمزج آراءهم

وسنستعرض واحدة منها فيما يلي:

كتب معاوية بن أبي سفيان كتاباً إلى الإمام علي عليه السلام، هذا نصه: من معاوية بن أبي سفيان، إلى علي بن أبي طالب: أما بعد، فإنّا - بني عبد مناف - لم نزل ننزع من قليب واحد، ونجري في حلبة واحدة، ليس لبعضنا على بعض فضل، ولا لقائمنا على قاعدنا فخر، كلمتنا مؤتلفة وألفتنا جامعة، ودارنا واحدة، يجمعنا كرم العِرق، ويحوينا شرف النجار [1]، ويحنو قوينا على ضعيفنا، ويواسي غنينا فقيرنا، قد خلصت قلوبنا من وغل الحسد، وطهرت أنفسنا من خبث النية.

فلم نزل كذلك حتى كان منك ما كان من الادّهان في أمر ابن عمك [2]، والحسد له، ونصرة الناس عليه، حتى قُتل بمشهدٍ منك، لا تدفع عنه بلسان ولا يد. فليتك أظهرتَ نَصْره حيث أسررت خبره، فكنتَ كالمتعلق بين الناس بعذر وإن ضعف، والمتبرئ من دمه بدفع وإن وهن.

ولكنك جلستَ في دارك تدسُّ إليه الدواهي، وتُرسل إليه الأفاعي، حتى إذا قضيتَ وطَرك منه، أظهرت شماتة وأبديت طلاقة، وحسرت للأمر عن ساعدِك، وشمَّرت عن ساقك، ودعوت الناس إلى نفسك، وأكرهتَ أعيان المسلمين على بيعتك، ثم كان منك بعد ما كان، من قتلك شيخي المسلمين أبى محمد طلحة وأبى عبد الله الزبير، وهما من الموعودين بالجنة، والمبشّر قاتل أحدهما بالنار في الآخرة، هذا إلى تشريدك بأم المؤمنين عائشة وإحلالها محل الهون، متبذلة بين أيدي الأعراب وفسقة أهل الكوفة، فمن بين مشهِّرٍ لها، وبين شامتٍ بها، وبين ساخرٍ منها.

ترى ابنَ عمك كان بهذه لو رآه راضياً ؟ أم كان يكون عليك ساخطاً ولك عنه زاجراً ؟! أن تؤذي أهله وتشرِّد بحليلته، وتسفك دماء أهل ملته.

---

١ النجار = الأصل والحسب

٢ أي الخليفة عثمان بن عفان

ثم تركُكَ دار الهجرة التي قال رسول الله صلى الله عليه وآله عنها: "إن المدينة لتنفي خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد".

فلعمري لقد صحَّ وعدُه وصدق قولُه، ولقد نفت خبثها، وطردت عنها من ليس بأهلٍ أن يستوطنها، فأقمتَ بين المِصرين، وبعُدتَ عن بَركة الحرمين، ورضيت بالكوفة بدلاً من المدينة وبمجاورة الخورنق والحيرة عوضاً من مجاورة خاتم النبوة.

ومن قبل ذلك ما عبت خليفتي رسول الله صلى الله عليه وآله أيام حياتهما، فقعدت عنهما وألّبت عليهما، وامتنعت من بيعتهما، ورُمْتَ أمراً لم يرك الله تعالى له أهلاً، ورقيت سلَّماً وعراً، وحاولت مقاماً دحضاً، وادّعيت ما لم تجد عليه ناصراً، ولعمري لو وليتها حينئذ لما ازدادت إلا فساداً واضطراباً، ولا أعقبت ولايتكها إلا انتشاراً وارتداداً، لأنك الشامخ بأنفه، الذاهب بنفسه، المستطيل على الناس بلسانه ويده.

وها أنا سائر إليك في جمع من المهاجرين والأنصار، تحفّهم سيوف شامية، ورماح قحطانية، حتى يحاكموك إلى الله.

فانظر لنفسك وللمسلمين، وادفع إليَّ قتلة عثمان، فإنهم خاصتك وخلصاؤك والمحدقون بك، فإن أبَيْتَ إلا سلوك سبيل اللجاج، والإصرار على الغي والضلال، فاعلم أن هذه الآية إنما نزلت فيك وفي أهل العراق معك ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[1].

وكتب الإمام علي عليه السلام رداً على هذا الكتاب، أكّد فيه أنْ ليس من حق معاوية التطرق إلى مثل هذه الأمور والحديث عنها وهو من الطلقاء، وهذا نصه: أما بعد، فإنّا كنّا نحن وأنتم على ما ذكرت من الألفة والجماعة، ففرّق بيننا وبينكم أمس

---

١ النحل/١١٢ . والمصدر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ـ ج ١٧ ـ ص ٢٥١ - ٢٥٣

أنّا آمنّا وكفرتم، واليوم أنّا استقمنا وفُتنتم، وما أسلم مسلمُكم إلا كرهاً، وبعد أن كان أنفُ الإسلام كله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرباً [1].

وذكرتَ أني قتلت طلحة والزبير، وشرّدت بعائشة، ونزلت بين المصرين، وذلك أمر غبتَ عنه، فلا عليك، ولا العذر فيه إليك [2].

وذكرتَ أنك زائري في جمع المهاجرين والأنصار، وقد انقطعت الهجرة يوم أسِر أخوك [3]، فإن كان فيك عجل فاسترفه، فإني إن أزُرْك فذلك جديرٌ أن يكون الله إنما بعثني إليك للنقمة منك، وإن تزرني فكما قال أخو بنى أسد:

مستقبلين رياح الصيف تضربهم بحاصب بين أغوار وجلمود

وعندي السيف الذي أعضضتُه بجدّك وخالِك وأخيك في مقام واحد، فإنك والله ما علمت الأغلف القلب، المقارب العقل. والأولى أن يقال لك: إنك رقيت سلماً أطلعك مَطلع سوء عليك لا لك، لأنك نشدت غير ضالّتك، ورعيت غير سائمتك، وطلبت أمراً لست من أهله ولا في معدنه، فما أبعد قولك من فعلك!

وقريب ما أشبهت من أعمام وأخوال! حملتهم الشقاوة وتمنّي الباطل، على الجحود بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فصرعوا مصارعهم حيث علمت، لم يدفعوا عظيماً، ولم يمنعوا حريماً، بوقع سيوف ما خلا منها الوغى، ولم تماشها الهوينى.

وقد أكثرتَ في قتَلة عثمان، فادخل فيما دخل فيه الناس، ثم حاكِم القوم إلي، أحملك وإياهم على كتاب الله تعالى، وأما تلك التي تريد، فإنها خدعة الصبي عن اللبن في أول الفصال، والسلام لأهله [4].

---

١ كان أنف الإسلام كله لرسول الله: أي في أول الاسلام، يقال: كان ذلك في أنف دولة بنى فلان، أي في أولها

٢ أجابه عن قوله " قتلت طلحة والزبير، وشردت بعائشة، ونزلت بين المصرين " بكلام مختصر أعرض فيه عنه هواناً به، فقال هذا أمر غبت عنه، فليس عليك كان العدوان الذي تزعم، ولا العذر إليك لو وجب علي العذر عنه.

٣ تعريضاً بيزيد بن أبي سفيان الذي أسر يوم فتح مكة بباب الخندمة، وكان خرج في نفر من قريش يحاربون ويمنعون من دخول مكة فقتل منهم قوم وأسر يزيد بن أبي سفيان، أسره خالد بن الوليد، فخلصه أبو سفيان منه، وأدخله داره، فآمن لأن رسول الله قال يومئذ: " من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ". والإمام يقصد بكلامه أن من معك ليسوا من المهاجرين، بل من الطلقاء، وقد قال النبي: " لا هجرة بعد الفتح ".

٤ الرضي: نهج البلاغة ـ الكتاب ٦٤ ـ ص ٤٥٤ - ٤٥٥

* المسير نحو صفين:

قرر الإمام المسير للقاء القوم، فدعا إليه من كان معه من المهاجرين والأنصار، وكان معه من أصحاب بدر سبعة وثمانون رجلاً، منهم سبعة عشر من المهاجرين، وسبعون من الأنصار، وشهد معه من الأنصار ممن بايع تحت الشجرة وهي بيعة الرضوان تسعمائة، وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة.

فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال: **أما بعد، فإنكم ميامين الرأي مراجيح الحلم مقاويل بالحق مباركو الفعل والأمر، وقد أردنا المسير إلى عدونا وعدوكم فأشيروا علينا برأيكم.**

فقام بعض أنصاره فخطبوا وأحسنوا الكلام وأظهروا بصيرتهم في الأمر، وأعلنوا استعدادهم للتضحية في سبيل نصرة إمامهم، ، فكان منهم هاشم بن عتبة ابن أبي وقاص وعمار بن ياسر وقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري وسهل بن حنيف الأنصاري، وكلهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم انقسم أهل الكوفة بين مؤيد ومعارض حتى استتب الأمر بعد إصرار أنصار الإمام على قطع دابر أهل الشام، والحجج التي ساقوها لتأييد موقفه، وكتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عماله في الآفاق يأمرهم بالمسير إليه، وحث الناس على الجهاد معه، ثم عسكر **بالنخيلة**[1]، ولم يبرحها حتى قدم عليه ابن عباس بأهل البصرة.

تحرك الإمام من النخيلة لخمس مضين من شوال يوم الأربعاء سنة ٣٦ هـ ، حتى إذا وصل إلى الرقة شمال الشام، ونهر الفرات على ضفّتها قال لأهلها: **أجسِروا لي جسراً لكي أعبر من هذا المكان إلى الشام.**

فأبوا، وقد كانوا ضمّوا السفن عندهم، فنهض ليعبر على جسر منبج، وخلّف

---

١ النخيلة موضع بالقرب من الكوفة كان معسكراً لتجمع القوات

عليهم الأشتر فناداهم: **إني أقسم بالله، لئن مضى أمير المؤمنين ولم تجسروا له عند مدينتكم حتى يعبر منها لأجرّدنّ فيكم السيف، ولأقتلنّ مقاتلتكم، ولأخربنّ أرضكم ولآخذنّ أموالكم.**

فلقي بعضهم بعضاً فقالوا: **إن الأشتر يفي بما يقول، وإن علياً خلّفه علينا ليأتينا منه الشر.**

فبعثوا إليه: **إنا ناصبون لكم جسراً فأقبِلوا.**

فأرسل الأشتر إلى علي عليه السلام، فجاء وعبر، وعبرت القوات معه.

* النزاع على الماء:

لما وصل الإمام إلى موقع المعركة، طلب موضعاً لمعسكره، وأمر الناس أن يضعوا أثقالهم، ولكنهم وجدوا أبا الأعور السلمي صاحب مقدّمة جيش معاوية قد سبق إلى سهول الأرض وسعة المنزل وشريعة الماء، فأتاه الأشتر صاحب مقدمة جيش علي عليه السلام في أربعة آلاف فأزالوا أبا الأعور عن معسكره، فأقبل معاوية في جميع الفيلق، فلما رأى ذلك الأشتر انحاز إلى علي عليه السلام وغلب معاوية على الماء وحال بين معسكر علي وبينه.

ذهب بعضٌ من معسكر علي عليه السلام وغلمانهم يستقون، فمُنعوا من قبل معسكر معاوية، وفزعوا إلى أمير المؤمنين علي فأخبروه، فدعا صعصعة بن صوحان فقال: **ائت معاوية فقل: إنا سِرنا مسيرنا هذا وأنا أكره قتالكم قبل الإعذار إليكم، وإنك قد قدِمت بخيلك تقاتلنا قبل أن نقاتلك، وبدأتنا بالقتال ونحن مِن رأيِنا الكف حتى ندعوك ونحتجّ عليك، وهذه أخرى قد فعلتموها حُلتم بين الناس وبين الماء، فخلّ بينهم وبينه حتى ننظر فيما بيننا وبينكم، وفيما قدمنا له وقدمتم، وإن كان أحب إليك أن ندع ما جئنا له وندع الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعَلْنا.**

استشار معاوية بعض أنصاره، فأشاروا عليه بالاستمرار في المنع، وعارضهم عمرو ابن العاص فقال: **خلّ بينهم وبين الماء، فإنّ علياً لم يكن ليظمأ وأنت ريان وفي يده أعنّة الخيل وهو ينظر إلى الفرات حتى يشرب أو يموت، وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق، ومعه أهل العراق وأهل الحجاز، وقد سمعته أنا وأنت وهو يقول: لو استمكنت من أربعين رجلاً، فذكَر أمراً** [1].

فرح أهل الشام بالغلبة على الماء، فقال معاوية: **يا أهل الشام هذا والله الظفر، لاسقاني الله ولا سقى أبا سفيان إن شربوا منه أبداً حتى يُقتلوا بأجمعهم عليه.**

بقي أصحاب علي عليه السلام يوماً وليلة بغير ماء، واغتمّوا لذلك، فخرج نحو رايات مذحج وإذا رجل ينادي:

أيمنعنا القوم ماء الفرات ... وفينا السيوف وفينا الحجف

وفينا عليٌّ له صولة ... إذا خوّفوه الرَّدى لم يخف

فنحن الذين غداة الزبير ... وطلحة خضنا غمار التلف

فما بالنا أمس أُسْد العرين ... وما بالنا اليوم شاء النجف

فإما تحلّوا بشط الفرات ... ومنا ومنهم عليه الجيف

وإما تموتوا على طاعة ... تحلّ الجنان وتحبوا الشرف

نهض مالك الأشتر مستأذناً الإمام للقتال طلباً للماء، فأذن له، فنادى مالك في الناس: **من كان يريد الموت أو الماء فميعاده الصبح، فإني ناهض إلى الماء.**

فأتاه من ليلته إثنا عشر ألف رجل، فلما أصبح وقع القتال بين الطرفين، وكان للأشتر الدور الأبرز حتى قهر عسكر الشام، وولوا هاربين، وأقحم مالك وجنده الخيل حتى وضعت سنابكها في الفرات. قال المؤرخون: فلما غلب علي على الماء، بعث إلى معاوية: **إنّا لا نكافيك بصُنعك، هلمَّ إلى الماء فنحن وأنتم فيه سواء.**

---

[1] لعله يقصد الأربعين الذين أراد الاستعانة بهم على أثر مجريات أحداث سقيفة بني ساعدة بعد وفاة النبي

فأخذ كل منهما بالشريعة مما يليه، وقال علي لأصحابه: إن الخَطْب أعظم من منع الماء. وقال معاوية: لله درّ عمرو، ما عصيتُه في أمر إلا أخطأتُ الرأيَ فيه.

* في أجواء حرب صفين:

مكث الإمام أياماً لا يرسل إلى معاوية، ولا يأتيه من عند معاوية أحد، واستبطأ أنصار الإمام الإذن في القتال، وقالوا: يا أمير المؤمنين، خلّفنا ذرارينا ونساءنا بالكوفة، وجئنا إلى أطراف الشام لنتخذها وطناً! ائذن لنا في القتال، فإن الناس قد قالوا.

قال لهم عليه السلام: ما قالوا ؟

فقال منهم قائل: إن الناس يظنون أنك تكره الحرب كراهيةً للموت، وإن من الناس من يظن أنك في شك من قتال أهل الشام [1].

فقال عليه السلام: ومتى كنت كارهاً للحرب قط ؟! إن من العجب حبّي لها غلاماً ويفعاً [2]، وكراهيتي لها شيخاً بعد نفاد العمر وقرب الوقت ! وأما شكّي في القوم فلو شككت فيهم لشككت في أهل البصرة، والله لقد ضربتُ هذا الأمر ظهراً وبطناً، فما وجدت يسعني إلا القتال أو أن أعصي الله ورسوله، ولكني أستأني بالقوم، عسى أن يهتدوا أو تهتدي منهم طائفة، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لي يوم خيبر: لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس [3].

وقال عليه السلام: أما قولكم: أكُلّ ذلك كراهية الموت ؟! فوالله ما أبالي، دخلت إلى الموت أو خرج الموت إلي. وأما قولكم شكّاً في أهل الشام ! فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي، وتعشو إلى ضوئي [4]، فهو أحب إلى من أن أقتلها على ضلالها، وإن كانت تبوء بآثامها [5].

---

١ أي أنك غير متيقن من شرعية قتالك لمعاوية

٢ يافع = شاب

٣ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ٤ ـ ص١٣ - ١٤

٤ تعشو إلى ضوئي = تستدل إلى هدايتي ببصر ضعيف ، في إشارة إلى أن بصائر أهل الشام ضعيفة ، لا يرون الحق بوضوح .

٥ الرضي : نهج البلاغة ـ الخطبة ٥٥ ـ ص ٩١ . تبوء = ترجع

* الإمام يدعو معاوية للمبارزة:

ثم جرت قبيل المعركة وأثناءها مكاتبات عديدة بين أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية ابن أبي سفيان، ذكَرها إجمالاً نصر بن مزاحم المنقري في كتابه صفين، وسطّر بعضها الشريف الرضي في نهج البلاغة.

وقد أشار ابن أبي الحديد إلى أن الشريف الرضي لربما ضم كتاباً إلى آخر ـ وهذه عادته ـ لأن غرضه التقاط الفصيح والبليغ من كلامه. ومن هذه الكتب: **وكيف أنت صانعٌ إذا تكشّفَت عنك جلابيبُ ما أنت فيه من دنيا قد تبهّجت بزينتها، وخدعت بلذتها، دعتك فأجبتها، وقادتك فاتبعتها، وأمرَتْك فأطعتها؟ وإنه يوشك أن يقفك واقفٌ على ما لا ينجيك منه منج. فاقعس عن هذا الأمر [1]، وخذ أهبة الحساب، وشمّر لما قد نزل بك [2]، ولا تمكّن الغواة من سمعك [3]، وإلا تفعل أُعلمك ما أغفلت من نفسك، فإنك مترفٌ قد أخذ الشيطان منك مأخذه [4]، وبلغ فيك أمله، وجرى منك مجرى الروح والدم.**

ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية، وولاه أمر الأمة، بغير قدم سابق، ولا شرف باسق [5]، ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء.

وأحذرك أن تكون متمادياً في غرّة الأمنية، مختلف العلانية والسريرة. وقد دعوتَ إلى الحرب فدع الناس جانباً، واخرج إليَّ، واعف الفريقين من القتال، لتعلم أيّنا المرين على قلبه [6]، والمغطَّى على بصره! فأنا أبو حسن، قاتل جدك وأخيك وخالك شدخاً يوم بدر [7]، وذلك السيف معي، وبذلك القلب ألقى عدوي، ما استبدلت

---

١ اقعس عن هذا الأمر = تأخر عنه

٢ شمر لما قد نزل بك = جد واجتهد وخف، ومنه رجل شمري بفتح الشين وتكسر

٣ الغواة، جمع غاو = الضال

٤ المترف = الذي قد أترفته النعمة أي أطغته. وأخذ الشيطان منك مأخذه = تناول الشيطان منك عقلك

٥ بغير قدم سابق = سابقة وأثرة حسنة. ولا شرف باسق = عال

٦ الرين = الصدأ. وإنما قال الإمام ذلك لأن معاوية كان قد كتب للإمام كتاباً جله فيه: فإنك المطبوع على قلبك، المغطى على بصرك، الشر من شيمتك، والعتو من خليقتك، فشمر للحرب، واصبر للضرب. فوالله ليرجعن الأمر إلى ما علمت، والعاقبة للمتقين!

٧ الشدخ = كسر الشيء الأجوف. وهؤلاء الثلاثة هم: حنظلة بن أبي سفيان، والوليد بن عتبة، وأبوه عتبة ابن ربيعة، فحنظلة أخوه، والوليد خاله، وعتبة جده.

ديناً، ولا استحدثت نبياً، وإني لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين، ودخلتم فيه مكرَهين.

وزعمتَ أنك جئت ثائراً بدم عثمان ! ولقد علمتَ حيث وقع دم عثمان، فاطلبه من هناك إن كنت طالباً، فكأني قد رأيتك تضج من الحرب إذا عضتك ضجيج الجمال بالأثقال، وكأني بجماعتك تدعوني جزعاً من الضرب المتتابع، والقضاء الواقع، ومَصارع بعد مَصارع، إلى كتاب الله، وهي كافرة جاحدة، أو مبايعة حائدة.

قال ابن أبي الحديد: (وقوله: قد علمت حيث وقع دم عثمان فاطلبه من هناك، يريد به إن كنت تطلب ثأرك من عند مَن أجلب وحاصر... فاطلب ثأرك من بني تيم ومن بني أسد بن عبد العزى، وإن كنت تطلبه ممن خذل، فاطلبه من نفسك فإنك خذلته، وكنتَ قادراً على أن ترفده وتمدّه بالرجال، فخذلته وقعدت عنه بعد أن استنجدك واستغاث بك....

واعلم أن قوله: وكأني بجماعتك يدعونني جزعاً من السيف إلى كتاب الله تعالى، إما أن يكون فراسة نبوية صادقة، وهذا عظيم، وإما أن يكون إخباراً عن غيب مفصل، وهو أعظم وأعجب. وعلى كلا الأمرين فهو غاية العجب.

وقد رأيت له ذكر هذا المعنى في كتاب غير هذا، وهو: أما بعد، فما أعجب ما يأتيني منك، وما أعلمني بمنزلتك التي أنت إليها صائر، ونحوها سائر، وليس إبطائي عنك إلا لوقت أنا به مصدق ، وأنت به مكذب ، وكأني أراك وأنت تضج من الحرب، وإخوانك يدعونني خوفاً من السيف إلى كتاب هم به كافرون، وله جاحدون....

ووقفتُ له عليه السلام على كتاب آخر إلى معاوية يذكر فيه هذا المعنى، أوله: ... فأنا ابن عبد المطلب صاحب السيف، وإن قائمه لفي يدي، وقد علمتَ من قتلتُ به من صناديد بني عبد شمس، وفراعنة بني سهم وجمح وبني مخزوم، وأيتمت أبناءهم،

وأيّمت نسلهم [1]، وأذكّرك ما لست له ناسياً، يوم قتلتُ أخاك حنظلة، وجررت برجله إلى القليب، وأسرتُ أخاك عَمْراً، فجعلت عنقه بين ساقيه رباطاً، وطلبتُك ففررتَ ولك حصاص [2]، فلولا أني لا أتبع فارّاً، لجعلتك ثالثهما.

وأنا أولي لك بالله ألية بَرَّة غير فاجرة [3]، لئن جمعتني وإياك جوامع الأقدار، لأتركنك مثلاً يتمثل به الناس أبداً، ولأجعجعن بك في مناخك حتى يحكم الله بيني وبينك، وهو خير الحاكمين.

ولئن أنسأ الله في أجلي قليلاً [4]، لأغزينّك سرايا المسلمين، ولأنهدن إليك في جحفل من المهاجرين والأنصار، ثم لا أقبل لك معذرة ولا شفاعة، ولا أجيبك إلى طلب وسؤال، ولترجعن إلى تحيّرك وترددك وتلددك [5]، فقد شاهدت وأبصرت ورأيت سحب الموت كيف هطلت عليك بصيبها [6]، حتى اعتصمت بكتاب أنت وأبوك أول من كفر وكذب بنزوله.

ولقد كنت تفرّستها، وآذنتك أنك فاعلها، وقد مضى منها ما مضى، وانقضى من كيدك فيها ما انقضى، وأنا سائر نحوك على أثر هذا الكتاب، فاختر لنفسك، وانظر لها، وتداركها فإنك إن فطرت واستمررت على غيِّك وغلوائك حتى ينهد إليك عباد الله [7]، ارتجّت عليك الأمور، ومُنعت أمراً هو اليوم منك مقبول.

يا بن حرب، إن لجاجك في منازعة الأمر أهله من سفاه الرأي، فلا يطمعنَّك أهل الضلال، ولا يوبقنَّك سفه رأي الجهال، فوالذي نفس عليٍّ بيده لئن برقت في وجهك بارقة من ذي الفقار لتصعقنَّ صعقة لا تفيق منها حتى ينفخ في الصور

---

١ أيمت نسلهم = تركتهن بلا أزواج
٢ الحصاص : شدة العدو والركض
٣ أولي = أقسم
٤ أنسأ الله في أجلي = أخره قليلاً
٥ تلدد = تلفت يميناً ويساراً تحيراً
٦ الصيّب = المطر المنصب
٧ الغلواء = الكبر

النفخة التي يئستَ منها ﴿ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾)[1].

وهل استجاب معاوية لطلب الإمام بالمبارزة في صفين ؟ قال نصر بن مزاحم: (ثم قام علي بين الصفَّين ثم نادى: يا معاوية ! ـ يكررها ـ

فقال معاوية: اسألوه، ما شأنه ؟

قال: أحبُّ أن يظهر لي فأكلمُه كلمة واحدة.

فبرز معاوية ومعه عمرو بن العاص، فلما قارباه لم يلتفت إلى عمرو، وقال لمعاوية: ويحك، علام يقتتل الناس بيني وبينك، ويضرب بعضهم بعضاً ؟ ! ابرز إليّ فأيّنا قتل صاحبه فالأمر له.

فالتفت معاوية إلى عمرو فقال: ما ترى يا أبا عبد الله فيما ها هنا، أبارزه ؟

فقال عمرو: لقد أنصفك الرجل، واعلم أنه إن نكَلْتَ عنه لم تزل سُبَّة عليك وعلى عقبك ما بقي عربي.

فقال معاوية: يا عمرو بن العاص، ليس مثلي يُخدع عن نفسه. والله ما بارز ابن أبي طالب رجلاً قط إلا سقى الأرض من دمه.

ثم انصرف راجعاً حتى انتهى إلى آخر الصفوف وعمرو معه، فلما رأى علي عليه السلام ذلك ضحك وعاد إلى موقفه...)[2].

* شوق الإمام لقتال العدو:

روى نصر بن مزاحم في كتابه صفين أن علياً عليه السلام خطب في قواته يوم صفين حين بدأ الزحف على الأعداء فقال وهو يحث أصحابه على القتال: إن الله عزّ وجلّ قد دلكم على تجارة تنجيكم من العذاب، وتشفي بكم على الخير: إيمان بالله ورسوله،

---

١ الممتحنة/١٣ . والمصدر: ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ١٥ ـ ص ٧٩ – ٩١

٢ نصر بن مزاحم : وقعة صفين ـ ص ٢٧٤ – ٢٧٥

وجهاد في سبيله. وجعل ثوابه مغفرة الذنوب، ومساكن طيبة في جنات عدن، ورضوان من الله أكبر، فأخبركم بالذي يحب فقال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [1]، فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص [2]، فقدّموا الدارع، وأخّروا الحاسر [3]، وعضّوا على الأضراس، فإنه أنبى للسيوف عن الهام [4]. والتووا في أطراف الرماح، فإنه أمْوَر للأسنّة [5]، وغُضّوا الأبصار، فإنه أربط للجأش، وأسكن للقلوب، وأميتوا الأصوات، فإنه أطرد للفشل [6].

ورايتكم فلا تميلوها ولا تخلوها، ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم، والمانعين الذّمار منكم [7]، فإن الصابرين على نزول الحقائق هم الذين يحفون برايـاتهم [8]، ويكتنفونها حفافيها [9]، ووراءها وأمامها، لا يتأخرون عنها فيسلموها، ولا يتقدمون عليها فيفردوها [10].

أجزأ امرؤ قِرنه [11]، وآسى أخاه بنفسه [12]. ولم يكل قرنه إلى أخيه، فيجتمع عليه قرنه وقرن أخيه [13]. وأيم الله [14]، لئن فررتم من سيف العاجلة، لا تسلموا من سيف الآخرة.

---

١ الصف / ٤

٢ ذكر الرضي في نهج البلاغة جانباً من هذه الخطبة مع اختلاف يسير، وقد اخترت لفظه ابتداءً من المقطع التالي.

٣ الدارع: لابس الدرع. والحاسر: الذي لا درع عليه ولا مغفر. أمرهم بتقديم الدارع على غيره لأن شدة الحرب تلقى وتصادف الأول فالأول فواجب أن يكون أول القوم دارعاً.

٤ نبا السيف = لم يقطع. قيل أن هذا التعبير على نحو الحقيقة، باعتبار أن العض على الأضراس يصلّب الأعصاب والعضلات المتصلة بالدماغ. وقيل أنه على نحو المجاز فالإمام يأمر بتسكين القلب وعدم الاضطراب، لكي لا يتعرض المقاتل إلى إصابة.

٥ أمور = يتحرك عن موضع الطعنة فيخرق وينفذ في جسم الخصم

٦ الفشل = الجبن والخوف. وأمرهم بالصمت لأن الجبان يرعد ويبرق، والشجاع صامت.

٧ الذمار = ما وراء الرجل مما يحق عليه أن يحميه

٨ الحقائق، جمع حاقة = الأمر الصعب الشديد، ومنه قول الله تعالى (الحاقة ما الحاقة)

٩ يكتنفونها = يحيطون بها. وحفافيها: جانباها

١٠ يفردوها = يتركوها لوحدها

١١ فليقاتل كل منكم كفؤه فيقتله

١٢ أي جعله أسوة نفسه

١٣ لم يترك خصمه إلى أخيه، فيجتمع على أخيه خصمان فيقتلانه، ثم يتوجهان إليه فيغلبانه

١٤ أيم الله، صيغة قسم ويمين

وأنتم لهاميم العرب [1]، والسنام الأعظم [2]، إن في الفرار موجدة الله [3]، والذل اللازم، والعار الباقي. وإن الفار لَغيرَ مزيدٍ في عُمره، ولا محجوز بينه وبين يومه.

مَن رائحٌ إلى الله كالظمآن يرد الماء؟ الجنة تحت أطراف العوالي [4]، اليوم تُبلى الأخبار [5]. والله لأنا أشوق إلى لقائهم منهم إلى ديارهم [6].

اللهم فإن ردّوا الحق فافضض جماعتهم، وشتّت كلمتهم، وأبسلهم بخطاياهم [7]، إنهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك، يخرج منه النسيم [8]، وضرب يفلق الهام [9]، ويطيح العظام، ويندر السواعد والأقدام [10]، وحتى يرموا بالمناسر تتبعها المناسر [11]، ويرجموا بالكتائب تقفوها الحلائب [12]، وحتى يجر ببلادهم الخميس يتلوه الخميس [13]، وحتى تدعق الخيول في نواحر أرضهم [14]، وبأعنان مساربهم [15] ومسارحهم [16].

ثم إنه عليه السلام عقد الألوية وأمّر الأمراء وكتّب الكتائب، وكانت علامة أنصار الإمام بصِفِّين الصوف الأبيض قد جعلوه في رؤوسهم وعلى أكتافهم، وشعارهم: يالله يا أحد يا صمد يا رب محمد يا رحمن يا رحيم، وكانت علامة عسكر معاوية خرقاً بيضاً قد جعلوها على رؤوسهم وأكتافهم وكان شعارهم: نحن عباد الله حقاً حقاً،

---

١ اللهاميم، جمع لهموم = السادات الأجواد من الناس

٢ السنام الأعظم كناية عن أنهم أهل الشرف ومعالي الأمور، لأن السنام أعلى أعضاء البعير

٣ موجدة = غضب وسخط

٤ العوالي = السيوف

٥ تبلى = تختبر، فتنكشف حقائق الأمور وأحوال الناس

٦ أي أشوق منهم إلى ديارهم

٧ أبسلت فلاناً = أسلمته إلى الهلكة

٨ دراك = متتابع. يخرج منه النسيم لسعة الجرح وعظمه

٩ يفلق = يشق. الهام = الرأس

١٠ يندر = يسقط

١١ مناسر، جمع منسر = فرقة تكون في مقدمة الجيش

١٢ الحلائب = الأنصار

١٣ الخميس = الجيش

١٤ تدعق = تدق. نواحر أرضهم = الأرض المتقابلة

١٥ أعنان = جوانب. المسارح والمسارب = الأرض التي يتواجدون فيها

١٦ نصر بن مزاحم: وقعة صفين ـ ص ٢٣٥ – ٢٣٦. والرضي: نهج البلاغة ـ الخطبة ١٢٤ ـ ص ١٨٠ – ١٨١

يالثارات عثمان. وكانت رايات أنصار الإمام سوداً وحمراً ودكناً وبيضاً ومعصفرة وصفراً ومورّدة، والألوية مضروبة دكن وسود.

* بداية المعركة:

بدأ القتال يوم الأربعاء أول يوم من صفر سنة ٣٧ هـ ، وعلى مَن خرج من معسكر الإمام مالكاً الأشتر، وعلى عسكر معاوية حبيب بن مسلمة، فاقتتلوا قتالاً شديداً جل النهار، ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض.

ثم خرج في اليوم الثاني هاشم بن عتبة في خيل ورجَّالة، وخرج إليه من أهل الشام أبو الأعور السلمي، فاقتتلوا يومهم ذلك، تحمل الخيل على الخيل، والرجال على الرجال، ثم انصرفوا وقد صمد القوم بعضهم لبعض.

وخرج في اليوم الثالث عمار بن ياسر وخرج عمرو بن العاص فاقتتل الناس كأشد القتال، وجعل عمار يقول: **يا أهل الاسلام، أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدهما وبغى على المسلمين وظاهر المشركين، فلما أراد الله أن يُظهر دينه وينصر رسوله أتى النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **فأسلم وهو والله فيما يرى راهب غير راغب، وقَبض اللهُ رسولَه** صلى الله عليه وآله وسلم**، وإنا والله لنعرفه بعداوة المسلم ومودة المجرم ؟ ألا وإنه معاوية.**

وشد عمار في الرجّالة فأزال عمرو بن العاص عن موقفه، ورجع الناس يومهم ذاك، فلما كان من الغد خرج محمد بن علي بن أبي طالب، خرج إليه عبيد الله بن عمر بن الخطاب في جمعين عظيمين فاقتتلوا كأشد القتال، ثم إن عبيد الله بن عمر أرسل إلى محمد بن الحنفية أن اخرج إليَّ أبارزك، ثم خرج إليه يمشي، فبصر به علي فقال: **من هذان المتبارزان ؟**

فقيل له: **ابن الحنفية وابن عمر.**

فحرَّك علي دابته ثم دعا محمداً فوقف له وقال: **أمسك دابتي.**

فأمسكها ثم مشى إليه علي فقال: **أنا أبارزك.**

قال: **ليس لي في مبارزتك حاجة.**

وأخذ ابن الحنفية يقول لأبيه: **منعتني من مبارزته، لو تركتني لرجوت أن أقتله. قال: يا بني، لو بارزتُه أنا لقتلته، ولو بارزتَه أنت لرجوت أن تقتله، وما كنت آمن أن يقتلك.**

فلما كان اليوم الخامس خرج عبد الله بن العباس والوليد بن عقبة فاقتتلوا قتالاً شديداً، ودنا ابن عباس من الوليد فأخذ الوليد يسب بني عبد المطلب، فأرسل إليه ابن عباس أن ابرز إلي، فأبى. وقاتل ابن عباس يومئذ قتالاً شديداً، ثم انصرفوا عند الظهر، وكلٌّ غير غالب وذلك يوم الأحد.

ثم قام الإمام في الناس عشية الثلاثاء ليلة الأربعاء بعد العصر فخطبهم، وقال في آخر خطبته: **ألا إنكم لاقو العدو غداً إن شاء الله، فأطيلوا الليلة القيام وأكثروا تلاوة القرآن واسألوا الصبر والنصر، والقوهم بالجد والحزم، وكونوا صادقين.**

ثم انصرف ووثب الناس إلى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يصلحونها، فلما كان الليل خرج علي فعبّأ الناس ليلته كلها حتى أصبح، فزحف بالناس وخرج إليه معاوية وأهل الشام فاقتتلوا قتالاً شديداً نهارهم كله وانصرفوا عند المساء، وكلٌّ غير غالب.

فلما كان غداة الخميس خرج الإمام بالناس إلى أهل الشام فزحف إليهم، وكان هو يبدؤهم فيسير إليهم، فإذا رأوه وقد زحف استقبلوه بزحوفهم، فدعا بدعاء قال في آخره: **إن أظهرتنا على عدونا فجنّبنا البغي، وسددنا للحق، وإن أظهرتهم علينا**

فارزقنا الشهادة واعصم بقية أصحابي من الفتنة.

بدأ القتال، وجعل أمير المؤمنين عليه السلام يحرِّض أصحابه ويوصيهم وصايا مهمة في الحرب، ثم قال: **من يذهب بهذا المصحف إلى هؤلاء القوم فيدعوهم إلى ما فيه ؟**

فأقبل فتى اسمه سعيد بن قيس فقال: **أنا صاحبه.**

ثم أعادها، فسكت الناس وقال الفتى: **أنا صاحبه.**

فقال: **دونك.**

وأتى معسكر معاوية فقرأه عليهم ودعاهم إلى ما فيه فقتلوه.

* **مشاهد من المعركة:**

روى نصر بن مزاحم في حديثه عن هذا اليوم عن زيد بن وهب، قال: (لقد مرّ علي عليه السلام يومئذ ومعه بنوه نحو الميسرة ومعه ربيعة وحدها، وإني لأرى النبل يمرّ بين عاتقه ومنكبيه، وما من بنيه إلا من يقيه بنفسه، فيكره علي عليه السلام ذلك، فيتقدم عليه، ويحول بينه وبين أهل الشام ويأخذه بيده إذا فعل ذلك، فيلقيه من ورائه.

ويُبصر به **أحمر** مولى بنى أمية، وكان شجاعاً، وقال علي عليه السلام: **ورب الكعبة، قتلني الله إن لم أقتلك !**

فأقبل نحوه، فخرج إليه كيسان مولى علي عليه السلام، فاختلفا ضربتين [1]، فقتله أحمر، وخالط علياً ليضربه بالسيف، وينتهزه علي فتقع يده في جيب درعه [2]، فجذبه عن فرسه فحمله على عاتقه، فوالله لكأني أنظر إلى رِجلي أحمر تختلفان على عنق علي [3]، ثم ضرب به الأرض، فكسر منكبه وعضديه.

---

١ اختلفا = تبادلا

٢ ينتهز = يبادر

٣ تختلفان = تترددان

وشدّ ابنا علي، حسين ومحمد، فضرباه بأسيافهما حتى برد [1]، فكأني أنظر إلى علي قائماً، وشبلاه يضربان الرجُل حتى إذا أتيا عليه [2]، أقبلا على أبيهما والحسن قائم معه، فقال له علي: **يا بنى، ما منعك أن تفعل كما فعل أخواك ؟**

فقال: **كفياني يا أمير المؤمنين.**

قال: ثم إن أهل الشام دنوا منه يريدونه، والله ما يزيده قربهم منه ودنوّهم إليه سرعة في مشيته، فقال له الحسن: **ما ضرّك لو أسرعت حتى تنتهي إلى الذين صبروا لعدوك من أصحابك ؟**

قال: ـ يعنى ربيعة الميسرة ـ فقال علي: **يا بني، إن لأبيك يوماً لن يعدوه ولا يبطئ به عند السعي، ولا يقربه إليه الوقوف. إن أباك لا يُبالي، إن وقع على الموت أو وقع الموت عليه)** [3].

وفي كتاب **الأخبار الطوال** للدينوري: (كان فارس معاوية الذي يبتهي به حريثٌ مولاه [4]، وكان يلبس بَزَّة معاوية، ويستلئم سلاحه، ويركب فرسه، ويحمل متشبهاً بمعاوية، فإذا حمل قال الناس: **هذا معاوية.**

وقد كان معاوية نهاه عن علي، وقال: **اجتنبه، وضع رمحك حيث شئت.**

فخلا به عمرو، وقال: **ما يمنعك من مبارزة علي، وأنت له كفء ؟**

قال: **نهاني مولاي عنه.**

قال: **وإني والله لأرجو إن بارزته أن تقتله، فتذهب بشرف ذلك.**

فلم يزل يزيِّن له ذلك حتى وقع في قلب حريث. فلما أصبحوا خرج حريث حتى قام بين الصفين، وقال: **يا أبا الحسن، ابرز إلي ! أنا حريث.**

فخرج إليه علي عليه السلام فضربه، فقتله) [5].

---

١ برد = قطع

٢ أتيا عليه = أجهزا عليه

٣ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ٥ ـ ص ١٩٨ — ١٩٩

٤ ابتهيت به = أنست به وأحببت قربه

٥ الدينوري : الأخبار الطوال ـ ص ١٧٦

وروى صعصعة بن صوحان: إن علي بن أبي طالب صاف أهل الشام، حتى برز رجل من حمير من آل ذي يزن، اسمه كريب بن الصباح، ليس في أهل الشام يومئذ رجل أشهر شدة بالبأس منه، ثم نادى: **من يبارز ؟**

فبرز إليه المرتفع بن الوضاح الزبيدي، فقتل المرتفع. ثم نادى: **من يبارز ؟**

فبرز إليه الحارث بن الجلاح، فقتل. ثم نادى: **من يبارز ؟**

فبرز إليه عائذ بن مسروق الهمداني، فقتل عائذاً. ثم رمى بأجسادهم بعضها فوق بعض، ثم قام عليها بغياً واعتداء. ثم نادى: **هل بقي من مبارز ؟**

فبرز إليه علي ثم ناداه: **ويحك يا كريب ! إني أحذرك الله وبأسه ونقمته، وأدعوك إلى سنة الله وسنة رسوله، ويحك ! لا يدخلنّك ابن آكلة الأكباد النار.**

فكان جوابه أن قال: **ما أكثر ما قد سمعنا هذه المقالة منك، فلا حاجة لنا فيها. أقدِم إذا شئت، مَن يشتري سيفي، وهذا أثره ؟**

فقال علي عليه السلام: **لا حول ولا قوة إلا بالله.**

ثم مشى إليه، فلم يمهله أن ضربه ضربة خرَّ منها قتيلاً يتشحط في دمه، ثم نادى: **من يبارز ؟**

فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميري، فقتل الحارث. ثم نادى: **من يبارز ؟**

فبرز إليه المطاع بن المطلب القيني، فقتل مطاعاً. ثم نادى: **من يبارز ؟**

فلم يبرز إليه أحد .

ثم إن علياً نادى: **يا معشر المسلمين،** ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [1]، **ويحك يا معاوية هلم إليّ فبارزني، ولا يقتلن الناس فيما بيننا !** فقال عمرو: **اغتنمه منتهزاً، قد قتل ثلاثة من أبطال العرب، وإني أطمع أن يظفرك الله به.**

---

١ البقرة/ ١٩٤

فقال معاوية: **ويحك يا عمرو ! والله إن تريد إلا أن أُقتل فتصيب الخلافة ، اذهب إليك، فليس مثلي يُخدع** [1].

وفي كتاب **الفتوح** لابن أعثم الكوفي: (خرج رجل من أصحاب معاوية يقال له المخارق بن عبد الرحمن ـ وكان فارساً بطلاً ـ حتى وقف بين الجمعين، ثم سأل النزال، فخرج إليه المؤمل بن عبيد المرادي، فقتله الشامي، ثم نزل إليه فاحتز رأسه وحك وجهه الأرض وكب الرأس على وجهه، ثم دنا منه فكشف عورته ونادى: **هل من مبارز ؟**

فخرج إليه مسلم بن عبد ربه الأزدي، فقتله الشامي ثم فعل به كما فعل بالأول، ثم نادي: **هل من مبارز ؟**

فلم يزل كذلك حتى قتل أربعة نفر واحتز رؤوسهم وكشف عوراتهم. قال: فتحاماه الناس خوفاً منه. قال: ونظر إليه علي رضي الله عنه وقد فعل ما فعل فخرج إليه متنكراً، وحمل عليه الشامي وهو لم يعرفه، فبدره عليٌّ بضربة على حبل عاتقه فرمى بشقه، ثم نزل إليه فاحتز رأسه، وقلب وجهه إلى السماء، ولم يكشف عورته.

ثم نادى: **هل من مبارز ؟**

فخرج إليه آخر، فقتله علي رضي الله عنه ، وفعل به كما فعل بالأول. فلم يزل كذلك حتى قتل منهم سبعة أم ثمانية وهو يفعل بهم كما يفعل بالأول، ولا يكشف عوراتهم. فأحجم الناس عنه وتحامته الأبطال من أصحاب معاوية، وردها عن معاوية عبدٌ له يقال له **حرب**، فكان فارساً لا يُصطلى بناره.

فقال له معاوية: **ويحك يا حرب، اخرج إلى هذا الفارس فاكفني أمره، فإنه قد قتل من أصحابي من قد علمت !**

قال: فقال حرب: **جعلت فداك إني والله أرى مقام فارس بطل لو برز إليه أهل**

---

[1] ابن مزاحم : وقعة صفين ـ ص ٣١٥ - ٣١٦

عسكرك لأفناهم عن آخرهم، فإن شئتَ برزتُ إليه وأنا أعلم أنه قاتلي، وإن شئتَ فأبقني لغيره.

فقال معاوية : **لا والله، ما أحب أن تُقتَل، فقف مكانك حتى يخرج إليه غيرك.**

قال: وجعل يناديهم ولا يخرج إليه واحد منهم، فرفع المغفر عن رأسه ثم قال: **أنا أبو الحسن.**

ثم رجع إلى عسكره، فقال حرب لمعاوية: **جعلت فداك ألم أقل لك إني أعرف مقام الفارس البطل ؟)** [1].

وروى ابن عبدربه الأندلسي: (كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يخرج كل يوم بصفين حتى يقف بين الصفين ويقول:

أي يومي من الموت أفر ... يوم لا يقدر أم يوم قدر

يوم لا يقدر لا أرهبه ... ومن المقدور لا ينجى الحذر)[2]

ومما يدل على شجاعته وأن الحرب لم تكن لتزعزعه وتربكه، ما رواه العلامة الشيخ إبراهيم البيهقي في **المحاسن والمساوئ** حيث قال: (قيل: ولما كان في حرب صفين والناس في أشد ما يكون من الحرب قال علي رضوان الله عليه: **ألا ماء فأشتريه؟!**

فأتاه شاب من بني هاشم بشربةٍ من عسل فتناوله وقل: **يا فتى، عسلك هذا طائفي** [3].

قال: **سبحان الله، في هذا الوقت تعرف الطائفي من غيره !**

فقال: **إنه لم يملأ صدر ابن عمك شي قط)** [4].

---

١ ابن أعثم الكوفي : الفتوح ـ ج ٣ ـ ص ١١١ - ١١٢

٢ ابن عبدربه : العقد الفريد ـ ج ١ ـ ص ٢٩

٣ طائفي = نسبة إلى الطائف

٤ البيهقي : المحاسن والمساوئ ـ ص ٤١٣ . ولعل الصحيح (فاشربه) بدلاً من (فاشتريه) . والبيهقي هو إبراهيم بن محمد البيهقي المولود عام ٢٩٥ هـ ، ونبغ على عهد الخليفة المقتدر العباسي

ومن شدة القتال ما روي من أنه خرج نحو من خمسمائة فارس أو أكثر من أصحاب علي على رؤوسهم البيض [1]، وهم غائصون في الحديد لا يُرى منهم إلا الحدق [2]، وخرج إليهم من أنصار معاوية نحوهم في العدد، فاقتتلوا بين الصفَّين قتالاً ضارياً والناس تحت راياتهم، فلم يرجع من الطرفين مُخبِر، فقد قُتلوا جميعاً بين الصفين.

واستمر القتال في الأيام التالية على أشدّه، وقُتل من معسكر معاوية الكثير، كما استشهد جمع من المخلصين من أصحاب علي عليه السلام كهاشم بن عتبة المرقال، وعمار ابن ياسر، ولم تحسم المعركة لأي من الطرفين، حتى كانت وقعة الخميس.

* وقعة الخميس:

قال ابن أعثم: (وهي وقعة لم يكن بصفين أشد منها، وصِفَةُ ليلة الهرير [3]، قال: وأصبح الناس وطلعت الشمس وذلك في يوم الخميس، ودعا علي رضي الله عنه بدرع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلبسه، وبسيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتقلده، وبعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعتجر بها، ثم دعا بفرس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستوى عليه [4]، وجعل يقول: **أيها الناس ! من يبع نفسه يربح هذا اليوم، فإنه يوم له ما بعده من الأيام، أما والله، أن لولا أن تعطل الحدود وتبطل الحقوق ويظهر الظالمون وتفوز كلمة الشيطان ما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطِيبه. ألا إن خضاب النساء الحناء، وخضاب الرجال الدماء، والصبر خير عواقب الأمور، ألا إنها إحَنٌ بدرية** [5]،

---

١ البيضة = ما يشبه الخوذة

٢ أي حدق العين

٣ أي أن ابن أعثم سيصف أحداث وقعة الخميس وليلة الهرير التي أعقبت ذلك اليوم .

٤ قيل : اسمه " المرتجز " ، وقيل إنه ركب بغلة رسول الله " الشهبه " ، ولعل الصحيح أن الفرس أو البغلة كانت من نسل فرس النبي أو بغلته ، لأنها لا تعمّر كل ذلك العمر

٥ إحن = جمع إحنة ، أي حقد

و ضغائن أحُدية، وأحقاد جاهلية، وثب بها معاوية حين الغفلة ليذكر بها ثارات بني عبد شمس: ﴿ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾[1].

قال: فقالت المهاجرون والأنصار: **يا أمير المؤمنين ! إننا كنا نقاتل معك إلى الساعة على بصيرة ويقين أنك على الحق الواضح، والآن فقد ازددنا بصيرة ويقيناً بعد إذ قُتل بين يديك مثل عمار بن يا سر، فتقدم أمامنا وها نحن من ورائك.**

قال: فتقدم علي ومعه نيف على عشرة آلاف من بني مذحج ممن يريد الموت، قد وضعوا أسيافهم على عواتقهم ما يبين منهم إلا الحدق، وعلي عليه السلام يقدمهم وهو يقول:

دبّوا دبيب النمل لا تفوتوا ... وأصبحوا في حربكم وبيتوا
كي ما تنالوا الدين أو تموتوا ... أوَ لا فإني طال ما عُصيت
قد قلتم لو جئتنا فجئت ... ليس لكم ما شئتم فشئت

بل ما يريد المحيي المميت

قال: وتبعه عدي بن حاتم الطائي وهو يقول:

أبعد عمار وبعد هاشم ... وابن بديل فارس الملاحم[2]
ترجو البقا من بعد يا بن حاتم ... فقد عضضنا أمس بالأباهم
فاليوم لا يقرع سن نادم ... لا بد أن يحمي حمى المحارم

ليس امرء من يومه بسالم

قال: وتبعه مالك الأشتر وهو يقول:

حرب بأطراف القنا تأجج ... يهلك فيها البطل المدجج
يقدمها همذانها ومذحج ... قوم إذا ما حسموها انضجوا
سيروا لبر الله لا تعرجوا ... دين قويم وسبيل منهج

---

١ التوبة/١٢

٢ هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الملقب بالمرقال، وكان من الأبطال الذين قاتلوا مع الإمام علي.

قال: ثم حمل علي رضي الله عنه في هؤلاء العشرة آلاف حملة رجل واحد، فما بقي لأهل الشام صف إلا انتقض، وهمدت الناس واحمرّت حوافر الخيل بالدماء.

قال: والتفت معاوية إلى عمرو بن العاص فقال: **أبا عبد الله اليوم صبراً وغداً فخراً.**

فقال عمرو: **صدقت يا معاوية ! ولكن اليوم حق والحياة باطل، وإنْ حَمَل عليٌّ في أصحابه حملة أخرى فهو البراز.**

قال: والتفت الأشتر إلى بني عمه فجعل يحرضهم وهو يقول: **يا لمذحج ! عضضتم بصم الجندل [1]، فما أرضيتم ربكم ولا نكبتم له في عدوّكم، وأنتم أبناء العرب، وأصحاب الغارات، وفتيان الصياح، وفرسان الطراد، وحتوف الأقران، ومذحج الطعان.**

ثم حمل وحملت معه قبائل العرب مع مذحج، فتحيرت أهل الشام من فعالهم، والأشتر يومئذ على فرس له أدهم ذنوب [2]، في يده صفيحة له يمانية [3]، إذا طأطأها خِلْت فيها لهيباً، وإذا رفعها يغشى البصر من شعاعها، فهو يضرب بها قدماً قدماً، فلا يصمد لكتيبة إلا كشفها وهو يقول:

أهلي فداكم قاتلوا عن دينكم ... فالجبن عن أعدائكم يشينكم

و الله إن ناصحتم يعينكم ... فاحموا حماكم وامنعوا قطينكم

قال: ثم حمل فطاعن حتى كسر رمحه على قربوص سرجه [4]، ووقف وهو يقول:

الغمرات ثم تنجلينا ... نحن بنو الحرب بها غذينا

قال: فقال رجل من أصحاب علي: **لله در هذا الرجل لو كانت له نية، ولكن أظن أنه إنما يقاتل هذا القتال رياء وسمعة، ولا أظنه يريد بفعاله هذا ما عند الله.**

---

١ أي عضضتم الحجارة الصلبة ، والعبارة كناية عن الخيبة

٢ أدهم = أسود . ذنوب = طويل الذنب أو كثيف شعره

٣ صفيحة = سيف

٤ هكذا ورد في المصدر بالصاد ، وما في المعاجم أنه بالسين (قربوس) أي حنو السرج .

قال: فبلغ كلامه الأشتر، فغضب من ذلك ثم أنشأ يقول:

أيها الجاهل المسئ بي الظن ... ليس مثلي يجوز فيه الظنون
لست ممن باع الهدى بهواه ... إن من باع دينه مغبون
إنما يطلب المتاع من الناس ... سفيه في رأيه مفتون
حسبي الله في الحوادث والرمح ... وسيف مهند مسنون
و دلاص مثل الإضاء وطرف ... أعوجي كأنه مجنون [1]
وهواي الذي يقربه العين ... وبالحق قد تقر العيون
إن مثلي من الرجال قليل ... حين يبدو من النساء البرين
هكذا كنت يا فوارس لخم ... وكذا في الذي يكون أكون

قال: فندم اللخمي على ما قال في الأشتر، ثم أنشأ يقول:

أصابت ظنوني في رجال كثيرة ... وأخطأت في ظني بأشتر مالكْ
و ما كان فيما قلت إثم وإنما ... ترضيته أن لا أعود لذلكْ
ظننت به ظني بعمرو فإنه ... وصاحبه راما عظيم المهالكْ

قال: وزالت الشمس وذهب وقت الصلاة والحرب قائمة على ساق، قال: و صاح علي رضي الله عنه بالمهاجرين والأنصار فقال: **إن الفرار عن الحرب في مثل هذا اليوم إرداد عن الحق ورغبة عن دين الإسلام ، أما سمعتم الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [2]، فما انتظاركم إن كنتم تريدون الجنة ؟!**

قال: فكان أول من تقدم أبو الهيثم بن التيّهان [3]، وجعل يرتجز ويقول:

---

١ دلاص = اللين البراق ، والمقصود هنا الدرع إذ يقال : درع دلاص

٢ محمد/ ٣١

٣ من أصحاب رسول الله ، ومن الذين بايعوه بيعة العقبة الثانية.

أحمد ربي وهو الحميد ذاك الذي يفعل ما يريد
ذاك الذي عذابه شديد من ينج منه فهو السعيد
هذا علي ما له نديد دين قويم وهو الرشيد

ثم حمل فقاتل حتى قُتل رحمه الله ! فرثته امرأة من الأنصار فأنشأت تقول شعراً.

قال: ثم تقدم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين [1]، فجعل يرتجز ويقول:

قد مر يومان وهذا الثالث هذا الذي يبحث فيه الباحث
هذا الذي يلهث فيه اللاهث يوم عبوس والعبوس كارث
كم ذا يرجى أن يعيش الماكث والناس موروث وفيهم وارث

هذا علي من عصاه ناكث

ثم حمل فقاتل حتى قُتل رحمه الله ! فقالت فيه ابنته منيعة هذه الأبيات:

عين جودي على خزيمة بالدمع قتيل الأحزاب يوم الفرات
قتلوا ذا الشهادتين عيانا أدرك الله منهم بالترات
قتلوه في فتية غير عزل يسرعون الركوب للدعوات
نصروا أحمد الموفق ذا العدل فدانوا بذاك حتى الممات
قبّح الله معشراً قتلوه ورموه بالخزي والآفات

قال: وتقدم خالد وخلدة ابنا أبي خالد الأنصاري [2]، فجعل خالد يرتجز و يقول:

هذا علي والهدى يقوده من خير عيدان قريش عوده
لا يسأم الطعن ولا يؤوده لكنه يلهبها وقوده

و كل من يقرن به يسوده

قال: وجعل خلدة يرتجز ويقول:

---

١ من أصحاب رسول الله ، وقد جعل النبي شهادته بشهادتين فلقب بذلك .
٢ اسم أبي خالد : الحارث بن قيس بن خلدة الخزرجي الزرقي، بايع بيعة العقبة الثانية وشهد معركة بدر.

هـــذا علـــي والهـــدى أمامـــه ... هـــذا لـــوا نبينـــا قدامـــه
يقحمـــه عنـــد الـــوغى إقدامـــه ... لا عيبـــه يخشـــى ولا أثامـــه
لا يكـــره الطعـــن ولا يســـامه ... منـــه غـــداه وبـــه إدامـــه

ثم حملا فقاتلا حتى قُتلا جميعاً رحمهما الله.

قال: ثم تقدم جندب بن زهير وهو يقول [1]:

أقـــول لمـــا قـــد رأيـــت المعمعـــه ... واختـــلط الجمعـــان وســـط البلقعـــه
هـــذا علـــي والهـــدى حقـــاً معـــه ... يـــا رب فاحفظـــه ولا تضـــيّعه
فإنـــه يخشـــاك ربـــي فارفعـــه ... ومـــن أراد كيـــده فضعضـــعه
إذا رامـــه بـــالبغي منـــه فاقمعـــه ... واســـفك إلهـــي دمـــه وجعجعـــه
صـــهر الـــنبي المصـــطفى قـــد طاوعـــه ... أول مـــن بايعـــه وتابعـــه

نحن نصرناه على من نازعه

ثم حمل فقاتل حتى قُتل رحمة الله عليه.

قال: وبكى الأشتر، فقال له علي رضي الله عنه: **ما يبكيك ؟ لا أبكى الله عينيك !**

فقال: **أبكي يا أمير المؤمنين لأني أرى الناس يُقتلون بين يديك وأنا لا أرزق الشهادة فأفوز بها.**

فقال له علي رضي الله عنه: **أبشِر بالخير يا مالك .**

ثم تمثل علي رضي الله عنه بهذا البيت:

أي يوميـــك مـــن المـــوت تفـــر ... يـــوم لا يقـــدّر أو يـــوم قـــدّر

قال: ونظر أصحاب علي إلى قوم من أصحاب معاوية قد وقفوا على تل عظيم، فحلموا عليهم حتى خالطوهم، ثم ضاربوهم حتى أزالوهم عن ذلك التل، و قتلوا منهم جماعة، فأنشأ المعدل بن نائل العجلي يقول:

---

[1] جندب بن زهير الأزدي الغامدي يقال أنه صحابي ، وهو الذي قتل الساحر اليهودي الذي كان يمارس السحر أمام والي الكوفة الوليد بن عقبة . عينه الإمام علي أميراً على أزد اليمن في حرب صفين.

لست أنسى مقام غسان بالتل ... ولو عشت ما أظل الغمام
إنهم للخيول أحلاس صدق ... عند هيجائها وعند الضرام
سادة قادة هم و إذا اعصو ... صب يوم القراع خير الكهام
فهم الناس إن ذكرت أناساً ... وهم الغر في ذرى الأعلام
ناوشونا غداة سرنا إليهم ... بالعوالي وبالسيوف الدوامي
فتولوا ولم يعينوا جميعاً ... عند وقع السيوف عند الزحام
و أصبنا بكل كهل كريم ... صادق البأس سيد قمقام) [1]

وفي وصف هذا اليوم قال ابن شهراشوب: (وزحف الناس بعضهم إلى بعض وارتموا بالنبل حتى فنيت ثم تطاعنوا بالرماح حتى تكسرت، ثم تضاربوا بالسيوف وعمد الحديد واشتد القتال حتى جرت الدماء جرْي الماء، وانهزم عرب اليمن، وكان وقع الحديد على الحديد أشد هولاً من الصواعق والجبال حين تنهدم، وانكسفت الشمس وثار القتام [2]، وضلت الألوية والرايات ووصلوا النهار بالليل وهي ليلة الهرير، وأصبح أهل العراق والمعركة خلف ظهورهم وافترقوا عن سبعين ألف قتيل)[3].

* ليلة الهرير:

وتبع وقعة الخميس أحداث ليلة الهرير، وقد وصف ابن أعثم أحداثها كما يلي، قال: (وقامت الفرسان في الركب فاصطفقوا بالسيوف وارتفع الرهج وثار القتام، وتضعضعت الرايات وحطت الألوية، وغابت الشمس، وذهبت مواقيت الصلاة حتى ما كان في الفريقين أحد يصلي ذلك اليوم ولا سجد لله سجدة، ولا كانت

١ ابن أعثم : الفتوح ـ ج ٣ ـ ص ١٧٤ – ١٨٠ . القمقام = السيد كثير الخير الواسع الفضل
٢ القتام = الغبار المتصاعد من شدة المجاولة خلال المعركة
٣ ابن شهراشوب : المناقب ـ ص ٢٤٩

الصلاة إلا بالتكبير والإيماء نحو القبلة [1].

قال: وهجم عليهم الليل واشتدت الحرب، وهذه ليلة الهرير، فجعل بعضهم يهر على بعض [2]، ويعتنق بعضهم بعضاً، ويكرم بعضهم بعضاً [3].

قال: وجعل علي رضي الله عنه يقف ساعة بعد ساعة ويرفع رأسه إلى السماء و هو يقول: **اللهم إليك نقلت الأقدام وإليك أفضت القلوب ورفعت الأيدي ومدت الأعناق وطلبت الحوائج وشخصت الأبصار، اللهم افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين.**

ثم إنه حمل في سواد الليل وحملت الناس معه، فكلما قتل بيده رجلاً من أهل الشام كبّر تكبيرة حتى أحصى له كذا كذا تكبيرة.

قال أبو محمد [4]: أحصي له خمسمائة تكبيرة وثلاث وعشرون تكبيرة، في كل تكبيرة له قتيل، قال: وكان إذا علا قدّ، وإذا وسط قط [5].

قال: وجعلت المشايخ من أهل الشام ينادون في تلك الغمرات: **يا قوم، الله الله في البقية ! الله الله في الحرم والذرية !**

والناس يقتتلون ليلتهم تلك حتى أصبحوا، وقد قتل من القوم تلك الليلة ستة

---

١ قال الشيخ الطوسي في كتابه الخلاف - ج ١ - ص ٦٤٤ - ٦٤٥ : (مسألة ٤١٦ : صلاة شدة الخوف وهي حالة المسائفة والتحام القتال يصلي بحسب الإمكان إيماء وغير ذلك من الأحوال قائما أو قاعدا أو ماشيا مستقبل القبلة أو غير مستقبل القبلة ، ولا تجب عليه الإعادة ، وبه قال الشافعي إلا أنه قال : إن ضارب فيها أو طاعن بطلت صلاته ، ويمضي فيها ويعيدها هذا منصوص قوله . وقال أبو العباس : يمضي فيها ولا يعيد كما قلناه، وقال أبو حنيفة : يصلي كما قلنا إيماء وسائر أحواله إلا أنه لم يجز الصلاة ماشياً. وقال أيضا: إذا لم يتمكن إلا بالضرب والطعن فلا تصح صلاته، وينبغي أن يؤخرها حتى يزول القتالثم يقضيها . دليلنا : إجماع الفرقة ، وأيضا قوله تعالى : (حافظوا على الصلوات - إلى قوله - فإن خفتم فرجالا أو ركبانا) . فأمر أن يصلي على حسب ما يتمكن على أي صفة كان راكبا أو راجلا . وروى زرارة وفضيل ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر قال : في صلاة الخوف عند المطاردة والمناوشةوتلاحم القتال ، فإنه يصلي كل إنسان منهم بالإيماء حيث كان وجهه إذا كانت المسايفة والمعانقةوتلاحم القتال ، فإن أمير المؤمنين في ليلة الهرير لم يكن صلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاءعند وقت كل صلاة إلا بالتكبير والتهليل والتسبيح والتحميد والدعاء ، وكانت تلك صلاتهم ، ولم يأمرهم بإعادة الصلاة . وروى الحلبي عن أبي عبد الله قال : صلاة الزحف على الظهر إيماء برأسكوتكبير ، والمسايفة تكبير مع الإيماء ، والمطاردة إيماء يصلي كل رجل على حياله) .

٢ كناية عن الهجوم والقتال الشديدين

٣ لعله تصحيف (يكزم) : أي يعض . وفي مروج الذهب : وكان يعتنق الفارس ويقعان جميعاً على الأرض عن فرسيهما

٤ هو ابن الأعثم الكوفي

٥ القد - القطع طولاً . القط - القطع عرضاً

وثلاثون ألفاً من جحاجحة العرب [1]، وليس فيهم أحد يكيع [2] عن صاحبه.

قال: فطلعت الشمس وتعالى النهار وذلك في يوم الجمعة والسيوف تأخذ هام الرجال) [3].

* رفع المصاحف:

قال ابن أعثم بعد الحديث عن ليلة الهرير: (فقال معاوية لعمرو بن العاص: **ويحك أبا عبد الله، أين حيلك التي كنت أعرفها منك ؟**

فقال عمرو: **تريد ماذا ؟**

قال: **أريد أن تسكن هذه الحروب ، فقد أبيد أهل الشام ، وإني لأعلم إن دام هذا الحرب يومنا هذا لم يبق بأرض الشام أحد يحمل سلاحنا.**

فقال عمرو: **إن أحببت ذلك فأْمُر بالمصاحف أن تُرفع على رؤوس الرماح ثم ادعهم إليها، فإنك إن فعلت ذلك لم يقاتل أحدٌ أحداً، فهذه حيلتي ومكيدتي التي لم أزل أدّخرها لك، فعجّل برفع المصاحف.**

قال: **فلما سمعت أهل الشام ذلك قال بعضهم لبعض: صدق عمرو، وهذه حيلة ما سبقه إليها أحد.**

قال: فأمر معاوية بالمصاحف فرُفعت على رؤوس الرماح، وصاح أهل الشام: **ياعلي، يا علي، اتق الله، اتق الله أنت وأصحابك في هذه البقية، هذا كتاب الله بيننا وبينكم.**

قال: ثم أتوا بالمصاحف وبالمصحف الأعظم وهو مصحف عثمان بن عفان،

---

١ الجحجح = السيد السمح

٢ يكيع = يجبن

٣ ابن أعثم : كتاب الفتوح ـ ج ٣ ـ ص ١٨٠ - ١٨١

فربطوه على أربعة أرماح ثم رفعوه ونادوا: **يا أهل العراق ! هذا كتاب الله بيننا وبينكم. فالله الله في البقية والحرم والذرية الصغار !**

قال: وجعل رجل ينادي بأعلى صوته وهو يقول:

أهلَ العراق أجيبوا الدعاء ... فقد بلغت غاية الشده

وقد أودت الحرب بالعالمين ... وأهل الحفائظ والنجده

فلسنا ولستم من المشركين ... ولا المجمعين على الرده

ولكن أناس لقوا مثلهم ... لنا عدة ولهم عده

فقاتل كل على وجهه ... يقحمه الجد والجده

فإن تقبلوها ففيها البقاء ... وأمن الفريقين والبلده

وإن تدفعوها ففيها الفناء ... وكل بلاء إلى المده

فحتى متى محض هذا الشقاء ... ولا بد أن يخرج الزبده

ثلاثة رهط هم أهلها ... وإن رعدت فيهم رعده

سعيد بن قيس وكبش العراق ... وذاك المسود من كنده

عندها وثب الأشعث إلى علي فقال[1]: **يا أمير المؤمنين ! أجب القوم إلى كتاب الله، وإلا والله لم يرم معك يمانيٌّ بسهم، ولم يضرب معك بسيف، ولم يطعن معك برمح.**

فقال علي: **ويحك، والله ما رفعوا لكم هذه المصاحف إلا خديعة و مكيدة !**

فقال الأشعث: **لا والله ما نأبى ذلك أبداً، فإن شئت فأذن لي أن آتي معاوية فأسأله عن هذه المصاحف لماذا رفعت ؟**

فقال علي رضي الله عنه: **ذاك إليك.**

قال: فأقبل الأشعث حتى وقف قريباً من معاوية، ثم قال: **يا معاوية ! لماذا رفعتم هذه المصاحف ؟**

---

[1] أي الأشعث بن قيس الكندي

فقال: رفعناها لكي نتفق نحن وأنتم عليها.

قال: فرجع الأشعث إلى علي فأخبره بذلك. قال: ثم تقدم رجل من أهل الشام على فرس له أبلق [1]، وفي يده مصحف قد فتحه، ثم وقف بين الجمعين وجعل يقرأ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [2]، وقوله: ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [3]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۝ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [4].

قال: وملجت الناس في عسكر علي، فقالت جماعة: قد أكلتنا هذه الحروب وقلّت الرجال.

وقال قوم: نقاتل اليوم على ما قاتلنا أمس وإن لم يبق منا إلا القليل.

قال: ثم وثب شقيق بن ثور البكري [5]، فقال: يا أهل العراق! إنكم تعلمون أننا كنا دعونا أهل الشام إلى كتاب الله عزّ وجلّ، فإن رددناه عليهم حلّ لهم منا ما حلّ لنا منهم، ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ولا رسوله، وإن علياً ليس بالراجع ولا بالناكص ولا الشاك الواقف في أمره، وهو اليوم على ما كان عليه أمس، وقد أكلتنا هذه الحروب، ولسنا نرى إلا البقاء في الموادعة، والسلام.

قال: ثم وثب هانىء أو كردوس بن هانىء البكري فقال: أيها الناس! إننا ما تولينا معاوية منذ تبرأنا منه، ولا برئنا من علي منذ توليناه، وقد علمنا أن قتلانا

---

١ البلق = سواد وبياض

٢ آل عمران/٢٣

٣ النور/٤٨

٤ النور/٤٩ ـ ٥١

٥ وقيل سفيان بن ثور

شهداء وأحياءنا أبرار، وأن علياً لعلى بينة من ربه وما أحب إلا الإنصاف، وكل محقّ منصف، فمن ساله نجا، ومن خالفه هلك.

قال: ثم وثب خالد بن معمر السدوسي فقال: يا أمير المؤمنين ! إننا ما أخرنا هذه المقالة إلا أن يكون أحد أولى بهذا الكلام منا، غير أننا جعلناه ذخراً لنا، وقلنا أحب الأمور إلينا ما كفينا مؤنته، فأما إذ سبقنا إلى الكلام فإننا لا نرى البقاء إلا فيما دعاك إليه القوم، فإن رأيت ذلك فأجبهم إليه وإن لم تر ذلك فرأيك أفضل.

قال: ثم وثب الحضين بن المنذر وكان أصغر القوم سناً فقال: أيها الناس ! إنما بُني هذا الدين على التسليم فلا تعملوا فيه بالقياس، ولا تهدموه بالشبهة، و أمير المؤمنين فهو المصدَّق بما قال، والمأمون على ما فعل، فإن قال: لا، قلنا: لا، وإن قال: نعم، قلنا: نعم.

قال: فوثب رفاعة بن شداد البجلي وكان من أفاضل أصحاب علي رضي الله عنه فقال: أيها الناس ! إنه لا يفوتنا شيء من حقنا وقد دعونا القوم إلى ما دعوناهم إليه في أول أمرنا، فإن يتم الأمر على ما نحب وحكم بالقرآن على ما فيه من الحق فبعد بلاء شديد وقتل ذريع، وإن تكن الأخرى أثرناها عجاجة، فهذه سيوفنا في رقابنا وأرماحنا في أكفّنا، ثم أنشأ يقول:

تطاول ليلي بالهموم الحواضر ... وقتلى أصيب من رؤوس العشائر

بصفين أمسوا والحوادث جمة ... يهيل عليها الترب ذيل الأعاصر

فإنهم في ملتقى الحرب بكرة ... وقد جالت الأبطال دون المشاعر

فإن تك أهل الشام نالوا سراتنا ... فقد نيل منهم مثلهم جزر جاذر

و فار سجال الدمع منا ومنهم ... يبكين قتلى غير ذات مقابر

فإن يستقل اليوم ما كان بيننا ... وبينهم إحدى الليالي الغوابر

و ما ذا علينا أن تريح سيوفنا ... إلى مدة من بيضنا والمغافر

و من نصبنا وسط العجاج جباهنا كفاحا كفاحا بالسيوف البواتر
و طعنا إذا نادى المنادي أن اركبوا صدور المذاكي بالرماح الخواطر
ونحن ضربناهم على رأس أمرنا فإن حكموا فينا حكومة جائر
أثرنا التي كانت بصفين بكرة ولم نك في تسعيرها بعواثر
و إن حكموا بالحق كانت سلامة وإلا أثرناها بيوم قماطر

قال: ثم وثب إلى علي يومئذ زهاء عشرين ألفاً مقنّعين في الحديد شائلين سيوفهم على عواتقهم قد اسودّت خيولهم من كثرة الغبار، ومعهم عصابة من القراء الذين صاروا بعد ذلك خوارج، فقال له رجل منهم: **يا علي ... أجب القوم إلى ما دعوك إليه من كتاب الله فقد أنصفوك، وإلا والله دفعناك إليهم برغمك، أو قتلناك ...**

قال: فنظر علي رضي الله عنه ساعة ثم قال: **يا هؤلاء ! إني أنا أول من دعا إلى كتاب الله، وأول من أجاب إليه، ولا يحل لنا إلا الإجابة إليه، غير أني كنت أمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت أمس ناهياً فأصبحت منهياً، وأراكم قد أحببتم البقاء وكرهتم الحرب، وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون.**

قالوا: **فابعث إذاً إلى الأشتر فادعه إليك فإنه ما يفتر عن الحرب.**

قال: وكان الأشتر رحمه الله أشرف على دخول عسكر معاوية فأرسل إليه علي رضي الله عنه رسولاً أن ارجع، فقال الأشتر للرسول: **قل لأمير المؤمنين: ليس هذا وقت ينبغي لك أن تزيلني فيه عن موقفي.**

قال: فارتفع الرهج وعلت الأصوات من ناحية الأشتر، فقال القوم: **إنا إنما سألناك أن ترد الأشتر ولم نسألك أن تأمره بالحرب.**

فقال علي رضي الله عنه: **وكيف علمتم أني أمرته بالحرب ؟ هل رأيتموني وأنا أسار الرسول ؟ ألم أكلمه وأنتم تسمعون ؟**

قالوا: **فابعث إليه فليأتك وإلا والله اعتزلناك.**

قال: فقال علي ﷺ لرجل من أصحابه: **اذهب إليه فقل له: ويحك ! أقبِل فإن الفتنة قد وقعت.**

قال: فجاءه الرسول بالرسالة من عند علي ﷺ، فقال الأشتر: **لعل أمير المؤمنين إنما يدعوني لأجل هذه المصاحف التي رُفعت ؟**

قال الرسول: **نعم فارجع.**

فقال الأشتر ﷺ: **أما والله لقد علمت حين رُفعت أنها ستلقي اختلافاً وفرقة. وأنها مشورة ابن النابغة عمرو بن العاص.**

ثم قال للرسول: **ويحك ! أمهلني ساعة فإني قد تقاربت من الفتح.**

فقال له الرسول: **أفتحب أن تظفر وأمير المؤمنين بمكانه ذلك ؟**

فقال الأشتر: **سبحان الله ! لا والله ما أحب ذلك.**

قال: **فارجع فإن القراء قد قالوا له: ابعث إلى الأشتر فليأتك وإلا قتلناك كما قتلنا عثمان.**

قال: فانصرف الأشتر مغضباً وهو يقول: **يا أهل العراق، يا أهل الرهن والوهن، ويلكم الآن حين علوتموهم بالطعن والضرب وعلموا أنكم قاهرون رفعوا لكم هذه المصاحف خديعة ومكراً، ثم دعوكم إليها !**

فقال الأشعث بن قيس: **يا هذا، إنا قاتلناهم لله** ﷻ، **وندع الساعة قتالهم لله** ﷻ.

قال: فقال الأشتر: **ويحكم ! فأمهلوني ساعة فلقد أحسست بالفتح وأيقنت بالظفر.**

فقالوا: **لا.**

قال: **فأمهلوني عدوة فرسي، فإني قد طمعت في النصر.**

فقالوا: **إذاً ندخل معك في خطيئتك، فإنهم قد دعونا إلى كتاب الله** ﷻ.

فقال الأشتر: **إنه قد قتل أماثلكم**[1] **وبقي أراذلكم، وقد كنتم إلى الساعة محقين، فإن تركتم قتالكم تكونوا مبطلين ؟!**

---

١ أماثلكم = خياركم

قال: فصاحت به القراء وغيرهم من الناس وقالوا: **دعنا منك يا أشتر، فإننا لانطيعك ولن نطيع صاحبك ونحن نرى المصاحف على رؤوس الرماح نُدعى إليها.**

فقال الأشتر: **لا والله ولكن خدعتم فانخدعتم، ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم.**

ثم أقبل على أولئك القراء فقال: **يا أصحاب الجباه السود ! كنا نظن أن صلاتكم زهادة في الدنيا وتشوقاً في الآخرة، وأنا والله فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا، فقبحاً لكم وبُعداً كما بعد القوم الظالمون.**

قال: فسبّوه وسبّهم، وضربوا بسياطهم وجه فرسه، وضرب بسوطه وجوه دوابهم، وهمّوا به وهمّ بهم، وأعانه بنو عمه، وكادت الفتنة أن تقع بين القوم حتى سكّنهم علي وقال: **كفّوا عنه، ما لكم وله ؟!**

قال: فتكلم رجل من أصحاب علي رضي الله عنه وقال: **يا هذا ! إن أمير المؤمنين قد قبل الحق ورضي بحكم القرآن ولم يسعه إلا ذلك فلا تقتل نفسك.**

فقال الأشتر: **إن كان أمير المؤمنين قد رضي فقد رضيت بما رضي به أمير المؤمنين.**

قال: فكان معاوية بعد ذلك يقول: **والله لقد رجع عني الأشتر يوم رفع المصاحف ، وأنا أريد أن أسأله أن يأخذ لي الأمان من علي، وقد هممتُ ذلك اليوم بالهرب ولكن ذكرت قول عمرو بن الأطنابة حيث يقول:**

أبت لي عفتي وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح

وإعطائي على المكروه مالي ... وضربي هامة، البطل المشيح [1]

وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي [2]

لأدفع عن مآثر صالحات ... وأحمي بعد عن عرض صحيح

بذي شطب كلون الملح صاف ... ونفس ما تقر على القبيح [3]

---

١ المشيح = أشاح الرجل إشاحة فهو مشيح ، أي حاذر من الأمر

٢ جشأت وجاشت = نهضت نفسه إليه

٣ ذو شطب = السيف

قل: فقال علي رضي الله عنه: **أيها الناس ! إنه ليس مع كتاب الله تعالى أمر، و لا مع حكمه حكم، هذا كتاب الله قد دعانا القوم إليه، وأنا أحب أن أحيي ما أحيى القرآن وأميت ما أمات القرآن، وقد علمتم أننا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم الحديبية فأردنا أن نقاتل إنكاراً للصلح حتى نهانا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن أهل الشلم إنما دعونا إلى كتاب الله عز وجل اضطراراً ونجيبهم إعذاراً، واسكنوا حتى ننظر ما الذي يريدون أن يصنعوا.**

قل: فوثب حريب بن جابر البكري فقل: **أيها الناس ! إنكم قد سمعتم كلام أمير المؤمنين فاسمعوا كلامي، إن أمير المؤمنين لو كان خلْواً من هذا الأمر لكان المفزع إليه [1]، فكيف وهو قائده وسائقه ؟! إنه والله ما قبل من القوم اليوم إلا الأمر الذي دعاهم إليه أمس، ولو رده عليهم لكنتم عليه أعتب، فلا يلحد في هذا الأمر إلا ورجع على عقبيه أو يستدرج الذين تعرضوا بيننا وبين من طعن على أمير المؤمنين بعد هذا الأمر إلا بالسيف،** ثم أنشأ يقول:

أتى نبأ من الأنباء ينمي ... وقد يشقى من الخبر الخبير

و قد جاء معاوية بن حرب ... بأمر قد تضيق به الصدور

فما أحيا القرآن وحي لكن ... متى حاروا فمخ القوم زير

فلا تعجل معاوية بن حرب ... وإن سرور ما تهوى غرور

فإنك والخلافة يا بن حرب ... لكالحادي وليس له بعير

قال: ثم وثب جماعة من بني بكر بن وائل، منهم حريث بن جابر وخالد بن معمر وشقيق بن ثور وكردوس بن عبد الله إلى علي رضي الله عنه فقالوا: **ما ترى يا أمير المؤمنين ؟ إن أجبتَ القوم أجبنا وإن أبيتَ أبينا، وها نحن بين يديك.**

فقال علي: **أنا أحق من أجاب إلى كتاب الله، ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة والضحاك بن قيس وابن أبي سرح ليسوا**

---

[1] أي لو لم يكن طرفاً في الحرب للجانا إليه أخذا بحكمه وكلامه ، فكيف وهو أحد طرفي القتال ؟!

بأصحاب دين ولا قرآن، وأنا أعرف بهم منكم، لأني قد رأيتهم صغاراً وصحبتهم كباراً، وكانوا شر أطفال وشر رجال، وقد علمتُ أن رفع هذه المصاحف إنما هو وهن وخديعة و مكيدة، وليس يحل لي ولا يسعني في ديني أن أدعى إلى كتاب الله فآبى أن أقبله، لأني إنما قاتلتهم ليدينونا بحكم القرآن، لأنهم قد كانوا عصوا الله فيما أمرهم به ونهاهم عنه، فلم ينتهوا ونقضوا عهده ونبذوا كتابه، غير أني أراكم قد اجتمعتم على أمر لا أرى فيه مخالفتكم.

قال: فجزاه القوم خيراً، فأنشأ الصلتان العبدي في ذلك يقول:

شقيق بن ثور قام فينا بخطبة ... يحث بها الركبان أهل المشاعر
وهيهات أن يأتي الخطيب بمثلها ... جزى الله خيراً من خطيب وناصر
وقد قام فينا خالد بن معمر ... وكردوس الحامي ذمار العشائر
بمثل الذي حامى به حذو فعله ... وقد بين الشورى حريث بن جابر
فلا يعدمنك الدهر ما هبت الصبا ... ولا زلت مسقيا بأسحم ما طر
ولا زلت تدعى في ربيعة أولاً ... باسمك في إحدى الليالي الغوابر

قال: فبينا الناس كذلك إذ أقبل أبو الأعور السلمي من عند معاوية على برذون له أشهب[1]، والمصحف على رأسه حتى وقف قريباً من عسكر علي رضي الله عنه ثم نادى بأعلى صوته: لن يعطي واحد منا للآخر الطاعة، وقد قتل فيما بيننا بشر كثير، وكل واحد منا يرى أنه على الحق فيما يطلب من صاحبه وإننا نتخوف أن يكون ما بقي أشد مما مضى، وإننا سنحاسَب ونُسأل عن هذا الموطن، ولا يحاسَب بما نحن فيه غيرنا وغيركم، وقد جئتكم في أمر لنا ولكم فيه حياة وعذر وصلاح وحقن الدمه وألفة الدين وذهاب الفتن، أن نجعل القرآن بيننا وبينكم حكماً، ويحكم بيننا حكمان مرضيان: أحدهما من أصحابنا والآخر من أصحابكم، يحكمان بما في كتاب الله عز وجل

[1] البرذون من الخيل ماليس بعربي. أشهب - أبيض يصدعه سواد في خلاله

فإنه خير لنا ولكم، ونقطع هذه الفتن، فاتق الله يا علي فيما دُعيت إليه، وارضَ بحكم القرآن إن كنت من أهله، والسلام.

قال: فصاحت به الناس: **إننا قد رضينا بحكم القرآن.**

فقال أبو الأعور: **فالحمد لله على ذلك، ووفقنا وإياكم لصالح الأمور.**

ثم انصرف إلى العسكر، فأنشأ عبد الله بن حجر في ذلك يقول:

دعانا علي إلى خطة ... فكنا له خير أنصارها
رضينا بإيرادها في الورود ... وبعد الورود بإصدارها
على كل حال رضينا بها ... بإظهار آمر وإضمارها
ولسنا نريد بها غيرها ... ولسنا نكون من أشرارها
فمن الحد اليوم في رأيه ... رمته المنايا بأقدارها
ولا زلت تدعى في ربيعة أولاً ... باسمك في إحدى الليالي الغوابر
دعاه ابن هند إلى خطة ... أقر بها بعد إنكارها
وأظهر فيها رضى بالقرآن ... وليس له غير إظهارها
وفيها بقاء إلى مدة ... ووضع الحروب لأوزارها
إننا قد رضينا بحكم القرآن ... فإن قلت لا قلت لا مثلها
وما الناس إلا رجال العراق ... وبالشام مرعى لأعيارها
وبالشام أعداد أهل العراق ... وليس لها مثل أخيارها
و ما العيش إلا بأحقافها ... وما الكف إلا بأظفارها

قال: فغمد الناس أسيافهم ووضعوا أسلحتهم وعزموا على الحكم. فقال عمرو لمعاوية: **كيف رأيتَ رأيي ؟ لقد كنتَ غرقتَ في بحر العراق وأنقذتُك !**

فقال معاوية: **صدقت أبا عبد الله ولمثلها كنت أرجوك)** [1].

---

١ ابن أعثم: الفتوح - ج ٣ - ص ١٨١ - ١٩٣

* ما بعد الخديعة:

وهكذا انطلت الحيلة على عدد كبير ممن كانوا يشكلون جيش علي عليه السلام، ولم يكن بد من النزول عند إصرار الأغلبية على وقف القتال، فجَرت مكاتبات بين الإمام ومعاوية، وبينه وبين عمرو بن العاص، وتبعتها بعض الأحداث التي نتوقف عن ذكرها رغبة في الاختصار.

ثم اجتمع قرّاء القرآن من المعسكرين في وسط ساحة المعركة ومعهم المصحف، واتفقوا على أن يكون بين الطرفين حكمان، وجعلوا المدة فيما بين ذلك إلى سنة كاملة.

واختار أهل الشام عمرو بن العاص، بينما اتجه جماعة من معسكر الإمام علي على رأسهم الأشعث بن قيس والذين صاروا خوارج بعد ذلك لاختيار أبي موسى الأشعري، بذريعة أنه كان وافد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن، وصاحب مقاسم أبي بكر وعامل عمر بن الخطاب.

أما الإمام علي عليه السلام فإنه لم يوافقهم الرأي، فقال الأشعث بن قيس وزيد بن حصن ومسعر بن فدكي وعبد الله بن الكواء: **فإننا لا نرضى إلا به، لأنه قد كان حذَّرنا ما وقعنا فيه.**

فقال علي عليه السلام: **فإنه ليس لي برضاً، وقد كان فارقني وخذّل الناس عني، ثم هرب حتى آمنته بعد أشهر، ولكن هذا عبد الله بن عباس قد جعلته حكماً لي.**

فقال القوم: **والله لا نبالي أنت كنت أو ابن عباس، إلا أننا لا نريد رجلاً هو منك وأنت منه.**

فعرض الإمام عليهم مالكاً الأشتر، فقال الأشعث: **وهل سعّر الأرض علينا إلا الأشتر؟! حكمُه أن يضرب الناس بعضهم بعضاً بالسيوف حتى يكون ما أردت وما أراد.**

فقال له الأشتر: **أنت إنما تقول هذا القول لأن أمير المؤمنين عزلك عن الرئاسة ولم يرك أهلاً لها.**

فإنه خير لنا ولكم، ونقطع هذه الفتن، فاتق الله يا علي فيما دُعيت إليه، وارضَ بحكم القرآن إن كنت من أهله، والسلام.

قال: فصاحت به الناس: **إننا قد رضينا بحكم القرآن.**

فقال أبو الأعور: **فالحمد لله على ذلك، ووفقنا وإياكم لصالح الأمور.**

ثم انصرف إلى العسكر، فأنشأ عبد الله بن حجر في ذلك يقول:

دعانا علي إلى خطة ... فكنا له خير أنصارها

رضينا بإيرادها في الورود ... وبعد الورود بإصدارها

على كل حال رضينا بها ... بإظهار آمر وإضمارها

ولسنا نريد بها غيرها ... ولسنا نكون من أشرارها

فمن ألحد اليوم في رأيه ... رمته المنايا بأقدارها

ولا زلت تدعى في ربيعة أولاً ... باسمك في إحدى الليالي الغوابر

دعاه ابن هند إلى خطة ... أقر بها بعد إنكارها

وأظهر فيها رضى بالقرآن ... وليس له غير إظهارها

وفيها بقاء إلى مدة ... ووضع الحروب لأوزارها

إننا قد رضينا بحكم القرآن ... فإن قلت لا قلت لا مثلها

وما الناس إلا رجال العراق ... وبالشام مرعى لأعيارها

وبالشام أعداد أهل العراق ... وليس لها مثل أخيارها

و ما العيش إلا بأحقافها ... وما الكف إلا بأظفارها

قال: فغمد الناس أسيافهم ووضعوا أسلحتهم وعزموا على الحكم. فقال عمرو لمعاوية: **كيف رأيتَ رأيي ؟ لقد كنتَ غرقتَ في بحر العراق وأنقذتُك !**

فقال معاوية: **صدقت أبا عبد الله ولمثلها كنت أرجوك)** [1].

---

1 ابن أعثم : الفتوح - ج ٣ - ص ١٨١ - ١٩٣

* ما بعد الخديعة:

وهكذا انطلت الحيلة على عدد كبير ممن كانوا يشكلون جيش علي عليه السلام، ولم يكن بد من النزول عند إصرار الأغلبية على وقف القتال، فجَرت مكاتبات بين الإمام ومعاوية، وبينه وبين عمرو بن العاص، وتبعتها بعض الأحداث التي نتوقف عن ذكرها رغبة في الاختصار.

ثم اجتمع قرّاء القرآن من المعسكرين في وسط ساحة المعركة ومعهم المصحف، واتفقوا على أن يكون بين الطرفين حكمان، وجعلوا المدة فيما بين ذلك إلى سنة كاملة.

واختار أهل الشام عمرو بن العاص، بينما اتجه جماعة من معسكر الإمام علي على رأسهم الأشعث بن قيس والذين صاروا خوارج بعد ذلك لاختيار أبي موسى الأشعري، بذريعة أنه كان وافد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن، وصاحب مقاسم أبي بكر وعامل عمر بن الخطاب.

أما الإمام علي عليه السلام فإنه لم يوافقهم الرأي، فقال الأشعث بن قيس وزيد بن حصن ومسعر بن فدكي وعبد الله بن الكواء: **فإننا لا نرضى إلا به، لأنه قد كان حذَّرنا ما وقعنا فيه.**

فقال علي عليه السلام: **فإنه ليس لي برضاً، وقد كان فارقني وخذّل الناس عني، ثم هرب حتى آمنته بعد أشهر، ولكن هذا عبد الله بن عباس قد جعلته حكماً لي.**

فقال القوم: **والله لا نبالي أنت كنت أو ابن عباس، إلا أننا لا نريد رجلاً هو منك وأنت منه.**

فعرض الإمام عليهم مالكاً الأشتر، فقال الأشعث: **وهل سعّر الأرض علينا إلا الأشتر؟! حكمُه أن يضرب الناس بعضهم بعضاً بالسيوف حتى يكون ما أردت وما أراد.**

فقال له الأشتر: **أنت إنما تقول هذا القول لأن أمير المؤمنين عزلك عن الرئاسة ولم يرك أهلاً لها.**

فقال الأشعث: والله ما فرحت بتلك الرئاسة ولا حزنت لذلك العزل.

فقال علي عليه السلام: ويحكم ! إن معاوية لم يكن ليختار لهذا لأمر أحداً هو أوثق برأيه ونظره إلا عمرو بن العاص، وإنه لا يصلح للقرشي إلا مثله، وهذا عبد الله ابن عباس فارموه به، فإن عمْراً لا يعقد عقدة إلا حلّها، ولا يبرم أمراً إلا نقضه، ولاينقض أمراً إلا أبرمه.

فقال الأشعث ومن معه: لا والله لا يحكم فينا مُضريان أبداً حتى تقوم الساعة ! ولكن يكون رجل من مضر ورجل من اليمن.

فقال علي عليه السلام: إني أخاف أن يخدع يمانيكم، فإن عمرو بن العاص ليس من الله في شيء.

فقال الأشعث: والله لأن يحكما ببعض ما نكره وأحدهما من اليمن أحب إلينا من أن يكون ما نحب وهما مضريان.

فقال علي عليه السلام: وقد أبيتم إلا أبا موسى ؟

قالوا: نعم.

قال: فاصنعوا ما أردتم. اللهم إني أبرأ إليك من صنيعهم.

وهكذا وضع الناس السلاح، والتقوا بين العسكرين، ودعوا عبيدالله بن أبي رافع وهو كاتب الإمام علي ليكتب عهد الصلح بينهم، ولندع ابن أعثم ينقل لنا ما جرى لحظة إملاء النص: (فقال علي رضي الله عنه لكاتبه: اكتب "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضي عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان".

فقال معاوية: فإن كنتَ أمير المؤمنين كما زعمت فعلام أقاتلك ؟

فقال علي رضي الله عنه: الله أكبر ! كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم الحديبية حين صده المشركون عن مكة، ثم اتفق أمره وأمرهم على الصلح بعد ذلك فدعاني لأكتب، فقلت: ما أكتب يا رسول الله ؟

فقال: اكتب "هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله وأهل مكة".

فقال أبو هذا، أبو سفيان بن حرب: يا محمد، إني لو أقررت أنك رسول الله لما قاتلتك، ولكن اكتب لنا صحيفتك باسمك واسم أبيك.

فكتبت ذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال: يا علي، إن لك يوماً مثل هذا، أنا أكتبها للآبه وتكتبها للأبناء.

وإني الآن أكتبه لمعاوية كما كتب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي سفيان.

قل: فقل عمرو بن العاص: يا سبحان الله ! ونقاس نحن إلى الكفار ونحن مؤمنون ؟!

فصاح به علي صيحة وقال: يا بن النابغة ! لو لم تكن للمشركين ولياً وللمؤمنين عدواً لم تكن في الضلالة رأساً وفي الإسلام ذنباً ، أو لست ممن قاتل محمداً عليه السلام وفتن أمته من بعده ؟ أو لست الأبتر ابن الأبتر عدو الله وعدو رسوله ؟ قم من ههنا يا عدو الله فليس هذا بموضع يحضره مثلك.

قال: فوثب عمرو ساكتاً لا ينطق بشيء حتى قعد ناحية) [1].

تحمس المخلصون من أصحاب علي عليه السلام وهم يسمعون هذه الكلمات من إمامهم وأخذوا يعرضون عليه استعدادهم للعودة إلى القتال إن شاء ذلك، فشكر لهم موقفهم، إلا أنه استمر في إملاء نص الصلح، فقال لعبيدالله بن أبي رافع: (اكتب "هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان".

فقال أبو الأعور السلمي: نبدأ بمعاوية ثم علي.

فقال له الأشتر: لا ولا كرامة لك ولا لمعاوية ، بل نبدأ بعلي قبل معاوية، ونقدّمه عليه وعلى غيره لأنه أسبق الناس إيماناً وهجرة وأدنى إلى العلية.

فقال معاوية: يا أشتر ! قدّم من شئت وأخّر من شئت.

فكتب الكاتب: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، وأهل الحجاز وأهل العراق من شيعة علي وأهل

[1] ابن أعثم : الفتوح - ج ٤ - ص ٢٠١ - ٢٠٢

الشام من شيعة معاوية، أنهم ينزلون على حكم كتاب الله، وأن كتاب الله بين علي ومعاوية من فاتحته إلى خاتمته. وأن يحيوا ما أحيى القرآن ويميتوا ما أمات القرآن، والحكمان عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص، وأن علي بن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان قد أخذا على عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بما أنزل الله في كتابه، فإن لم يجدا في كتاب الله فبالسنة والجماعة غير المتفرقة، وأن عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص قد أمّنا من الجندين جميعاً على دمائهما وأموالهما، وأن الأمة لهما أنصار على ما تقاضيا عليه، والعهد والميثاق على الفريقين جميعاً أن يرضوا بما في هذه الصحيفة، وأن يرجع أهل العراق إلى عراقهم وأهل الشام إلى شامهم، وأن يكون المجتمع للحكم بدومة الجندل [1]، والمدة بين علي ومعاوية سنة كاملة، والسلام" [2].

---

١ منطقة بين العراق والشام

٢ ابن أعثم: الفتوح - ج ٤ - ص ٢٠٤ - ٢٠٥

أحداث لها علاقة بصفين:

* خبر الإمام مع عمرو بن العاص:

روى الشريف الرضي كلاماً للإمام عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص، وفيه تعريض شديد به، قال: **عجباً لابن النابغة ! يزعم لأهل الشام أن فيّ دعابة [1]، وأني امرؤ تلعابة [2]، أعافس وأمارس [3] ! لقد قال باطلاً، ونطق آثماً. أما ـ وشر القول الكذب ـ أنه ليقول فيكذب، ويعد فيخلف، ويُسأل فيبخل، ويَسأل فيلحف، ويخون العهد، ويقطع الإلّ [4]. فإذ كان عند الحرب فأيّ زاجر وآمر هو ! ما لم تأخذ السيوف مآخذها [5]، فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القوم سبَّته [6]. أما والله إني ليمنعني من اللعب ذكر الموت، وإنه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة. وإنه لم يبايع معاوية حتى شرط له أن يؤتيه أتية [7]، ويرضخ له على ترك الدين رضيخة [8].**

وما جرى في صفين من قبل عمرو بن العاص مشهور، ورد في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان الذي يروي الخبر عن الشعبي [9]، ورواه ابن قتيبة الدينوري في كتابه عيون الاخبار [10]، وابن عبدربه الأندلسي في العقد الفريد [11]، و الحلبي في السيرة الحلبية [12]، الذي قال: (ووقع لسيدنا علي كرم الله وجهه مثل ذلك في يوم صفين مرتين، الأولى: حمل على نصر بن أرطأة [13]، فلما رأى أنه مقتول: كشف عن عورته

---

١ الدعابة = المزاح

٢ تلعابة = كثير اللعب

٣ أي أن عمراً يزعم أن الإمام كثير الممازحة حتى أنه يلاعب النساء ويغازلهن فعل المترف الذي تتقضى أوقاته بملاذ نفسه .

٤ يلحف = يلح في السؤال والطلب . يقطع الإل = يخون العهد

٥ كناية عن اشتداد الحرب

٦ السبة = الأست

٧ الأتية = العطية

٨ الرضي : نهج البلاغة ـ الخطبة ٨٤ ـ ص ١١٥ . رضخ له رضخاً = أعطاه عطاه بالكثير ، وهي الرضيخة لما يعطى

٩ أبوحيان : الإمتاع والمؤانسة ـ مجلد ١ ـ ج ٣ ـ ص ١٨٣

١٠ ابن قتيبة الدينوري : عيون الاخبار ـ ج ١ ـ ص ١٦٤

١١ ابن عبدربه الأندلسي : العقد الفريد ـ ج ٢ ـ ص ٢٨٧

١٢ الحلبي : السيرة الحلبية ـ ج ٢ ـ ص ٢٢٣

١٣ الصحيح (بسر) وليس (نصر)

فانصرف عنه، والثانية حمل على عمرو بن العاص فلما رأى أنه مقتول كشف عن عورته فانصرف عنه كرم الله وجهه).

وقد ذكر ابن الكلبي والمدائني قول الحارث بن نصر الجشيمي:

أفي كل يوم فارس ليس ينتهي ... وعورته وسط العجاجة باديه
يكف لها عنه علي سنانه ... ويضحك منها في الخلاء معاويه
بدت أمس من عمرو فقنع رأسه ... وعورة بسر مثلها حذو حاذيه
فقولا لعمرو ثم بسر ألا انظرا ... سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه
ولا تحمدا إلا الحيا و ..... [1] ... هما كانتا والله للنفس واقيه
ولولاهما لم تنجوا من سنانه ... وتلك بما فيها عن العود ناهيه [2]

* خبر الإمام مع بسر بن أرطاة [3]:

روى نصر بن مزاحم في كتابه صفين خبر مبارزة الإمام علي عليه السلام لبسر بن أرطاة حيث قال: (وبرز يومئذ عروة بن داود الدمشقي فقال: **إن كان معاوية كره مبارزتك يا أبا الحسن فهلم إليَّ.**

فتقدم إليه علي فقال له أصحابه: **ذر هذا الكلب فإنه ليس لك بخطر.**

فقال: **والله ما معاوية اليوم بأغيظ لي منه، دعوني وإياه.**

ثم حمل عليه فضربه فقطعه قطعتين، سقطت إحداهما يمنة والأخرى يسرة، فارتج العسكران لهول الضربة، ثم قال: **اذهب يا عروة فأخبر قومك، أما والذي بعث محمداً بالحق لقد عاينت النار وأصبحت من النادمين.**

---

١ آثرنا حذف الكلمة تعففاً، ومن أراد فليراجع المصدر

٢ محسن الأمين: أعيان الشيعة ـ ج ١٨ ـ ص ٣٧٦. والحارث الجشيمي كان من أصحاب الإمام علي.

٣ اختلف في اسمه هل هو ابن أرطاة أو أرطاة أو أبي أرطاة.

وقال ابنُ عمٍ لعروة: واسوء صباحاه، قبَّح الله البقاء بعد أبي داود.

ثم أنشأ يقول في ذلك:

فقدت عروة الأرامل والأيتام ... يوم الكريهة الشنعاء

كان لا يشتم الجليس ولا ينـ ... ـكل يوم العظيمة النكباء [1]

آمن الله من عدي ومن ... ابن أبي طالب ومن عليا

يا لعيني ألا بكت عروة الأقوام ... يوم العجاج والترباء

فليبكيه نسوة من بني ... عامر من يثرب وأهل قباء

رحم الله عروة الخير ذا ... النجدة وابن القماقم النجباء

أرهقته المنون في قاع صفين ... صريعاً قد غاب في الجرباء [2]

غادرته الكماة من أهل بدر ... ومن التابعين والنقباء

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري:

عرو يا عرو قد لقيت حماما ... إذ تقحمت في حمى اللهوات

أعلياً، لك الهوان، تنادي ... ضيغماً في أياطل الحومات

إن لله فارساً كأبي الشبلين ... ما إن يهوله المتلفات

مؤمنا بالقضاء محتسباً بالخير ... يرجو الثواب بالسابقات

ليس يخشى كريهة في لقاء ... لا ولا ما يجي به الآفات

فلقد ذقت في الجحيم نكالاً ... وضراب المقامع المحميات

يا ابن داود قد وقيت ابن هندٍ ... أن يكون القتيل بالمقفرات

قال: وحمل ابن عم أبي داود على علي فطعنه فضرب الرمح فبراه، ثم قنعه ضربة فألحقه بأبي داود، ومعاوية واقف على التل يبصر ويشاهد، فقال: تباً لهذه الرجال

---

[1] نكل، كضرب ونصر وعلم، نكولاً = نكص وجبن

[2] الجربة = الأرض المملوحة القحطة

وقبحاً، أما فيهم من يقتل هذا مبارزة أو غيلة، أو في اختلاط الفيلق وثوران النقع ؟

فقال الوليد بن عقبة: ابرز إليه أنت فإنك أولى الناس بمبارزته.

فقال: والله لقد دعاني إلى البراز حتى استحييت من قريش، وإني والله لا أبرز إليه، ما جُعل العسكر بين يدي الرئيس إلا وقايةً له.

فقال عتبة ابن أبي سفيان: إلهوا عن هذا كأنكم لم تسمعوا نداءه، فقد علمتم أنه قتل حريثاً وفضح عَمْراً، ولا أرى أحداً يتحكك به إلا قتله.

فقال معاوية لبسر بن أرطاة: أتقوم لمبارزته ؟

فقال: ما أحدٌ أحقُّ بها منك، وإذا أبيتموه فأنا له.

فقال له معاوية: أما إنك ستلقاه في العجاجة غداً في أول الخيل.

وكان عند بسر بن أرطاة ابن عم له قد قدم من الحجاز يخطب ابنته، فأتى بسراً فقال له: إني سمعت أنك وعدت من نفسك أن تبارز علياً ؟ أما تعلم أن الوالي من بعد معاوية عتبة، ثم بعده محمد أخوه، وكل من هؤلاء قرن لعلي، فما يدعوك إلى ما أرى ؟

قال: الحياء، خرج مني كلام فأنا أستحي أن أرجع عنه.

فضحك الغلام وقال في ذلك:

تنازله يا بسر إن كنت مثله ... وإلا فإن الليث للضبع آكل

كأنك يا بسر بن أرطاة جاهل ... بآثاره في الحرب أو متجاهل

معاوية الوالي وصنواه بعده ... وليس سواء مستعار وثاكل

أولئك هم أولى به منك إنه ... علي فلا تقربه ، أمك هابل

متى تلقه فالموت في رأس رمحه ... وفي سيفه شغل لنفسك شاغل

وما بعده في آخر الحرب عاطف ... ولا قبله في أول الخيل حامل [1]

فقال بسر: هل هو إلا الموت، لا بد والله من لقاء الله تعالى.

---

[1] عاطف = الذي يحمي المنهزمين

فغدا علي عليه السلام منقطعاً من خيله ومعه الأشتر، وهو يريد التل وهو يقول:

إني علي فاسألوا لتُخبروا ... ثم ابرزوا إلى الوغى أو أدبروا
سيفي حسام وسناني أزهر ... منّا النبي الطيب المطهر
وحمزة الخير ومنا جعفر ... له جناح في الجنان أخضر
ذا أسد الله وفيه مفخر ... هذا وهذا وابن هند مجحر [1]

مذبذب مطرد مؤخر

فاستقبله بسر قريباً من التل وهو مقنّع في الحديد لا يُعرف، فناداه: **ابرز إلي أباحسن.**

فانحدر إليه علي تؤدة غير مكترث، حتى إذا قاربه طعنه وهو دارع، فألقاه على الأرض، ومنع الدرع السنان أن يصل إليه، فاتقاه بسر بعورته، وقصد أن يكشفها يستدفع بأسه، فانصرف عنه علي عليه السلام مستدبراً له، فعرفه الأشتر حين سقط فقال: **يا أمير المؤمنين، هذا بسر بن أرطاة، عدو الله وعدوك.**

فقال: **دعه عليه لعنة الله، أبَعدَ أن فعلها.**

فحمل ابنُ عمٍّ لبسر شابٌّ على علي عليه السلام وهو يقول:

أرديتَ بسراً والغلام ثائره ... أرديت شيخاً غاب عنه ناصره

وكلنا حام لبسر واتره

فحمل عليه الأشتر وهو يقول:

أكل يوم رجل شيخ شاغره ... وعورة وسط العجاج ظاهره
تبرزها طعنة كف واتره ... عمرو وبسر رميا بالفاقره [2]

فطعنه الأشتر فكسر صلبه، وقام بسر من طعنة علي موليّاً، وولّت خيله، وناده علي: **يا بسر، معاوية كان أحق بهذا منك.**

فرجع بسر إلى معاوية، فقال له معاوية: **ارفع طرفك قد أدال الله عمراً منك.**

---

[1] المجحر = المضطر

[2] الفاقرة = الأمر العظيم الذي يكسر فقار الظهر

فقال في ذلك النضر بن الحارث [1]:

أفي كل يوم فارس تندبونه ... وعورته وسط العجاجة باديه
يكف لها عنه علي سنانه ... ويضحك منها في الخلاء معاويه
بدت أمس من عمرو فقنع رأسه ... وعورة بسر مثلها حذو حاذيه
فقولا لعمرو وابن أرطاة أبصرا ... سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه
ولا تحمدا إلا الحيا .... هما كانتا والله للنفس واقيه
ولولاهما لم تنجوا من سنانه ... وتلك بما فيها عن العود ناهيه
متى تلقيا الخيل المشيحة صبحة ... وفيها علي فاتركا الخيل ناحيه [2]
وكونا بعيداً حيث لا يبلغ القنا ... وحمي الوغى إن التجارب كافيه
وإن كان منه بعد في النفس حاجة ... فعودا إلى ما شئتما هي ماهيه

فكان بسر بعد ذلك إذا لقى الخيل التي فيها علي تنحى ناحية، وتحامى فرسانُ أهل الشام علياً) [3].

* إحصائيات متعلقة بصفين:

* مقدار الجيشين :

ذكر العلامة الأمين بعض الإحصائيات المتعلقة بحرب صفين نذكر شيئاً منها كما يلي:

قال المسعودي: (اختُلف في مقدار ما كان مع علي من الجيش وما كان مع معاوية، فمُكثر ومُقِل، والمتفق عليه من قول الجميع أنه كان مع علي تسعون ألفاً ومع معاوية خمسة وثمانون ألفاً).

---

١ أوردنا الأبيات سابقاً باختلاف يسير ، فلاحظ .

٢ آثرنا حذف الكلمة تعففاً في البيت الخامس . المشيحة = المجدة . وصبحة : صباحاً

٣ ابن مزاحم : وقعة صفين ـ ص ٤٥٨ ـ ٤٦٢ . وتحامى = تجنب وتوقى

* تاريخ الوقعة:

وقال: (الذي ذكره جماعة من المؤرخين أنها كانت من ابتداء ذي الحجة سنة ٣٦ هـ وانتهت في ١٣ صفر سنة ٣٧، ففي جمادي الآخرة سنة ٣٦ كانت وقعة الجمل كما مر، وفي ١٢ رجب منها سار أمير المؤمنين عليه السلام من البصرة إلى الكوفة، والمسافة بينهما نحو عشرة أيام فيكون وصوله إليها في نحو ٢٢ منه.

ثم خرج إلى النخيلة معسكر الكوفة في أواخر شهر رمضان أو أول شوال منها، وفي ٥ أو ٦ من شوال سار من النخيلة إلى صفين، أما وصوله إلى صفين فلا يحضرني الآن تعيينه ويظهر من الطبري أن وصولهم إلى صفين كان في أواسط ذي القعدة سنة ٣٦، فإنه بعد ما ذكر القتال على الماء عند وصولهم قال: فمكث علي يومين لا يراسل معاوية ثم راسله أول ذي الحجة. فيكون مقامهم في الطريق بين الكوفة وصفين نحو شهر وعشرين يوماً، والمسافة بينهما وإن كان يمكن قطعها بأقل من نصف هذه المدة، إلا أن مسير جيش فيه تسعون ألفاً أو أكثر بأثقالها لا يمكن إلا أن يكون في قليل من كل يوم غدوة وعصراً، لا سيما إن كان يجمع العساكر في طريقه من المدائن وغيرها، وأن أهل الرقة منعوه من العبور وقطعوا الجسر، ومضت مدة حتى أعادوه وجرت خطوب استغرقت زمناً طويلاً).

وقال المسعودي وغيره أن مقامهم بصفين كان مائة يوم وعشرة أيام، كان فيها نحو تسعين أو سبعين وقعة، وهو يقارب ما ذكره الطبري بأن يكون وصولهم إلى صفين في العشرين من ذي القعدة، فإذا ضمت العشرين الباقية منه إلى ذي الحجة والمحرم وصفر الذي كتبت الصحيفة لأيام بقيت منه لعلها لا تتجاوز الثلاثة فهذه نحو مائة يوم، وإلى أن أمضيت الصحيفة واستعدوا للسفر مضى نحو ثلاثة عشر يوماً، فهذه مائة يوم وعشرة أيام.

والحاصل أنه في جمادي الآخرة سنة ٣٦ كانت وقعة الجمل، وفي ١٢ رجب منها سار

أمير المؤمنين عليه السلام من البصرة إلى الكوفة، وفي آخر رمضان أو أول شوال خرج من الكوفة إلى النخيلة، وفي ٥ أو ٦ من شوال سار من النخيلة إلى صفين، فوصلها في ذي القعدة، وابتدأ الحرب في أول ذي الحجة سنة ٣٦، واستمر إلى آخره وتركوا الحرب في المحرم سنة ٣٧، واستؤنف واشتد في أول صفر إلى ١٣ منه فوقع الصلح.

وفي مروج الذهب: (كان الصلح لأيام بقين من صفر سنة ٣٧، وقيل بعد هذا الشهر منها)، وفيه في موضع آخر: (وكُتبت صحيفة الصلح لأيام بقين منه).

وهناك آراء أخرى في البين نقلها العلامة الأمين لم نوردها للاختصار[1].

* عودة إلى إجراءات الصلح:

في الموعد المحدد للصلح، التقى الناس من الطرفين **بدومة الجندل**، وأقبل أبوموسى، فلما رآه عمرو استقبله، فسلّم عليه أبو موسى، ومدّ أبو موسى يده إلى عمرو فصافحه وحياه وضمه إلى صدره، ثم قال: **يا أخاه ! طال عهدي بك، فقبّح الله أمراً فرّق بيننا !**

قال: ثم أقعده عمرو على فراشه وأقبل عليه يحدّثه ساعة، ثم دعا عمرو بالطعام فأكلا جميعاً، وانصرف أبو موسى إلى رحله.

ثم لم يزالا يجتمعان في كل يوم فيتحدثان وينصرفان، واستمرا على ذلك أياماً كثيرة، حتى ارتابت الناس وغمّهم ذلك، وأصروا على عقد اللقاء العلني سريعاً. التقى عمرو بالأشعري قبيل بدء اللقاء، وعرض عليه أن يخلع علياً ليخلع هو معاوية ويجعلا الأمر بيد عبدالله بن عمر بن الخطاب الذي كان قد اعتزل الفريقين، واتفقا على أن يكون اللقاء العلني يوم الأثنين ليعلنا فيه نتيجة المباحثات. وفي الغد أقبل عمرو بن العاص إلى أبي موسى ومعه شهود قد أعدهم للذي يريد أن يصنع، فقال عمرو بمحضر من

---

١ الأمين: أعيان الشيعة ـ ج ١ ـ ص ٤٦٥ - ٤٦٦

الناس: أبا موسى ! أنشدك الله من أحق بهذا الأمر ؟ مَن وفى أو مَن غدر ؟

فقال أبو موسى: لا بل مَن وفى.

قال: فما تقول في عثمان أقُتل ظالماً أو مظلوماً ؟

فقال أبو موسى: بل مظلوماً.

قال: فما تقول في قاتله أيُقتل به أم لا ؟

فقال أبو موسى: بل يُقتل به.

قال عمرو: فمن يقتله ؟

قال: يقتله أولياء عثمان، لأن الله ﷻ قال: ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ [1].

قال عمرو: فهل تعلم أن معاوية من أوليه عثمان ؟

فقال أبو موسى: نعم، هو من أوليه عثمان.

قال عمرو: أيها الناس ! اشهدوا على مقالة أبي موسى.

قال أبو موسى: نعم، فاشهدوا، ثم اشهدوا على ما أقول، إن معاوية من أوليه عثمان، قم يا عمرو فاخلع صاحبك، فإننا على ما كنا عليه أمس.

فقال عمرو: سبحان الله ! أقوم أنا من قبلك وقد قدَّمك الله عليَّ في الإيمان والهجرة ؟! لا بل قم أنت فتكلم بما أحببت، وأقوم أنا من بعدك.

وثب أبو موسى قائماً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن خير الناس خيرهم لنفسه، وإن شر الناس شرهم لنفسه، وقد علمتم ما كان من الحروب التي لم تُبقِ على برٍّ ولا تقي ولا محق ولا مُبطل، ألا وإني قد رأيت أن نخلع علياً ومعاوية، ونجعل هذا الأمر في عبد الله بن عمر بن الخطاب، فإنه رجل لم يبسط في هذه الحروب لساناً ولا يداً، ألا وإني قد خلعت علياً من الخلافة كما خلعت خاتمي هذا من أصبعي، والسلام.

---

[1] الإسراء/٣٣

وقام عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه وقال: **أيها الناس، هذا عبد الله بن قيس أبو موسى الأشعري، وافد رسول الله صلى الله عليه وآله، وعامل عمر بن الخطاب، وحكم أهل العراق، وقد خلع صاحبه علياً من الخلافة كما زعم أنه خلع خاتمه من أصبعه، ألا وإني قد أثبتُّ معاوية في الخلافة كما أثبت خاتمي هذا في أصبعي.**

ثم قعد.

فقال أبو موسى: **عليك غضب الله، فو الله ما أنت إلا كما قال الله تعالى ﴿ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾** [1].

أطلق كل من الطرفين الشتائم بحق بعضهما البعض، وضج الناس رافضين ما جرى، ودعا بعضهم للعودة إلى الحرب، واضطر عمرو للنكوص، وبلغ ذلك علياً، فقال: **أما أنا قد أخبرتكم الأمر قبل أن يكون، وقد جهدنا أن يكون الحكم غير أبي موسى فأبيتم عليّ وجئتموني به مبرنساً** [2]، **وقلتم: قد رضينا به فاتبعتُ رأيكم، والآن فلا سبيل إلى حرب القوم إلى انقضاء المدة التي كانت بيننا وبينهم.**

ومع هذا القرار الحاسم رجع أهل العراق إلى عراقهم وهم عازمون على معاودة الحرب إذا انقضت المدة، ورجع أهل الشام إلى شامهم وهم على ذلك من أهل العراق. وصار أبو موسى الأشعري إلى مكة، فأقام بها حياءً من الإمام.

وهكذا بقي الأمر غير محسوم لأحد من الطرفين، وعمد معاوية لسلسلة من التدابير الحربية يريد بها زعزعة الأمن في المناطق الخاضعة لحكم أمير المؤمنين عليه السلام تمهيداً لتحقيق ما فشل في تحقيقه من خلال مجريات دومة الجندل، وهو ما سنستعرضه لاحقاً بإذن الله.

---

١ الأعراف / ١٧٦

٢ مبرنساً = لابساً البرنس، والبرنس، قلنسوة طويلة أو جبة كان النساك يلبسونها في صدر الإسلام

استشهاد محمد بن أبي بكر:

تربى محمد بن أبي بكر على يدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وذلك بعد وفاة أبيه، فأمه هي أسماء بنت عميس زوج جعفر بن أبي طالب، وقد أنجبت منه عبدالله في الحبشة، ثم استشهد جعفر الطيار في معركة مؤتة، فخلف عليها الخليفة أبوبكر فأولدها محمداً، الذي غدا ربيب علي عليه السلام حين نكح أمه أسماء بنت عميس.

قال ابن أبي الحديد: (وكان محمد ربيبه وخريجه، وجارياً عنده مجرى أولاده، رضع الولاء والتشيع مذ زمن الصبا فنشأ عليه، فلم يكن يعرف له أباً غير علي، ولا يعتقد لأحد فضيلة غيره، حتى قال علي عليه السلام: محمد ابني من صلب أبى بكر... ومن وُلْد محمد: القاسم بن محمد بن أبي بكر فقيه الحجاز وفاضلها، ومن وُلد القاسم: عبدالرحمن بن القاسم بن محمد، كان من فضلاء قريش ويكنى أبا محمد، ومن وُلد القاسم أيضاً: أم فروة، تزوجها الباقر أبو جعفر محمد بن علي، فأولدها الصادق أباعبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام)[1].

وبعد أن اختار الناس علياً للخلافة، عيّن الصحابي قيس بن سعد بن عبادة والياً على مصر، ثم عزله على أثر بعض الأحداث التي لم يتمكن قيس من التعامل معها بالصورة المطلوبة، وعيّن مكانه محمد بن أبي بكر وذلك قبل حرب صفين، واستقامت له الأمور إلى أن انتهت الحرب، ولم يُحسم الأمر لعلي، فقام معاوية بإثارة الأجواء ضد محمد بمصر، وجرى القتال بين أهلها في أكثر من موقع، وخرجت الأمور عن سيطرة الوالي محمد بن أبي بكر، وبلغ الأمر علياً، فأرسل مالكاً الأشتر ليحل محله، إلا أنه اغتيل بالسم وهو في طريقه لتنفيذ الأمر، حيث وصل إلى القلزم[2]، فلقيه المسئول عن خراجها، وكان معاوية قد أرشاه مقابل اغتيال الأشتر، ونجح في مهمته.

---

[1] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ـ ج ٦ ـ ص ٥٣ – ٥٥

[2] كانت تقع بالقرب من مدينة السويس بمصر وعلى البحر الأحمر.

ثم جهز معاوية جيشاً بقيادة عمرو بن العاص ووجهه نحو مصر، واستنجد محمد بالإمام ليرسل له المدد، فنهض الإمام وخطب في الناس، وحثهم على الخروج لنجدة محمد، إلا أنهم خذلوه ولم يجتمع إلا نفر قليل أرسلهم الإمام بقيادة مالك بن كعب الذي سار فيهم خمس ليال حتى بلغه الخبر بانتهاء القتال بمصر، بغلبة عمرو وأسر محمد بن أبي بكر، فأمر عمرو بقتله، فضُربت عنقه ووُضعت جثته في جوف حمار ميت، ثم أحرقت !

كان وقع نبأ استشهاد محمد أليماً جداً على الإمام علي عليه السلام حتى رئي ذلك فيه، وتبين في وجهه، وقد قيل له: **لقد جزعت على محمد بن أبي بكر يا أمير المؤمنين !** فقال: **وما يمنعني ؟! إنه كان لي ربيباً، وكان لبَنيَّ أخاً، وكنتُ له والداً، أعدُّه ولداً.**

وقام الإمام في الناس خطيباً، فكان فيما قال: **ألا وإن محمد ابن أبي بكر قد استشهد رحمة الله عليه، وعند الله نحتسبه. أما والله لقد كان ما علمت ينتظر القضاء، ويعمل للجزاء، ويبغض شكل الفاجر، ويحب سمت المؤمن.**

إني والله لا ألوم نفسي على تقصير ولا عجز، وإني بمقاساة الحرب لجِدّ بصير، إني لأقدم على الحرب، وأعرف وجه الحزم، وأقوم بالرأي المصيب، فأستصرخكم معلناً، وأناديكم مستغيثاً، فلا تسمعون لي قولاً ولا تطيعون لي أمراً، حتى تصير الأمور إلى عواقب المساءة. وأنتم القوم لا يدرك بكم الثأر، ولا تنقض بكم الأوتار، دعَوْتُكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة، فجرجرتم عليّ جرجرة الجمل الأسر [1]، وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من لا نية له في الجهاد، ولا رأي له في الاكتساب للأجر، ثم خرج إليَّ منكم جنيد متذائب ضعيف، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون. فأف لكم [2].

---

١ السرر = نوع من المرض يصيب الجمل

٢ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ٦ ـ ص ٩٢

ثم كتب الإمام كتاباً إلى واليه على البصرة عبدالله بن عباس جاء فيه: أما بعد، فإن مصر قد افتُتحت، ومحمد بن أبي بكر رحمه الله قد استشهد، فعند الله نحتسبه ولداً ناصحاً، وعاملاً كادحاً، وسيفاً قاطعاً، وركناً دافعاً، وقد كنت حثثت الناس على لحاقه، وأمرتهم بغياثه قبل الوقعة، ودعوتهم سراً وجهراً، وعوداً وبدءاً، فمنهم الآتي كارهاً، ومنهم المعتل كاذباً، ومنهم القاعد خاذلاً. أسال الله تعالى أن يجعل لي منهم فرجاً عاجلاً، فوالله لولا طمعي عند لقائي عدوي في الشهادة وتوطيني نفسي على المنيّة، لأحببت ألا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً، ولا ألتقي بهم أبداً [1].

ثم كتب إليه عبد الله بن عباس: لعبد الله علي أمير المؤمنين من عبد الله بن عباس، سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، أما بعد. فقد بلغني كتابك تذكر فيه افتتاح مصر وهلاك محمد بن أبي بكر [2]، وأنك سألت الله ربك أن يجعل لك من رعيتك التي ابتليت بها فرجاً ومخرجاً، وأنا أسأل الله أن يعلي كلمتك، وأن يغشيك بالملائكة عاجلاً. واعلم أن الله صانع لك، ومعز دعوتك، وكابت عدوك. وأخبرك يا أمير المؤمنين أن الناس ربما تباطؤوا ثم نشطوا، فارفق بهم يا أمير المؤمنين ودارهم ومنِّهم، واستعن بالله عليهم. كفاك الله الهم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وقدم عبد الله بن عباس من البصرة على الإمام علي عليه السلام فعزاه عن محمد بن أبي بكر، فقال الإمام: رحم الله محمداً كان غلاماً حدَثاً، لقد كنت أردت أن أولّي المرقال هاشم بن عتبة مصر [3]، فإنه والله لو وليها لما خلى لابن العاص وأعوانه العرَصة [4]، ولا قُتل إلا سيفه في يده، بلا ذمٍّ لمحمد، فلقد أجهد نفسه فقضى ما عليه [5].

---

١ الرضي: نهج البلاغة ـ الكتاب ٣٥ ـ ص ٤٠٨

٢ هلاك = موت، وليس للكلمة دلالة سلبية بدليل قوله تعالى في حق النبي يوسف (حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً) غافر / ٣٤.

٣ ذكرنا نبذة عنه مسبقاً فراجع.

٤ العرصة = الأرض

٥ أي أدى ما عليه

* **تعليق لابن بي الحديد:**

علق ابن أبي الحديد على هذا الكتاب قائلاً: (انظر إلى الفصاحة كيف تعطي هذا الرجل قيادها وتملكه زمامها، واعجب لهذه الألفاظ المنصوبة، يتلو بعضها بعضاً كيف تواتيه وتطاوعه، سلسة سهلة، تتدفق من غير تعسف ولا تكلف، حتى انتهى إلى آخر الفصل فقال: **يوماً واحداً، ولا ألتقي بهم أبداً.**

وأنت وغيرك من الفصحاء إذا شرعوا في كتاب أو خطبة، جاءت القرائن والفواصل تارة مرفوعة، وتارة مجرورة، وتارة منصوبة، فإن أرادوا قسرها بإعراب واحد ظهر منها في التكلف أثر بيّن، وعلامة واضحة، وهذا الصنف من البيان أحد أنواع الإعجاز في القرآن، ذكره عبد القاهر [1]، قال: **انظر إلى سورة النساء وبعدها سورة المائدة، الأولى منصوبة الفواصل، والثانية ليس فيها منصوب أصلاً، ولو مزجت إحدى السورتين بالأخرى لم تمتزجا، وظهر أثر التركيب والتأليف بينهما.**

ثم إن فواصل كل واحد منهما تنساق سياقه بمقتضى البيان الطبيعي لا الصناعة التكلفية. ثم انظر إلى الصفات والموصوفات في هذا الفصل، كيف قال :**ولداً ناصحاً، وعاملاً كادحاً، وسيفاً قاطعاً، وركناً دافعاً**، لو قال: **ولداً كادحاً و عاملاً ناصحاً،** وكذلك ما بعده لما كان صواباً، ولا في الموقع واقعاً.

فسبحان من منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسة والخصائص الشريفة ! أن يكون غلام من أبناء عرب مكة، ينشأ بين أهله، لم يخالط الحكماء، وخرج أعرف بالحكمة ودقائق العلوم الإلهية من أفلاطون وأرسطو ! ولم يعاشر أرباب الحكم الخلقية والآداب النفسانية، لأن قريش لم يكن أحد منهم مشهوراً بمثل ذلك، وخرج أعرف بهذا الباب من سقراط ! ولم يربَّ بين الشجعان [2]، لأن أهل مكة كانوا ذوي تجارة، ولم

---

١ عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) من أئمة اللغة، واعتبر أنه واضع أصول البلاغة.

٢ لربما يقصد أنه لم يرب بين من مارسوا الحروب، ولذا لم تظهر شجاعتهم في المعارك عملياً على أرض الواقع ،وإلا فإن شجاعة بني هاشم وآخرين مشهود لها.

يكونوا ذوي حرب، وخرج أشجع من كل بشر مشى على الأرض.

قيل لخلف الأحمر [1]: أيما أشجع عنبسة وبسطام أم علي بن أبي طالب ؟

فقال: إنما يذكر عنبسة وبسطام مع البشر والناس، لا مع من يرتفع عن هذه الطبقة.

فقيل له: فعلى كل حال ؟

قال: والله لو صاح في وجوههما لماتا قبل أن يحمل عليهما.

وخرج أفصح من سحبان و قس [2]، ولم تكن قريش بأفصح العرب، كان غيرها أفصح منها، قالوا: أفصح العرب جرهم وإن لم تكن لهم نباهة. وخرج أزهد الناس في الدنيا، وأعفّهم، مع أن قريشاً ذوو حرص ومحبة للدنيا، ولاغرو فيمن كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم مربيه ومخرجه، والعناية الإلهية تمده وترفده أن يكون منه ما كان) [3].

---

١ أبو محرز خلف بن حيان مولى أبي موسى الأشعري وقيل أن أصله من خراسان .

٢ سحبان بن زفر الوائلي من باهلة ،خطيب وفصيح يضرب به المثل في البيان ، وكان إذا خطب لا يعيد كلمة ولا يتوقف ، ولا يقعد حتى ينتهي . اشتهر في الجاهلية وأدرك الإسلام .وقس هو قس بن ساعدة الأيادي أحد حكماء العرب ومن خطبائهم في الجاهلية .

٣ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ١٦ ـ ص ١٤٥ – ١٤٧

من كتاب الإمام علي لأهل مصر:

وكان الإمام عليه السلام قد بعث كتاباً إلى أهل مصر بيد مالك الأشتر حين أرسله ليتسلم ولاية مصر، جاء فيه: إني والله لو لقيتهم واحداً وهم طلاع الأرض كلها ما باليت ولا استوحشت [1]، وإني من ضلالهم الذي هم فيه، والهدى الذي أنا عليه، لعلى بصيرة من نفسي، ويقين من ربي، وإني إلى لقاء الله لمشتاق، ولحسن ثوابه لمنتظر راج.

ولكنني آسى أن يلي هذه الأمة سفهاؤها وفجارها [2]، فيتخذوا مال الله دولاً وعباده خولاً [3]، والصالحين حرباً والفاسقين حزباً، فإن منهم الذي شرب فيكم الحرام، وجُلد حداً في الإسلام. وإن منهم من لم يُسلم حتى رضخت له على الإسلام الرضائخ، فلولا ذلك ما أكثرت تأليبكم وتأنيبكم، وجمعكم وتحريضكم، ولتركتكم إذ أبيتم ووَنيتم [4].

ألا ترون إلى أطرافكم قد انتُقصت [5]، وإلى أمصاركم قد افتُتحت، وإلى ممالككم تُزوى [6]، وإلى بلادكم تُغزى ؟!

انفروا رحمكم الله إلى قتال عدوكم، ولا تثاقلوا إلى الأرض فتقروا بالخسف [7]، وتبوءوا بالذل، ويكون نصيبكم الأخس، وإن أخا الحرب الأرِق [8]، ومن نام لم يُنَم عنه، والسلام [9].

---

١ واحداً - وحيداً . و طلاع الأرض - ملؤها

٢ آسى - أحزن

٣ الخول - العبد المملوك

٤ ونيتم - ضعفتم وفترتم

٥ الأطراف - الأرض ، أي أن أرضكم و بلادكم احتلت من قبل معاوية وجنده

٦ ممالككم تزوى - تقبض

٧ تقروا بالخسف - تعترفوا بالضيم وتصبروا له

٨ الأرق - الذي لا ينام

٩ الرضي : نهج البلاغة ـ الكتاب ٦٢ ـ ص ٤٥١ - ٤٥٢

على إثر غارة الضحاك بن قيس:

بعد أن انتهى التحكيم بين الإمام ومعاوية دون أن تحسم الأمور، وعاد كل طرف إلى بلده، علم معاوية أن الإمام يستعد لعمل عسكري جديد، فهاله ذلك، وخرج من دمشق معسكراً، وبعث إلى نواحي الشام يجمع الجند، حتى بلغه خروج الخوارج على الإمام، وفساد أمر جنده وأهل مصره عليه، ووقوع الفرقة بينهم [1].

وعندها أرسل معاوية الضحاك بن قيس الفهري، وقال له: **سِرْ حتى تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت، فمن وجدته من الأعراب في طاعة علي فأغر عليه، وإن وجدت له مسلحة أو خيلاً فأغر عليها [2]، وإذا أصبحت في بلدة فأمسِ في أخرى، ولا تقيمنَّ لخيلٍ بلغك أنها قد سُرِّحت إليك لتلقاها فتقاتلها.**

فسرّحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف، فأقبل الضحاك، فنهب الأموال وقتل من لقي من الاعراب، حتى مرَّ بالثعلبية [3]، فأغار على الحجيج، وأخذ أمتعتهم، ثم أقبل فلقي عمرو بن عميس بن مسعود الذهلي، وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقتله في طريق الحاج عند القُطقطانة [4]، وقتل معه ناساً من أصحابه.

ولما بلغ الإمام الخبر، اعتلى المنبر وخطب قائلاً: **يا أهل الكوفة، اخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس، وإلى جيوش لكم قد أصيب منهم طرف، اخرجوا فقاتلوا عدوكم، وامنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين.**

فرد عليه أهل الكوفة رداً ضعيفاً، ورأى منهم فشلاً، فقال: **والله لوددت أن لي بكل ثمانية منكم رجلاً منهم ! ويحكم اخرجوا معي، ثم فرّوا عني ما بدا لكم، فوالله ما أكره لقاء ربي على نيتي وبصيرتي، وفي ذلك رَوْح لي عظيم، وفرج من مناجاتكم ومقاساتكم.**

---

١ سنتناول تفاصيل ذلك عند الحديث حول معركة النهروان .

٢ مسلحة = معسكر للجيش أو القوم ذوو السلاح

٣ الثعلبية : من منازل طريق مكة إلى الكوفة

٤ القطقطانة : موضع بالقرب من الكوفة

ثم نزل، فخرج يمشي حتى بلغ الغريَّين [1]، ثم دعا حجر بن عدي الكندي، فعقد له على أربعة آلاف، وسيّره نحو المعتدين، وتلاقى الجيشان عند تدمر [2]، فاقتتلا وبدت الغلبة لحجر وأصحابه، فلما جنّ الليل هرب الضحاك بمن معه.

وكتب عقيل بن أبي طالب إلى أخيه أمير المؤمنين عليه السلام، حين بلغه نبأ غارة الضحاك وخذلان أهل الكوفة: لعبد الله علي أمير المؤمنين عليه السلام، من عقيل بن أبي طالب. سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد.

فإن الله حارسك من كل سوء، وعاصمك من كل مكروه، وعلى كل حال، إني قد خرجت إلى مكة معتمراً، فلقيت عبد الله بن سعد بن أبي سرح في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء، فعرفت المنكر في وجوههم، فقلت: إلى أين يا أبناء الشانئين ؟! أبمعاوية تلحقون ؟! عداوةً ـ والله ـ منكم قديماً غير مستنكرة، تريدون بها إطفاء نور الله، وتبديل أمره.

فأسمعني القوم وأسمعتهم، فلما قدمت مكة، سمعت أهلها يتحدثون أن الضحاك ابن قيس أغار على الحيرة، فاحتمل من أموالها ما شاء، ثم انكفأ راجعاً سالماً.

فأفّ لحياة في دهر جرأ عليك الضحاك ! وما الضحاك ؟! فقع بقرقر [3] ! وقد توهمت حيث بلغني ذلك أن شيعتك وأنصارك خذلوك، فاكتب إليَّ يا بن أمي برأيك، فإن كنتَ الموت تريد، تحمّلتُ إليك ببني أخيك، وولد أبيك، فعشنا معك ما عشت، ومتنا معك إذا مت، فوالله ما أحب أن أبقى في الدنيا بعدك فواقاً [4].

وأقسم بالأعز الاجل، إن عيشاً نعيشه بعدك في الحياة لغير هنئ ولا مرئ ولانجيع، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فكتب إليه الإمام علي عليه السلام: من عبد الله علي أمير المؤمنين : إلى عقيل بن أبي

---

١ الغريان : موضع في النجف الأشرف

٢ مدينة مشهورة في الأردن

٣ الفقع : ضرب من أردأ الكمأة . والقرقر = المستوية ، يقال للرجل الذليل : هو فقع قرقر ، لأن الدواب تسحله بأرجلها .

٤ الفواق = المدة الزمنية ما بين حلبتين ، لأن الناقة تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب . وتقال للمدة الزمنية القصيرة .

طالب، سلام الله عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد. كلأنا الله وإياك كلاءة من يخشاه بالغيب، إنه حميد مجيد، قد وصل إليَّ كتابُك مع عبد الرحمن ابن عبيد الأزدي، تذكر فيه أنك لقيت عبد الله بن سعد بن أبي سرح مقبلاً من قديد [1]، في نحو من أربعين فارساً من أبناء الطلقاء، متوجهين إلى جهة الغرب، وإن ابن أبي سرح طالما كاد الله ورسوله وكتابه، وصدَّ عن سبيله وبغاها عوجاً، فدع ابن أبي سرح، ودع عنك قريشاً، وخلِّهم وتركاضهم في الضلال، وتجوالهم في الشقاق.

ألا وإن العرب قد أجمعت على حرب أخيك اليوم إجماعها على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقه، وجحدوا فضله، وبادروه العداوة، ونصبوا له الحرب، وجهدوا عليه كل الجهد، وجروا إليه جيش الأحزاب.

اللهم فاجزِ قريشاً عني الجوازي ! فقد قطعَت رحمي، وتظاهرت عليّ [2]، ودفعتني عن حقي، وسلبتني سلطان ابن أمي، وسلمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول، وسابقتي في الإسلام ! إلا أن يدعي مدعٍ ما لا أعرفه، ولا أظن الله يعرفه، والحمد لله على كل حال. فأما ما ذكرته من غارة الضحاك على أهل الحيرة، فهو أقل وأزل من أن يلم بها أو يدنو منها، ولكنه قد كان أقبل في جريدة خيل، على السماوة، حتى مرَّ بواقصة وشراف والقطقطانة [3]، مما والى ذلك الصقع، فوجهت إليه جنداً كثيفاً من المسلمين، فلما بلغه ذلك فرَّ هارباً، فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق وقد أمعن، وكان ذلك حين طفلت الشمس للإياب [4]، فتناوشوا القتال قليلاً كلا ولا [5]، فلم يصبر لوقع المشرفية [6]، وولى هارباً، وقتل من أصحابه بضعة عشر

---

١ قديد : اسم موضع قرب مكة

٢ تظاهرت = اجتمعت

٣ مواقع في العراق

٤ أي مالت إلى الغروب

٥ العرب إذا أرادوا تقليل مدة فعل قالوا : كان فعله كلا ، وربما كرروا فقالوا : كلا ولا .

٦ المشرفية = السيف

رجلاً، ونجا جريضاً بعد ما أخذ منه بالمخنق [1]، فلأياً بلأى ما نجا [2].

فأما ما سألتني أن أكتب لك برأيي فيما أنا فيه، فإن رأيي جهاد المحلين حتى ألقى الله [3]، لا يزيدني كثرة الناس معي عزة، ولا تفرقهم عني وحشة، لأنني محق، والله مع المحق. ووالله ما أكره الموت على الحق، وما الخير كله إلا بعد الموت لمن كان محقاً.

وأما ما عرضت به من مسيرك إليَّ ببنيك وبنى أبيك فلا حاجة لي في ذلك، فأقم راشداً محموداً، فوالله ما أحب أن تهلكوا معي إن هلكت، ولا تحسبن ابن أمك ـ ولو أسلمه الناس ـ متخشعاً ولا متضرعاً، إنه لكما قال أخو بني سليم [4]:

فإن تسأليني كيف أنت فإنني ... صبور على ريب الزمان صليب

يعز علي أن ترى بي كآبة ... فيشمت عاد أو يساء حبيب

---

١ جريضاً: مجهوداً يكاد يقضي عليه. والمخنق = الرقبة حيث يختنق الإنسان

٢ أي نجا بعد بطء وشدة

٣ المحلين = الخارجين من البيعة والميثاق وهم البغاة

٤ هو صخر بن الشريد السلمي

معركة النهروان:

قال العلامة الأمين: (وقعة النهروان مع الخوارج سنة ٣٧ وقيل سنة ٣٨. الخوارج هم الذين أنكروا التحكيم الذي وقع يوم صفين وقالوا لا حكم إلا لله... ويقال لهم الحرورية أيضاً لأنهم في أول أمرهم اجتمعوا بمكان يقال له حروراء، وقاتلهم علي عليه السلام وقتلهم بمكان يسمى النهروان، وهو موضع بين بغداد و حلوان، فسميت الوقعة به.

وأساس عقيدتهم تولّي الشيخين والبراءة من الصهرين، فيتولون عثمان إلى حين وقوع الأحداث، ويتولّون علياً إلى حين وقوع التحكيم، وهم القراء الذين كانوا في صفّين وقد اسودت جباههم من طول السجود، وقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام إنها حيلة فلم يقبلوا، وأجبروه على التحكيم ثم أنكروه، ثم كانت لهم وقائع مشهورة مذكورة في كتب التواريخ في زمان ملوك بني أمية وبني العباس، ولا يزال منهم طائفة إلى اليوم في زنجبار والمغرب وشمال إفريقية وغيرها)[1].

* النبي يخبر عنهم:

استفاضت الروايات بشأن إخبار النبي عن ظهور فرقة الخوارج في مستقبل الأيام، وبيّن للمسلمين بعض خصوصياتهم وأوصافهم، واعتنى المحدثون والمؤرخون بذكر هذه الروايات في كتبهم، وذلك من قبيل ما رواه الإمام مالك بن أنس عن أبي سعيد الخدري قال: **بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقسم قسماً**[2]، **إذا أتاه ذوالخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله، إعدل.**

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ويلك، من يعدل إذا لم أعدل ؟ قد خبت وخسرت إن لم أعدل.

فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فيه أضرب عنقه.

فقال: دعه، فإن له أصحاباً يحقّر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم

---

١ الأمين : أعيان الشيعة ـ ج ١ ـ ص ٥٢١

٢ أي تقسيم الغنائم

يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شئ، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شئ [1]، ثم ينظر إلى نضيه فلا يوجد فيه شئ [2]، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شئ [3]، قد سبق الفرث والدم.

آيتُهم رجل أسود أحد عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر [4]، ويخرجون على خير فرقة من الناس.

قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشهد أن على بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل، فالتُمس فوُجد، فأتي به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نعته.

وعن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الحرورية لما خرجت وهو مع علي بن أبي طالب فقالوا لا حكم الا لله.

فقال علي: كلمة حق أريد بها باطل، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف ناساً إني لأعرف صفتهم في هؤلاء، يقولون الحق بألسنتهم لا يجاوز هذا منهم ــ وأشار إلى حلقه ـ من أبغض خلق الله إليه، منهم أسود إحدى يديه كظبي شاة أو حلمة ثدي.

فلما قتلهم علي بن أبي طالب قال: انظروا، انظروا.

فلم يجدوا شيئاً.

فقال: ارجعوا فوالله ما كذبت ولا كُذِّبت ـ مرتين أو ثلاثاً ـ ثم وجدوه في خربة، فأتوا به حتى وضعوه بين يديه.

قال عبيد الله: أنا حاضر ذلك من أمورهم وقول علي فيهم [5].

---

١ الرصف = عقب يلوى على مدخل نصل السهم

٢ نضي السهم = نصله أو قدحه

٣ القذة = ريش السهم

٤ تدردر = تتدردر = تضطرب وتذهب وتجئ

٥ الإمام مالك : المدونة الكبرى ـ ج ٢ ـ ص ٤٨ - ٤٩

* ممارسات منحرفة:

كانت للخوارج ممارسات تدل على ضحالة فهمهم للدين وقلة عقولهم، وتجرؤهم على حرم الله وتسرعهم في إصدار الأحكام بالتكفير وإراقة الدماء دون مبرر شرعي، فقد نقل لنا التاريخ صوراً بشعة ومستهجنة لممارساتهم مع ضحاياهم، وارتكبوا الجرائم كلما حلّوا في بلدة أو قابلوا مسلماً لا يتبع هواهم.

وقد روى المبرد في **الكامل** والطبري في تاريخه وغيرهما بعض تلك الصور، من بينها أنهم أصابوا في طريقهم مسلماً ونصرانياً فقتلوا المسلم لأنه عندهم كافر لأنه على خلاف معتقدهم، واستوصوا بالنصراني وقالوا: **احفظوا ذمَّة نبيكم.**

ونحو ذلك أن واصل بن عطاء أقبل في رفقة فأحس بالخوارج [1]، فقل واصل لأهل الرفقة: **إن هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعوني وإياهم وكانوا قد أشرفوا على العطب** [2].

فقالوا: **شأنك.**

فخرج إليهم فقالوا: **ما أنت وأصحابك ؟**

قال: **قوم مشركون مستجيرون بكم ليسمعوا كلام الله ويفهموا حدوده.**

قالوا: **قد أجرناكم.**

قال: **فعلِّمونا.**

فجعلوا يعلمونهم أحكامهم. ويقول واصل: **قد قبلت أنا ومن معي.**

قالوا: **فامضوا مصاحبين فقد صرتم إخواننا.**

فقال: **بل تبلغوننا مأمنا لأن الله تعالى يقول** ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾ [3].

قال: فينظر بعضهم إلى بعض، ثم قالوا: **ذاك لكم.**

فساروا معهم بجمعهم حتى أبلغوهم المأمن.

---

١ أبوحذيفة واصل بن عطاء الغزال (٨٠ هـ ـ ١٣١ هـ) رأس المعتزلة في زمانه.

٢ العطب = الهلكة بالقتل أو الموت

٣ التوبة/٦

ومما نُقل من غريب تصرفاتهم وأحكامهم أنه لقيهم عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في عنقه مصحف، وهو راكب على حمار، ومعه امرأته وهي حامل، فقالوا له: **إن هذا الذي في عنقك يأمرنا بقتلك.**

فوثب رجل منهم على رطبة سقطت من نخلة فوضعها في فيه، فصاحوا به، فلفظها تورعاً. وعرض لرجل منهم خنزير فضربه فقتله، فقالوا: **هذا فساد في الأرض.**

قال الطبري: فأتى صاحب الخنزير فأرضاه. فلما رأى ذلك منهم ابن خباب قال: **لئن كنتم صادقين فيما أرى فما عليّ منكم بأس، إني لمسلم، ما أحدثتُ في الإسلام حدثاً، ولقد آمنتموني، قلتم: لا روْع عليك.**

وكانوا قالوا له ذلك لما لقيهم، قال المبرِّد: فقالوا له: **ما تقول في علي بعد التحكيم والحكومة ؟**

قال: **إن علياً أعلم بالله منكم وأشد توقياً على دينه وأنفذ بصيرة.**

قالوا: **إنك لست تتبع الهدى، إنما تتبع الرجال على أسمائهم.**

قال الطبري: قالوا: **والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحداً.**

فأخذوه فكتفوه ثم أقبلوا به وبامرأته وهي حبلى متم[1]، فاضجعوه فذبحوه وسال دمه في الماء، وأقبلوا إلى المرأة فقالت: **إني إنما أنا امرأة، ألا تتقون الله ؟**

فبقروا بطنها، وقتلوا ثلاث نسوة من طئ، وقتلوا أم سنان الصيداوية.

قال المبرِّد: وساوموا رجلاً نصرانياً بنخلة له فقال: **هي لكم.**

فقالوا: **ما كنا نأخذها إلا بثمن.**

فقال: **واعجباه، أتقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون جنا نخلة إلا بثمن**[2] ؟!

---

١ متم = أتمت أشهر الحمل

٢ الأمين : أعيان الشيعة ـ ج ١ ـ ص ٥٢٢ - ٥٢٣

* محاولات لم تنجح:

حاول الإمام علي عليه السلام جهده أن يثنيهم عن عزمهم في التمرد عليه، وألقى عليهم الحجج تلو الحجج، دون أن يلقى منهم أية استجابة، وقد حفظت لنا كتب التاريخ والأدب نصوصاً كثيرة تتضمن خطب الإمام وكتبه في هذا المضمار، منها قوله: **فإن أبيتم إلا أن تزعموا أني أخطأت وضللت، فلم تضللون عامة أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بضلالي، وتأخذونهم بخطئي، وتكفِّرونهم بذنوبي ؟!**

سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسقم، وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب، وقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجم الزاني المحصن ثم صلى عليه ثم ورَّثه أهله، وقتل القاتل وورَّث ميراثه أهله، وقطع السارق وجلد الزاني غير المحصن، ثم قسم عليهما من الفئ ونكحا المسلمات، فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذنوبهم، وأقام حق الله فيهم، ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام، ولم يخرج أسماءهم من بين أهله. ثم أنتم شرار الناس، ومن رمى به الشيطان مراميه، وضرب به تيهه.

وسيهلك فيّ صنفان: محبٌّ مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق، وخيرُ الناس فيّ حالاً النمط الأوسط، فالزموه والزموا السواد الأعظم، فإن يد الله على الجماعة. وإياكم والفرقة فإن الشاذ من الناس للشيطان كما أن الشاذ من الغنم للذئب.

ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه، وإنما حكم الحكمان ليُحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن، وإحياؤه الاجتماع عليه، وإماتته الافتراق عنه. فإن جرنا القرآن إليهم اتّبعناهم، وإن جرَّهم إلينا اتبعونا.

فلم آتِ ـ لا أبا لكم ـ بُجراً [1]، ولا ختلتكم عن أمركم [2]، ولا لبّسته عليكم، إنما

---

١ البُجر = الشر والأمر العظيم

٢ الختل = الخداع

اجتمع رأي ملئكم على اختيار رجلين أخذنا عليهما أن لا يتعديا القرآن فتاها عنه، وتركا الحق وهما يبصرانه، وكان الجور هواهما فمضيا عليه. وقد سبق استثناؤنا عليهما ـ في الحكومة بالعدل والصمد للحق ـ سوء رأيهما وجور حكمهما[1].

ولم تقتصر جهود الإمام على محاورتهم، بل أرسل إليهم الرسل في محاولات عديدة دون أن تؤثر فيهم، وعقدوا العزم على المضي قدماً نحو التمرد وإثارة الفتنة.

* **إلى النهروان:**

توجه الخوارج نحو حروراء[2]، فنزلوا بها وكان عددهم اثنا عشر ألفاً، ونادى مناديهم: أميرُ القتال شبث بن ربعي، وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء، والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة لله ﷻ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما الإمام ـ فمن جهته ـ أعد العدة للخروج لقتال أهل الشام وليس الخوارج، بل وسعى في محاولة جديدة لاحتوائهم من خلال تذكيرهم بالعدو المشترك، وبيّن مبررات ذلك حين نهض في الكوفة خطيباً فقال: **الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدثان الجليل، أما بعد فإن المعصية تورث الحسرة وتعقب الندم، وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة أمري، ونخلتكم رأيي لو كان لقصير أمر ولكن أبيتم إلا ما أردتم، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن:**

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى ... فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

إلا أن هذين الرجلين الذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما، وأحييا ما أمات القرآن، واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله، فحكما بغير حجة بينة ولا سنة ماضية، واختلفا في حكمهم وكلاهما لم يرشد، فبرئ

---

١ الرضي: نهج البلاغة ـ الخطبة ١٢٥ ـ ص ٢٣٦

٢ قرية تقع بالقرب من الكوفة

الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين. استعدوا وتأهبوا للمسير إلى الشام وأصبِحوا في معسكركم إن شاء الله يوم الاثنين.

ثم نزل وكتب إلى الخوارج: **أن الرجلين الذين ارتضينا حكمهما قد خالفا كتاب الله واتبعا أهواءهما، فأقبلوا فإنا سائرون إلى عدونا وعدوكم ونحن على الأمر الذي كنا عليه.**

فكتبوا إليه: **إنك لم تغضب لربك إنما غضبت لنفسك، فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة، نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلا فقد نابذناك على سواء، إن الله لا يحب الخائنين !**

أيس الإمام منهم، ورأى أن يدعهم ويمضي بالناس لقتال أهل الشام، وكتب إلى عبد الله بن عباس أمير البصرة يأمره بإشخاص أهلها إليه، فقرأ عليهم الكتاب وأمرهم بالشخوص مع الأحنف فشخص معه منهم ألف وخمسمائة، فاستقلهم ابن عباس فخطبهم، وقال: **لم يشخص منكم إلا ألف وخمسمائة وأنتم ستون ألفاً، ألا انفروا مع جارية بن قدامة السعدي.**

وتهدد ابن عباس من يتأخر، وأمر أبا الأسود بحشرهم، فاجتمع إلى جارية ألف وسبعمائة فقدموا على الإمام بالنخيلة.

جمع الإمام رؤساء أهل الكوفة وقال: **أنتم إخواني وأنصاري وأعواني على الحق وصحابتي على جهاد عدوي المحلين، بكم أضرب المدبر وأرجو تمام طاعة المقبل.**

وطلب إليهم أن يكتب له كل رئيس ما في عشيرته، فقام سعيد بن قيس الهمداني فقال: **يا أمير المؤمنين سمعاً وطاعة وود اً ونصيحة، أنا أول الناس جاء بما سألت.**

وقام معقل بن قيس الرياحي فقال له نحواً من ذلك، وقام عدي بن حاتم وزياد بن خصفة وحجر بن عدي وأشراف الناس والقبائل فقالوا مثل ذلك، فرفعوا إليه خمسة وستين ألفاً، فكانوا مع أهل البصرة ثمانية وستين ألفاً ومائتين، وبلغه أن الناس

يرغبون في حرب الخوارج، فخطبهم وقال: **إن غير هذه الخارجة أهم إلينا منهم، فدعوا ذكرهم وسيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين ملوكاً ويتخذوا عباد الله خولاً.**

فتنادوا من كل جانب: **سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت.**

سار الإمام بمن معه ونزل على **الأنبار**[1]، والتأمت إليه العساكر من البصرة وغيرها.

قال الطبري: فبلغ علياً قتلهم عبد الله بن خباب واعتراضهم الناس فبعث إليهم الحارث بن مرة العبدي لينظر فيما بلغه عنهم، فقتلوه، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فقال له الناس: **علام ندع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا ؟ سر بنا إليهم، فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا إلى عدونا من أهل الشام.**

هكذا كانت الأمور تسير نحو حرب هؤلاء القوم، وكان لابد من توجيه ضربة موجعة إليهم لئلا يستمروا في غيِّهم، ولذا أمر الإمام بالتحرك نحو النهروان، حتى إذا كان على بعد فرسخين منها[2]، أرسل غلامه فقال له: **اركب إلى هؤلاء القوم وقل لهم عني: ما الذي حملكم على الخروج عليّ ؟ ألم أقصد في حكمكم ؟ ألم أعدل في قسمكم ؟ ألم أقسم فيكم فيئكم ؟ ألم أرحم صغيركم ؟ ألم أوقّر كبيركم ؟ ألم تعلموا أني لم أتخذكم خولاً، ولم أجعل مالكم نفلاً ؟ وانظر ماذا يردون عليك ! وإن شتموك فاحتمل، وإياك أن ترد على أحد منهم شيئاً.**

أقبل غلام علي حتى أشرف على القوم بالنهروان، فقال لهم ما أمره به، فقالت له الخوارج: **ارجع إلى صاحبك فلسنا نجيبه إلى شيء يريده أبداً، وإنا نخاف أن يردنا بكلامه الحسن كما رد إخواننا بحروراء عبد الله بن الكواء وأصحابه**[3]، والله تعالى

---

١ تقع أطلال مدينة الأنبار القديمة على الضفة اليسرى أو الشرقية لنهر الفرات جنوبي قرية الصقلاوية الحالية، وعلى بعد زهاء ستة كيلومترات من جنوب صدر جدول الصقلاوية الحالي.

٢ الفرسخ = ٥٥٠٠ متراً تقريباً

٣ كان الإمام علي قد ناظر الخوارج بعد خروجهم واستطاع إقناع كثيرين أن يعودوا إلى إخوانهم، وكان منهم عبد الله بن الكواء، وقد قال لعلي يومئذ: إننا لا ننكر أننا قد فتنا، وقد رجعوا وانصرفوا مع علي إلى الكوفة.

يقول: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [1]، ومولاك علي منهم، فارجع إليه وخبره بأن اجتماعنا ههنا لجهاده ومحاربته لا لغير ذلك.

رجع الغلام إلى علي وأخبره بما سمع من القوم، فكتب إليهم الإمام: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله وابن عبده أمير المؤمنين وأجير المسلمين أخي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمه، إلى عبد الله بن وهب وحرقوص بن زهير المارقين من دين الإسلام ! أما بعد.

فقد بلغني خروجكما واجتماعكما هنالك بغير حق كان لكما ولأبويكما من قبلكما، وجمعكما لهذه الجموع الذين لم يتفقهوا في الدين، ولم يعطوا في الله اليقين، والزما الحق فإن الحق يلزمكما منزلة الحق ثم لا يقضى إلا بالحق، ولا تزيغا فيزيغ من معكما من أخباركما فيكون مثلكما ومثلهم كمثل غنم نفشت في أرض ذات عشب، فرعت وسمنت، وإنما حتفها في سمنها.

وقد علمنا بأن الدنيا كعروتين سفلاً وعلواً، فمن تعلق بالعلو نجا، ومن استمسك بالسفل هلك، والسعيد من سعدت به رعيّته والشقي من شقيت به رعيّته، وخير الناس خيرهم لنفسه وشرُّهم شرُّهم لنفسه، وليس بين الله وبين أحد قرابة ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [2].

والكلام كثير وإنما نريد منه اليسير، فمن لم ينتفع باليسير ضرّه الكثير، وقد جعلتموني في حالة من ضل وغوى وعن طريق الحق هوى، خرجتم عليَّ مخالفين بعد أن بايعتموني طائعين غير مكرهين، فنقضتم عهودكم ونكثتم أيمانكم، ثم لم يكفكم ما أنتم فيه من العمى وشق العصا، حتى وثبتم على عبد الله بن خباب فقتلتموه وقتلتم أهله وولده بغير ترة كانت منه إليكم ولا دخل [3]، وهو ابن صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،

---

١ الزخرف / ٥٨

٢ المدثر / ٣٨

٣ ترة = تبعة

ولن يغني القعود عن الطلب بدمه، فادفعوا إلينا مَن قتله وقتل أهله وولده وشرك في دمائهم، ولا تقتلوا أنفسكم على عمى وجهل، فتكونوا حديثاً لمن بعدكم.

وبالله أقسم قسماً صادقاً لئن لم تدفعوا إلينا قاتل صاحبنا عبد الله بن خباب لم نصرف عنكم دون أن أقضي فيكم إربي، وبالله أستعين وعليه أتوكل، والسلام والرحمة من الواحد الخلاق على النبيين وعلى عباده الصالحين.

طوى الإمام الكتاب وختمه ودفعه إلى عبد الله بن أبي عقب وأرسله، فأقبل به عبد الله بن أبي عقب إلى الخوارج، حتى إذا صار إلى النهروان تقدم إلى عبد الله بن وهب الراسبي وهو جالس على شاطىء النهروان محتبٍ بحمائل سيفه، وحرقوص بن زهير إلى جانبه ورؤساء الخوارج جلوس حولهم.

سلَّم عبد الله بن أبي عقب ودفع الكتاب إلى عبد الله بن وهب، فأخذه وفضَّه وقرأه عن آخره، ثم ألقاه إلى حرقوص فقرأه، ثم رفع رأسه إلى ابن أبي عقب فقال له: لولا أنك رسول لألقيت منك أكثرك شَعراً [1]، فمن أنت ؟

قال: رجل من الموالي.

قال: من أي الموالي أنت ؟

قال: من موالي بني هاشم.

قال: إني أظنك من هذا الرجل بسبب - يعني علي بن أبي طالب - .

فقال: أنا رجل من أصحابه.

قال: أفحلال أنت أم لا ؟

قال: لا بل حرام دمي في كتاب الله عزوجل.

فقال: ما أراك تعرف كتاب الله.

قال: بلى ، إني لأعرف منه الناسخ والمنسوخ والمكي والمدني والسفري والحضري.

---

[1] أي لقطعت رأسك

قال: وتعرف الله حق معرفته ؟

فقال: نعم، إني لأعرفه ولا أنكره، أؤمن به ولا أكفره.

قال: وبماذا عرفته ؟

قال: برسوله وكتابه المنزل.

قال: صدقت. فأصدقني ما تكون من علي بن أبي طالب ؟

قال: أنا أخوه في الإسلام.

قال عبد الله بن وهب: أو مسلم أنت ؟

قال: أنا مسلم والحمد لله.

قال: وما الإسلام ؟

قال له ابن أبي عقب: إن الإسلام عشرة أسهم، خاب من لا سهم له فيها، شهادة أن لا إله إلا الله وهي الملة، والصلاة وهي الفطرة، والزكاة وهي الطهر، والصوم وهو الجنة، والحج وهو الشريعة، والجهاد وهو الغزو، والأمر بالمعروف وهو الوفاق، والنهي عن المنكر وهو الحجة، والطاعة وهي العصمة، والجماعة وهي الألفة.

قال: صدقت، فخبرني ما الإيمان ؟

فقال: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ونحن له مسلمون، والرضاء بما جاء من عند الله من سخط أو رضى، والجنة حق، والنار حق، وأن الله يبعث من في القبور...

وهكذا استرسل الطرفان في السؤال والجواب حتى تعجبوا من كلام ابن أبي عقب وعلمه، ثم كتب عبد الله بن وهب جواباً إلى علي بن أبي طالب جاء فيه: وردَ عليّ كتابك مع رسولك، فقرأته وفهمت ما فيه، وأما قولك تأمرني أن ألزم الحق يوم لا يقضي بالحق، فقد صدقت وأنا لازم الحق جهدي وطاقتي، وأما قولك لا أزيغ فيزيغ من معي، فأنت معدن الزيغ وأهله، وقد قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ

ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [1]، **وأما قولك إن السعيد من سعدت به رعيَّتُه، والشقي من شقيت به رعيَّتُه، فقد صدقتَ وما أعلم سعيداً سعدَت به رعيته بعد رسول الله** صلى الله عليه وآله **غير أبي بكر ومن بعده عمر، ولا أعلم شقياً شقيت به رعيته بعد رسول الله** صلى الله عليه وآله **غيرك وغير عثمان بن عفان، والقول كما قلت كثير والتفسير يسير، فمن شاء هذر ونثر، ومن شاء قال بقدَر، وأما قولك أن ادفع إلينا قاتل عبد الله بن خباب فكلنا قتله، وأما ذكرك المسير إلينا لقتالنا، فإذا شئت فاقدم فإنا عازمون على حربك، والسلام** [2].

استلم الإمام الكتاب فقرأه ثم نادى في أصحابه وأمرهم بالمسير إلى النهروان، فرحل ورحل الناس معه، حتى إذا صار قريباً من النهروان فإذا برجل قد أقبل مسرعاً على فرس له، فصاح به الإمام: إليّ!

فجاء إليه، فقال له علي: ما وراءك؟

فقال: **إن القوم لما علموا أنك تقاربت منهم عبروا النهروان هاربين.**

فقال له: **أنت رأيتهم حين عبروا؟**

قال: **نعم.**

قال علي: **كلا والذي بعث بالحق نبياً لا يعبرون ولا يبلغون إلى قصر بوران بنت كسرى حتى يقتل الله مقاتلهم على يدي، فلا يبقى منهم إلا أقل من عشرة، ولا يُقتل من أصحابي إلا أقل من عشرة، ذلك عهد معهود وقضاء مقضي.**

نهض الإمام علي عليه السلام فركب حتى وافى القوم، وإذا هم قد مدُّوا الرماح في وجهه وأصحابه وهم يقولون: **لا حكم إلا لله.**

فقال علي: **لا أنتظر فيكم إلا حكم الله.**

---

١ الصف/٥

٢ ابن أعثم: الفتوح - ج ٤ - ص ٢٦١ - ٢٦٧

* بدء المعركة:

عبّأ الإمام أصحابه ميمنة وميسرة وقلباً وجناحين، ثم دعا بعبد الله بن عباس فقال له: **تقدم إلى هؤلاء واحتج عليهم وانظر ماذا يقولون !**

فقال له ابن عباس: **يا أمير المؤمنين أفألقي عني حلتي هذه وألبس درعي ؟ فإني أخاف القوم على نفسي.**

فقال له الإمام: **إني لا أخافهم عليك، فتقدم فها أنا ذا من ورائك.**

تقدم عبد الله بن عباس حتى واجه القوم محاولاً زعزعة قناعاتهم دون جدوى، فالتفت نحو علي فقال: **يا أمير المؤمنين ! إنك قد سمعت الكلام فأنت أحق بالجواب.**

تقدم الإمام حتى إذا واجه القوم سلَّم عليهم، فردوا عليه السلام، ثم قال: **أيها الناس ! أنا علي بن أبي طالب ، فتكلموا بما نقمتم به عليّ !**

فقالوا: **إن أول ما نقمنا به عليك أنا قاتلنا يوم البصرة بين يديك، فلما أظفرك الله بهم أبحتنا ما كان في عسكرهم ومنعتنا النساء والذرية، وكنت تستحل ما كان في العسكر ولا تستحل النساء والذرية.**

فقال لهم علي: **يا هؤلاء ! إن أهل البصرة قاتلونا وبدأوا بقتالنا، فلما أظفرني الله بهم قسمت بينكم سلب من قاتلكم، ومنعتكم النساء والذرية، لأن النساء لم يقاتلن، والذريَّة ولدوا على فطرة الإسلام، فمنعتُكم الذرية والنساء لأجل ذلك. وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منَّ على أهل مكة يوم فتحها فلم يسب نساءهم ولاذريتهم، وإذا كان النبي منَّ على المشركين فلا تعجبوا منِّي إذا مننت على المسلمين، فلم أسبِ نساءهم ولا ذريتهم.**

قالوا: **فإنا نقمنا عليك غير هذا، نقمنا عليك يوم صفين في وقت الكتاب الذي كتبته بينك وبين معاوية أنك قلت لكاتبك: اكتب "هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان"، فأبي معاوية أن يقبل أنك أمير المؤمنين، فمحوت اسمك من الخلافة وقلت لكاتبك: اكتب "هذا ما تقاضى**

عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان"، فإن لم تكن أمير المؤمنين فأنت أمير الكافرين ونحن مؤمنون، ولا يجب أن تكون أميراً علينا.

فقال علي: يا هؤلاء، إنكم قد تكلمتم فاسمعوا الجواب. أنا كنت كاتب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: اكتب "هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله وأهل مكة"، فقال أبوسفيان [1]: إني لو علمت يا محمد أنك رسول الله لما قاتلتك، ولكن اكتب صحيفتك باسمك واسم أبيك، فأمرني النبي صلى الله عليه وسلم، فمحوت الرسالة من الكتاب وكتبت: "هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وأهل مكة"، وإنما محوت اسمي من الخلافة كما محا النبي اسمه من الرسالة، فكانت لي به أسوة.

قالوا: فإنا نقمنا عليك غير هذا، أنك قلت للحكمين: "انظرا في كتاب الله، فإن كنت أفضل من معاوية فأثبتاني في الخلافة، وإن كان معاوية أفضل مني فأثبتاه في الخلافة"، فإن كنت شاكاً في نفسك أن معاوية أفضل منك فنحن فيك أعظم شكاً.

فقال لهم علي: إنما أردت بذلك النَّصفة لمعاوية، لأني لو قلت للحكمين: احكما لي وذرا معاوية، كان معاوية لا يرضى بذلك، وإنما كان النبي صلى الله عليه وسلم لو قال للنصارى لما قدموا عليه من نجران: تعالوا حتى نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم، كانوا لا يرضون بذلك، ولكنه أنصفهم فقال: ﴿ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ [2]، فأنصفهم من نفسه، وكذلك أنصفت أنا معاوية، ولم أعلم لما أراد عمرو بن العاص من خديعة صاحبي.

قالوا: فإنا نقمنا عليك غير هذا، إنك حكّمت حكماً في حق هو لك.

فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حكّم سعد بن معاذ في بني قريظة ولو شاء لم يفعل، فحكّم فيهم سعد بقتل النساء والرجال وسبي الذرية والأموال، وإنما أقمت حكماً كما أقام

---

١ كذا ورد في كتاب الفتوح لابن أعثم، وهو خطأ، والصواب " سهيل بن عمرو "

٢ آل عمران / ٦١

النبي صلى الله عليه وآله لنفسه حَكَماً، فهل عندكم شيء غير هذا تحتجون به علي ؟

سكت القوم وجعل بعضهم يقول لبعض: **صدق فيما قال، ولقد دحض جميع ما احتججنا عليه.**

ثم صاح القوم من كل ناحية وقالوا: **التوبة، التوبة يا أمير المؤمنين.**

فاستأمن إليه منهم ثمانية آلاف، وبقي على حربه أربعة آلاف.

دعا الإمام برجل من أصحابه يقال له رويبة بن وبر البجلي، فدفع إليه اللواء وأمره بالتقدم إلى القوم، فتقدم وهو يقول:

لقد عقد الإمام لنا لواء ... وقدمنا أمام المؤمنينا

بأيدينا مثقفة طوال ... وبيض المرهفات إذا حلينا

نكر على الأعادي كل يوم ... ونشهد حربهم متواريينا

ونضرب في العجاج رؤوس قوم ... تراهم جاحدين وعابدينا

فحمل فجعل يقاتل حتى استشهد. وتقدم من بعده عبد الله بن حماد الحميري فقاتل فاستشهد. وتقدم من بعده رفاعة بن وائل الأرحبي فقاتل واستشهد. ثم تقدم من بعده كيسوم بن سلمة الجهني فقاتل فاستشهد. وتقدم من بعده عبد بن عبيد الخولاني فقاتل فاستشهد.

فلم يزل يخرج رجل بعد رجل من أشد فرسان علي حتى قُتل منهم جماعة وهم ثمانية، وأقبل التاسع واسمه حبيب بن عاصم الأزدي فقال: **يا أمير المؤمنين، هؤلاء الذين نقاتلهم أكفارٌ هم ؟**

فقال علي: **من الكفر هربوا وفيه وقعوا.**

قال: **أفمنافقون ؟**

فقال علي: **إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً.**

قال: **فما هم يا أمير المؤمنين حتى أقاتلهم على بصيرة ويقين ؟**

فقال علي: **هم قوم مرقوا من دين الإسلام كما مرق السهم من الرمية ، يقرأون القرآن فلا يتجاوز تراقيهم [1]، فطوبى لمن قتلهم أو قتلوه.**

فعندها تقدم حبيب بن عاصم نحو الشراة وهو التاسع من أصحاب علي فقاتل و استشهد، فاشتبك الفريقان واقتتلوا قتالاً شديداً، ولم يُقتل من أصحاب علي إلا أولئك التسعة.

تقدم رجل من الخوارج يقال له الأخنس العيزار الطائي فحمل على معكسر الإمام علي، فشق الصفوف وقصده علي عليه السلام، فالتقيا بضربتين، فضربه علي فقتله.

وحمل ذو الثدية على علي ليضربه بسيفه، وسبقه علي فضربه على بيضته فهتكها، وحمل به فرسه حتى رمى به بعيداً على شط النهروان.

وخرج من بعده ابن عم له يقال له مالك بن الوضاح، فحمل على أصحاب الإمام، وحمل الإمام عليه فضربه ضربة ألحقته بأصحابه.

وتقدم عبد الله بن وهب الراسبي حتى وقف بين الجمعين ثم نادى بأعلى صوته:

يا بن أبي طالب، حتى متى يكون هذه المطاولة بيننا وبينك ! والله لا نبرح هذه العرَصة أبداً أو تأبى على نفسك، فابرز إليَّ حتى أبرز إليك وذر الناس جانباً.

تبسم الإمام ثم قال: **قاتله الله من رجل ما أقل حيائه ! أما إنه ليعلم أني حليف السيف وجديل الرمي، ولكنه أيس من الحياة أو لعله يطمع طمعاً كاذباً.**

ثم حمل الراسبي فضربه علي ضربة قاتلة.

اختلط القوم فلم تكن إلا ساعة حتى قُتلوا، وقد كانوا أربعة آلاف، فما فلت منهم إلا تسعة نفر، وغنم أصحاب علي عليه السلام في ذلك اليوم غنائم كثيرة.

---

[1] إشارة إلى ما روي عن النبي أنه قال : يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم . يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية . . . وقد ورد في الخوارج أحاديث عديدة من طرق عديدة في كتب الفريقين نقلها العلامة المجلسي في البحار ، ومسلم في صحيحه ، وابن كثير في البداية والنهاية ، والبيهقي في الدلائل وغيرها.

بعد النهروان:

بعد أن فرغ الإمام علي عليه السلام من حرب الخوارج في النهروان قام فخطب، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: **أما بعد، فإن الله قد أحسن نصركم، فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم من أهل الشام.**

فقاموا إليه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، نفدت نبالنا، وكلَّت سيوفنا، وانصلتت أسنة رماحنا [1]، وعاد أكثرها قصداً [2]. ارجع بنا إلى مصرنا، نستعد بأحسن عدتنا، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عددنا مثل من هلك منا، فإنه أقوى لنا على عدونا.

فكان جوابه عليه السلام: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [3].

فتلكأوا عليه، وقالوا: **إن البرد شديد.**

فقال: **إنهم يجدون البرد كما تجدون.**

فتلكأوا وأبوا. فقال: **أف لكم ! إنها سنة جرت.**

ثم تلا قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾ [4].

فقام منهم ناس فقالوا: **يا أمير المؤمنين، الجِراح فاش في الناس** ـ وكان أهل النهروان قد أكثروا الجراح في عسكر أمير المؤمنين عليه السلام ـ **فارجع إلى الكوفة، فأقم بها أياماً ثم اخرج، خار الله لك !**

فرجع إلى الكوفة عن غير رضاً.

ثم إنه لما كره القوم المسير إلى الشام عقيب واقعة النهروان، أقبل بهم أمير

---

١ انصلتت = المجردت

٢ قصد = جمع قصدة ، وهي الكرة من القنا أو الرمح

٣ المائدة / ٢١

٤ المائدة / ٢٢

المؤمنين، فأنزلهم النخيلة، وأمر الناس أن يلزموا معسكرهم، ويوطّنوا على الجهاد أنفسهم، وأن يقلّوا زيارة النساء وأبنائهم، حتى يسير بهم إلى عدوهم، وكان ذلك هو الرأي لو فعلوه، لكنهم لم يفعلوا، وأقبلوا يتسللون ويدخلون الكوفة، فتركوه عليه السلام وما معه من الناس إلا رجال من وجوههم قليل [1]، وبقي المعسكر خالياً، فلا مَن دخل الكوفة خرج إليه، ولا مَن أقام معه صبر. فلما رأى ذلك دخل الكوفة.

فخطب الناس، وهي أول خطبة خطبها بعد قدومه من حرب الخوارج، فقال: **أيها الناس استعدّوا لقتال عدوٍ في جهادهم القربة إلى الله عز وجل، ودرك الوسيلة عنده، قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه، موزعين بالجور والظلم لا يعدلون به [2]، جفاة عن الكتاب، نكَبٌ عن الدين [3]، يعمهون في الطغيان [4]، ويتسكعون في غمرة الضلال، فأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلاً.**

فلم ينفروا ولم ينشروا [5]، فتركهم أياماً، ثم خطبهم بالخطبة التي ذكرها الشريف الرضي في نهج البلاغة تحت عنوان في استنفار الناس إلى أهل الشام، حيث قال فيها: **أفٌ لكم، لقد سئمت عتابكم، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً، وبالذل من العز خلفاً ؟!**

إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم [6]، كأنكم من الموت في غمرة، ومن الذهول في سكرة، يرتج عليكم حواري فتعمهون [7]، فكأن قلوبكم مألوسة [8]، فأنتم لاتعقلون.

ما أنتم لي بثقة سجيس الليالي [9]، وما أنتم بركن يُمال بكم [10]، ولا زوافر عز يفتقر

---

١ وجوههم = رؤساؤهم
٢ أوزعه بالشئ ، إذا أغراه به
٣ نكب عن الدين = عدل عنه ولم يأخذ به
٤ يعمهون = يتحيرون ويترددون
٥ لم ينشروا = لم يتفرقوا
٦ مأخوذة من قوله تعالى : " تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت "
٧ يرتج = يغلق
٨ قلوبكم مألوسة ، من الألس ، بسكون اللام ، وهو الجنون واختلاط العقل
٩ سجيس الليالي = أبداً
١٠ أي لا يُعتمد عليكم

إليكم [1]. ما أنتم إلا كإبل ضل رعاتها، فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر.

لبئس ـ لعمر الله ـ سُعُر نار الحرب أنتم [2] ! تُكادون ولا تكيدون، وتنتقص أطرافكم فلا تمتعضون، لا يُنام عنكم، وأنتم في غفلة ساهون. غلب والله المتخاذلون! وأيم الله، إني لأظن بكم أنْ لو حمس الوغى [3]، واستحر الموت [4]، قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج الرأس [5].

والله إن امرأ يمكّن عدوّه من نفسه، يعرق لحمه، ويهشم عظمه، ويفري جلده، لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره.

أنت فكن ذاك إن شئت [6]، فأما أنا فوالله دون أن أعطي ذلك ضرب بالمشرفية [7] تطير منه فراش الهام [8]، وتطيح السواعد والأقدام، ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء.

أيها الناس، إن لي عليكم حقاً، ولكم عليَّ حق، فأما حقكم علي فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا، وأما حقي عليكم، فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم [9].

قال ابن أبي الحديد: (وروى عمرو بن شمر الجعفي، عن جابر، عن رفيع بن فرقد البجلي، قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: يا أهل الكوفة لقد ضربتكم بالدرة التي أعظ بها السفهاء فما أراكم تنتهون ! ولقد ضربتكم بالسياط التي أقيم بها الحدود، فما

---

١ زوافر ، جمع زافرة ، وزافرة الرجل = أنصاره وعشيرته

٢ سعر نار الحرب = مشعلوها

٣ حمس الوغى = اشتد

٤ استحر = اشتد

٥ أي كما ينفلق الرأس فيذهب نصفه يمنة ونصفه يسرة

٦ روي أن المخاطب هنا هو قيس بن الأشعث الذي أشار على الإمام أن يسلك مسلك الخليفة عثمان بن عفان في الاستسلام للأمر الواقع

٧ المشرفية = السيوف المنسوبة إلى مشارف ، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف

٨ فراش الهام = العظام الخفيفة تلي القحف ، والقحف هو عظم الجمجمة

٩ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ٢ ـ ص ١٨٩ - ١٩٥

أراكم ترعوون ! فلم يبق إلا أن أضربكم بسيفي، وإني لأعلم ما يقوّمكم، ولكني لاأحب أن إلي ذلك منكم.

واعجباً لكم ولأهل الشام ! أميرهم يعصي الله وهم يطيعونه، وأميركم يطيع الله وأنتم تعصونه ! والله لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو سقت الدنيا بحذافيرها إلى الكافر لما أحبني، وذلك أنه قضي ما قضي على لسان النبي الأمي أنه لا يبغضني مؤمن، ولا يحبني كافر، وقد خاب من حمل ظلماً.

والله لتصبرن يا أهل الكوفة على قتال عدوكم أو ليسلطن الله عليكم قوماً أنتم أولى بالحق منهم، فليعذبنكم ! أفمن قتْلةٍ بالسيف تحيدون إلى موتة على الفراش ! والله لموتة على الفراش أشد من ضربة ألف سيف)[1].

ولعلك تسأل كيف يمدح الإمام عليه السلام أهل الكوفة عندما استنهضهم لحرب الجمل ثم صفين، وهاهو يذمهم ويصفهم بأسوأ الصفات ؟ أجاب ابن أبي الحديد على هذا التساؤل حيث قال: قلت: ما أحسن قول أبي العيناء، وقد قال له المتوكل: إلى متى تمدح الناس وتهجوهم ؟!

فقال: ما أحسنوا وأسلءوا.

وهذا أمير المؤمنين عليه السلام، وهو سيد البشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، يمدح الكوفة وأهلها عقيب الانتصار على أصحاب الجمل، بما قد ذكرنا بعضه، وسنذكر باقيه، مدحاً ليس باليسير ولا بالمستصغر.

ويقول للكوفة عند نظره إليها : أهلاً بك وبأهلك، ما أرادك جبار بكيد إلا قصمه الله.

ويثني عليها وعلى أهلها حسب ذمّه للبصرة وعيبه لها ودعائه عليها وعلى أهلها، فلما خذله أهل الكوفة يوم التحكيم، وتقاعدوا عن نصره على أهل الشام، وخرج

---

١ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة - ج ٢ - ص ١٩٥ - ١٩٦

منهم الخوارج، ومرق منهم المرّاق، ثم استنفرهم بعدُ فلم ينفروا، واستصرخهم فلم يصرخوا [1]، ورأى منهم دلائل الوهن، وإمارات الفشل، انقلب ذلك المدح ذماً، وذلك الثناء استزاده تقريعاً وتهجيناً.

وهذا أمر مركوز في طبيعة البشر، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذلك، والقرآن العزيز أيضاً كذلك، أثنى على الأنصار لما نهضوا، وذمَّهم لما قعدوا في غزاة تبوك، فقال: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الآيات [2]، إلى أن رضي الله عنهم، فقال: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ - أي عن رسول الله - حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ...﴾ الآية) [3].

---

١ لم يصرخوا = لم يغيثوا

٢ التوبة / ٨١

٣ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة - ج ٢ - ص ١٩٦ – ١٩٧ . والآية من سورة التوبة / ١١٨

قبيل استشهاده:

بعد انتهاء حرب صفين والنهروان، لجأ معاوية بن أبي سفيان إلى أسلوب الإغارة على المدن والقرى الخاضعة لحكم الإمام علي عليه السلام والبعيدة عن مركز الخلافة بالكوفة، وذلك بهدف ضمّها إلى سلطانه، أو ترويع الناس ومنعهم عن نصرة الإمام، أو الانتقام من موقفهم بالانضمام إلى جيش أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن بين تلك الغارات غارة سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار، وهي مدينة تقع غرب العراق. وقد روى إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي في كتاب **الغارات**[1]، عن أبي الكنود، قال: حدثني سفيان بن عوف الغامدي، قال: دعاني معاوية، فقال: **إني باعثك في جيش كثيف، ذي أداة وجلادة، فالزم لي جانب الفرات، حتى تمر بهيت فتقطعها[2]، فإن وجدت بها جنداً فأغر عليهم، وإلا فامض حتى تغير على الأنبار، فإن لم تجد بها جنداً فامض حتى توغل في المدائن[3]. ثم أقبل إليّ، واتّق أن تقرب الكوفة. واعلم أنك إن أغرت على أهل الأنبار وأهل المدائن فكأنك أغرت على الكوفة. إن هذه الغارات يا سفيان على أهل العراق ترعب قلوبهم، وتفرح كل من له فينا هوى منهم، وتدعو إلينا كل من خاف الدوائر، فاقتل من لقيته ممن ليس هو على مثل رأيك، وأخرب كل ما مررت به من القرى، واحرب الأموال، فإن حرب الأموال شبيه بالقتل، وهو أوجع للقلب.**

قل: فخرجت من عنده فعسكرت، وقام معاوية في الناس فخطبهم، فقال: **أيها الناس، انتدبوا مع سفيان بن عوف، فإنه وجهٌ عظيم فيه أجر، سريعة فيه أوبتكم إن شاء الله**[4].

ثم نزل.

---

١ قال ابن حجر في لسان الميزان : إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال بن عاصم بن سعد الثقفي ، من علماء أصبهان ، ذكره أبو نعيم في تاريخه وقال : كان غاليا في الرفض ، مات سنة ٢٨٠

٢ هيت = بلد على الفرات فوق الأنبار

٣ المدائن = مدينة قديمة تقع بالقرب من بغداد وتعرف اليوم بـ (سلمان باك)

٤ الأوبة = الرجوع

قال: فوالذي لا إله غيره ما مرت ثالثة حتى خرجتُ في ستة آلاف [1]، ثم لزمت شاطئ الفرات، فأغذذت السير حتى أمر بهيت [2]، فبلغهم أني قد غشيتهم فقطعوا الفرات فمررت بها وما بها عريب [3]، كأنها لم تحلل قط [4]، فوطئتها حتى أمر بصندوداء [5]، ففروا فلم ألق بها أحداً، فأمضيت حتى أفتتح الأنبار، وقد نُذروا بي [6]، فخرج صاحب المسلحة إلي [7]، فوقف لي فلم أقدم عليه حتى أخذت غلماناً من أهل القرية، فقلت لهم: **أخبروني، كم بالأنبار من أصحاب علي ؟**

قالوا: **عدة رجال المسلحة خمسمائة، ولكنهم قد تبددوا ورجعوا إلى الكوفة، ولاندري الذي يكون فيها، قد يكون مائتي رجل.**

فنزلتُ فكتَّبت أصحابي كتائب [8]، ثم أخذت أبعثهم إليه كتيبة بعد كتيبة، فيقاتلهم والله ويصبر لهم، ويطاردهم ويطاردونه في الأزقة، فلما رأيت ذلك أنزلت إليهم نحواً من مائتين، وأتبعتهم الخيل، فلما حملت عليهم الخيل وأمامها الرجال تمشي، لم يكن شئ حتى تفرقوا وقتل صاحبهم في نحو من ثلاثين رجلاً، وحملنا ما كان في الأنبار من الأموال، ثم انصرفت، فوالله ما غزوت غزاة كانت أسلم ولا أقر للعيون، ولا أسرّ للنفوس منها. وبلغني ـ والله ـ أنها أرعبت الناس، فلما عدت إلى معاوية، حدثته الحديث على وجهه [9]، فقال: **كنتَ عند ظني بك، لا تنزل في بلد من بلداني إلا قضيت فيه مثل ما يقضي فيه أميره، وإن أحببتَ تولِيَته ولّيتك، وليس لأحد من خلق الله عليك أمر دوني.**

قال: فوالله ما لبثنا إلا يسيراً، حتى رأيت رجال أهل العراق يأتوننا على الإبل هراباً من عسكر علي.

---

١ ثالثة = ثلاثة أيام
٢ أغذذت = أسرعت
٣ عريب = أحد
٤ تحلل = تُسكن
٥ صندوداء = قرية كانت في غربي الفرات فوق الأنبار
٦ نذروا بي = تم تحذيرهم من قدومي
٧ المسحلة = الثغر ومركز المراقبة ، وصاحبها هنا هو حسان بن حسان البكري
٨ كتبت = قسمت
٩ على وجهه = كما جرت الأمور

وروي أنه كان اسم عامل علي عليه السلام على مسلحة الأنبار أشرس بن حسان البكري.

وروي عن حبيب بن عفيف أنه قال: كنت مع أشرس بن حسان البكري بالأنبار على مسلحتها [1]، إذ صبَّحنا سفيان بن عوف في كتائب تلمع الأبصار منها، فهالونا والله، وعلمنا إذ رأيناهم أنه ليس لنا طاقة بهم ولا يد، فخرج إليهم صاحبنا وقد تفرقنا فلم يلقهم نصفنا، وأيم الله لقد قاتلناهم فأحسنَّا قتالهم، حتى كرهونا، ثم نزل صاحبنا وهو يتلو قوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [2].

ثم قال لنا: **من كان لا يريد لقاء الله، ولا يطيب نفساً بالموت، فليخرج عن القرية ما دمنا نقاتلهم، فإن قتالنا إياهم شاغل لهم عن طلب هارب، ومن أراد ما عند الله فما عند الله خير للأبرار.**

ثم نزل في ثلاثين رجلاً، فهممت بالنزول معه، ثم أبت نفسي واستقدم هو وأصحابه، فقاتلوا حتى قُتلوا رحمهم الله، وانصرفنا نحن منهزمين.

وقدم علج من أهل الأنبار على علي عليه السلام [3]، فأخبره الخبر، فصعد المنبر فخطب الناس، وقال: **إن أخاكم البكري قد أصيب بالأنبار، وهو معتز لا يخاف ما كان، واختار ما عند الله على الدنيا، فانتدِبوا إليهم حتى تلاقوهم، فإن أصبتم منهم طرفاً أنكلتموهم عن العراق أبداً ما بقوا** [4].

ثم سكتَ عنهم رجاء أن يجيبوه أو يتكلم منهم متكلم، فلم ينبس أحد منهم بكلمة، فلما رأى صمتهم نزل، وخرج يمشي راجلاً حتى أتى النخيلة، والناس يمشون خلفه حتى أحاط به قوم من أشرافهم، فقالوا: **ارجع يا أمير المؤمنين ونحن نكفيك.**

---

١ لعل " أشرس " هو لقب حسان بن حسان

٢ الأحزاب/٢٣

٣ العلج = الرجل من كفار العجم

٤ أنكله = جعله يجبن ويهرب

فقال: ما تكفونني ولا تكفون أنفسكم.

فلم يزالوا به حتى صرفوه إلى منزله، فرجع وهو واجم كئيب، ودعا سعيد بن قيس الهمداني، فبعثه من النخيلة في ثمانية آلاف، وذلك أنه أخبر أن القوم جاءوا في جمع كثيف.

فخرج سعيد بن قيس على شاطئ الفرات في طلب سفيان بن عوف، حتى إذا بلغ عانات [1]، سرَّح أمامه هانئ بن الخطاب الهمداني، فاتبع آثارهم حتى دخل أداني أرض قنّسرين وقد فاتوه [2]، فانصرف.

ولبث علي عليه السلام تُرى فيه الكآبة والحزن حتى قدم عليه سعيد بن قيس، وكان عليه السلام تلك الأيام عليلاً، فلم يقو على القيام في الناس بما يريده من القول، فجلس بباب السدة التي تصل إلى المسجد [3]، ومعه إبناه حسن وحسين عليهما السلام، وعبدالله بن جعفر، ودعا سعداً مولاه، فدفع إليه الكتاب، وأمره أن يقرأه على الناس، فقام سعد بحيث يستمع علي عليه السلام صوته، ويسمع ما يرد الناس عليه، ثم قرأ الخطبة التالية وهي من مشاهير خطبه، قد ذكرها كثير من الناس: **أما بعد، فإن الجهاد أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجُنَّته الوثيقة [4]، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل [5]، وشمله البلاء، وديث بالصغار والقماءة [6]، وضرب على قلبه بالإسهاب [7]، وأديل الحق منه بتضييع الجهاد [8]، وسيم الخسف، ومُنع النَّصَف [9].**

ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسراً وإعلاناً، وقلت

---

١ عانات - بلد بين الرقة وهيت قريبة من الأنبار

٢ تقع قنسرين بالقرب من حلب

٣ السدة - فناء الدار

٤ الجنة - ما يجن به ، أي يستتر ، كالدرع

٥ تركه رغبه عنه - تركه زهداً فيه ، يقال : رغبت عن كذا ضد رغبت في كذا

٦ ديث بالصغار - ذلل ، ومنه الديوث : الذي لا غيرة له كأنه قد ذلل حتى صار كذلك . والصغار : الذل والضيم . والقماءة - الذل

٧ ضرب على قلبه بالإسهاب - الاسهاب هاهنا هو ذهاب العقل ويمكن أن يكون من الإسهاب الذي هو كثرة الكلام كأنه عوقب بأن يكثر كلامه فيما لا فائدة تحته

٨ أديل - أضيع . والمعنى : أديل الحق منه وأضيع بسبب تضييعه الجهاد

٩ سيم الخسف - أولي الخسف وكلف إياه ، والخسف - الذل والمشقة . النصف - الانصاف

لكم: أغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غُزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا [1]، فتواكلتم وتخاذلتم حتى شُنَّت عليكم الغارات، ومُلِّكت عليكم الأوطان.

وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار [2]، وقد قتل حسان بن حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها [3].

ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة [4]، فينتزع حجلها وقُلبها وقلائدها ورعثها [5]، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام [6].

ثم انصرفوا وافرين [7]، ما نال رجل منهم كَلِم [8]، ولا أريق لهم دم، فلو أن امرأ مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً.

فيا عجباً ! عجباً والله يميت القلب، ويجلب الهم، من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرّقكم عن حقكم ! فقبحاً لكم وترحاً [9]، حين صرتم غرضاً يُرمى [10]، يُغار عليكم ولا تغيرون، وتُغزون ولا تَغزون، ويُعصى الله وترضون !

فإذا أمرتُكم بالسير إليهم في أيام الحر، قلتم: هذه حمَّارة القيظ، أمهلنا يسبخ عنا الحر [11]، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء، قلتم: هذه صبَّارة القر [12]، أمهلنا ينسلخ عنا البرد. كل هذا فراراً من الحر والقر، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون فأنتم والله من السيف أفر. يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال [13]، وعقول

---

١ عقر دارهم = أصل دارهم

٢ سفيان بن عوف قائد الفرقة العسكرية التي أرسلها معاوية لغزو الأنبار

٣ المسالح = جمع مسلحة وهي كالثغر ونقاط المراقبة العسكرية

٤ المعاهدة = ذات العهد وهي الذمية

٥ الحجل = الخلخال . القُلب = جمع قلب وهو السوار المصمت . الرعث = القرط الذي يعلق بالأذن

٦ الاسترجاع = قول : إنا لله وإنا إليه راجعون . الاسترحام = طلب الرحمة أو المناشدة بالرحم

٧ وافرين = دون أن يصابوا بأذى

٨ الكلم = الجراح

٩ فقبحاً لكم وترحاً = دعاء بأن يبعدهم الله عن الخير وأن يخزيهم ويسوءهم

١٠ غرضاً = هدفاً

١١ حمارة القيظ = شدة حر الصيف . يسبخ عنا الحر = يخف

١٢ صبارة الشتاء = شدة برده

١٣ حلوم جمع حلم = عقل

ربات الحجال[1]، لودَدْتُ أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة ـ والله ـ جرَّت ندماً وأعقبت سدماً[2]. قاتلكم الله ! لقد ملأتم قلبي قيحاً[3]، وشحنتم صدري غيظاً[4]، وجرعتموني نغب التَّهمام أنفاساً[5]، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان، حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب. لله أبوهم ! وهل أحد منهم أشد لها مراساً وأقدم فيها مقاماً، مني ؟! لقد نهضْتُ فيها وما بلغت العشرين، وها أنا ذا قد ذرفت على الستين[6] ! ولكن لا رأي لمن لايطاع[7].

وروى المبرد في آخر الخطبة: (فقام إليه رجل ومعه أخوه فقال: يا أمير المؤمنين إني وأخي هذا، كما قال الله تعالى ﴿ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ﴾[8]، فمُرْنا بأمرك فوالله لننتهين إليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضا وشوك القتاد.

فدعا لهما بخير وقال: وأين تقعان مما أريد ؟

ثم نزل)[9].

وذكر إبراهيم الثقفي أن القائم إليه، العارض نفسه عليه جندب بن عفيف الأزدي، هو وابن أخ له يقال له: عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف.

قال إبراهيم: ثم أمر الحارث الأعور الهمداني، فنادى في الناس: أين من يشتري نفسه لربه ويبيع دنياه بآخرته ؟ أصبِحوا غداً بالرحبة إن شاء الله، ولا يحضر إلا صادق النية في السير معنا، والجهاد لعدونا.

فأصبح وليس بالرحبة إلا دون ثلاثمائة، فلما عرضهم قال: لو كانوا ألفاً كان لي فيهم رأي.

---

١ ربات الحجال = النسله . والحجال جمع حجلة ، وهي بيت يزين بالستور والثياب والأسرة

٢ السدم = الحزن والغيظ

٣ القيح = ما يكون في القرحة من صديدها

٤ شحنتم = ملأتم

٥ النغب جمع نغبة = الجرعة . والتهمام = الهم

٦ ذرفت = زدت

٧ الشريف الرضي : نهج البلاغة ، الخطبة ٢٧ ـ ص ٦٩ - ٧١

٨ المائدة / ٢٥

٩ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ٢ ـ ص ٧٥ – ٨٠ نقلاً عن الكامل للمبرد ـ ج ١ ـ ص ١٠٤ - ١٠٧

وأتاه قوم يعتذرون، فقال: ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ ﴾ [1]، وتخلف المكذّبون.

ومكث أياماً بادياً حزنه شديد الكآبة، ثم جمع الناس فخطبهم فقال: **أما بعد، أيها الناس، فوالله لأهل مصركم في الأمصار أكثر من الأنصار في العرب، وما كانوا يوم أعطوا رسول الله** صلى الله عليه وآله **أن يمنعوه ومن معه من المهاجرين حتى يبلغ رسالات ربه إلا قبيلتين، قريباً مولدهما، ما هما بأقدم العرب ميلاداً، ولا بأكثرهم عدداً.**

فلما آووا النبي صلى الله عليه وآله **وأصحابه، ونصروا الله ودينه، رمتهم العرب عن قوس واحدة، فتحالفت عليهم اليهود، وغزتهم القبائل قبيلة بعد قبيلة، فتجردوا لنصرة دين الله، وقطعوا ما بينهم وبين العرب من الحبائل، وما بينهم وبين اليهود من الحلف، ونصبوا لأهل نجد وتهامة وأهل مكة واليمامة، وأهل الحزن والسهل، وأقاموا قناة الدين، وصبروا تحت حماس الجلاد، حتى دانت لرسول الله** صلى الله عليه وآله **العرب، ورأى منهم قرة العين قبل أن يقبضه الله** عز وجل **إليه، وأنتم اليوم في الناس أكثر من أولئك ذلك الزمان في العرب.**

فقام إليه رجل آدم طوال [2]، فقال: **ما أنت بمحمد، ولا نحن بأولئك الذين ذكرت.**

فقال عليه السلام: **أحسن سمعاً تحسن إجابة، ثكلتكم الثواكل، ما تزيدونني إلا غماً، هل أخبرتكم أني محمد، وأنكم الأنصار ؟! إنما ضربتُ لكم مثلاً، وإنما أرجو أن تتأسوا بهم.**

ثم قام رجل آخر، فقال: **ما أحوج أمير المؤمنين اليوم وأصحابه إلى أصحاب النهروان.**

ثم تكلم الناس من كل ناحية ولغطوا، وقام رجل منهم فقال بأعلى صوته: **استبان فقدُ الأشتر على أهل العراق [3] ! أشهد لو كان حياً لقل اللغط، ولعلم كل امرئ ما يقول.**

فقال علي عليه السلام: **هبلتكم الهوابل ! أنا أوْجَب عليكم حقاً من الأشتر، وهل**

---

١ إشارة إلى ما جاء في سورة التوبة / ٩٠ (وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم)

٢ آدم = أسمر . طوال = شديد الطول

٣ استبان فقد الأشتر على أهل العراق = وضح أثر موته عليهم إذ كان يقودهم في المعارك فيطيعونه

للأشتر عليكم من الحق إلا حق المسلم على المسلم ؟!

فقام حِجر بن عدي الكندي وسعيد بن قيس الهمداني، فقالا: **لا يسوءك الله يا أمير المؤمنين، مرنا بأمرك نتبعه، فوالله ما نعظم جزعاً على أموالنا إن نفدت، ولاعلى عشائرنا إن قُتلت في طاعتك.**

فقال: **تجهزوا للمسير إلى عدونا.**

فلما دخل منزله ودخل عليه وجوه أصحابه، قال لهم: **أشيروا عليَّ برجل صليب[1] ناصح، يحشر الناس من السواد[2].**

فقال له سعيد بن قيس: **يا أمير المؤمنين، أشيرُ عليك بالناصح الأريب الشجاع الصليب معقل بن قيس التميمي.**

قال: **نعم.**

ثم دعاه فوجَّهه، فسار فلم يقدم حتى أصيب أمير المؤمنين عليه السلام[3].

* **التفاتة بلاغية:**

ويناسب هنا أن أنقل كلاماً لابن أبي الحديد في بيان القيمة اللغوية لهذه الخطبة الرائعة لأمير المؤمنين عليه السلام، قال: (واعلم أن التحريض على الجهاد والحض عليه قد قال فيه الناس فأكثروا وكلهم أخذوا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، فمن جيد ذلك ما قاله ابن نُباتة الخطيب[4]: **أيها الناس، إلى كم تسمعون الذكر فلا تعون ؟! وإلى كم تقرعون بالزجر فلا تقلعون ؟! كأن أسماعكم تمج ودائع الوعظ، وكأن قلوبكم بها استكبار عن الحفظ، وعدوكم يعمل في دياركم عملَه، ويبلغ بتخلفكم عن جهاده**

---

١ صليب = صلب

٢ السواد = أرض السواد = جنوب العراق ، سمي بذلك لكثرة النخيل به ، والعرب تسمي الأخضر أسوداً

٣ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ ج ٢ ـ ص ٨٥ — ٩٠ .

٤ ابن نباتة = أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل الفارقي ، كان خطيب حلب ، وبها اجتمع مع أبي الطيب المتنبي في خدمة سيف الدولة ، وكان سيف الدولة كثير الغزوات ، فكثرت خطبه في الجهاد ليحض الناس على نصر سيف الدولة . توفي سنة ٣٧٤ .

أمله، وصرخ بهم الشيطان إلى باطله فأجابوه، وندبكم الرحمن إلى حقه فخالفتموه، وهذه البهائم تناضل عن ذمارها، وهذه الطير تموت حمية دون أوكارها، بلا كتاب أنزل عليها، ولا رسول أرسل إليها.

وأنتم أهل العقول والأفهام، وأهل الشرائع والأحكام، تندون من عدوكم نديد الإبل [1]، وتدرعون له مدارع العجز والفشل، وأنتم والله أولى بالغزو إليهم، وأحرى بالمغار عليهم لأنكم أمنه الله على كتابه، والمصدقون بعقابه وثوابه، خصَّكم الله بالنجدة والبأس، وجعلكم خير أمة أخرجت للناس، فأين حمية الإيمان ؟ وأين بصيرة الإيقان ؟ وأين الإشفاق من لهب النيران ؟ وأين الثقة بضمان الرحمن ؟ فقد قال الله عز وجل في القرآن: ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ ﴾ [2]، فاشترط عليكم التقوى والصبر، وضمن لكم المعونة والنصر، أفتتهمونه في ضمانه ؟ أم تشكون في عدله وإحسانه ؟

فسابقوا رحمكم الله إلى الجهاد بقلوب نقية، ونفوس أبية، وأعمال رضية، ووجوه مضية، وخذوا بعزائم التشمير، واكشفوا عن رءوسكم عار التقصير، وهبوا نفوسكم لمن هو أملك بها منكم، ولا تركنوا إلى الجزع فإنه لا يدفع الموت عنكم، ﴿ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزًّى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ﴾ [3].

فالجهاد الجهاد أيها الموقنون، والظفر الظفر أيها الصابرون ! والجنة الجنة أيها الراغبون ! والنار النار أيها الراهبون ! فإن الجهاد أثبت قواعد الإيمان، وأوسع أبواب الرضوان، وأرفع درجات الجنان.

وإن من ناصح الله لبين منزلتين مرغوب فيهما، مجمع على تفضيلهما: إما

---

١ تندون = تشردون

٢ آل عمران / ١٢٥

٣ آل عمران / ١٥٦

السعادة بالظفر في العاجل، وإما الفوز بالشهادة في الآجل، وأكره المنزلتين إليكم أعظمهما نعمة عليكم، فانصروا الله فإن نصره حرز من الهلكات حريز ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [1].

هذا آخر خطبة ابن نباتة، فانظر إليها وإلى خطبته عليه السلام بعين الإنصاف، تجدها بالنسبة إليها ....[2] أو كسيف من رصاص بالإضافة إلى سيف من حديد، وانظر ما عليها من أثر التوليد وشين التكلف وفجاجة كثير من الألفاظ، ألا ترى إلى فجاجة قوله: **كأن أسماعكم تمج ودائع الوعظ وكأن قلوبكم بها استكبار عن الحفظ!** وكذلك ليس يخفى نزول قوله: **تندون من عدوكم نديد الإبل، وتدرعون له مدارع العجز والفشل.**

وفيها كثير من هذا الجنس، إذا تأمله الخبير عرفه، ومع هذا فهي مسروقة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، ألا ترى أن قوله عليه السلام: **أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة،** قد سرقه ابن نباتة، فقال: **فإن الجهاد أثبت قواعد الايمان، وأوسع أبواب الرضوان، وأرفع درجات الجنان!** وقوله عليه السلام: **من اجتماع هؤلاء على باطلهم وتفرقكم عن حقكم،** سرقة أيضاً، فقال: **صرخ بهم الشيطان إلى باطله فأجابوه، وندبكم الرحمن إلى حقه فخالفتموه.**

وقوله عليه السلام: **قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم** ... إلى آخره، سرقة أيضاً، فقال: **كم تسمعون الذكر فلا تعون، وتقرعون بالزجر فلا تقلعون؟**

وقوله عليه السلام: **حتى شنت عليكم الغارات وملكت عليكم الأوطان** سرقة أيضاً، وقال: **وعدوكم يعمل في دياركم عمله، ويبلغ بتخلفكم عن جهاده أمله.**

وأما باقي خطبة ابن نباتة فمسروق من خطب لأمير المؤمنين عليه السلام أُخَر، سيأتي ذكرها[3]. واعلم أني أضرب لك مثلاً تتخذه دستوراً في كلام أمير المؤمنين عليه السلام،

---

١ الحج / ٤٠

٢ حذفنا العبارة تعففاً، ومن أراد فليراجع المصدر.

٣ ولكننا لن نذكرها في هذا الكتاب.

وكلام الكتاب والخطباء بعده كابن نباتة والصابئ وغيرهما، انظر نسبة شعر أبي تمام والبحتري وأبي نؤاس ومسلم، إلى شعر امرئ القيس والنابغة وزهير والأعشى، هل إذا تأملت أشعار هؤلاء وأشعار هؤلاء، تجد نفسك حاكمة بتساوي القبيلين أو بتفضيل أبي نؤاس وأصحابه عليهم ؟ ما أظن أن ذلك مما تقوله أنت ولا قاله غيرك، ولا يقوله إلا من لا يعرف علم البيان، وماهية الفصاحة، وكُنه البلاغة، وفضيلة المطبوع على المصنوع، ومزية المتقدم على المتأخر.

فإذا أقررت من نفسك بالفرق والفضل، وعرفت فضل الفاضل ونقص الناقص، فاعلم أن نسبة كلام أمير المؤمنين عليه السلام إلى هؤلاء هذه النسبة، بل أظهر، لأنك تجد في شعر امرئ القيس وأصحابه من التعجرف والكلام الحوشي [1]، واللفظ الغريب المستكره شيئاً كثيراً، ولا تجد من ذلك في كلام أمير المؤمنين عليه السلام شيئاً، وأكثر فساد الكلام ونزوله إنما هو باستعمال ذلك.

فإن شئت أن تزداد استبصاراً، فانظر القرآن العزيز - واعلم أن الناس قد اتفقوا على أنه في أعلى طبقات الفصاحة - وتأمله تأملاً شافياً، وانظر إلى ما خص به من مزية الفصاحة والبعد عن التقعير والتقعيب والكلام الوحشي الغريب [2]، وانظر كلام أمير المؤمنين عليه السلام فإنك تجده مشتقاً من ألفاظه، ومقتضباً من معانيه ومذاهبه، ومحذواً به حذوه، ومسلوكاً به في منهاجه، فهو وإن لم يكن نظيراً ولا نداً، يصلح أن يقال إنه ليس بعده كلام أفصح منه ولا أجزل، ولا أعلى ولا أفخم ولا أنبل، إلا أن يكون كلام ابن عمه عليه السلام، وهذا أمر لا يعلمه إلا من ثبتت له قدم راسخة في علم هذه الصناعة، وليس كل الناس يصلح لانتقاد الجوهر، بل ولا لانتقاد الذهب، ولكل صناعة أهل، ولكل عمل رجال) [3].

---

١ الحوشي = القاسي

٢ التقعير = التقعيب = التشدق

٣ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة - ج ٢ - ص ٨٠ - ٨٣

* موقف آخر:

ولأمير المؤمنين عليه السلام كلمة أخرى تعليقاً على ما ورد إليه من نبأ بعض غارات أهل الشام على أطراف أعماله بالعراق بعد انقضاء حرب النهروان، حيث جمع الناس، وحضّهم على الجهاد، فسكتوا ملياً، فقال عليه السلام: ما بالكم ؟! أمخرسون أنتم ؟

فقال قوم منهم: يا أمير المؤمنين، إن سرْت سرنا معك.

فقال عليه السلام: ما بالكم، لا سُدِّدتم لرُشْد، ولا هُديتم لقصد ؟! أفي مثل هذا ينبغي لي أن أخرج ؟ وإنما يخرج في مثل هذا رجل ممن أرضاه من شجعانكم، وذوي بأسكم، ولا ينبغي لي أن أدع الجند والمصر وبيت المال وجباية الأرض، والقضاء بين المسلمين، والنظر في حقوق المطالبين، ثم أخرج في كتيبة أتبع أخرى، أتقلقل تقلقل القدح في الجفير الفارغ [1].

وإنما أنا قطب الرحى، تدور عليَّ وأنا بمكاني ، فإذا فارقته استحار مدارها [2]، واضطرب ثِفالها [3]. هذا لعمر الله الرأي السوء.

والله لولا رجائي الشهادة عند لقائي العدو، ولو قد حمَّ لي لقاؤه [4]، لقرَّبت ركابي [5]، ثم شخصت عنكم فلا أطلبكم ما اختلف جنوب وشمال [6]، طعّانين عيَّابين، حيَّادين روَّاغين. إنه لا غناء في كثرة عددكم، مع قلة اجتماع قلوبكم. لقد حملتكم على الطريق الواضح التي لا يهلك عليها إلا هالك. من استقام فإلى الجنة، ومن زلَّ فإلى النار [7].

---

١ التقلقل - الحركة في اضطراب . والقدح - السهم . والجفير - الكنانة ، وقيل وعاء للسهام أوسع من الكنانة

٢ استحار مدارها - اضطرب دوران الرحى

٣ الثفال - جلد يبسط وتوضع الرحى فوقه ، فيطحن باليد ليسقط عليه الدقيق

٤ حم - قدّر

٥ الركاب - الإبل

٦ شخصت عنكم - خرجت وتركتكم

٧ الرضي : نهج البلاغة - الخطبة ١١٩ - ص ١٧٥ - ١٧٦

استشهاد الإمام:

قال الطبري في تاريخه وابن الأثير في **الكامل**: كان سبب قتله عليه السلام أن عبدالرحمن بن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله التميمي الصريمي واسمه الحجاج وعمرو بن أبي بكر التميمي السعدي، وهم من الخوارج، اجتمعوا فتذاكروا أمر الناس وعابوا الولاة ثم ذكروا أهل النهر فترحموا عليهم [1]، وقالوا: **ما نصنع بالبقاء بعدهم ؟ فلو شرينا أنفسنا لله وقتلنا أئمة الضلال وأرحنا منهم البلاد.**

فقال ابن ملجم: **أنا أكفيكم علياً.**

وقال البرك بن عبد الله: **أنا أكفيكم معاوية.**

وقال عمرو بن بكر: **أنا أكفيكم عمرو بن العاص.**

فتعاهدوا أن لا ينكص أحدهم عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، وجعلوا موعدهم التاسع عشر أو السابع عشر من شهر رمضان، فأتى ابن ملجم الكوفة فلقي أصحابه بها، وكتمهم أمره، ورأى يوماً أصحاباً له من تيم الرباب ومعهم امرأة منهم اسمها قطام بنت الأخضر التيمية قُتل أبوها وأخوها في النهروان، وكانت فائقة الجمال، فخطبها، فقالت: **لا أتزوجك إلا على ثلاثة آلاف وعبدٍ وقينةٍ وقَتْلِ علي** [2].

فقال: **أما قتل علي فما أراك ذكرته وأنت تريدينني.**

قالت: **بل التمس غرته فإن أصبته شفيت نفسك ونفسي ونفعك العيش معي، وإن قُتلت فما عند الله خير من الدنيا وما فيها !**

قال: **والله ما جاء بي إلا قَتْل علي، فلكِ ما سألتِ.**

قالت: **سأطلب لك من يشد ظهرك ويساعدك.**

---

١ أهل النهر - الخوارج الذين تمركزوا في النهروان

٢ قينة - أمَة

بعثت قطام إلى رجل من قومها اسمه وردان فأجابها، وأتى ابن ملجم رجلاً من أشجع اسمه شبيب بن بجرة، فقال: **هل لك في شرف الدنيا والآخرة ؟**

قال: **وما ذاك ؟**

قال: **قتل علي بن أبي طالب.**

قال شبيب: **ثكلتك أمك ! لقد جئت شيئاً إدّاً . كيف تقدر على قتله ؟**

قال: **اكمن له في المسجد، فإذا خرج إلى صلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه.**

قال: **ويحك لو كان غير علي كان أهون، قد عرفت سابقته وفضله وبلاءه في الإسلام، وما أجدني أنشرح لقتله.**

قال: **أما تعلمه قتَل أهل النهر العباد الصالحين ؟**

قال: **بلى.**

قال: **فلنقتله بمن قتل من أصحابنا.**

فأجابه، فلما كان ليلة الجمعة [1]، وهي الليلة التي واعد ابن ملجم فيها أصحابه على قتل علي ومعاوية وعمرو، جاءوا قطام وهي في المسجد الأعظم معتكفة فدعت لهم بالحرير وعصبتهم به.

جلس المتآمرون مما يلي السدة التي كان يخرج منها أمير المؤمنين عليه السلام إلى الصلاة، فلما خرج نادى: **الصلاة الصلاة.**

فضربه شبيب بالسيف، فوقع سيفه بعضادة الباب أو الطلق [2]، وضربه ابن ملجم على قرنه بالسيف، وقال: **الحكم لله لا لك يا علي ولا لأصحابك.**

وقال أبو الفرج الأصفهاني: فضربه ابن ملجم فأثبت الضربة في وسط رأسه.

وقال ابن عبد البر: فقال علي فزت ورب الكعبة، لا يفوتنكم الرجل.

---

١ هكذا في تاريخ الطبري وكامل ابن الأثير ، وأما ما ورد عن أبي مخنف فينص على أنه ضُرب ليلة الأربعاء وقُبض ليلة الجمعة ولعل وقع اشتباه بين ليلة الضرب وليلة الوفاة .

٢ الطلق = حبل مفتول شديد الفتل

وروى أبو الفرج بسنده عن عبد الله بن محمد الأزدي قال: **إني لأصلي في تلك الليلة في المسجد الأعظم مع رجال من أهل المصر كانوا يصلون في ذلك الشهر من أوله إلى آخره، إذ نظرت إلى رجال يصلون قريباً من السدَّة، إذ خرج علي بن أبي طالب عليه السلام لصلاة الفجر، فأقبل ينادي: الصلاة الصلاة.**

فما أدري أنادى أم رأيت بريق السيوف، وقائلاً يقول: الحكم لله يا علي، لا لك ولا لأصحابك، وسمعت علياً يقول: لا يفوتنكم الرجل[1].

هرب القوم نحو أبواب المسجد وتبادر الناس لأخذهم، فأما شبيب فأخذه رجل فصرعه، وجلس على صدره وأخذ السيف ليقتله به، فرأى الناس يقصدون نحوه فخشي أن يعجلوا عليه ولم يسمعوا منه، فوثب عن صدره وخلاه وطرح السيف من يده، ومضى شبيب هارباً حتى دخل منزله، ودخل عليه ابن عم له فرآه يحل الحرير عن صدره، فقال له: **ما هذا ؟ لعلك قتلت أمير المؤمنين ؟**

فأراد أن يقول له " لا "، فقال: **نعم.**

فمضى ابن عمه واشتمل على سيفه ثم دخل عليه فضربه حتى قتله.

وأما ابن ملجم فلحقه رجل من همدان فطرح عليه قطيفة ثم صرعه وأخذ السيف من يده، وجاء به أمير المؤمنين عليه السلام، وأفلت الثالث وانسلّ بين الناس.

قدَّم الإمام علي عليه السلام جعدة بن هبيرة ابن أخته أم هانئ يصلي بالناس الغداة، وخرج الحسن والحسين عليهما السلام وأخذا ابن ملجم وأوثقاه، واحتُمل أمير المؤمنين عليه السلام فأُدخل داره، فقعدت لبابة عند رأسه وجلست أم كلثوم عند رجليه، ففتح عينيه فنظر إليهما فقال: **الرفيق الأعلى خير مستقراً وأحسن مقيلاً.**

ثم عرق ثم أغمي عليه ثم أفاق، فقال: **رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يأمرني بالرواح إليه عشيةً ثلاث مرات.**

---

١ الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ـ ص ٢١

وأُدخل ابن ملجم على أمير المؤمنين وهو مكتوف، فقال: **أي عدو الله، ألم أُحسِن إليك ؟**

قال: **بلى.**

قال: **فما حملك على هذا ؟**

قال: **شحذته أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شر خلقه !**

قال علي: **لا أراك إلا مقتولاً به، ولا أراك إلا من شر خلق الله.**

ثم قال: **النفس بالنفس، إن هلكت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيتُ فيه رأيي. يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قُتل أمير المؤمنين، ألا لا يقتلنّ إلا قاتلي، انظر يا حسن، إذا أنا مت من ضربتي هذه فاضربه ضربة بضربة، ولا تمثلن بالرجل، فإني سمعت رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور.**

وأما البرك بن عبد الله فإنه في تلك الليلة قعد لمعاوية، فلما خرج ليصلي الغداة شدّ عليه بسيفه، فوقع في إليته، فأخِذ، فقال: **إن عندي خبراً أسرك به، فان أخبرتك فنافعي ذلك عندك ؟**

قال: **نعم.**

قال: **إن أخاً لي قَتل علياً في مثل هذه الليلة.**

قال: **لعله لم يقدر على ذلك ؟**

قال: **بلى، إن علياً يخرج ليس معه من يحرسه.**

فأمر به معاوية فقُتل.

جُمع لعلي عليه السلام أطباء الكوفة يوم جُرح فلم يكن أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هاني السكوني، وكان أبصرهم بالطب، وكان متطبباً يعالج الجراحات، فلما نظر إلى الجرح أخذ رئة شاة حارة فتتبع عرقاً منها فاستخرجه وأدخله في الجرح، ثم

نفخ العرق فاستخرجه فإذا عليه بياض الدماغ، فقال: **يا أمير المؤمنين إعهد عهدك، فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك.**

* **اللحظات الأخيرة من حياته:**

وقد أوصى الإمام عليه السلام مَن حوله عدة وصايا من بينها قوله: **وصيتي لكم ألا تشركوا بالله شيئاً، ومحمد** صلى الله عليه وآله وسلم، **فلا تضيِّعوا سنته، أقيموا هذين العمودين، وأوقدوا هذين المصباحين، وخلاكم ذم!**

أنا بالأمس صاحبكم، واليوم عبرة لكم، وغداً مفارقكم، إن أبقَ فأنا وليُّ دمي، وإن أفنَ فالفناء ميعادي، وإن أعفُ فالعفو لي قربة، وهو لكم حسنة، فاعفوا: ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾[1].

والله ما فجأني من الموت وارد كرهته، ولا طالع أنكرته، وما كنت إلا كقاربٍ وردَ، وطالبٍ وجَد، ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾[2].

وأخذ السم مأخذه في جسد الإمام عليه السلام، فأوصى ابنه الحسن وآل بيته، وأسلم قلبه إلى السكينة وهدوء البال، ينفرد بأشواقه، في انتظار لحظة القضاء، فلقد عهد عهده، وأدى ما عليه، وجالد الدنيا لينقّي الأنفس، وينشر النور، وإن هي إلا لحظات ثم يكون لقاؤه بأحب الخلق إليه... رسول الله.

وفي تلك اللحظات التي بدت وكأنها قرون من الزمن، كانت عيون آل علي ومحبيه تترقب كل حركة وسكنة لعلها تشهد بارقة أمل تنفرج بها هذه الغمة، وآذانهم تصغي إلى تمتمات ذلك اللسان الذي طالما لهج بذِكر الله، وما زال يكرر أحلى ذِكرٍ إلى قلبه... **لا إله إلا الله**... ولكنها بدأت تتناغم مع دقات القلب الطاهر،

---

١ النور / ٢٢

٢ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ـ ج ١٥ ـ ص ١٤٣ – ١٤٥ . والآية من سورة آل عمران / ١٩٨

في تباطؤ قاتل، ويخبو معها ذلك الصوت العلوي شيئاً فشيئاً، حتى جاء أمر الله الذي لا يفوته فائت، وأسلم الإمام روحه الزكية، مطمئناً راضياً مرضياً.

ارتفعت الصيحة في الدار، فعلم أهل الكوفة أن أمير المؤمنين عليه السلام قد قُبض، وأقبل الرجال والنساء يهرعون أفواجاً أفواجاً، وصاحوا صيحة عظيمة، فارتجت الكوفة بأهلها، وكثر البكاء والنحيب، وكثر الضجيج بها وقبائلها ودورها وجميع أقطارها، ولم ير قط باكياً كذلك اليوم ـ عدا يوم وفاة حبيبه رسول الله ـ فدهم البشرية كلها بداهمة قصماء، أصمّت النُّبل والشرف والمُثُل الرفيعة التي تُعِز الإنسان، وأحرقت الأمة بنار الحزن الذي لا يطفئ لهبه بكاء...

فالسلام عليك يا أبا الحسن يا أمير المؤمنين، طبت حياً وطبت شهيداً، السلام عليكم وعلى آلك الطاهرين الذين حملوا راية الإسلام من بعدك، وقدموا في سبيله كل ما يملكون، وخطُّوا بدمائهم وأنفسهم وتضحياتهم كلمات الحق من نهج الحق الذي مثّله علي عليه السلام بعقله وروحه وبدنه الزاكي...

خرائط توضيحية

الهِجْرَةُ

﴿ وإذ يمكُرُ بكَ الَّذينَ كَفَرُوا ليثبتوكَ أو يقتلوكَ أو يُخرِجُوكَ ويمكرونَ ويمكُرُ اللَّهُ واللَّهُ خيرُ الماكرينَ ﴾

(الأنفال ٨/ ٣٠)

﴿ إلاَّ تنصروهُ فقد نصرَهُ اللَّهُ إذ أخرجَهُ الَّذين كفروا ثانيَ اثنينِ إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزَنْ إنَّ اللَّهَ معنا فأنزل اللَّهُ سكينَتَهُ عليه وأيَّدهُ بجنودٍ لم تروها ﴾

(التوبة ٩/ ٤٠)

طريق الهجرة

طريق القوافل المطروقة

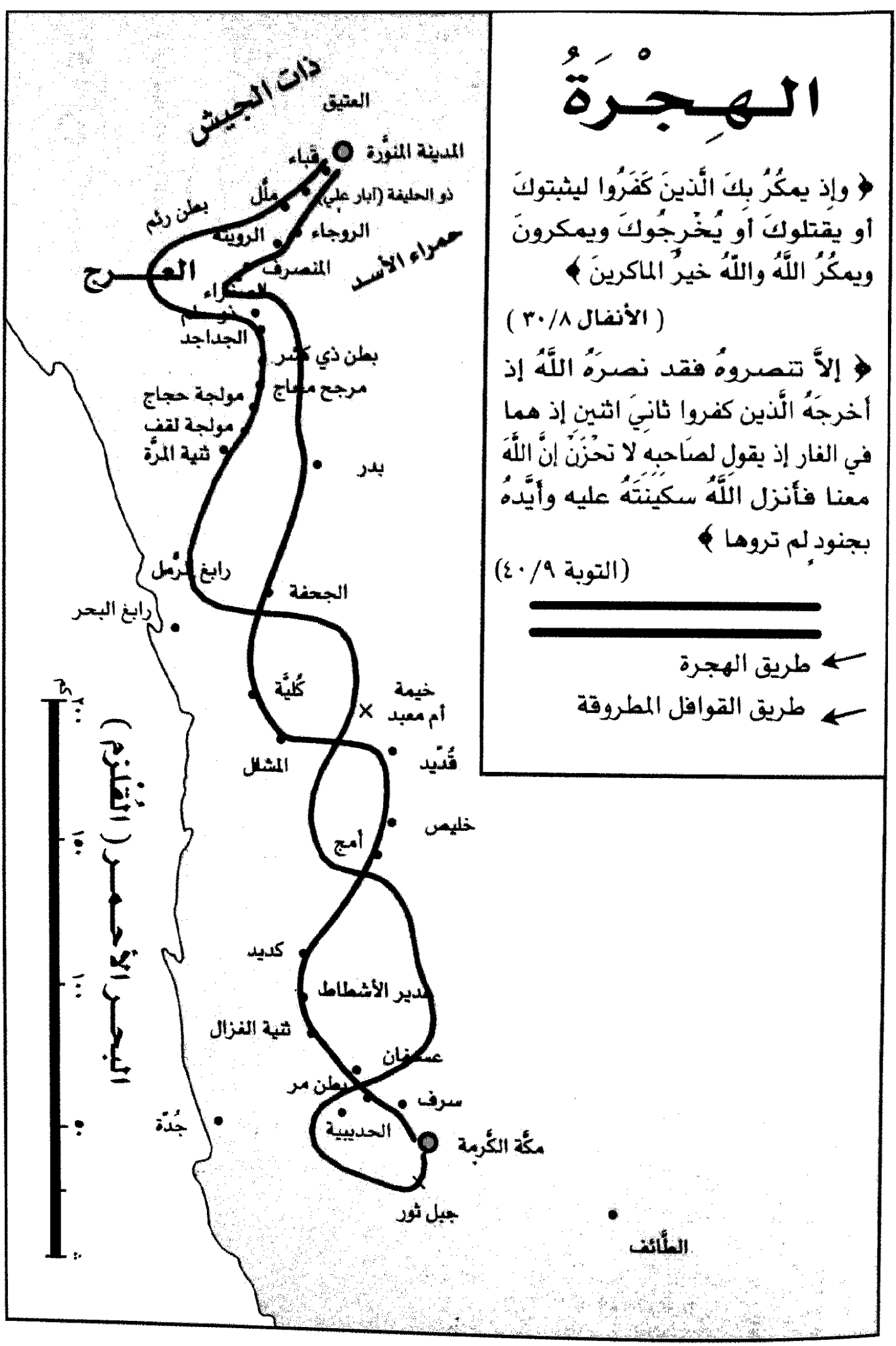

غزوة بدر الكبرى

(يوم الفرقان يوم التقى الجمعان)

١٧ رمضان ٢هـ

١٣ آذار ٦٢٤ م

﴿ إنَّ اللهَ يحبُّ الذين يقاتلُون في سبيله صفاً كأنَّهم بنيانٌ مرصُوص﴾

(الصَّف ٦١/٤).

﴿ولقد نصركُمُ اللهُ ببدرٍ وأنتم أذلَّة فاتَّقوا اللهَ لعلَّكُم تشكرون﴾

(آل عمران ٣/١٢٣)

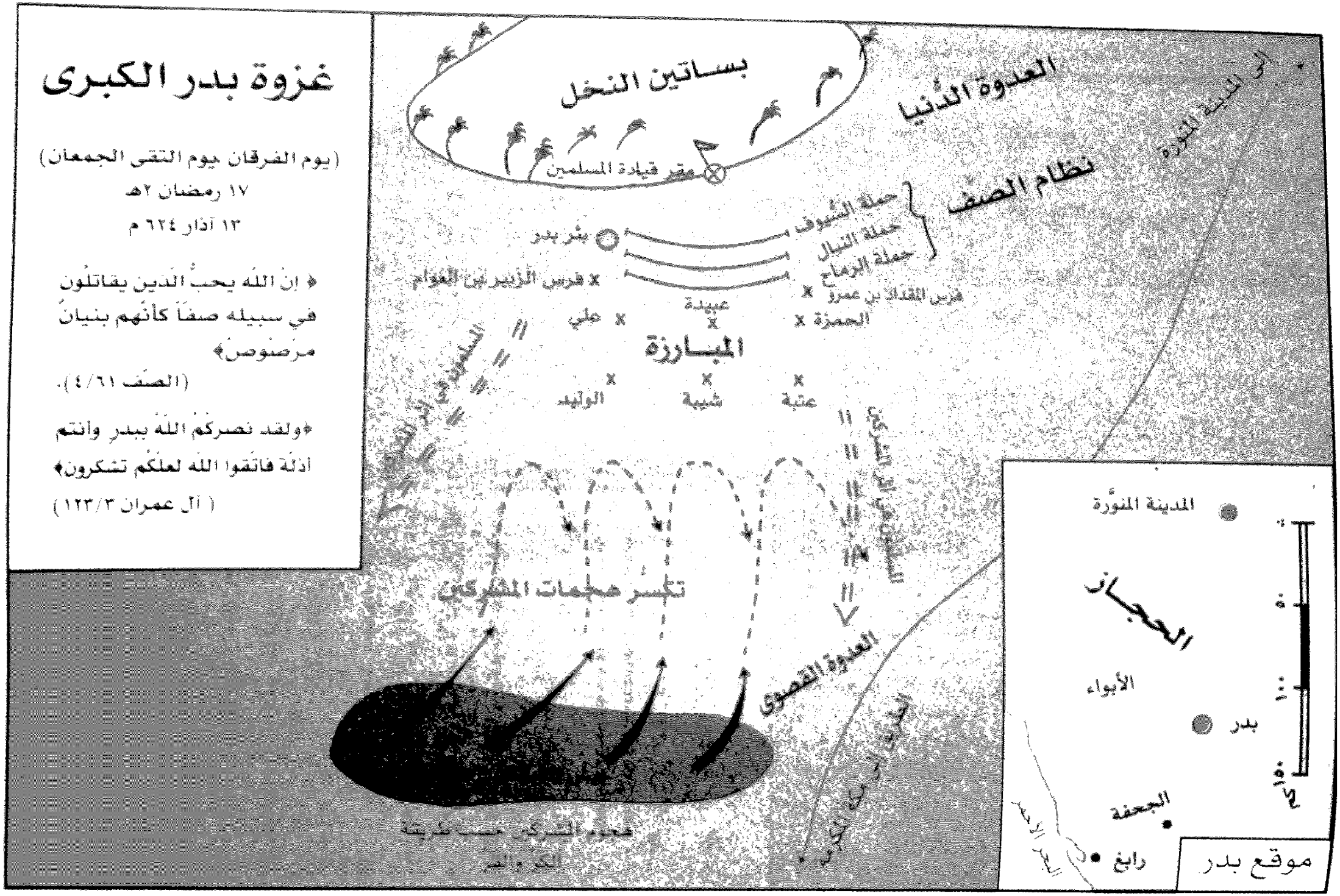

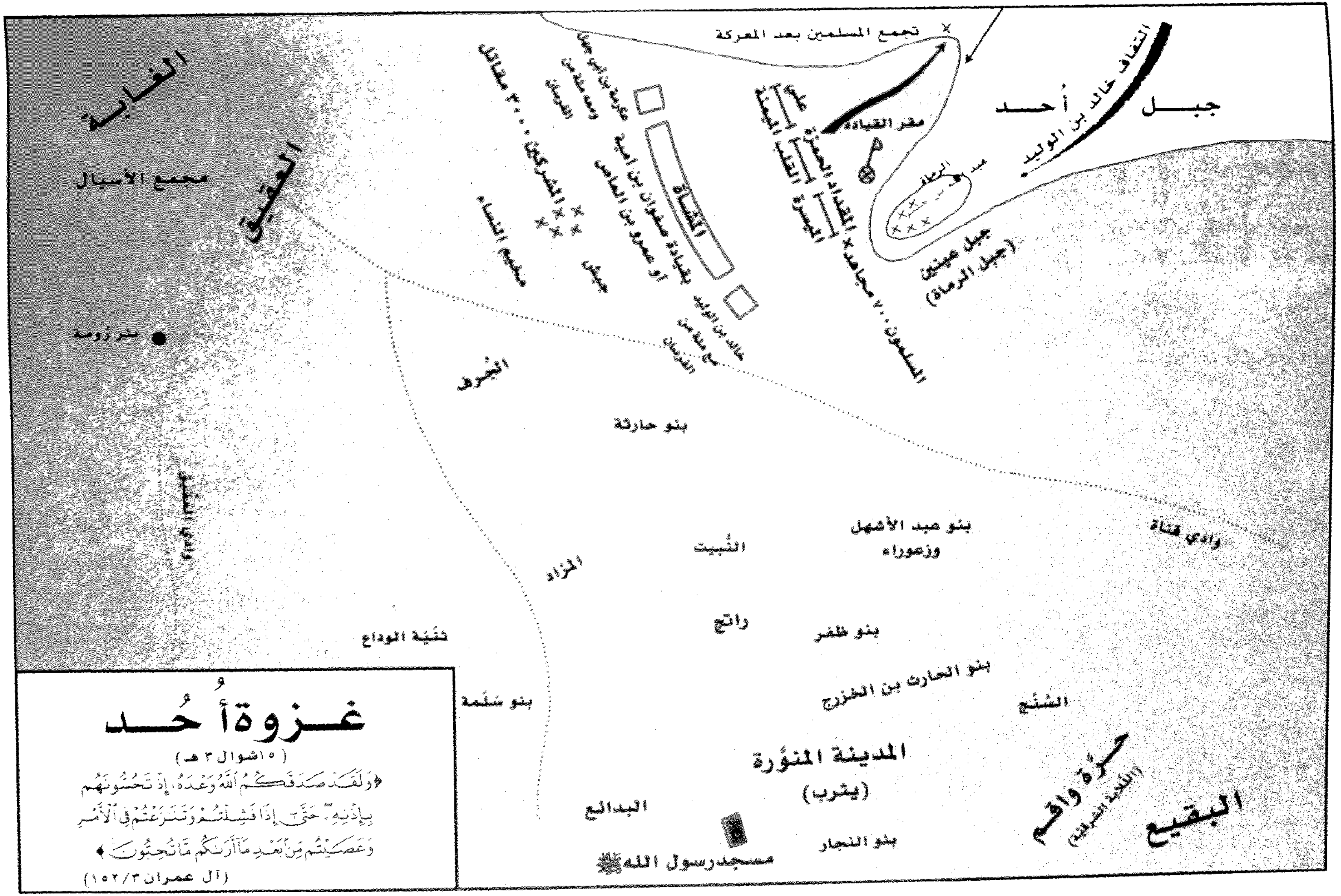
غزوة أُحُد
(١٥ شوال ٣ هـ)
﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾
(آل عمران ٣/١٥٢)
جبل أُحُد
التفاف خالد بن الوليد
تجمع المسلمين بعد المعركة
مقر القيادة
جبل عينين
(جبل الرماة)
الرماة
المسلمون ٧٠٠ مجاهد
علي
الميمنة
القلب
الميسرة
الغابة
مجمع الأسيال
العقيق
القيادة
بقيادة صفوان بن أمية
أو عمرو بن العاص
خالد بن الوليد
عكرمة بن أبي جهل
المشركين ٣٠٠٠ مقاتل
مخيم النساء
جيش
بئر رومة
الجُرف
بنو حارثة
وادي قناة
بنو عبد الأشهل
وزعوراء
الشُبيت
المزاد
راتج
بنو ظفر
ثنية الوداع
بنو الحارث بن الخزرج
بنو سَلمة
الشنْج
المدينة المنورة
(يثرب)
حرّة واقم
(اللابة الشرقية)
البقيع
البدائع
بنو النجار
مسجد رسول الله ﷺ

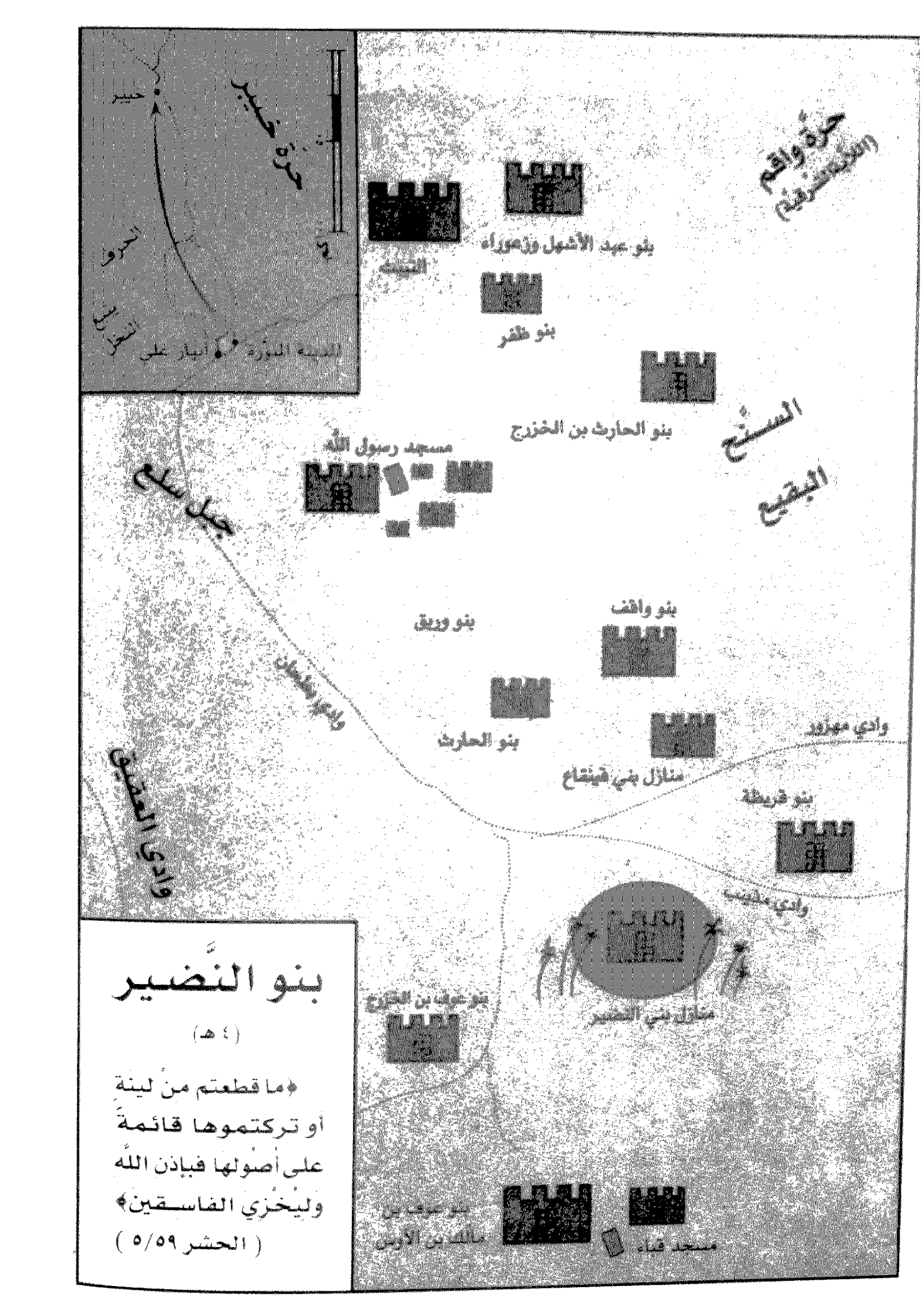

بنو النَّضير

(٤ هـ)

﴿ما قطعتم من لينةٍ أو تركتموها قائمةً على أصولها فبإذن الله وليُخزي الفاسقين﴾

(الحشر ٥/٥٩)

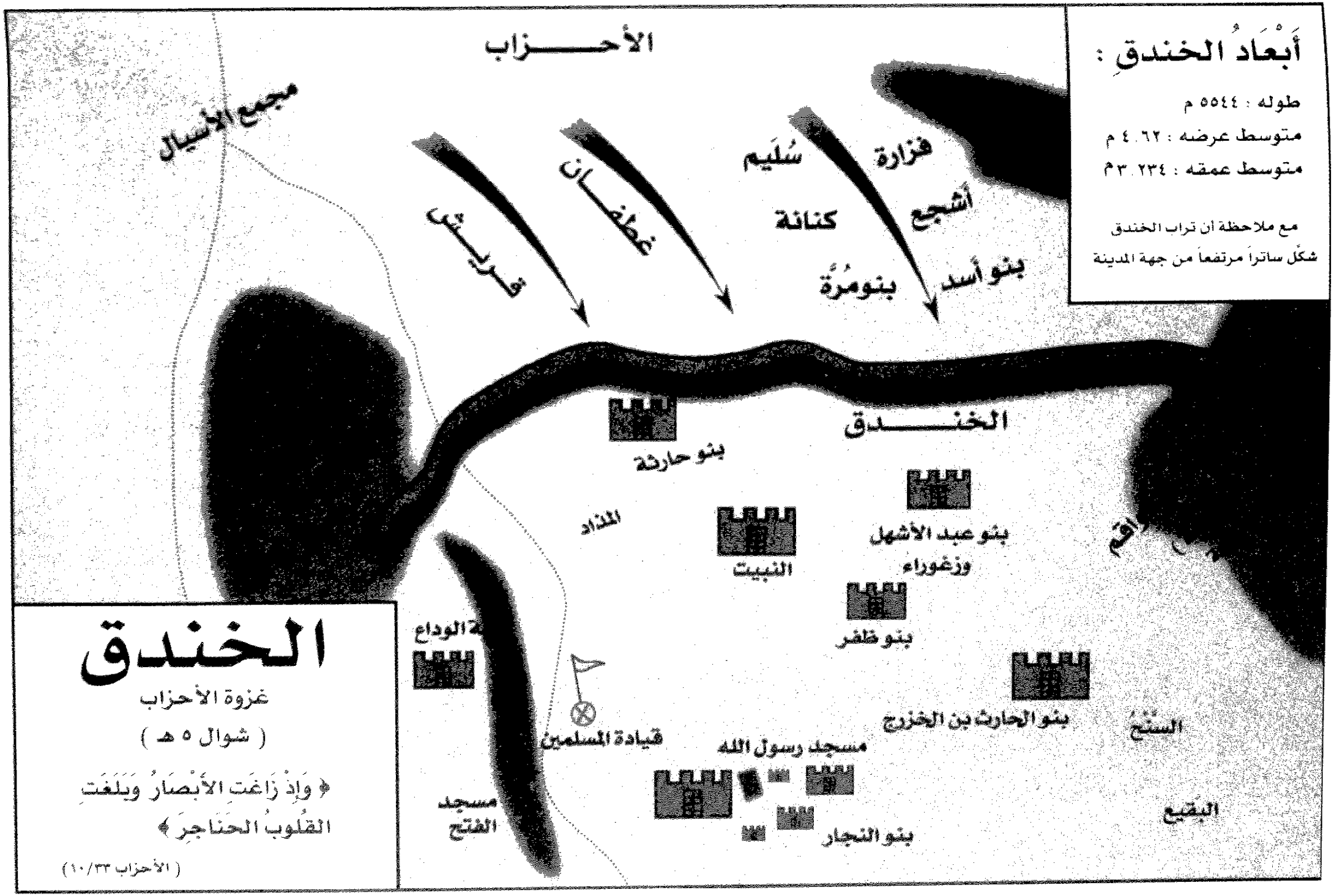
أَبْعَادُ الخندقِ :
طوله : ٥٥٤٤ م
متوسط عرضه : ٤.٦٢ م
متوسط عمقه : ٣.٢٣٤ م
مع ملاحظة أن تراب الخندق
شكّل ساتراً مرتفعاً من جهة المدينة
الأحـــــزاب
مجمع الأسيال
فزارة
سُلَيم
أشجع
كنانة
بنو أسد
بنومُرَّة
غطفان
الخنـــــدق
بنو حارثة
بنو عبد الأشهل
وزغوراء
المذاد
النبيت
بنو ظفر
بنو الحارث بن الخزرج
السُنْحُ
البقيع
مسجد رسول الله
بنو النجار
قيادة المسلمين
مسجد
الفتح
الخندق
غزوة الأحزاب
(شوال ٥ هـ)
﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ
القُلُوبُ الحَنَاجِرَ ﴾
(الأحزاب ٣٣/١٠)

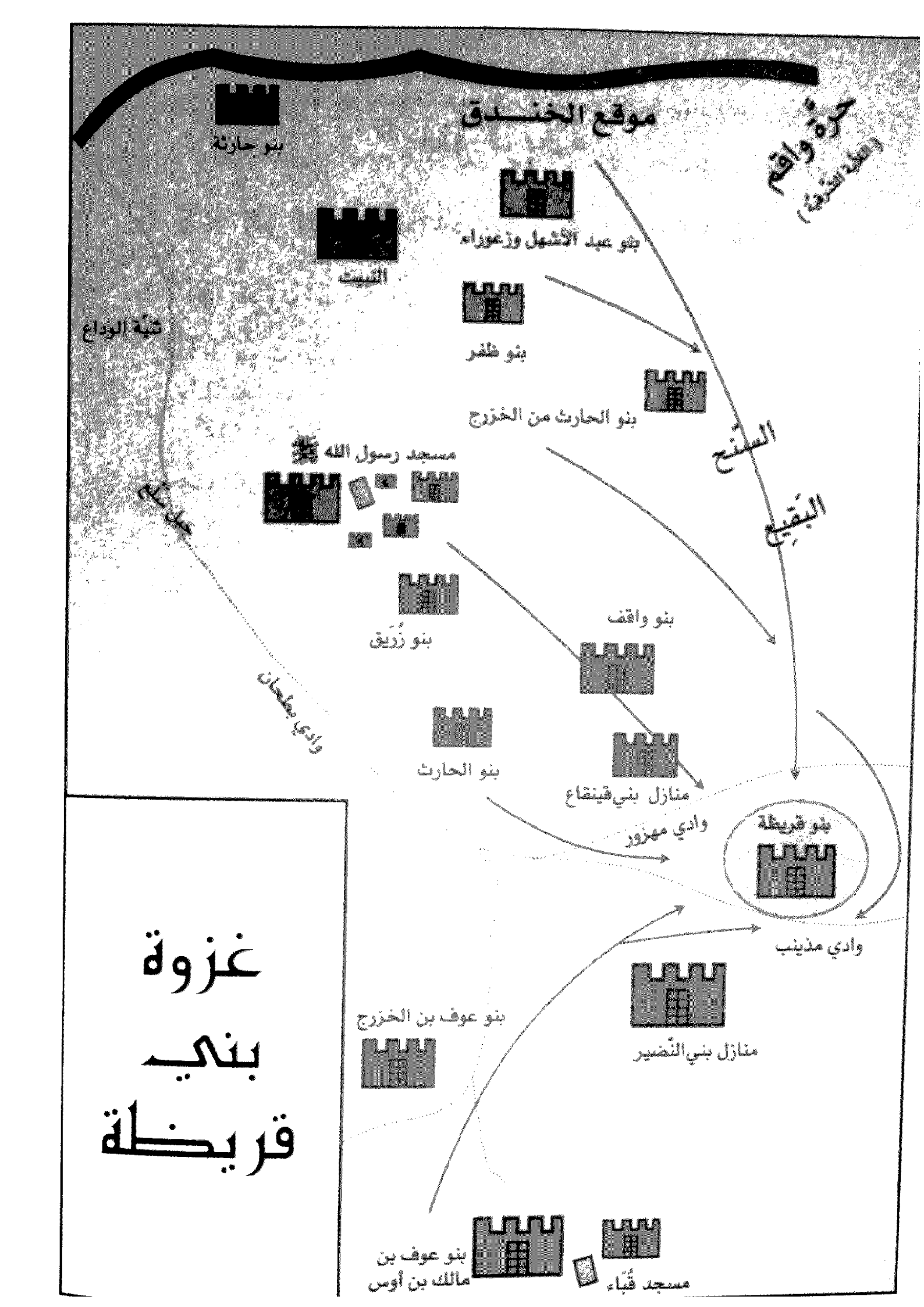
غزوة
بني
قريظة
موقع الخندق
بنو حارثة
حرة واقم
(الحرة الشرقية)
بنو عبد الأشهل وزعوراء
النبيت
ثنية الوداع
بنو ظفر
بنو الحارث من الخزرج
مسجد رسول الله ﷺ
السُّلَّح
البَقِيع
بنو زُرَيق
بنو واقف
وادي بطحان
بنو الحارث
منازل بني قينقاع
وادي مهزور
بنو قريظة
وادي مذينب
بنو عوف بن الخزرج
منازل بني النّضير
بنو عوف بن
مالك بن أوس
مسجد قُبَاء

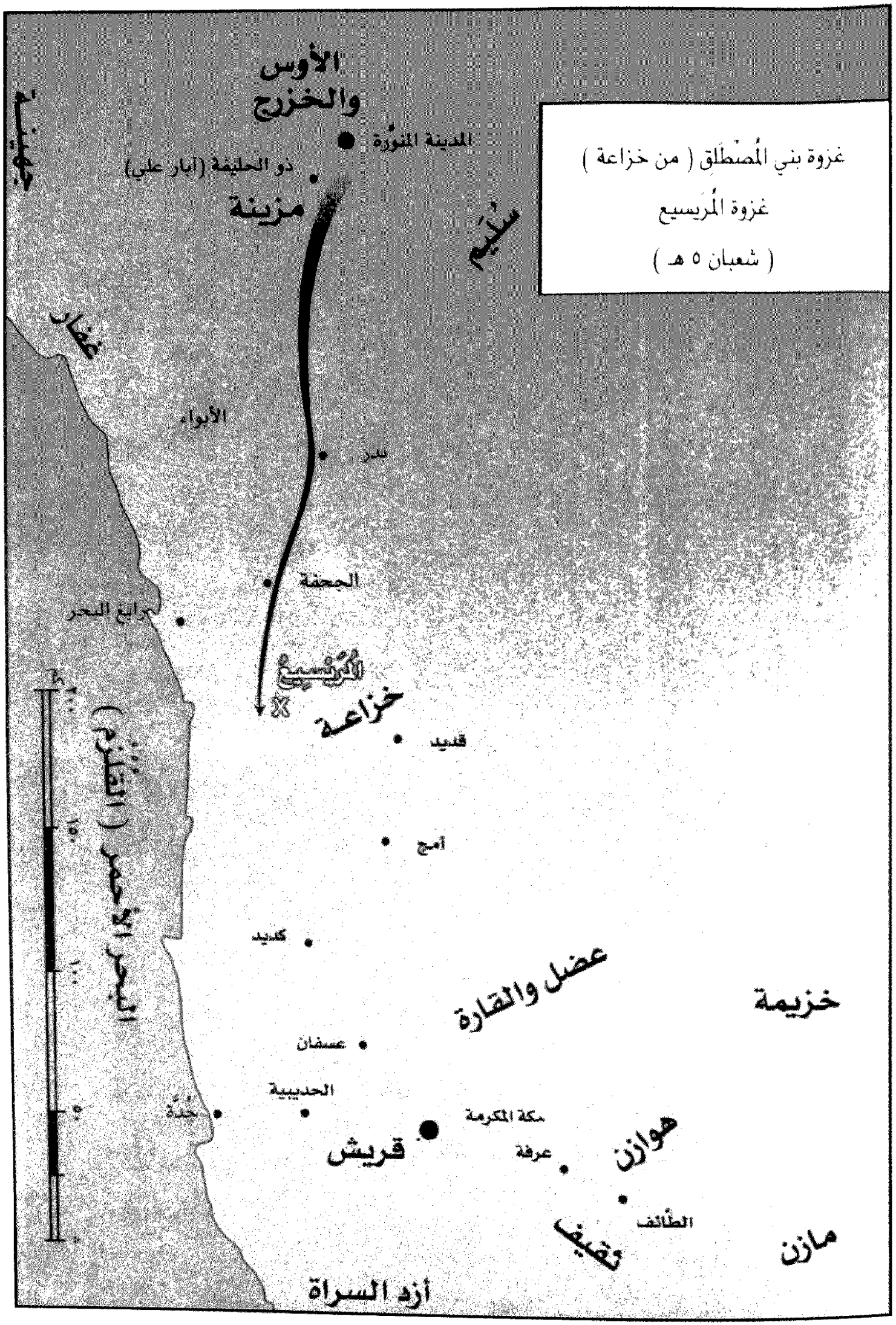
غزوة بني المُصطَلِق (من خزاعة)
غزوة المُرَيسيع
(شعبان ٥ هـ)
الأوس والخزرج
المدينة المنوّرة
ذو الحليفة (آبار علي)
مزينة
سُلَيم
بنو ضمرة
الأبواء
بدر
الجحفة
رابغ البحر
المُرَيسيع
خزاعة
قديد
أمج
كديد
عضل والقارة
خزيمة
عسفان
الحديبية
جدّة
مكة المكرمة
قريش
عرفة
هوازن
الطّائف
ثقيف
مازن
أزد السراة
ساحل البحر الأحمر

الحديبيـــة

(ذي القعدة ٦ هـ)

بيعة الرضوان:

﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾

﴿ الفتح ١٨/٤٨ ﴾.

X موقع الحديبية

• علاملات الميقات

((أعلام الحرم

حدود الحرم المكي

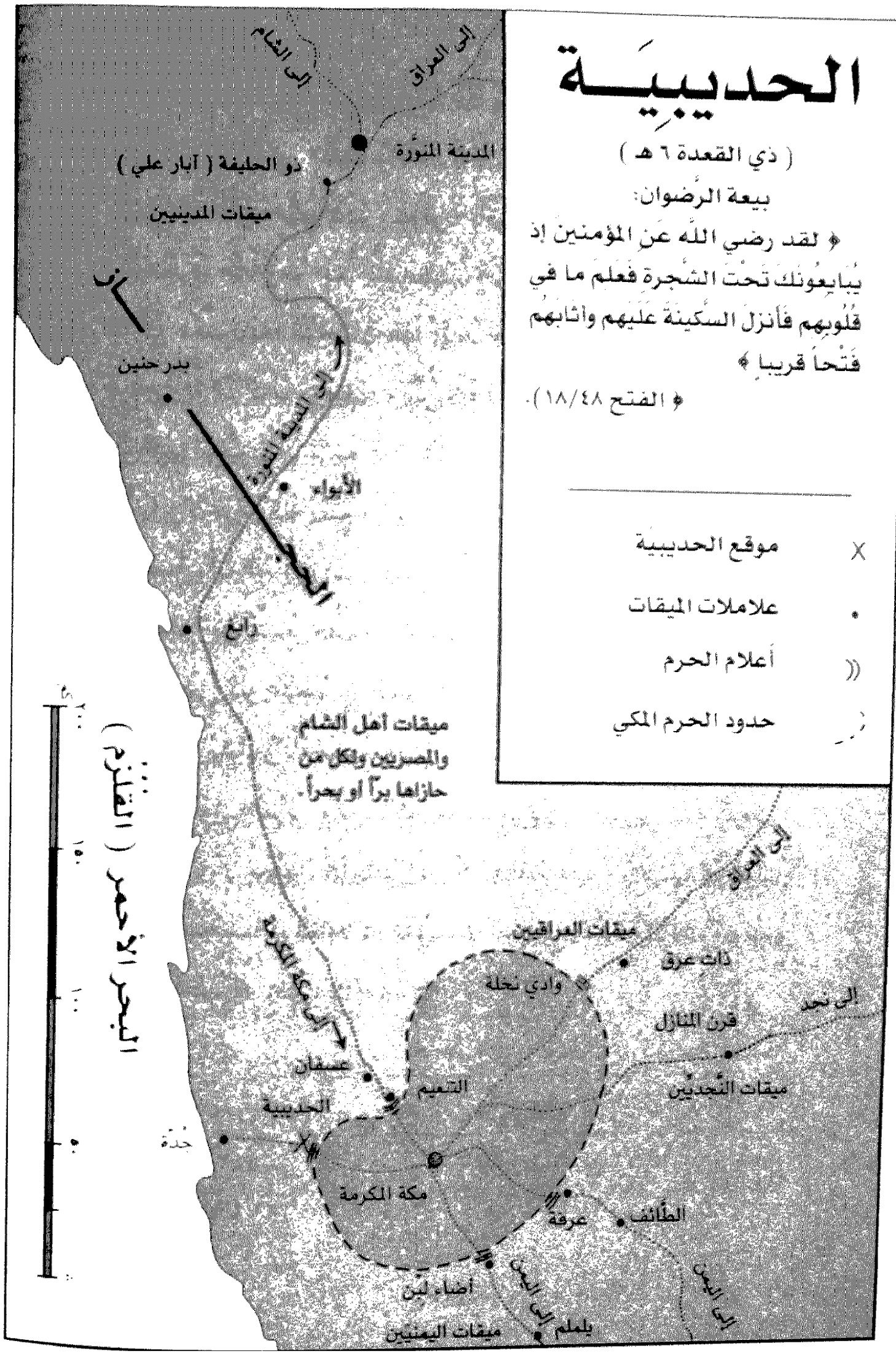

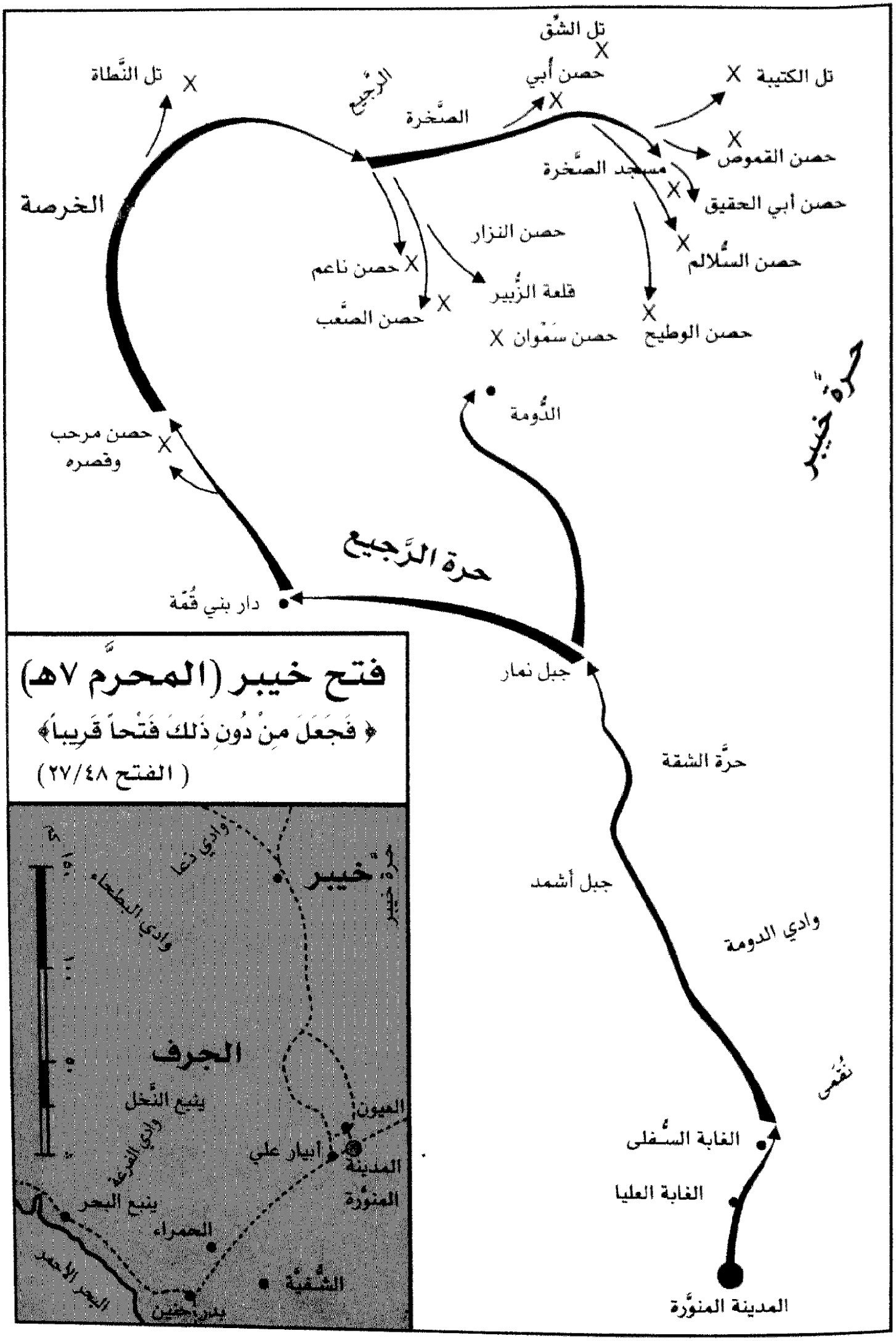
تل الشّق
تل النّطاة
تل الكتيبة
الرّجيع
الصّخرة
حصن أبي
حصن القموص
مسجد الصّخرة
الخرصة
حصن أبي الحقيق
حصن النزار
حصن السُّلالم
حصن ناعم
قلعة الزُّبير
حصن الصّعب
حصن الوطيح
حصن سَمْوان
الدُّومة
حصن مرحب وقصره
حرة خيبر
حرة الرَّجيع
دار بني قُمَة
جبل نمار
حرّة الشقة
جبل أشمد
وادي الدومة
نقس
الغابة السُّفلى
الغابة العليا
المدينة المنوّرة
فتح خيبر (المحرّم ٧هـ)
﴿ فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً ﴾
(الفتح ٢٧/٤٨)
خيبر
وادي رجيع
وادي الكتيبة
الجرف
ينبع النّخل
وادي الزرقاء
العيون
أبيار علي
المدينة المنوّرة
ينبع البحر
الحمراء
الشّقيّة
بدر حنين
البحر الأحمر

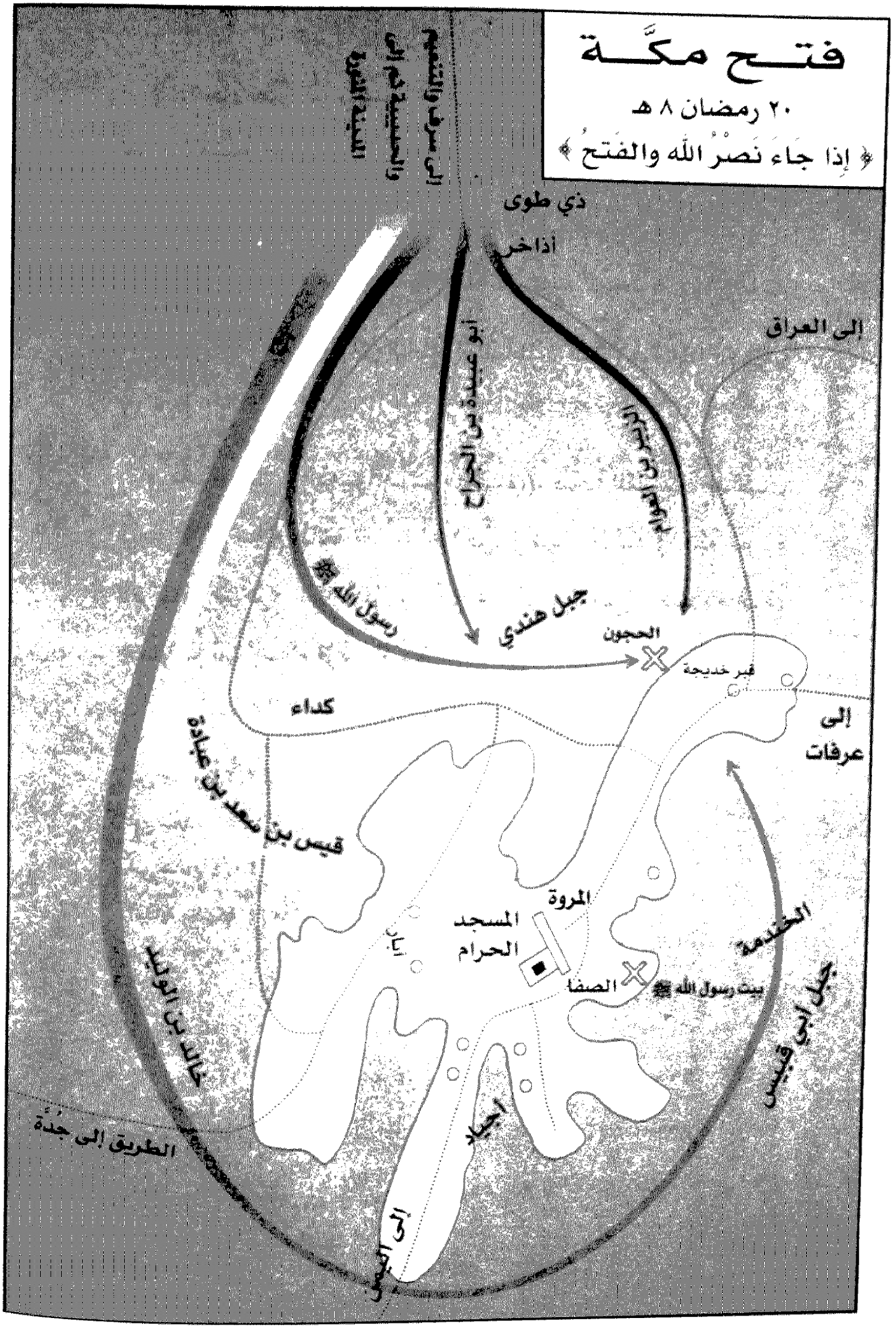
فتح مكة
٢٠ رمضان ٨ هـ
﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾
ذي طوى
أذاخر
إلى العراق
جبل هندي
الحجون
قبر خديجة
كداء
إلى عرفات
قيس بن سعد بن عبادة
المروة
المسجد الحرام
الصفا
بيت رسول الله ﷺ
المخندمة
جبل أبي قبيس
خالد بن الوليد
الطريق إلى جدة
أجياد

حُنيْن (شوال ٨ هـ/شباط ٦٣٠ مـ)

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾

(التوبة ٩/٢٥)

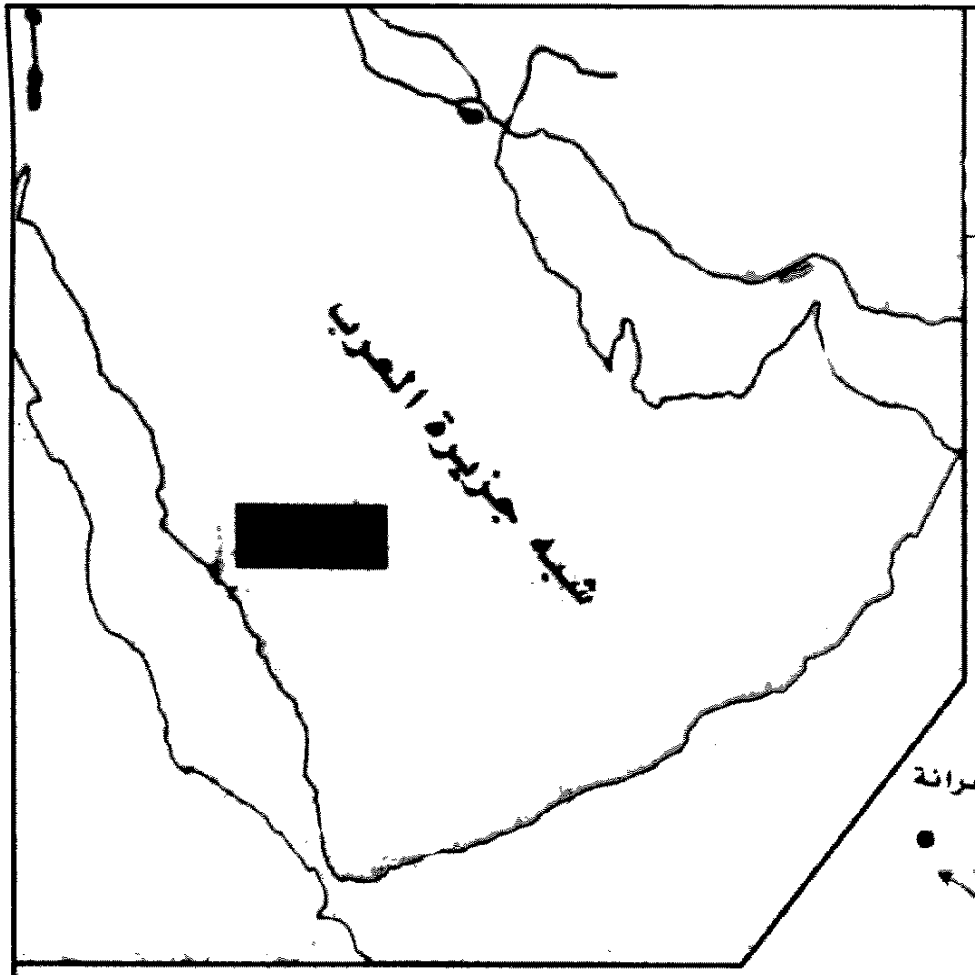

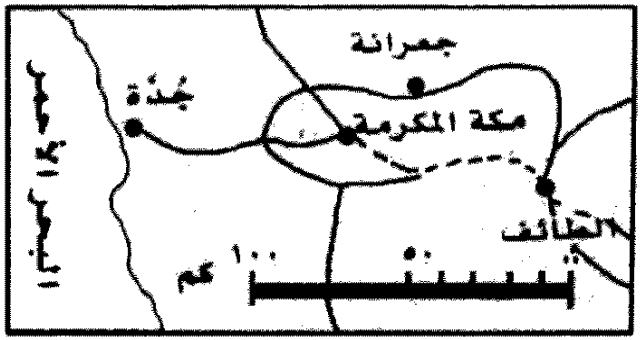

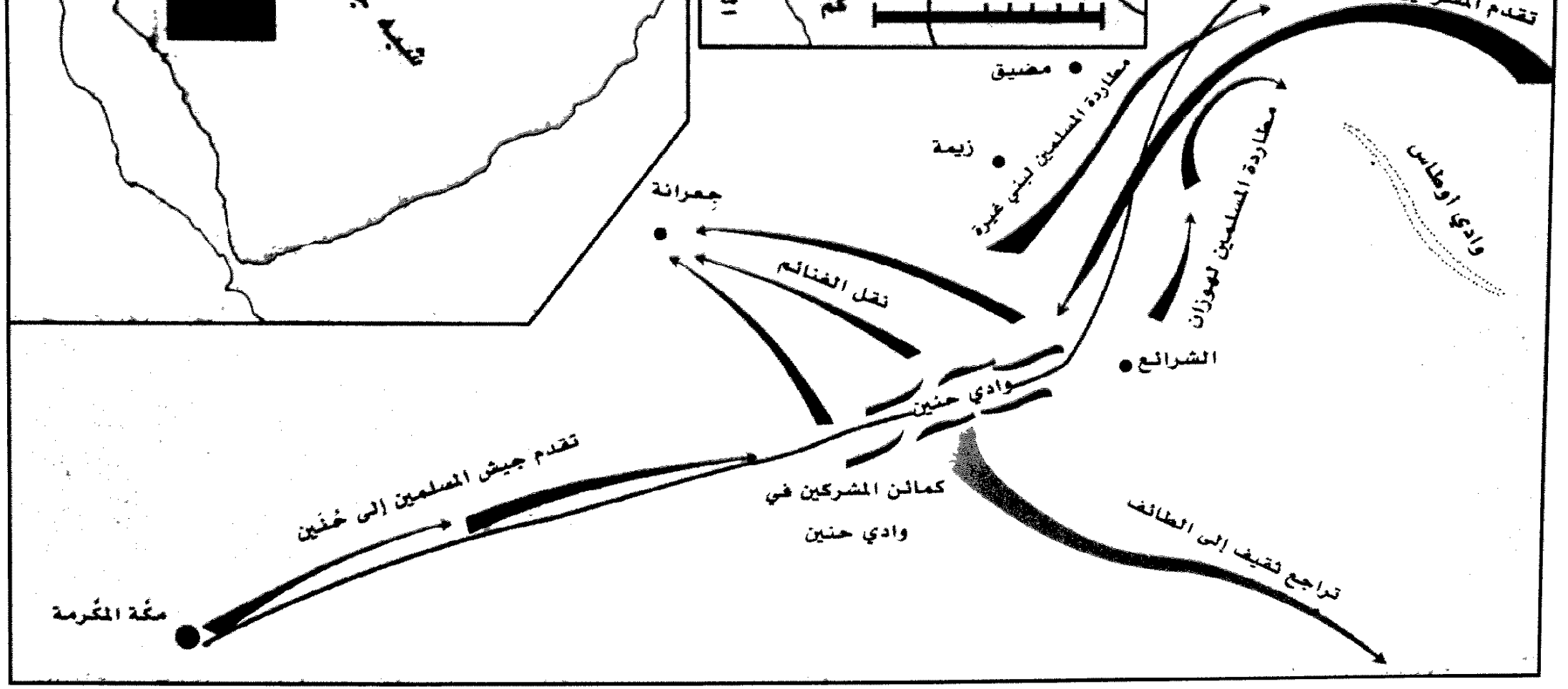

العراق والشام

مصادر
الكتاب

مصادر الكتاب

١. القرآن الكريم	
٢. الأخبار الطوال	أحمد بن داود الدينوري
٣. الاختصاص	محمد بن محمد بن النعمان المفيد
٤. الإرشاد	محمد بن محمد بن النعمان المفيد
٥. أروع ما قيل في الشجاعة	سعيد اللحام
٦. الاستيعاب في معرفة الأصحاب	ابن عبدالبر يوسف بن أحمد القرطبي
٧. أسد الغابة	ابن الأثير علي بن محمد الشيباني
٨. الإصابة في تمييز الصحابة	ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني
٩. أطلس القرآن	شوقي أبوخليل
١٠. أطلس تاريخ الإسلام	حسين مؤنس
١١. الأعلام	خير الدين الزركلي
١٢. أعيان الشيعة	محسن الأمين
١٣. الأمالي	محمد بن علي الصدوق
١٤. الإمام علي بن أبي طالب	عبدالفتاح عبدالمقصود
١٥. إمتاع الأسماع	أحمد بن علي المقريزي
١٦. الإمتاع والمؤانسة	أبوحيان التوحيدي
١٧. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل	ناصر مكارم الشيرازي
١٨. أنساب الأشراف	أحمد بن يحيى البلاذري
١٩. بحار الأنوار	محمد باقر المجلسي
٢٠. تاج العروس	مرتضى الزبيدي
٢١. تاريخ الأدب العربي	أحمد حسن الزيات
٢٢. تاريخ الإسلام	محمد بن أحمد الذهبي
٢٣. تاريخ الأمم والملوك	محمد بن جرير الطبري
٢٤. التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم	محمد طاهر الكردي
٢٥. تاريخ اليعقوبي	أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي

٢٦. تاريخ دمشق	ابن عساكر علي بن الحسن الشافعي
٢٧. التفسير الكبير	الفخر الرازي
٢٨. تهذيب خصائص أمير المؤمنين	أحمد بن علي النسائي
٢٩. التوحيد	محمد بن علي الصدوق
٣٠. الجرأة والشجاعة عند العرب	محمد عبدالرحيم
٣١. الخرائج والجرائح	قطب الدين الراوندي
٣٢. خصائص الأئمة	محمد بن الحسين الشريف الرضي
٣٣. الخصال	محمد بن علي الصدوق
٣٤. خلفاء الرسول	خالد محمد خالد
٣٥. ديوان أبي تمام	حبيب بن أوس المعروف بأبي تمام
٣٦. ديوان أبي فراس الحمداني	الحارث بن سعيد الحمداني
٣٧. ديوان السيد الحميري	السيد الحميري
٣٨. ديوان المتنبي	أبوالطيب أحمد بن الحسين المتنبي
٣٩. ديوان النابغة الذبياني	النابغة الذبياني
٤٠. ديوان الهذليين	
٤١. ديوان طرفة بن العبد	طرفة بن العبد الوائلي
٤٢. ذخائر العقبى	أحمد بن عبدالله الطبري
٤٣. رسائل المرتضى	علي بن الحسين الشريف المرتضى
٤٤. روائع نهج البلاغة	جورج جرداق
٤٥. الروضة من الكافي	محمد بن يعقوب الكليني
٤٦. سنن الترمذي	محمد بن عيسى الترمذي
٤٧. السنن الكبرى	أحمد بن الحسين البيهقي
٤٨. سيد المرسلين	جعفر السبحاني
٤٩. سيرة الإمام البطل علي بن أبي طالب	محمد عبدالحافظ
٥٠. السيرة الحلبية	علي الحلبي
٥١. السيرة النبوية	عبدالملك بن هشام الحميري
٥٢. شجرة طوبى	محمد مهدي الحائري

٥٣. شرح إحقاق الحق	شهاب الدين المرعشي النجفي
٥٤. شرح أصول الكافي	محمد صالح المازندراني
٥٥. شرح صحيح مسلم	يحيى بن شرف النووي
٥٦. شرح نهج البلاغة	ابن أبي الحديد عبدالحميد بن هبة الله
٥٧. شيخ البطحاء	حسين الشاكري
٥٨. الصراط المستقيم	علي بن محمد العاملي
٥٩. الطبقات الكبرى	محمد بن سعد
٦٠. العشرة المبشرون بالجنة	طه عبدالله العفيفي
٦١. العقد الفريد	أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي
٦٢. علل الشرائع	محمد بن علي الصدوق
٦٣. علي في الكتاب والسنة والأدب	حسين الشاكري
٦٤. عيون الأخبار	ابن قتيبة محمد بن مسلم الدينوري
٦٥. عيون الحكم والمواعظ	علي بن محمد الواسطي
٦٦. الغدير	عبدالحسين أحمد الأميني
٦٧. الفتوح	ابن أعثم الكوفي
٦٨. الفصول المختارة	علي بن الحسين الشريف المرتضى
٦٩. الفصول المهمة	ابن الصباغ المالكي
٧٠. في إنقاذ التاريخ الإسلامي	حسن بن فرحان المالكي
٧١. في رحاب أهل البيت	محمد حسين فضل الله
٧٢. في رحاب علي	خالد محمد خالد
٧٣. الكامل في التاريخ	ابن الأثير علي بن محمد الشيباني
٧٤. كحل البصر في سيرة سيد البشر	عباس القمي
٧٥. كشف الغطاء	جعفر كاشف الغطاء
٧٦. كشف الغمة في معرفة الأئمة	علي بن عيسى الإربلي
٧٧. كنز العمال	المتقي الهندي
٧٨. كنز الفوائد	محمد بن علي الكراجكي
٧٩. لسان العرب	ابن منظور محمد بن مكرم المصري

٨٠ لسان الميزان	ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني
٨١ مجمع الزوائد	علي بن أبي بكر الهيثمي
٨٢ المحاسن والأضداد	عمرو بن بحر الجاحظ
٨٣ المحاسن والمساوئ	إبراهيم بن محمد البيهقي
٨٤ محاضرات الأدباء	الراغب الأصفهاني
٨٥ المخصص	علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده
٨٦ المدونة الكبرى	مالك بن أنس
٨٧ المستدرك على الصحيحين	الحاكم النيسابوري
٨٨ مستند الشيعة	المحقق أحمد بن محمد مهدي النراقي
٨٩ مسند الإمام أحمد	أحمد بن حنبل
٩٠. المصنف	عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي
٩١. معجم البلدان	ياقوت الحموي
٩٢. المعيار والموازنة	محمد بن عبدالله الإسكافي
٩٣. المغازي	محمد بن عمر الواقدي
٩٤. مقاتل الطالبيين	أبوالفرج الأصفهاني
٩٥. مقاصد الطالب	أحمد البرزنجي الشافعي
٩٦. من وحي القرآن	محمد حسين فضل الله
٩٧. المناقب	الموفق بن أحمد بن محمد الخوارزمي
٩٨. مناقب آل أبي طالب	محمد بن علي بن شهراشوب
٩٩. ميزان الحكمة	محمدي الريشهري
١٠٠ الميزان في تفسير القرآن	محمد حسين الطباطبائي
١٠١ نهج البلاغة	محمد بن الحسين الشريف الرضي
١٠٢ نهج السعادة	محمد باقر المحمودي
١٠٣ وسائل الشيعة	محمد بن الحسن الحر العاملي
١٠٤ وسيلة المآل	أحمد بن المفضل بن باكثير الحضرمي
١٠٥ وسيلة النجاة	المولوي محمد مبين الهندي
١٠٦ وقعة صفين	نصر بن مزاحم المنقري

مكتبة الروضة الحيدرية
٨١٧١٩
٩/١٠/٢٠٠٤

هذا الكتاب

إن شجاعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هي من السمات البارزة في شخصيته، والتي اعترف بها الموافق والمعارض، وزخرت بها الكتب، وتغنّى بها الشعراء، وضُرب بها المثل، إلا أنها امتزجت بالعناصر الأخرى المكونة لشخصيته، فكانت شجاعته في الحق، والانتصار للمظلوم، وإغاثة الملهوف، والدفاع عن المستضعفين، ونشر الدين، وبسط العدل، ورد البدع والأباطيل... شجاعة امتزجت بالحلم، فلم تدفعه للطغيان، وتوشّحت بالعدل، فلم يظلم بها أحداً، وتقمصت العفو، فلم يفكّر بالانتقام، وتقوّمت بالتقوى، فلم يُعمل سيفه إلا لله وحده.

لم يكن علي عليه السلام من أولئك المقاتلين الذين يستلذون بسفك الدماء -حاشاه- بل كان يبذل كل ما في وسعه لإنهاء الخصومة سلمياً وبما يحقق الهدف المقدس في نفسه، فإذا أبى الآخرون إلا القتال، كان ابن أبي طالب فارس المعركة الذي لم يعرف -في أي منها- طعم الهزيمة أبداً.

المؤلف